ميلاد القائد .. ميلاد الأمة

شعبٌ يقاتلُ ، ويستبسلُ دفاعاً عن ارضه وكرامته وشرفه وخياراته .. شعبٌ يُضحّي أغلى التضحيات : وهل هناك أعزّ وأغلى من التضحية بالارواح والأبناء والدم .. !

دفاعاً عمّا يؤمنُ به ، عمّا أحبّه واختاره ..

هذا الشعبُ جزءٌ من الامة العربية ..ولكنّهُ يُجسّدُ اليومَ ، الأمة وروحَ الأمة بكاملها ، مستلهماً تاريخها ، ورسالتها ..مُجدّداً ومُعمّداً هذه الرسالة بالدم .. في هذا الزمن العربيّ الذي لم تشهد فيه الأمة ، اكثر شتاتاً وفرْقة .. وخونة يقفون جهاراً نهاراً مع العدوّ والمعتدي الايراني حليف الكيان الصهيوني..

في هذا الزمن الصعب .. زمن الفرْقة والخيانة المكشوفة .. استطاع هذا الشعبُ .. الشعبُ العراقيّ العظيمُ .. أنْ يشقّ طريقَ المستقبل ، عبْر المصاعب المحيطة بالحاضر العربيّ ، متألّقاً ، واثقاً بأنّ ضميرَ الأمة الحيّ - ضمائرُ بعض الانظمة هي الميتة فقط - لنْ يلبثَ أنْ ينتفضَ لنداء الحياة .. نداء العراق وإصراره على التقدّم مهما أوغل الأعداء بالعدوان ومحاولة عرقلة مسيرته ..

إن حرب العراق التي تدفع عنه وعن الامةالعربية ، أخطار النظام الأيرانيّ - نموذج التخلّف والظلام والجهل والعنصرية المقيتة ..لابدّ أنْ تحدثَ في الامة ما أحدثتْهُ في العراق من قوّة في إرادة النهوض .. ومن تألّق وإبداع ، وسموّ في البذل والعطاء والبطولة .. وبهذا المستوى العالي من الكفاءةوالصمود والاقتدار الذي صنعتْهُ وأبدعته قيادةٌ فذّةٌ ، أمينةٌ ، مخلصةٌ .. قيادة القائدالعظيم صدام حسين .. وهي أيضاً نتيجةُ الأعداد الثوريّ وتنامي الروح القتالي دفاعاً عن الأرض ، والسيادة ، والكرامة .. ودفاعاً عن المبادىء وروح المبادىء .. ودفاعاً عن الأمة :حاضرها ومستقبلها .. هذا الحاضرُ والمستقبلُ الذي لم يَعُدْ مُهدّداً من الكيان الصهيوني وحْدَهُ .. بل منْ عدوّ خبيث لئيم ، حليف للعدوّ الصهيوني ، هو النظام الخميني ..

إنَّ ما حققتهُ العراق ، وبخاصةٍ خلال سنواتِ الحربِ الستِ .. إنما هو سورةُ المستقبلِ ليس للعراقِ وحدهُ ، بل وللأمةِ العربيةِ .. لذا فاننا نقولُ : مطلوب" من جماهير الأمةِ أن تُطلقَ طاقاتها ، وتحررَ إرادتها ، وتستعيدَ روحها النضاليَ الذي تحاولُ بعضُ الأنظمةِ ، بشتى الوسائل ، كَبْحَهُ وقتْلَهُ ..

إنَّ وراءَ الصمودِ .. والنصرِ العراقيّ على المعتدي الغاشم ، حقائقُ جليّة" ، أساسُها القرارُ العراقيّ" بالتصدي للمعتدي ورفضُ التردّد والصمت ازاءَ قضيةٍ عادلةٍ .. ومعركةٍ عادلةٍ لابُدَّ أنْ يكون النصرُ فيها للعراقِ لأنَّهُ يدافعُ عن كرامتهِ .. وسيادتهِ وحقهِ في رَسْمِ خياراتهِ على أرضهِ .. وكان بطلُ هذا القرار الشجاع وصانعهُ .. القائدُ الفذّ" صدام حسين .. باني نهضةَ العراقِ ، ورمز صمودهِ وإنتصارهِ ، الذي استطاعَ أنْ يُفجّرَ طاقاتِ الشعبِ من خلالِ علاقةٍ ، تاريخيةٍ فريدةٍ مع الشعب .. فحواها ومحتواها : الاخلاص والحب ، إخلاصُ القائد وحُبُّ الشعب .. مُجسّداً في الوقت نفسهِ ، أصالةَ الأُمةِ وقدرتها على الصمودِ والنهوضِ والأنبعاثِ ..

لقد طلعَ صدام حسين من ضمير الأُمة ، ولدَ من المخاضات الحرجةِ ، والمعاناةِ الأليمة في تجاربها المعاصرة .. فكان النداءَ والبشيرَ والمؤذنَ بدخول الأمة في مرحلة جديدة .. سِمَتُها التقدمُ ، والأرادةُ الصلبةُ في قيادةِ التاريخ وانتزاعِ النصْرِ ..

وإذْ يَحلّ في هذا الشهرِ المباركِ .. نيسانِ الخيرِ والفيْضِ .. ميلادُ الحزبِ القائدِ ، حزبُ البعث العربي الاشتراكي ، وميلادُ القائدِ التاريخيَ العظيم صدام حسين .. فأنها لدلالة" عظيمة" ، وبركة" ، وبشارة ..

فسلام عليك ، أيها الحزب ..

سلام عليك أيها القائد الفذّ الشجاع ..

سلام عليك يومَ ولدْتَ ..

ويوم انتصرْتَ ..

ويوم ستولدُ ثانيةً ..

من مخاض السلام .

« رئيس التحرير »

الشاعر العربي قبل الاسلام وتحديات العصر

الدكتور

محمود عبد الله الجادر

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

حين تتجه الدراسة التحليلة الى رصد آثار ظرف بيئي وانساني في نتاج اي عصر من عصور الشعر العربي فان من حقها ان تؤشر حدود العصر التاريخية انطلاقا من ايمانها بأن هذا النمط من الآثار وليد بواعث موضوعية صرف يقوم بقيامها وينتهي بانتهائها ، ومن هنا كانت دراسات نتاج الجاهلية الشعري مطالبة بانجاز مهمة استثنائية لايطالب دارسو نتاج سائر عصور الشعر العربي بما يماثلها ، ذلك أن الحدود التاريخية لعصر القصيدة الجاهلية وحدها تبقى مهيأة لتفاوت مشوه غموض المعطيات التاريخية من جهة واختلاف طبيعة النظر الاستقرائي من جهة اخرى .

وسنبدأ في دراستنا هذه بالحقيقة الاقرب الى التناول والاوضح في التصور التاريخي وهي نهاية العصر التي تحددت بظهور الاسلام وانتشاره في الجزيرة العربية حيث سنرى أن الباحثين لم يتفقوا على جعل هذه النهاية مؤشرا لنهاية عصر القصيدة الجاهلية وانما ذهبوا مذاهب شتى من خلال رصدهم للآثار الفنية التي خلفتها في شعر المراحل التي اعقبت ظهور الاسلام(1) وبما أن محور دراستنا هذه قائم على تأمل انماط استجابة الشعر لتحديات الظرف البيئي الذي انبثق فيه فاننا سنعد ظهور الاسلام الذي كان حدا فاصلا بين أنماط تحد واستجابة وانماط تحد واستجابة هو الشاخص التاريخي الذي تقف باستقرائنا عنده .

---

١ ـ للباحثين اراء في هذه المسالة ، فمنهم من رأى ان الشعر المخضرم جاهلي ـ ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، بطرس البستاني بيروت ١٩٦٨ ، ص٦٥ ، ومنهم من ذهب الى ان اثر الاسلام لم يظهر في الشعر الا بعد عشرين سنة من وفاة الرسول (ص) ، تاريخ الادب العربي ، بلا شير ، دمشق ١٩٥٦م ، ج١ ص٩٢ ، وذهب فريق ثالث الى أن الشعر الاسلامي بلغ اكتماله الفني في عهد بني امية ، الاسلام والشعر ، د . يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٦٤م ، ص٢٣ ، وذهب فريق رابع الى ابعد من هذا فقرر أن روح الاسلام لم تسد الشعر الا بعد ظهور العباسيين ، تاريخ الادب العربي ، بروكلمان ، مصر ١٩٦١م ، ج١ ص٣٦ :

ويكثر الخلاف بعد ذلك على تحديد البداية التاريخية للعصر الجاهلي ؛ فثمة عدة نظريات اجتهدت لتحديدها[٢] نرى ان أقربها من المنطق العلمي تلك تقرنها بمرحلة تحول العرب عن ديانة التوحيد التي تلقوها عن ابراهيم الخليل عليه السلام الى الوثنية .

على ان الاطمئنان الى هذا الراي او ذاك في تحديد بداية العصر الجاهلي لايلغي الحاجة الى محاولة التثبت من الحد التاريخي الذي انبثقت فيه القصيدة الجاهلية ، ولهذا كان علينا أن نعود الى المسألة من هذه الزاوية حيث سنرى أن أقدم من تصدى لها هو ابن سلام (ت ٢٣١ هـ) حيث قال « لم يكن لأوائل العرب من الشعر الا الابيات يقولها الرجل في حادثة ، وانما قصدت القصائد وطول الشعر على عهد عبدالمطلب وهاشم بن عبدمناف »[٣] ويبدو ان الامر استقر على هذا عند العلماء فقد قرر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) أن عمر الشعر العربي قبل الاسلام يتراوح بين خمسين ومائة عام ومائتي عام[٤] واكد ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) هذه الحقيقة حين جمع بين رايي ابن سلام والجاحظ[٥] .

وقد أثار الباحثون المعاصرون جملة اعتراضات على هذا وراحوا يبحثون عن اصول الشعر في السجع او الحداء او الغناء[٦] ونحن لانريد أن نناقش الاعتراضات ولكن لنا ان نطمئن الى أن العلماء الذين قرروا هذه الحقيقة اقرب الباحثين الى العصر الجاهلي فهم ادرى بما يتحدثون عنه . وانهم احتاطوا لانفسهم حين توخوا الدقة العلمية فقرروا أنهم يتحدثون عن أولية القصيدة المقصدة لا أولية الشعر العربي ؛ فضلا عن أن العلماء الذين عاصروهم حاولوا ان يفوزوا بما يغير من الحقيقة او يعد لها فانتهى تنقيرهم الى اسماء شعراء اسبق من مهلهل وامرىء القيس لم تحتفظ ذاكرة الرواة الا بابيات لكل منهم قالها في حادثة فكانت نتيجة ذلك كله دعم موقف ابن سلام ومن تابعه من العلماء[٧] .

واذ نطمئن الى هذا كله وتقوم لدينا القناعة بأن القصيدة الجاهلية المكتملة وجدت طريقها على يد مهلهل وامرئ القيس يكون علينا ان نواجه مسألة أثارها بعض المستشرقين وهي أن أولية الشعر عند الامم تقترن دائما بانشداد الحياة الانسانية الى عالم الغيب وما وراء الطبيعة والاساطير وبما أن الشعر الجاهلي يمثل اولية الشعر العربي كان من حق الدارسين أن يرفضوا هذا الذي قال العلماء انه شعر جاهلي وانه بدأ بمهلهل وامرىء القيس وانتهى بظهور السلام لعلة بسيطة وهي انه شعر منبثق من أرض الواقع لايكاد يفصح عن اي انشداد الى منطلق غيبي[٨] .

---

٢ ـ جمع الدكتور يحيى الجبوري في كتابه : الجاهلية ، بغداد ١٩٦٨م ، ص١٧ أهم الاراء في تحديد العصر الجاهلي تاريخيا ، وينظر : الشهاب الراصد ، محمد لطفي جمعة مصر ١٩٢٦م ، ص٤٩ ـ ٥٠ .

٣ ـ طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مصر ١٩٢٦م ، ص٤٩ ـ ٥٠ .

٤ ـ الحيوان ، تحقيق عبدالسلام هرون ، مصر ١٩٤٥م ، ج١ ص٧٤ .

٥ ـ العمدة ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مصر ١٩٥٦ ، ج١ ص١٨٥ .

٦ ـ ينظر ما سجله البهبيتي من مناقشة طويلة لراي الجاحظ في كتابة تاريخ الشعر العربي ، مصر ١٩٦١م ص٤، وماسجله جرجي زيدان في كتابه تاريخ اداب اللغة العربية، بيروت (د . ت) ج١ ص٥٨ وبروكلمان في كتابه تاريخ الادب العربي ج١ ص ٤٥ ، ونيكلسون في كتابه تاريخ الادب العباسي ، ترجمة د . صفاء خلوصي ، بغداد ١٩٦٩م ، ص٢١ .

(٧) اشار ابو عبيدة معمر بن المثنى الى ابن خذام الذي ذكره امرؤ القيس في ميمية له تنظر جمهرة اشعار العرب للقرشي تحقيق علي محمد البجاوي ، مصر ١٩٦٧م ، ج١ ص٦٥ ، واشار عمر بن شبه الى الافوه الاودي الذي لايضم ديوانه المطبوع ضمن الطرائف الادبية تحقيق عبدالعزيز الميمني مصر ١٩٢٧م ، الاقصائد ذات غرض واحد ينظر المزهر للسيوطي تحقيق محمد احمد جاد المولى ، مصر ١٩٥٨م ، ج٢ ص٤٧٦ .

(٨) تنظر مقالة مرجليوث الموسومة بـ (نشأة الشعر العربي) المنشورة في عدد تموز ١٩٢٥م من مجلة الجمعية الاسيوية الملكية والمنشورة ترجمتها في كتاب دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي ، د . عبد الرحمن بدوي، بيروت ١٩٧٩ م ، ص٨٧ ـ ١٢٩ .

ونحن نوافق على أن المنقول مــن القصيدةالجاهلية لا يمثل النموذج المنبثق تحت خيمة الايمان بعالم ما وراء الطبيعة وان كان يحمل بعضآثاره التي سقطت اليه من مراحل شعرية سابقة(٩) ولكننا لا نوافق على هذه المغالطة التي حملتاراءالعلماء مالا تحتمله ، ذلك ان جهد ابن سلام ومن تابعه من العلماء ظل ينصب ـ كما راينا ـ علــىالبحث عن أولية القصيدة لا اولية الشعر العربي لعلة بسيطة وهي انهم ما كانوا يمتلكون من وسائلالبحث ما يعينهم على الوصول الى الشعر الذي لعله قيل بالاصول القديمة لهذه اللغة العربيــــةالتي نزل بها القرآن الكريم كالثمودية أو اللحيانية او الصفوية او النبطية أو الأصول الاكثر قدما ،ولو أنهم امتلكوا الوسائل لقدموا لنا نتائج مدهشة ولكشفوا لنا عن معالم مرحلة اقتران الشعر العربيبعالم ما وراء الطبيعة والاساطير .

لنا اذن أن نطمئن الى أن أولية الشعر العربيموغلة في القدم التأريخي ايغالا لا نستبعد معه ان نكون ملحمة جلجامش وما عاصرها من نماذج نتاجهاالبكر ، اما هذه القصيدة الجاهلية التي تحدث العلماء عن اكتمالها على يد مهلهل وامرىء القيس فهي النموذج الذي انتهت اليه مراحل تطور لغوي وفكري وفني ، وهي النموذج الذي هجر عالـم الغيب الى ارض الواقع وتعامل مع تحدياته التي ظلت تقتضي أنماطا متعددة من البطولة الانسانيـةلمواجهة مفرداتها المتجددة في اطار الظرف البيئي والانســاني ، وهذا الوعي لنا ان نستنطق الموروثالجاهلي ونرصد فيه ابرز الاتجاهات التي عبر فيها الشاعر عن موقفه تجاه قضايا عصره ومشكلاته حتىاستحق تعبيره أن يحتل موقعه من قناعة جمهوره أو أن يرتفع الى هذه المرتبة التي شخصها عمر بنالخطاب (رض) بقوله « الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه »(١٠) .

ولعل تأمل بنية القصيدة الجاهلية المكتملـةتأملا تحليليا دقيقا بان يقيم لدينا قناعة واضحـة بأن رسومها التقليدية من افتتاح ورحلة أفردتمقاطعها للتعبير عن انفعال الشاعر بتحديات واقعه البيئي الانســاني ومواجهته لاثارها من خلال ذاتهالفردية او الجماعيــة .

فاذ تشير الادلة المستقاة من عشرات الدواوين الجاهلية الى أن افتتاح القصيدة المكتملة ظل يمثل اطلالة الشاعر البائسة على عوالم الامس الضائــعمن خلال البكاء على طلل أو النسيب بحبيبة تحولت ذكرى أو وصف ظعنها أو مناجاة طيفها فان علينا أنتتأمل في ذلك كله اثر التحدي البيئي الذي أحال الحياة سلسلة لا تنتهي من اللقاء على موارد ميــاهشحيحة لا تلبث ان تنضب فتحكم بالفراق ، وما انتهى اليه ذلك من غرس الاحساس بالحرمان الابديمن الاستقرار الى الارض والاطمئنان الى علاقات انسانية مســتقرة ، فمن هنا غــدا الطلل رمـــزاللاسـتقرار المكاني المفقود ، وغدت الحبيبة رمزا للعلاقة الانسانية المفقودة ، ثم كان لهذين الرمزينأن يمتلكا قــدرة استيعاب آثار مئــات التجارب الخاصة التي ظل الشعراء مؤهلين لتسريب تفاصيلهاالى مفردات الرمزين الداخلية دون تغيير واضح في ملامحهما العامة التي غدت تقليدا شعريا يلتقيعليه الشاعر وجمهوره ويعرفان مكامن قدرته على الاستيعاب والتعبير .

ويقع افتتاحالبكاء علىالشباب ووصف الشيبفيهذه الدائرة الاداتية على الرغم منطابعه الموضوعي الظاهر ، فقد وجد فيه الشعراء منفذا مهيأ للتعبيرعن معاناة الوقوع تحت سطوة قانون الزمن الصارم وقدرته الخارقة على تغيير النــاس والاشـياءفاستخدموا مــن تفاصـيله ما يسـتوعب المعانـاة ويؤديها في افتتاح القصائــد التي يقتضي مناخهاالنفسي توفير مستلزمات هذا النمط من المعاناة .

---

(٩) تنظر المتابعة القيمة لهذه الظاهرة في تاريخ الادب العربيقبل الاسلام ، د . نوري القيس وزميلاه بغداد ١٩٧٩ م ، ص٥١ وما بعدها .

(١٠) العمدة ج١ ص٢٧ .

ولايخرج مقطع الرحلة من القصيدة الجاهلية المكتملة عن هذا النمط من الاستخدام الفني ، بيد أن علينا ان نتأمل في انتقال الشاعر اليه رغبته في انتزاع نفسه من أسى الذكريات عن طريق مواجهة الواقع وخوض ضروب الصراع مع البيئة الصحراوية وموجوداتها من خلال رحلة بطولة على ظهر ناقة أو فرس تمثلان أداة الشاعر وعدته في خوض صراعه فضلا عن أن صورة كل منهما تتيح له فرصة تشبيهها بوحش من وحوش الصحراء أو طيورها يخوض صراعا مرا يقوم فيه بمهمة الطريدة ويقوم الصياد وكلابه وسهامه بمهمة القدر وادواته التي ما تزال للانسان بمرصاد ابدي(١١) .

على اننا لانرى ان ننساق في هذه الدراسة وراء هذا النمط من الاعتماد على نتائج الاجتهاد التحليلي لتشخيص طبيعة استجابة الشاعر الجاهلي لتحديات عصره وتعامله مع مفرداتها وانما نفضل أن نتابع ذلك ضمن اطر منهجية محددة فنرصد فعالية الشعر ضمن هذه المحاور التي يقررها استقراء الموروث وهي :

١ ـ محور الانتماء القبلي

لاتنقل لنا الاخبار أن نبوغ شاعر أسلامي أو عباسي او اندلسي كان يثير صدى جماعيا كالذي كان يثيره نبوغ شاعر جاهلي ؛ ونحن اذ نقف بازاء نص ابن رشيق الذي يقول فيه : « كانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج »(١٢) ونحاول ان ندقق في طبيعة بواعث التهنئة الثلاثة المذكورة فيه ندرك حقيقة خفية وهي انها جميعا تشترك في قدرتها على منح القبيلة عنصر القوة والمنعة ، فالغلام فارس المستقبل والفرس اداة النصر والشاعر لسان القبيلة المنافح عنها والسيف المسلط على اعدائها ، وهو صوتها الابعد تأثيرا في حالتي السلم والحرب .

وليس من المجدي هنا اعادة القول في حقائق تاريخية معروفة فكتب التاريخ وتاريخ الادب تكاد تجمع على تقرير حقيقة قيام الوحدات الاجتماعية في الحياة البدوية على اساس من رابطة الدم التي تبلورت في صيغة النظام القبلي الصارم الذي تلغى فيه الشخصية الفردية الغاء فلا تتجسد فيه (الانا) الا من خلال (النحن) ولا يكون لجهد الشاعر في اطاره الا ان ينصب في مجرى الحدث القبلي وينغمر فيه انغمارا لا يتمخض الا عن منطق مقرر سجله دريد بن الصمة بقوله :

وما أنا إلا من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ غَوَيْتُ وإن ترشدْ غزيةُ أرشدِ(١٣)

وما دام الامر قائما على هذا النمط من الذوبان في الوحدة القبلية فحسبنا أن ندرك أن فعالية الشعر ظلت تصب في هذا الاتجاه القبلي بتلقائية مدهشة كان باعثها الاساس هو القيم التربوية التي تلقاها الشعراء قانون حياة قبل ان يصبحوا شعراء ؛ فلما مارسوا الشعر لم يجدوا مسوغا للانفلات من قيدها الذي غدا بفعل طول الالفة سر وجودهم الانساني .

ويطول أمر استقصاء مئات النماذج الشعرية التي انبثقت في المجرى الايجابي للانتماء القبلي ، ذلك أن طبيعة الحياة القبلية الصحراوية ظلت تستدعي فعل الكلمة في مواقف لا حصر لها يتمثل بعضها في سفارات الشعراء عن قبائلهم الى بلاطات الملوك او قيادات القبائل الحليفة او المخاصمة كما فعل

(١١) تنظر الشواهد على هذه الحقيقة المستقاة من دراسة اكثر من خمسين ديوانا جاهليا في الفصلين الاول والثاني من الباب الثاني من كتابي شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين ، بغداد ١٩٧٩م .

(١٢) العمدة ، ج١ ص٦٥ .

(١٣) الاصمعيات ، الاصمعي ، تحقيق احمد محمد شاكر مصر ١٩٦٢م ، ص١٠٧ ، والبيت من قصيدته التي رثى بها اخاه عبدالله وهي مشهورة .

المتلمس وطرفة في سفارتهما عن قبيلتها بكر الى بلاط المناذرة وكما فعل أوس بن حجر في سفارته عن قبيلة تميم الى بني اسد وكما فعل النابغة الذبياني في سفارته عن قبيلته ذبيان الى بلاطي المناذرة الغساسنة(١٤) ، ويتمثل بعضها في مهمة الشاعر في التحريض ورفع الهمم لمواجهة التحديات والاخطار ضمن هذا النمط الشعري اصطلح على تسميته بالموثبات(١٥) ويتمثل جانب منها في جهد الشعراء لرفع المعنويات واستدرار العزائم ايام المواجهة وتلك هي المهمة التي قام بها شعر الحرب والفروسية(١٦) ويتمثل جانب ضخم منها في حفظ الايام والمفاخر ومديح القادة والفرسان والحلفاء ورثاء قتلى القبيلة وهجاء خصومها وتهديدهم وما الى ذلك في اطار قصائد المحافل والاسواق(١٧) .

وغني عن القول ان الجهد الشعري في هذه الميادين يمثل الحصيلة الاساسية لجملة استجابات الشاعر الجاهلي لتحديات عصره ولكن هذه الدراسة لن تضعه في محور اهتمامها الاستقرائي لعلتين ، اولاهما : ان الدراسات العلمية قد تناولت مفرداته دون استثناء ومن زوايا رصد مختلفة ابتداء بكتب تاريخ الادب العام وانتهاء بأحدث الدراسات الاكاديمية ، وثانيتهما : ان هذا النمط من الاستجابة يبقى مطوعا للتصور الجماعي للتحدي فلا موضع فيه للذاتية الشعرية التي نرى انها تتمثل في محاولة (الانا) لسحب (الاخرين) الى موقف (النحن)(١٨) ومن هنا كان لنا أن نتجه الى خارج دائرة الشعر الذي تمخضت عنه ظاهرة الانصهار القبلي بحثا عن الجديد وسعيا وراء جلاء الملامح الذاتية في استجابة الشاعر الجاهلي لتحديات عصره .

لقد سبقت الاشارة الى ان الانسياق وراء محاولة تثبيت موقف اقتدار القبيلة في ظرف الحرب ومحاولة رفع مكانتها في ظرف السلم اقتضيا من الشعراء ان يوظفوا اكثر جهدهم للمهمة الجماعية ، ولكن ذلك لم يرق دائما الى الغاء الموقف المتفرد عند هذا الشاعر أو ذاك ، فثمة شواهد على صور متباينة من محاولات التمرد الفردي لعل ظاهرة الصعلكة من أوضحها واقدرها على تثبيت ملامح صيغة تتسم بشيء من الشمول في محاولة الجهد الفردي لايجاد متنفسه في الانفلات من القيد القبلي سواء عن طريق اختيار الانفصام ام عن طريق اعطاء الذات حريتها في التصرف الى حد يسيء الى القبيلة اساءة تضطر معها الى خلع المسيء ، بيد ان المحاولة كانت تنتهي دائما الى مواجهة ظرف بيئي قاس لا تخفف من وطأته الضمانة الجماعية المتمثلة بالقبيلة فكان الصعاليك يضطرون الى أن ينشئوا لانفسهم مجاميع ابتكرت لنفسها قيودا جماعية جديدة ظلت اخف وطأة من القيود القبلية على أية حال(١٩) وهكذا كان من الطبيعي ان يستوعب نتاج الصعاليك الشعري آثار هذه الرغبة العارمة

---

(١٤) وذلك تقليد استمر الى مابعد ظهور الاسلام ، فقد ظلت القبائل العربية حريصة على ان تضم شاعر او اكثر مع افراد وفودها الى الرسول (ص) .

(١٥) درس الاستاذ محمد فتاح الجباوي هذا النمط الشعري في رسالة ماجستير بعنوان (الموثبات في الشعر العربي) مطبوعة على الالة الكاتبة بغداد ١٩٨١م .

(١٦) عقدت لدراسة شعر الحرب جملة كتب وبحوث منها كتاب (شعر الحرب) ، د . علي الجندي ، مصر ١٩٥٨م الشعر في حرب داحس والغبراء ، د . عادل البياتي ، النجف ١٩٨٢م شعر الحرب عند العرب د . نوري القيسي (سلسلة الموسوعة الصغيرة ٧٤) بغداد ١٩٨٢م ، ودراستي الموسومة بـ (مدخل الى قصيدة الحرب) افاق عربية ، بغداد ، عدد نيسان ١٩٨٢ م .

(١٧) الدواوين الجاهلية حافلة بهذه الانماط حتى لايكاد ديوان يخلو من نمط او اكثر منها .

(١٨) ينظر الاسس النفسية للابداع الفني د . مصطفى سويف ، مصر ١٩٦٩م ، ص٥٤ .

(١٩) ينظر الشعراء الصعاليك للدكتور يوسف خليف ، مصر ١٩٥٩ م ، وفيه اضاءة قيمة لظاهرة الصعلكة وبواعثها وآثارها في شعر الصعاليك .

في التفرد عن طريق هدم مقومات الانتماء القبلي وذلك ما يمكن ان نتأمله في لامية الشنفري الازدي التي يقول فيها :

أقيموا بني أمي صدورَ مَطيِّكم ... فإني إلى قومٍ سواكم لأَمْيَلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مقمرٌ ... وشُدَّت لِطيَّاتٍ مطايا وأرْحُلُ
وفي الأرضِ منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خافَ القِلى متحوَّلُ
لعَمْرُكَ مافي الارضِ ضيقٌ على امرئٍ ... سرى راغباً أو راهباً وهو يعقِلُ
ولي دونكم أهلونَ سِيْدٌ عَمَلَّسٌ ... وأرقطُ زهلولٌ وعرفاءُ جَيْألُ
هم الأهل ، لا مستودع السر ذائعٌ ... لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يخذلُ(٢٠)

على ان محاولات التخفف من سلطة القيد القبلي الصارم لم تنته دائما الى التصعلك ، فثمة مواقف تقرر ان بعض الشعراء استطاعوا أن يقيموا نمطاً من الموازنة بين الطرفين الذاتي والجماعي، فهذا طرفة بن العبد يحرمه أعمامه ميراثه ويظلمون أمه حقها فيقف وقفته المشهورة التي يكاد ينسلخ فيها من انتمائه حيث يخاطب بني عمه بقوله :

ماتنظرونَ بحقِّ وردةَ فيكم ... صَغُرَ البنونَ ورهطُ وردةَ غُيَّبُ
قد يبعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُهُ ... حتى تظلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ
والظلمُ فرَّقَ بين حيَّيْ وائلٍ ... بكرٌ تساقيها المنايا تغلبُ(٢١)

ولكنه حين يقف ازاء تجربة انتمائه لايكون منه الا ان يسجل هذا الموقف الراسخ من الانتماء الجماعي الصريح بقوله :

فمالي أراني وابنَ عمي مالكاً ... متى أَدْنُ منه ينأَ عني ويبعدِ
وقرَّبتُ بالقربى وجَدِّكَ إنني ... متى يكُ أمرٌ للنكيثةِ أشهدِ
وإن أدع للجلّى أكن من حماتِها ... وإن يأتِكَ الأعداء بالجهدِ أجهدِ
وان يقذفوا بالقَذْعِ عرضَكَ أسقِهِمْ ... بكأس حياضِ الموتِ قبل التَّهدُّدِ(٢٢)

وتشير تفاصيل سيرة الشاعر الى انه ظل وفيا لانتمائه حتى يوم مقتله ، فقد سفر لقومه عند عمرو بن هند محاولا أن يثنيه عما اعتزمه من الانصراف عنهم فيخفق فيهجو الملك فيبعث به الى مضارب قومه ليقتل بينهم صبرا فيستقبل الشاعر الموت واثقا بأن قومه سيستنقذونه ، ولكن ظنه يخيب فيقتل ولكنه يأبى الا ان يسجل موقفه اليائس بقوله(٢٣) .

أسلمني قومي ولم يغضبوا ... لسوأةٍ حلت بهم فادحه

---

(٢٠) لامية العرب ، بيروت ١٩٧٤م ، حمت : تهيأت ، طيات جميع طية وهي الحاجة ، القلى : الكره سيد : ذئب ، عملس قوي ارقط زهلول : نمر املس ، عرفاء : ذات عرف ، جيال : ضبع .

(٢١) ديوانه ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ١٩٦١م ، ص١١، وودة هي ام الشاعر .

(٢٢) ديوانه ص٢٤ – ٢٥ .

(٢٣) ذلك هو المجرى الذي يفرره استقراء سيرة الشاعر من شعره ومن الاحداث التاريخية التي عاصرها اما اسطورة مقتله التي ساقها ابن قتيبة في الشعر والشعراء تحقيق احمد محمد شاكر ، مصر ١٩٦٦ م ، ص١٨٨ – ١٨٩، فانها لاتصمد لتأمل النظر العلمي .

كُلُّ خليلٍ كُنتُ خالَلْتُهُ لا تَركَ اللهُ لهُ واضحهْ
كلُّهمُ أروغُ من ثعلبٍ ما أشبَهَ الليلةَ بالبارحهْ(٢٤)

ويكون لذاكرة الزمن ان تحتفظ بهذه الاهةالتي ضمها . البيت الاخير واودعها الم الوجع من ظلم العشيرة له في صغره وتخليها عنه يوم مقتله .

لقد كانت حياة طرفة صورة نادرة من صور التارجح بين الانتماء والتفرد وذلك ما تمخض عن نظرة عبثية الى الوجود سنتناولها في موضع لاحق من هذا البحث ، على أن ثمة شعراء آخرين شاركوا طرفة في معاناة الضياع بين التفرد والانتماء وانتهت معاناتهم الى توجه شعري متميز كالمرقش الذي حرمه قومه من حبيبته اسماء فأفرغ معاناته في القصائد الغزلية المفعمة بمرارة الاسى(٢٥) وكالحطيئة الذي حرمه بنو عبس وبنو ذهل من النسب حين تدافعوه وانكروا عليه ميراثه فاتجه الى الهجاء يستدر به لقمة العيش ويعلن فيه تمرده على كل عرف موروث .

وقد تطالعنا نماذج تمخض عنها موقف آني واجه فيه الشاعر محنة تخلي القبيلة عنه واحجامها عن نصرته على حق من حقوقه كنونية قريط بن انيف العنبري الذي انتهبت بنو ذهل ابلا له فاستنصر قومه فلم ينصروه فهجاهم هجاء مقذعا من خلال موازنتهم ببني مازن المشهورين بتماسكهم القبلي واودع القصيدة المواصفات التي يفترضها العرف القومي في مثل هذه المواقف حتى غدت لقصيدة نموذجا فكريا يستحق ان يحتل موقعه في صدر حماسة أبي تمام وهو النموذج الذي مطلعه :

لو كنت من مازنٍ لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا(٢٦)

ولقد سبقت الاشارة الى ان التزام الشاعر الجاهلي بانتمائه القبلي اقتضاه ان يكون شاعر حرب بوجه رئيس ، ذلك ان عوامل كثيرة اجتمعت على أن تجعل الحرب ظاهرة شبه مستمرة طوال العصر ، منها طبيعة الظرف الصحراوي الشحيح ، ومنها صيغة البنية الاجتماعية القائمة على آصرة الدم وحدها ومنها غياب السلطة المركزية القادرة على جمع الكلمة وتوحيد الصف ، فضلا عن وقوع الجزيرة في مركز طرق التجارة بين ثلاث امبراطوريات يطمع كل منها في السيطرة على هذه الارض من خلال اذكاء عوامل الفرقة والتشتت بين قبائلها وارهاطها بصورة تشغلهم عن المواجهة الموحدة في اكثر الاحيان .

لقد كان قدر الشاعر ان يؤدي مهمته كاملة في الخصومات والمعارك والايام ، بل ان بعض الحقائق قد يقيم القناعة بأن الحرب كانت الاتون الذي نضجت فيه ملامح القصيدة الجاهدية المكتملة، فنحن نعلم ان مهلهلا وامرأ القيس قضيا حياتيهما وهما يحاربان من اجل اعادة مجد قبلي منهار ، وانهما قالا أشهر قصائدهما في احداث الحروب التي خاضاها أو ماتمخض عنها من تفاصيل ، على ان ديوان اي شاعر جاهلي عرف بعدهما لايكاد يخلو من قصيدة او اكثر قيلت في الحرب او فيما له علاقة بها بوجه من الوجوه .

وعلى الرغم من ذلك كله فان بوسعنا ان نقرر ان قناعة الشاعر بموقفه في الحرب القبلية ظلت فعلا منبثقا من ايمانه التلقائي بالانتماء ، اما الوعي الابداعي الذي ظل يمثل الريادة الفكرية فقد كان له ان يواجه الحرب من زاوية اخرى هي زاوية الطموح الى تجاوز تحدي الحرب ما كان الى

---

(٢٤) ديوانه ص١٥ .

(٢٥) ينظر المرقش اخباره وشعره ، د . نوري القيس مجلة العرب ، ج١، السعودية ١٩٧٠م

(٢٦) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، تحقيق احمد امين وعبدالسلام هرون ، مصر ١٩٦٧م ج١ص٢٢ .

ذلك سبيل وهكذا كان لنتاج الهاجس ألا نساني المحض أن يثبت حضوره في زحمة نتاج الهاجس القبلي فيضم ديوان أمرى القيس مثل قوله :

الحــربُ أولُ ما تكــونُ فتيـــــةً … تســـعى بزينتِهـا لكـلِّ جهــولِ
حتـى اذا استعرت وشـب ضرامهـــا … عـادت عجـوزاً غيرَ ذات خليـــلِ
شمطاء جَـزّتْ رأسهـــا وتنكَّرتْ … مكروهـــة للشـــمّ والتقبيـلِ[٢٧]

ويتكرر موقف رفض الحرب بصيغ مختلفة في دواوين جاهلية عديدة ، بيد ان الذي يلفت النظر انها تتكرر في دواوين الفرسان الذين اجتمع الاخباريون وأصحاب السير على انهم لم يشتهروا الابخوضهم الحرب وقولهم الشعر فيها كعنترة بن شداد الذي يقول :

فإن تَـكُ حربكـم أمسَـتْ عوانـاً … فإنــي لـم أكــنْ ممنْ جنَاهــــا
ولكــن ولَدُ ســودةَ أرّثوهـــا … وشبوّا نارَهـــا لمـن اصطلاهــا
فإنــي لســـت خاذلكـم ولكـــن … سأسعى الآن إذ بلغـت إناهــــا[٢٨]

وعبيد بن الابرص الذي يقول :

وإنــي لأطفي الحــربَ بعدَ شبوبهـا … وقـد أوقدَتْ للغي في كل موقـــدِ
فأوقِدهـــا للظالـم المصطلي بهـا … إذا لم يَزَعْهُ رأيُهُ عـن تردّدِ[٢٩]

على ان من أدق ما يطالعنا من حالات المعاناة مايضمه شعر قيس بن زهير قائد عبس من قطع لعل أصرحها في التعبير عن المعاناة تلك التي تدفق بها وقد قتل حمل بن بدر واخاه حذيفة ثارا لاخوته في حرب داحس والغبراء فلما وقف على جثتي قتيليه لم يجد الا أن يقول :

شفيتُ النفسَ مــن حَمَلِ بن بدرٍ … وسيفــي مـن حذيفـةَ قـد شفانــي
فإن أكُ قـد بَرَدْتُ بهـم غليلـي … فلـم أقطـع بهـم إلا بنانـــي
قتلـت بإخونـي ســاداتِ قومـــي … وقـد كانـوا لنـا حَلْيَ الزمانِ[٣٠]

وما يدرينا لعل هذه المعاناة التي ظل الشاعرالفارس يحس وطأتها وهو يقود بني عبس في حرب طاحنة ضد ابناء عمهم من ذبيان هي التي سحقت قدرته على الاستمرار فما كان منه الا ان هام على وجهه في الصحراء حتى وجد ميتا في موضع لايكاديعرفه احد[٣١] .

---

(٢٧) ديوانه ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر١٩٥٢م ص٢٥٢ .

(٢٨) ديوانه ، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي ، بيروت ١٩٧٠ ، ص٢٨٩ ، الحرب العوان التي يقع فيها القتال مرة بعد اخرى ، سودة : ام بدر بن حذيفة العزاوي ، ارثوها : اوقدوها ، اناها : منتهاها ، وينظر ص٢٨ من الديوان .

(٢٩) ديوانه ، تحقيق د . حسين نصار ، مصر ١٩٥٧م ، ص٥٥ ، الغي : الضلال ، المصطلي : المحترق يزعه : يزجره .

(٣٠) شعر قيس بن زهير ، جمع ودراسة د . عادل البياتي ، النجف ١٩٧٢م ، ص٤٩ . الغليل حر الجوف ، بناني : اصبعي وهو كناية عن القوة .

(٣١) المصدر السابق ص٧

ان هذه الصبغ التي انبثقت في أجواء الحرب وعلى لسان اكثر من شاعر جاهلي[٣٢] ظلت نافذة الهاجس القومي والانساني المتجاوز لصيغة الانقيادالقبلي الصارم . بيد انها لم تتمخض قط عن موقف تخاذل ؛ فقد ظل الشاعر مؤهلا لان يقيم الموازنة المقبولة بين الطموح في تجاوز معاناة الحرب والاستعداد لخوضها حين تغدو قدرا لا محيد عنه .وذلك هو الموقف الذي تردد على السنة شعراء لاحصرلهم منهم قيس بن الخطيم الذي يقول :

دعوت بني عوفٍ لحقنِ دمائِهـــم   فلما أبَوْا سامحتُ في حـربٍ حاطبٍ
وكنت امرءاً لا أبعـثُ الحـرب ظالمـاً   فلمـا أبَوْا أشعلتُها كـلَّ جانـبٍ
أَربـت بدفـعِ الحربِ حتى رأيتُهـا   على الدَّفـعِ لا تزدادُ غـير تقـاربِ
فإن لـم يكنْ عن غايـةِ الموت مدفَعٌ   فأهلاً بهـا إذ لـم تـزل في المـراحبِ
فلمـا رأيـتُ الحـرب حرباً تجرَّدَتْ   لبست مع البُرْدَيْنِ ثوب المحاربِ[٣٣]

ويتمخض الانتـماء القبلي ومفردات نظامه الصارم عن صور أخرى من المعاناة الذاتيـة وجدت طريقها الـى تفاصيل داخلية من نماذج جاهليـةموروثة ولكن ذلك لم ينته الى تشكيل ظاهرة شعرية تتسم بشمول يجعلها صـالحة للدراســة في هذاالبحـث الموجز .

٢ ـ محور الانتماء القومي

لعل الفرد الجاهلي ما كان يعرف ضمن حدودحياته اليومية المعتادة ـ انتماء قوميا اوسـع من انتمائه الى القبيلة ، فان دعا الظروف امتدت نظرته الى القبائل والارهاط التي تشترك مــع قبيلته في الانتماء الابعد او تشاركها في حلف او جوار ، امـاالاحساس بالانتماء القومي العربي فلم يكن هجسا واضحا لعلتين ؛ اولاهما : طغيان الحدث القبلي اليومي واستنفاده الجهـد الفردي والجماعـي ؛ وثانيتهما : ندرة التحديات الخارجية التي تقتضي الموقف القومي الموحد ، فقد كانت الامبراطوريات الثلاث المجاورة حريصة على الا تجاهر العرب كلهم بالعداء ، وانما كانت تختار موقع ضربتها من القبائل بعد ضمان سكوت القبائل الاخرى ان لـم تعمـدالى ضمان موالاتها لها في بعض الاحيان .

ذلك هو الواقع اليومي وتلك هي آثاره .بيد أن معطيات التاريخ القومي الموحد وما وفـر وراء الوعي الفردي والجماعي من آثار مراحل ماقبل البداوة التي اجتمعت فيها الامة في اطـار فكر حضاري موحد او عقيدة دينية واحدة ظلـت عوامل خفية تمتلك القدرة على ادامة احســاس الفرد الجاهلي بانتمائه العربي حتى خلال الظرف الاعتيادي ، وهو احساس نستطيع ان نرصده في لمحات ذات مدلول ، فالجاهلي يخاطب من لايعرف قبيلة بقوله : « يا اخا العرب » ، وهـو يجتمـع الى افراد القبائل العربية دون استثناء في الاسواق الجاهلية المعروفة فيبيع ويشتري ويصغي الـى القصائد والخطب والمفاخرات والمنافرات دون ان يقوم بينه وبين ابناء قومه حاجز من فكر اولغة ؛ وهو مؤمن بفاعلية الاشهر الحرم التي تتيح افياء السلام فيها فرصة اللقاء القومي المتحرر مـن

(٣٢) ينظر مثلا ديوان الاعشى تحقيق د . محمد محمد حسين، مصر ١٩٥٠م ص٣٠٥ وديوان قيس بن الخطيم تحقيق د . ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب ، بغداد ١٩٦٢م ،ص٦٦

(٣٣) ديوانه ص٣٢ سامحت : تابعت ، حاطب : حليف قوم الشاعر قتل فكان مقتله سببا للحرب التي يتحدث عنها . اربت : كانت لي اربة ، والاربة الحاجة . ثوب المحارب : كناية عن الاستعداد للحرب بما تحتاج اليه من عدة.

هواجس الحذر القبلي ، وهو فوق ذلك كله مطمئن الى قيم العرف الجماعي التي تضمن متانة الاواصر التي تحققها روابط جماعية لا تمت الى آصرة الدم المباشرة كالصداقة والحلف والجوار .

على ان بعض التحديات الاجنبية ذات الطابع الشمولي اقتضت مواقف موحدة وجد ابناء الامة فيها طريقهم الى الوقوف على ارض قومية تتجاوز التزامهم القبلي الضيق ووجد الشعراء فيها منفذهم الى استلهام صيغة جديدة من الجهد الجماعي المتجاوز لهموم الالتزام القبلي الطاحن الذي ظل يفصل بينهم وبين ارتيادها بشكل صريح .

ومن هنا يكون لنا ان نتأمل بواعث هذا الزهو الغامر الذي يتدفق في القصائد التي انبثقت في ايام المواجهة القومية على مشارف الارض العربية ، فحيث تواجه نزار تسلط الاحباش على جنوب الجزيرة تبذل جملة محاولات لعل اكثرها خلودا ماقام به الثائر العربي معد يكرب بن ابي مرة المشتهر باسم سيف بن ذي يزن الذي تحولت سيرته اسطورة شعبية واستدرت اعماله قصائد مديح لا حصر لها(٢٤) .

اما الحدث الخالد فقد تمثل في يوم خزاز(٢٥) الذي اجتمعت فيه تغلب وبكر لمواجهة الاحباش على الرغم مما كان بينهما من تناحر حيث تواعدوا عند جبل خزاز وجعلوا اشعال النار على قممه علامة بينهم فلما توحدت الكلمة والسيف تحقق النصر وكان للشاعر عمرو بن كلثوم أن يسجل اقدم صيغة قومية نعرفها في الشعر الجاهلي ضمن قوله :

ونحن غداة أُوقِد في خزازٍ ... رفدنا فوق رِفدِ الرافدينا
فكنا الايمنين إذا التقينا ... وكان الأيسرينَ بنو أبينا
فصالوا صولةً فيمن يليهم ... وصُلنا صولةً فيمن يلينا
فآبوا بالنهابِ وبالسبايا ... وأُبنا بالملوك مصفدينا(٢٦)

على ان الجدير بالملاحظة هنا ان اللقاء القومي ظل محدودا باطار وشيجة الدم التي استطاعت ان تتجاوز حدود الالتزام القبلي المنيف ، ولكنها لم تتسع لتشمل الانتماء القومي بمعناه الشامل .

ويقع يوم ذي قار في اطار المنظور الذي يقع فيه يوم خزاز ، فقد اجتمعت قبائل بكر وائل كلها على نصرة بني شيبان الذين واجهوا الفرس دفاعا عن كرامتهم وامتناعا بوديعة الملك العربي النعمان ابن المنذر بيد اننا قد نلمح في هذه المعركة طابعا قوميا اكثر شمولا ضمن هذا الذي سجله ابن عبد ربه من اخبار يوم ذي قار حين اشار الى ان مائتي اسير من تميم كانوا في بني شيبان فلما التقت قبائل بكر وائل على مواجهة الفرس قال الاسرى التميميون لاسريهم الشيبانيين : أطلقونا نقاتل معكم ، فانما نذب عن دمنا . فقالوا لهم : فانا نخاف الا تناصحونا . فقالوا : دعونا نعلم حتى تعرفوا مكاننا وغناءنا(٢٧) .

---

(٢٤) ينظر خبر وفود العرب على سيف بن ذي يزن واشعارهم فيه في العقد الفريد ، ابن عبدربه ، تحقيق محمد سعيد العريان ، بيروت ١٩٥٢م ج١ ص٢٤١ .

(٢٥) ينظر خبر يوم خزاز في العقد الفريد ج٦ ص٨٤ والعمدة ج٢ ص٢١٢ .

(٢٦) شرح القصائد السبع الطوال ، ابن الانباري ، تحقيق عبدالسلام هرون ، مصر ١٩٦٣م ، ص٤١١ .

(٢٧) العقد الفريد ، ج٦ ص٩٩ .

ولعل هذا الموقف دون سواه هو الذي وضعه الاعشى نصب عينيه حين رسم ابعاد طموحه القومي الاوسع بقوله :

لـو أن كلّ معدٍّ كان شاركنـا ... في يـوم ذي قار ماأخطاهـم الشرف(٣٨)

وعلى الرغم من هذا الزهو الذي بعثه انتصار ذي قار في قصائد شعراء بكر وقصائد الاعشى بوجه خاص فانها لم تخل من مرارة الاحساس بالخيانة التي تجسدت في انسلاخ نفر ممن تربطهم بهم اواصر الدم وانحيازهم الى صفوف الاعداء ولم تخل في الوقت نفسه من عمق الاحساس بصلابة ارض الانتماء التي ظلت توفر الشعور بالاقتدار والكرامة؛ وذلك هو منطلق الاعشى في أبياته التي خاطب بها صنيعة كسرى قيس بن مسعود بن قيس الشيباني :

أقيس بن مسـعود بن قيس بن خالـد ... وأنـت امـرؤ ترجـو شبابـك وائـل
أطورين في عـام ، غـزاةٌ ورحلـةٌ ... ألا ليـت قيسـاً غرّقتـه القوابـلُ
كأنـك لـم تشـهد قرابين جمـةً ... تعيث ضبـاعٌ فيهـم وعواسـلُ
تركتهـمُ صرعـى لـدى كلّ منهـلٍ ... وأقبلـت تبغـي الصلـح أمّك هابـلُ
لقد كان في شيبـان لـو كنـت راضياً ... قبـابٌ وحيّ حِلّةٌ وقنابـلُ(٣٩)

ولا ينفرد الاعشى بالاحساس بهذه المرارة ، فثمة شاعر كان بعيدا عن ميدان المعركة بعيدا عن الانتماء الى بكروائل دفعه احساسه القومي الغامر الى ان يقف موقفا مماثلا قبل معركة ذي قار وهو زهير بن ابي سلمى المزني الذي نما اليه ان كسرى يطلب الملك العربي النعمان بن المنذر وان قبائل عربية قوية تخلت عن اجارته الا حيا من بني عبس عرضوا عليه ان يجيروه فادرك ان لاطاقة لهم بكسرى واثنى عليهم وصرفهم . فما كان من الشاعر الا ان اودع ابياتا له تفاصيل الحدث مشوبة بهذه المرارة التي تكشف عن احساس قومي غير محكوم باصرة الدم فقال :

فلم أرَ مسلوباً لـه مثل قرضـه ... أقلّ صديقـاً معطيـاً أو مواسـيا
فأيـنَ الـذين كان يـُعطـي حبـاءه ... بأرسانهـنّ والحسـانَ الحواليـا
وأينَ الذين كان يعطيهـمُ القـُرى ... بغلاتِهـنّ والمِئـينَ الغواليـا
رأيتهـمُ لـم يُشركـوا بنفوسِهـِمْ ... منيّتـهُ لمـا رأوا أنهـا هيـا
سـوى أن حيـاً مـن رواحةَ أقبلـوا ... وكانـوا قديمـاً يتّقـونَ المخازيـا
يسيرونَ حتّى حبّسـوا عنـد بابـهِ ... ثقـال الروايـا والهجـانَ المتاليـا
فقالَ لهـم خـيراً وأثنـى عليهـمُ ... وودّعهـمُ وداعَ أن لا تلاقيـا
وأجمـعَ أمـراً كان ما بعـدَهُ لـهُ ... وكان إذا ما اخلو لجَ الأمرُ ماضيـا(٤٠)

---

(٣٨) ديوانه ؛ ص٣٦٤ .

(٣٩) ديوانه ؛ ص١٨٢ ، القوابل : جمع قابلة وهي المرأة التي تتلقى المولود ، عواسل : جمع عاسل وهو الذئب وهو يذكره بهذا البيت بالقتلى من بني قومه . قباب : جمع قبة وهي الخيمة العظيمة ، حلة : قوم فيهم كثرة . قنابل: جمع قنبلة وهي الطائفة من الناس والخيل .

(٤٠) ديوانه ، طبعة دار الكتب ، ١٩٤٤م ، ص٢٨٩ ، قرضه: الصنيع والاحسان ، الحوالي : عليهن الحلي ، المئين : المئات من الابل ، الروايا : الابل ، الهجان الكرام من الابل، المتاليا : التي يتبعها اولادها ، اخلولج الامر : اضطراب ولم تكن له جهة .

من هذا كله نستطيع ان نقرر ان الهاجس القومي ظل طموحا لايتيح ظرف الالتزام القبلي المنيف فرصة التعبير عنه الا في هذه المواقف التي تواجه الامة فيها تحديا اجنبيا بشيء من الشمول . على ان الحاح الهاجس في وعي بعض الشعراء دفعهم الى ممارسة التعبير عنه حتى في اطار الحدث القبلي المحدود في بعض الاحيان . ففي مواجهة تميم لبني عامر تخلى رهط يزيد بن عبدالله عن ابناء عمهم بني اسيد بن عمرو فما كان من فارس أسيد وشاعرها اوس بن حجر الا ان اتجه الى يزيد بن عبد الله بهذه الصيغة المنبثقة من الحدث القبلي والممتدة الى الهاجس القومي في مجراها التعبيري :

أيا راكباً إما عرضتَ فبلّغنْ ... يزيد بن عبدالله ما أنا قائلُ
بآية أنا لم نخنْكَ وأنه ... سوى الحقّ مهما ينطق الناس باطلُ
فقومَكَ لا تجهلْ عليهم ولا تكنْ ... لهم هرشاً تغتابهُم وتقاتلُ
فما ينهضُ البازي بغير جناحه ... ولا يحملُ الماشينَ إلا الحواملُ
ولا سابقٌ إلا بساقٍ سليمة ... ولا باطشٌ مالم تُعِنْه الأناملُ
إذا أنتَ لم تعرض عن الجهل والخنا ... أصبتَ حليماً أو أصابكَ جاهلُ(41)

وعلى الرغم من معرفتنا بأن كلمة (قومك) في هذه الابيات لاتعدو ان تكون بمعنى (قبيلتك) فان الامر يبقى منوطا بالطموح الى وحدة الدم التي لم تكن ظروف الحياة القاسية قد هيأت للعربي ان يكتشف شمولها القومي في ظرفه القبلي الطاحن ولكنها لم تلبث ان هيأتها له في اطار وحدة العقيدة الاسلامية فادرك جدواها الحاسمة في احداث التحول التاريخي الخطير بعد الاسلام حتى كانت وحدة الكلمة والساعد هي طريقه الوحيدة الى نشر الوية العدالة والحق والايمان من حدود الصين الى شواطىء بحر الظلمات ؛ ثم كانت وحدة الكلمة والساعد منفذه الى ارساء منجزات الحضارة العربية الاسلامية التي تعد بحق ازهى حلقة في التاريخ الحضاري العربي العريق .

٣ ــ محور القيم والعلاقات الانسانية

لم تخضع الحياة العربية قبل الاسلام لقانون مدون ولا لسلطة مركزية تمتلك قدرة تقرير نمط العلاقات الانسانية او اقامة حدود العقاب والثواب ، وهكذا كان مجرى الحياة اليومية حريا بأن يتحول فوضى لانهاية لها لولا قيم العرف الاخلاقي التي التزم بها المجتمع العربي التزاما لانكاد نعرف له وازعا الا هذه الصيغ لتربوبية التي توارثتها الامة من مراحل عطائها الحضاري القديم حتى غدت مفرداتها جزءا من التكوين النفسي لابنائها الذين وضعوها موضع التطبيق اليومي(42) وجعلوا الالتزام بها سبيلا وحيدا الى الكرامة الاجتماعية المتمثلة في (حسن الثناء) ، وعدوا التخلي عنها

(41) ديوانه ، تحقيق د . محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٧م ، ص٩٩ ، هرشا : كثير الخصومة .

(42) استقرأ المستشرق جريفسلد اثار هذه الحقيقة ممادرسه من الشعر الجاهلي وقررها بقوله: (ان شعر الهدولا يتطابق مع الحياة الواقعية للعرب القدماء وانما هو يكشف عن شكل للحضارة والحياة يتجاوز الحقيقة والواقعية وينظر فيه بمنظور خاص » تنظر ترجمة مقالته المنشورة سنة ١٩٢٦ في كتاب دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي ص١٢٨

(43) من هنا ينبغي لنا ان ندرك سر عمق اللقاء بين قيم الامة وقوانين الرسالة الاسلامية التي اكدت المنطق الاخلاقي ومنحته بعدا روحيا ، ثم اخضعته لمجرى تطبيقي مفيد بحدي العقاب والثواب ، وقد اشار المستشرق مونتغمري وات الى هذه الحقيقة بصيغة اخرى حين قال ان العرب لم يفاجأوا بالتضاد بين (الخير) و (الشر) عشية ظهور الاسلام لان حياتهم الوثنية السابقة كانت تقيم مفهوم التضاد بين (الشرف) و (العار) ، وواضح ان المتضادين متوافقان بنظر النص فيما نقله منه ريجيس بلا شير في كتابه تاريخ تاريخ الادب العربي ، ج٢ ص٢٦٨ .

طريقا الى السقوط الابدي(٤٣) ، وتلك هي الحقيقةالتي سجلها السموال بن عادياء في مطلع لاميته الشهيرة بقوله :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضُـــهُ   فكـلُّ رداءٍ يرتديــه جميــلُ
إن هو لـم يحملْ على النفس ضيمَها   فليس إلـى حسْـنِ الثنـاءِ سبيلُ(٤٤)

واذ تقرر الحقائـق ان الشعر كان الوسيلةشبه الوحيدة لتأشير مواقع الافراد والجماعات من سلم قيم العرف الاخلاقي فان علينا ان ندرك سر اتفاق شعراء العصر على منح ممدوحيهم سمات شبه مقررة يقسوم الهجاء على انتزاعها باعيانها من شخصيات المهجوين ، وهو اتفاق يبدو ان قدامة بن جعفر رصده قبل اكثر من الف عام في الشعر الجاهلي من خلال استقراء ما وصل الى يده منه ــ وهو دون شك اكثر مما وصل الى ايدينا ــ فخرج بأربع سمات يدور حولها المديح هي : العقل والعدل والشجاعة والعفة(٤٥) .

ويبدو ان اتفاق ابناء الامة على هذه القيم التربوية اتفاقا لايدع مجالا لاستثناء هيأ للشعراء ميدانا سهلا لايتفاوتون على مضماره الا في طريقةمعالجة التفاصيل او القدرة على ايصالها بشكل يستقطب القناعة ويستثير في النفس احساسابالتذوق الجمالي ، على ان المعاناة الشعرية كانت ترد من وجه اخر ، فقد ظل الشاعر نفسه يحاول ان يحقق لذاته الموقع الذي يحققه لمدوحيه فيصطدم بحواجز الفقر وقلة النصير وتألب الخصوم والخوف من المجهول فتشيع المرارة في محاولاته للافلات من براثن الواقع الى الموقع الذي يرتضيه لنفسه تحت شمس الحياة .

لقد تحدث الشعراء عن الفقر ولكنه ظل حديثايرسم معاناة الشاعر من آثاره المتوقعة على مايؤمن به من قيم اخلاقية واجتماعية حتى قال عروة بن الورد :

دعيني للغنى أسعى فإني   رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ
وأبعدُهم وأهونُهم عليهم   وإن أمسى له حسب وخيرُ
ويُقصيه النَّديُّ وتزدريه   حليلتُهُ وينهرُهُ الصغيرُ
ويُلقى ذو الغنى وله جلالٌ   يكاد فؤادُ صاحبه يطيرُ
قليل ذنبه والذنبُ جمٌّ   ولكن للغنى ربٌ غفور(٤٦)

اذ يصور الشاعر هذه المثار الاجتماعيةوالنفسية في مقطوعته فانه يودع البيت الاول منها طموحه المشروع الى تجاوز المعاناة تجاوزا واقعيامقبولا عن طريق الرحلة في طلب الغنى وهي صيغة اجمع الشعراء الجاهليون على تقريرها في هذاالموضوع الشعري(٤٧) .

وقد تتمخض تجارب الواقع اليومي عن معاناةمن نمط آخر تتمثل بوقوف الشاعر امام تجربة الكرم في قرى الضيف حيث يكون عليه ان يخمدصوت الخوف من الحاجة او الفقر ليقرر الاختيار

---

(٤٤) ديوانه ، جمع عيسى سابا ، بيروت ١٩٦٤م ،ص ٩٩ .

(٤٥) نقد الشعر ، تحقيق محمد عيسى منون ، مصر ١٩٣٤م،ص٢٠ .

(٤٦) ديوانه ، طبعة دار صادر بيروت ، ١٩٦٤م ، ص٤٥ ، خير : شرف ، الندي : النادي اي الموضع الذي ينتدي فيه القوم، حليلة : زوجة ، جم : كثير .

(٤٧) ينظر ديوان عروة نفسه ص٤٤ ، ديوان الاعشى ص٤١،ديوان الشماخ بن ضرار ، تحقيق صلاح الدين الهادي ، مصر ١٩٦٨م ، ص١٣٤١، الخ

الذي يصون عليه كرامته ، بيدان ذلك لا يلغي هذه المعاناة التي لايصرح بها الشعراء ولكنهم يسقطونها في هذا الحوار التقليدي الذي يجعلون المرأة اللائمة على الكرم فيه صوتا معبرا عن الاختيار المرفوض ؛ ولنا أن نتأمل هذا النمط من المحاورة في مثل قول حاتم بن عبدالله الطائي .

وعاذلةٍ هبَّت بليلٍ تلومني ... وقد غاب عيّوقُ الثريّا فعرّدا
تلوم على إعطائي المالَ ضلّةً ... إذا ضن بالمال البخيلُ وصرّدا
تقول : ألا أمسكْ عليك فإنني ... أرى المالَ عند الممسكين معبّدا
ذريني ومالي إن مالَكِ وافرٌ ... وكلُّ امرىءٍ جارٍ على ما تعوّدا
أعاذل لا آلوكِ إلا خليقتي ... فلا تجعلي فوقي لسانَكِ مبردا
ذريني يكنْ مالي لعرضي جنةً ... يقي المالُ عرضي قبل أن يتبددا(٤٨)

ولا يقتصر الحوار على هذا النمط من المعاناة التي تطالعنا في قصائد الاجواد وان يمتد الى قصائد الفرسان فيكشف عن الصراع الخفي بين حب الحياة وحب الموت من أجل ترسيخ القيم الاجتماعية التي تلقاها الشاعر وعدها محور وجوده الانساني الكريم ، وبهذا الوعي يكون لنا ان نتأمل مثل قول عنترة بن شداد :

بكرت تخوفني الحتوفَ كأنني ... أصبحت عن غرضِ الحتوف بمعزلِ
فأجبتها : إن المنيةَ منهلٌ ... لابد أن أُسقى بكأس المنهلِ
فاقني حياءَكِ لا أبا لكِ واعلمي ... أني امرؤٌ سأموتُ إن لم أقتلِ(٤٩)

أليس من حقنا بعد هذا كله ان نظن ان عاذلة حاتم وعاذلة عنترة وعواذل سائر الشعراء الذين استخدموا هذا النمط من الحوار لاتعدو ان تكون ذات الشاعر المنفلتة من قيود الالتزام بالقيم الاخلاقية الموروثة ؟ اذن لاينبغي للنمط الشعري ان يشغلنا عن حقيقة معاناة الشاعر الجاهلي من الحرمان والفقر لقد شكا الشعراء حاجتهم بطريقة مباشرة وغير مباشرة(٥٠) بيد ان الشكوى ظلت مقيدة باحساس الشاعر بكرامته الانسانية ولهذا فاننا لانجد نصا جاهليا يشير الى تطلع الشاعر الى ما في يد الآخرين ولانجد نصا جاهليا يمتهن فيه الشاعر كرامته اوكرامة شعره باستجداء الاخرين لانستثني من ذلك شعر الخطيئة الذي قبل الكثير في تكسبه بالشعر .

ومثل هذا يقال في موقف الشعراء من العوامل التي تشكل عائقا عن تحقيق موقف الاقتدار الفردي او الجماعي ؛ ذلك أن مكامن الضعف الانساني في اطار الظرف الصحراوي القاسي ظلت تشكل تحديا مرهقا حاول الشعراء تجاوزه من خلال مناقب لا تنقصها براعة الابتكار ، فالسموأل يعالج قلة عدد ابناء قومه بقوله :

---

(٤٨) ديوانه ، تحقيق . د عادل سليمان جمال ، مصر (د.ت) ص٢٣٩ ، عيوق : نجم احمر بحيال الثريا ، عردا غار والشطر كناية عن اواخر الليل ، صرد : اعطى القليل ، معبد مذلل لا آلوك : لا ادخر لك ، خليقتي ، نفسي ، جنة : سترا

(٤٩) ديوانه ، ص٢٥١ ، بكرت : عجلت ، منهل : ماء مورود، اقني : التزمي

(٥٠) سبقت الاشارة الى المعاناة غير المباشرة التي وردت في بعض الدواوين في الهامش المرقم ٤٧ ، وينظر ديوان طرفة ص٢٦ ، والمفضليات تحقيق احمد شاكر وعبدالسلام هرون ، مصر ١٩٦٤م ، ص١١٨ والنص للمخبل السعدي

تحيّرنا أنا قليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها إن الكرامَ قليلُ
وماضرّنا أنا قليلٌ وجارنا ... عزيزٌ ، وجار الأكثرينَ ذليلُ[51]

ويعالج العباس بن مرداس ضآلة الجسم بهذا المنطق المقارب لمنطق السموأل فيقول :

تـرى الرجلَ النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه أسدٌ هصورُ
ويعجبك الطريرُ فتبتليه ... فيخلف ظنّك الرجلُ الطريرُ
فما عِظَمُ الرجالِ لهم بفخرٍ ... ولكنْ فخرهم كرمٌ وخيرُ[52]

ويندر بعد ذلك أن يسجل الشعراء هزائمهم على انفسهم في معركة ولكنهم قد يعمدون الى هذا النمط الشعري الذي يرتكز على وصف شجاعة الخصم والذي اصطلح الدارسون على تسمية نماذجه بـ (المنصفات) بيد ان الهزائم الفردية التي يشيع حديثها بين الناس كانت تضطر أصحابها احيانا الى التشبث بتقليل شان الحقيقة من خلال التبهر الوعي من صور الفخر بما كان من مواقف شجاعة سابقة او ما سيكون ، وذلك هو منطق عمرو بن معد يكرب في قوله :

أجاعلةٌ أمُّ الثوير خزايةً ... عليَّ فراري أن لقيت بني عبسِ
وليس يعابُ المرءُ من جبن يومه ... وقد جُرِّبَتْ منه الشجاعة في أمسِ[53]

وقد تقوم عقد نقص مزمنة باعثا على معاناة من انماط اخرى لعل أوضحها ما كان يعانيه بعض الشعراء السود من غربة قاسية تباينت وسائلهم في محاولة تجاوزها ، فقد سلك عنترة سبيل الفروسية للتعويض عن سواد لونه وصراحة نسبه فقدم نموذجا للتسامي يلخصه مثل قوله :

وإذا الكتيبة أحجمتْ وتلاحظتْ ... ألفيت خيراً من مُعِمٍّ مخولِ[54]

على أن الامر لم ينته الى مثل هذا التسامي دائما فهذا سحيم عبد بني الحسحاس يقدم نموذجا للاحباط حين يعمد الى التشبيب بفتيات اسياده ونسائهم تشبيبا نكاد نلمح فيه اتجاها عنيفا الى الرغبة في الايلام (السادية) من خلال التصريح بتفاصيل خلوات ماجنة مع النساء ، فلما انتهى أمره الى القتل لم يجد في نفسه رغبة في النجاة مقابل التخلي عما ادعاه وانما حبب الى اسياده قتله حين اسمعهم قوله :

شدّوا وثاق العبدِ لايفلتكُمُ ... إن الحياةَ من المماتِ قريبُ
فلقد تحدّر من جبينِ فتاتكم ... عرقٌ على متنِ الفراش وطيبُ[55]

ويخيل الي ان الرجل ظلم نفسه وظلم اسياده معه ، فثمة مايقرر القناعة بأنه اختلق هذه القصص الماجنة اختلاقا بل انه هو نفسه يصرح بحرمان لايشجع على قبول ما ادعاه من مغامرات اذ يقول :

---

(٥١) ديوانه ص٩٠

(٥٢) ديوانه ، جمع وتحقيق د . يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٦٨م ، الطرير : الشاب الناعم الممتلئ خير : شرف (وقد سبق شرحها) .

(٥٣) ديوانه ، تحقيق هاشم الطعان ، بغداد ١٩٧٠م ، ص١١٠ وتنسب الى اوس بن حجر ديوانه ص٥١ وتنظر ابيات الحارث ابن وعلة في المفضليات ١٦٥ ، والابيات المرقمة ٦ ــ ١٨ من القصيدة ٢٠ من ديوان العباس بن مرداس .

(٥٤) ديوانه ، ص٢٥٠ ، تلاحظت نظر بعضهم الى بعض ايهم يتقدم ، معم مخول : ذو اعمام واخوال معروفين .

(٥٥) ديوانه ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، مصر ١٩٥٠ ، ص٢٦ .

فلو كنت وَرْداً لونُه لعشقتني ولكنَّ ربي شانني بسواديا (٥٦)

ويواجه الشاعر الجاهلي تحديات انسانية لا يصرح بتفاصيلها قد تتمثل باضطهاد اسري او حرمان من حق مادي أو معنوي او احساس بالغربة او اخفاق في وشيجة اجتماعية او انسانية ولكنها تنتهي جميعا الى محاولة الشاعر تجاوزها باستدرار القدرة الذاتية على نفض اليد منها ومواجهة قدر الحياة خارج نطاقها المفروض ، وذلك ما نلمحه في مثل قول قيس بن الخطيم :

وما بعضُ الإقامةِ في ديار يُهانُ بها الفتى إلاّ بلاءُ
وبعضُ خلائقِ الأقوام داءٌ كداء البطن ليس له دواءُ
يحبُّ المرءُ أن يعطى مناه ويأبى اللهُ إلا ما يشاءُ (٥٧)

ويبدو ان التشبث بصيغة انتزاع النفس من مواطن الذل ظل يمثل المنفذ المقرر لمواجهة هذه الانماط من المعاناة فهو مما يتكرر في اكثر من نموذج جاهلي (٥٨) على انه لاينبغي لنا أن نظن ان هذه الصيغة ظلت النمط المتفرد فقد يعمد الشاعر الى التهديد او الهجاء او الفخر حتى يطول امر استقصاء الحالات الخاصة في هذا الميدان ذلك ان التفرد المفترض في شخصية الشاعر واحساسه بغربة عبقريته في كل زمان ومكان — وليس في العصر الجاهلي وحده — ظل يسحبه الى مواقع متميزة تنأى به عن رتابة الواقع القومي وهنا يقع التناقض الذي رأينا الشاعر الجاهلي يعالجه عن طريق التسامي حينا وعن طريق الاحباط حينا آخر ، ولاسبيل بعد ذلك الى حصر الشواهد لان ما سيحصر في اطار هذا التصور هو جملة الشعر الجاهلي ولهذا رأينا الاقتصار على هذه النماذج التي تؤشر ابرز الملامح وما تمخضت عنه من نماذج العصر .

٤ — محور الفكر والفن

تقتضي تحديات الحياة البدوية نمطا متميزا من المواجهة الصريحة والواقعية لايتيحها التمسك بنظر فلسفي سابق ، او قل ان قسوة الجانب العملي فيها لاتتيح فرص تأمل فلسفي تتمخض عن نظرة موحدة الى الكون والاحداث ، فالفلسفة وليدة الاستقرار الحضاري قبل أي شيء آخر ولهذا لانرى أن نتجه الى ما اتجه اليه بعض الباحثين من محاولة تعليل الواقعية والبساطة في الشعر الجاهلي بقلة اتصال الجاهليين بحضارات الامم او سذاجة العقلية البدوية وعجزها عن التحليل والتركيب .

لقد كان العرب على صلة باكثر من امة متحضرة اثروا فيها وتأثروا بها ، وكانوا وريثي ديانات التوحيد وتطبيقاتها الفكرية والانسانية عبر التاريخ ، وكانوا وريثي حضارات انشأها اجدادهم في وادي الرافدين والشام واليمن ، وكانوا فضلا عن ذلك كله أصحاب اذهان حداد ونظر ثابت وفطرة سليمة هيأت لهم ان يقيموا الحضارة العربية الاسلامية غب استقرارهم في الامصار بعد حروب التحرير الاسلامي .

البداوة — اذن — هي العامل الاساس في خضوع العربي لمنطق الواقعية الصارم ، اما الشعر فحسبه أن ينغمر في الحدث اليومي حد الانقياد ولكن حسبه ايضا ان يبقى علم القوم الذي لم يكن لهم

(٥٦) ديوانه ، ص ٦٠ .

(٥٧) ديوانه ، تحقيق د . ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب ، بغداد ١٩٦٢م ، ص٥٣ — ٥٤ .

(٥٨) ينظر مثلا ديوان اوس بن حجر ص٨٣ وديوان عنترة ص٢٢٨

علم اصح منه ليحرص على ان يسبق الواقع بخطوة تمثل ريادته الفكرية ، وتحقق للشاعر هويته الفكرية التي لا تحقق الا في غربته المستساغة عن عصره في كل زمان ومكان(٥٩) .

بهذا الوعي ينبغي لنا أن ننظر الى الجانب الفكري في القصيدة الجاهلية التي ظلت على الرغم من انشدادها الى تفاصيل الحدث اليومي تتيح للشاعر ان يسوق تفاصيل طموحه الفكري في هذه اللمحات التي اصطلح الدارسون فيما بعد على تسميتها بأبيات الحكمة ، وهي الابيات التي يشير استقراء الموروث الى انها ظلت تقع في خواتم القصائد أو خواتيم مقاطعها التقليدية من افتتاح ورحلة وغرض حيث يعمد الشاعر الى تلخيص التجربة او طرح موقف فكري متميز منها فيبقى محكوما بتفاصيلها في الاصل ولكنه ينتهي الى طرح الثقل الذاتي بشكل لايقبل التأويل ، ونحن لا نعرف نصا جاهليا افرده الشاعر بتقرير موقف نظري منقطع عن تجربة شعرية تسبقه او نصا اثبت فيه الشاعر موقفا نظريا صرفا الا في حالات اضطراب النص في مجرى الرواية او انتمائه الى دائرة تأمل الحياة والموت التي تصلح لان تكون محورا موضوعيا ونظريا في وقت واحد(٦٠) .

وبوسعنا أن نتابع ثلاثة مجار فكرية رئيسة في هذا الاطار من الموروث الجاهلي هي مجرى تأمل البنية الجماعية والعلاقات التي ينبغي أن تقوم عليها ومجرى التأمل الذاتي الناشىء عن حدث شخصي أو جماعي ومجرى تأمل حقيقة الحياة والموت ، على ان تشعب تجارب الشاعر وطبيعة موقعه من الحدث سيبقى المسؤول عن تحديد الموقف الفكري في كل مجرى من هذه المجاري ولهذا لاينبغي ان يدهشنا تفاوت المواقف او تناقضها عند الشاعر الواحد الذي اشرنا الى أنه ما كان يمتلك نظرا فلسفيا مقننا يسبق الحدث ويتحكم في تفسير تفاصيلة من زاوية واحدة .

اما مجرى البنية الاجتماعية والجهد المبذول لترصينها فقد كان للشعر ان يقدم فيه حلول التحديات اليومية التي اشرنا الى بواعثها القبلية الضيقة فينساق بتأثير الحدث الى تقرير تفاصيل لا تشكل قواعد فكرية رئيسية ولكنها رائد لايستقي من صعيد الواقع المباشر عند بعض الشعراء حتى تنتهي الى تقرير موقف فكري ولكنه يرسم طموح الشعر في تحقيق فردوس الحياة المفقود ، ولعل من اقدم مايطالعنا من هذه النماذج دالية الافوه الاودي التي يقوم فيها :

والبيت لا يبتنى إلا له عمد	ولا عماد إذا لم ترْسَ أوتادُ
فإن تجمع أوتاد وأعمدة	وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا
لا يصلح الناس فوضى لاسراةَ لهم	ولاسراةَ إذا جهالهم سادوا
تلفى الأمورُ بأهل الرأي ماصلحتْ	فإن تولّوا فبالأشرار تنقادُ
إذا تولّى سراةُ القوم أمرَهمُ	نما على ذاك أمرُ القومِ فازدادوا(٦١)

(٥٩) مما لايخلو ذكره من فائدة هنا ماساقه ابن رشيق من قوله ان عمر بن الخطاب (رض) سأل كعب الاحبار وقد ذكر الشعر : ياكعب هل تجد للشعراء ذكرا في التوراة ؟فقال « نجد في التوراة ذكر قوم من ولد اسماعيل اناجيلهم في في صدورهم ينطقون بالحكمة ويضربون الامثال لانعلمهم الاالعرب العمدة ج١ ص٢٥ .

(٦٠) قد تشكل ابيات الحكمة في بطولة زهير استثناء بانقطاع اكثرها عن موضوع القصيدة وذلك مانفضل ان نعزوه الى طبيعة زهير المتفردة وميله الى طول التامل وتأخر الزمان به بالقياس الى الشعراء الجاهليين .

(٦١) ديوانه (ضمن الطرائف الادبية) جمع وتحقيق عبدالعزيز الميمني ، بيروت ١٩٣٧م ، ص١٠ كادوا : حاولوا ، سراة : سادة .

ويقدم الشعر صيغا نادرة من التحكيم أو الحض عليه في الازمات القبلية والاجتماعية فيكشف عن عمق في الفكر وبعد في النظر وطموح في تحقيق قيم العدالة التي قد تضببها مداخلات الواقع في احيان كثيرة ، ومن اشهر النماذج التي تقع في هذا المجرى همزية زهير بن ابي سلمى في بني مصاد الذين استلبوا مال رجل غطفاني دون ان يرعوا حلفا كان بينهم وبين غطفان حيث قال :

فإمّا أن يقولُ بنو مصادٍ ... إليكم إننا قومٌ براءُ

واما أن يقولوا قد أبينا ... وشرٌّ مواطنِ الحسبِ الإباءُ

واما أن يقولوا قد وَفَينا ... بذمتنا وعادتنا الوفاءُ

فإن الحق مقطعه ثلاثٌ ... يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ(٦٢)

ولا يخلو من مدلول بعد ذلك ان يبدي الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وهو ينظر في هذه الابيات عجبه لمعرفة زهير ـ وهو جاهلي ـ بمقاطع الحقوق وتفصيلها تشكل قريب مما جاء به الاسلام(٦٣) ، ثم لا يخلو من مدلول ان يتكرر الامر بصيغة مقاربة حين ينظر ... سهل بن هارون في ابيات لسلمة بن الخرشب توجه بها الى سبيع التغلبي في شأن الرهن التي وضعت عليه في قتال عبس وذبيان فيقول « والله لكانه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري في سياسة القضاء وتدبير الحكم »(٦٤) .

اما نظر الشاعر الجاهلي في العلاقات الاجتماعية فانه يبقى منبثقا من المنطلقات التربوية التي اشرنا الى انها تمثل قيم العرف الاخلاقي الموروث فضلا عن التفاصيل التي تشكل طبيعة الحدث وموقع الشاعر منه ، وذلك كله مما يدخل في اطار معالجة الحدث اليومي الذي اشرنا الى اتجاهاته في المحاور الثلاثة السابقة ، بيد ان ثمة نماذج قرر الشعراء فيها مواقف نظرية مستقراة من حصيلة تجاربهم كلها واودعوها في اطار نظري غير منبثق عن موضوع آني ، واوضح مايطالعنا في هذا الميدان الوصايا الشعرية التي حرص الشعراء على ان يقيموا فيها هذه الموازنة الرائعة بين قيم العرف وحصيلة تجارب الحياة ، وذلك ما يمكن ان نتأمله في قصيدة عبد قيس بن خفاف البرجمي التي ضمنها مفردات متشعبة في وصيته لابنه جبيل بقوله :

أجبيل إن أباكَ كاربَ يومُهُ ... فإذا دعيت إلى العظائم فاعجلِ

أوصيكَ إيصاءَ امرىءٍ لك ناصحٍ ... طبنٍ بريب الدهر غير مغفّلِ

اللهَ فاتّقِهِ وأوفِ بنذرِهِ ... وإذا حلفت ممارياً فتحلّلِ

والضيف أكرمْهُ فإن مبيتَهُ ... حقٌّ ولاتكُ لُعنةً للنُّزّلِ

واعلمْ بأن الضيفَ مخبرُ أهلِهِ ... بمبيت ليلتِهِ وإن لم يُسألِ

ودع القوارصَ للصديقِ وغيرِهِ ... كي لا يروك من اللئامِ العُزّلِ

وصلِ المواصِلَ ما صفا لك وُدُّهُ ... واحذرْ حبالَ الخائنِ المتبدّلِ

واترك محلَّ السوء لا تحللْ بهِ ... وإذا نبا بكَ منزلٌ فتحوّلِ

---

(٦٢) ديوانه ، ص٧٤ .

(٦٣) ينظر البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبدالسلام هرون، مصر (ط ٤) ج١ ص٢٤٠ ، والعقد الفريد ج٦ ص١١٤ .

(٦٤) تنظر الابيات والنص في البيان والتبيين ج١ص٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

وإذا هممتَ بأمرِ شرٍّ فاتَّئدْ   وإذا هممت بأمر خيرٍ فافعلِ
وإذا أتتكَ من العدوِّ قوارصٌ   فاقرص كذاكَ ولا تقلْ لم أفعلِ
وإذا افتقرت فلا تكن متخشِّعاً   ترجو الفواضل عند غير المفضلِ
واستغنِ ما أغناكَ ربُّكَ بالغنى   وإذا تُصِبْكَ خصاصة فتجمَّلِ
واستأنِ حلمَكَ في أمورِكَ كلِّها   وإذا عزمت على الهوى فتوكَّلِ
وإذا تشاجرَ في فؤادك مرةً   أمرانِ فاعمَدْ للأعفِّ الأجملِ (٦٥)

وتشكل الاحداث الشخصية منفذا آخر من منافذ المعاناة التي تشكل تحديا يستدر استجابة فكرية يحاول الشاعر من خلالها تنظير الصيغة التي يقررها طموحه الانساني .

وقد رأينا أن تحديات الفقر والضعف وعقدالنقص والغربة الذاتية شكلت منطلقات لمواقف متعددة استرعبها الشعر في استجابته للتحدي المباشر ؛ بيد ان ثمة استجابات متميزة استوعبت مواقف فكرية بدت اقرب الى النظر الفلسفي منها الى رد الفعل الاني ؛ ويبدو ان طرفة سيبقى نموذجا متميزا بهذا التمرد الذي خضع لنظرة عبثية الى الاشياء والحياة ؛ اما الباعث فحسبه أن يتمثل بظلم ذوي القربى :

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً   على المرءِ من وقعِ الحسامِ المهنَّدِ (٦٦)

واما الموقف فحسبه أن ينتهي الى نمط فريدمن الصعلكة داخل اطار الانتماء :

ومازال تشرابي الخمور ولذَّتي   وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلى أن تحامتني العشيرةُ كلُّها   وأُفردْتُ إفرادَ البعيرِ المعبَّدِ (٦٧)

على ان الخلاصة النهائية تتفرد في نظرة شمولية تنبع تفاصيلها من واقع النظرة العبثية الخالصة التي يقررها بقوله :

ألا أيُّهذا اللائمي أحضرَ الوغى   وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنت مخلدي
فإن كنت لا تستطيع دفعَ منيتي   فدعني أبادرْها بما ملكت يدي
ولولا ثلاثٌ هنَّ من عيشةِ الفتى   وجدِّكَ لم أحفلْ متى قام عوَّدي
فمنهنَّ سبقي العاذلاتِ بشربة   كميتٍ متى ما تُعلَ بالماءِ تزبدِ
وكرِّي إذا نادى المضافَ محنَّباً   كسيدِ الغضا نبَّهتَهُ المتورِّدِ
وتقصيرُ يومِ الدجنِ والدجنُ معجبٌ   ببهكنةٍ تحت الطرافِ المعمَّدِ (٦٨)

---

(٦٥) المفضليات ص٢٨، جبيل : ابن الشاعر ، كارب : قرب طبن : حاذق ، مماريا : مجادلا ، لعنة : الذي يلعنه الناس كثيرا القوارص : الكلام القبيح نبا : لم يوافق خاصة : فقر او حاجة ، تجمل : تجلد ، استان : لاتتعجل ، حلمك : عقلك . وينظر ديوان امرئ القيس ص٢٣٦.

(٦٦) ديوانه ، ص٣٦ .

(٦٧) ديوانه ، ص٣١ .

(٦٨) ديوانه ص٣٢ ، الوغى : الحرب ، وجدك : وحظك وهوقسم ، احفل : ابالي ، عودي : جمع عائد وهو الذي يزور المريض والشطر كناية عن موته ، كميت : حمراء مائلةالى السواد ، المضاف : الخائف ، محنبا : في قائمته انحناءوهي صفة مدح للخيل ، سيد : ذئب ، متورد : وارد الماء، الدجن : الغيم ، بهكنة : امراة حسنة ، الطراف المعمد ، البيت المرفوع بالعمد .

وقد تقع بعض نماذج الحطيئة في اطار هذه النظرية العبثية نفسها ، ولكن ظرف الحطيئة الشخصي والنفسي جعلها تنصب في قصائد الهجاء التي عمد فيها الى اعادة تركيب شخصيات مهجويه تركيبا يستدر السخرية والاستهزاء دون ان يستثني من ذلك أقرب الناس اليه .

بيد ان ذلك لايغرينا بتعميم الظاهرة ، فثمة شعراء عانوا من ظروفهم الشخصية حد اليأس ولكنهم ظلوا يواجهون قدرهم من موقع الطموح لاحتلال مواقعهم الاجتماعية التي تليق بهم ، ولعل امرأ القيس الذي عانى من اضطهاد الاب في شبابه وحمل مسؤوليه اعادة بناء مملكة كندة المنهارة بعد مقتل أبيه يمثل واحدا من أوضح نماذج الاستجابة البطولية لمجرى الحياة الشخصية المأساوي على الرغم من هذه اللمحات العابثة التي لم تمتد الى شعر مابعد مرحلة الضياع الاولى من حياته .

ويبدو ان طبيعة الحياة الدينية في العصر الجاهلي كانت مسؤولة عن منح تحدي الموت حجمه المجرد من الامل في حياة ثانية بعده في وعي الشاعر وجمهوره ، فعلى الرغم من علمنا بأن المجتمع كان يضم اصنافا موحدين واهل كتاب فان الوثنية كانت ديانة السواد الاعظم ونظرة الوثنية الى الموت تتلخص بأنه النهاية التي لاحياة بعدها . وتلك حقيقة يبقى القرآن الكريم اصدق شاهد على استقرارها في النفوس(٦٩) .

من هنا يكون لنا أن نتصور طبيعة نظرة الشاعر الجاهلي الى هذا الحدث الغامض المجهول الذي قد يشكل حسما لكل التحديات ولكنه التحدي الذي لاسبيل الى تجاوزه ، وما دام الامر كذلك فلا بد من هذا الاستسلام اليائس الذي يشيع في نماذج لا حصر لها منها قائية اوس بن حجر التي يقول فيها :

ولــو كنــت في ريمـان تحرس بابَــهُ   أراجيلُ أحبـوشٍ وأغضَفُ آلِــفُ

إذن لأتتنـي حيـث كنــتُ منيتـي   يخبُّ بهـا هـادٍ لإثْريَ قائف(٧٠)

وقد يحاول بعض الموحدين واهل الكتاب ان فتتردد اشارات حول البعث بعد الموت بالتفسير الديني ويعللون النفس بالبعث بعد الموت(٧١) ثم تمتد الظاهرة الى شعر الوثنيين فتتردد اشارات حول البعث بعد الموت وتتردد أحاديث عن النوق البلايا التي تربط بطريقة غريبة على قبر صاحبها فلا تعلف ولاتسقى حتى تموت لتبعث معه اذا بعث فلايحشر راجلا(٧٢) بيد ان ذلك كله لم يغير شيئا يذكر في صيغة الاستسلام اليائس لتهديد الموت الذي يبقى خصما خفيا لاسبيل الى مواجهته ، وذلك ما يقرره مثل قول عمرو بن قميئة .

رمتني بناتُ الدهـرِ من حيث لا أرى   فكيـف بمـن يُرمـى وليس برامٍ(٧٣)

ويتعاور الجاهليون هذا المعنى حتى يتكرر بلفظه احيانا(٧٤) ثم يبلغ الامر ببعضهم حد تشخيص

---

(٦٩) قوله تعالى حكاية عن المشركين أاذا متنا وكنا ترابا وعظاما انا لمبعوثون الاية ٤٧ من سورة الواقعة ، وقوله تعالى « ويل للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين » الاية ٧ من سورة المطففين ، وقوله تعالى : هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون » الاية ٢١ من سورة الصافات .

(٧٠) ديوانه ص٧٤ ، ريمان : حصن ، اراجيل : جمع رجال احبوش : جماعة ، المغضف : كلب مسترخي الاذنين هاد : الذي يسير في اول القافلة او القطيع ليهدي الى الطريق ، قائف : يقفو الاثر .

(٧١) ينظر مثلا ديوان امية بن ابي الصلت ، تحقيق بهجة عبدالغفور ، بغداد ١٩٧٥م ص١٨١ .

(٧٢) ينظر المحبر لابن حبيب ، تحقيق ايلزة ليختن ، بيروت (د.ت) ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣

(٧٣) ديوانه ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مصر ١٩٦٥م ، ص٥٤ ، بنات الدهر : احداثه .

(٧٤) ينظر قول زهير بن ابي سلمى في ديوانه ص٣٨٢ .   فاستأثر الدهر الغداة بهم   والدهر يرميني ولاارمي

وينظر مايدخل في اطار المعنى في دواوين الاودي ص١١ ، السموال بن عادياء ، ص٨٣ عروة بن الورد ص٦٤ ، النابغة الذبياني تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٧٧م ص٢١٤ .

حالة الموت وكأنها امر واقع يرتاد الشاعر مرارته بشكل تفصيلي ليتخفف من هذا الرعب المتغلغل في اعماقه ، وذلك ما نستشفه من مثل قول يزيد بن خذاق :

هل للفتى من بنات الدهر من واقِ ... أم هل له من حمام الموت من راقِ
قد رجّلوني وما بالشعر من شَعَثٍ ... والبسوني ثياباً غير أخلاقِ
ورفعوني وقالوا : أيما رجلٍ ... وأدرجوني كأني طيُّ مخراقِ
وأرسلوا فتية من خيرهم نسباً ... ليسبدوا في ضريح الترب أطباقي
وقسموا المال وارفضت عوائدهم ... وقال قائلهم : مات ابن خذاقِ[٧٥]

وثمة نماذج رثى الشعراء بها انفسهم فلم يخرجوا عن هذه الصيغة التي يجتمع فيها الاحساس بالخوف من المجهول مع الاحساس بالاسى الموجع لفكرة الحرمان من الحياة[٧٦] الا أن ذلك كله لا يلغي حقيقة اخرى وهي ان الشاعر الجاهلي بحث بشكل ما عن الخلود ؛ فثمة تساؤل لايخلو من دلالة عن مصير الروح بعد موت الجسد كان لامرئ قيس أن يسجله بقوله :

ليتَ شعري ولِلبَيْتِ نبوة" ... أين صار الروحُ إذ بان الجسد[٧٧]

بيد ان انشداد الشاعر الجاهلي الى المنطق الواقعي في تامله الفكري لم يسمح قط بأن تنتهي المحاولة الى ما انتهى اليه الشاعر السومري حين وضع بطله جلجامش امام مشكلة البحث عن خلود الروح والجسد ؛ ولهذا كان علينا الا نتوقع الا هذه الصيغ المنطقية التي ضمنها الشاعر رغبته في خلود ذكره حسب وذلك في معرض فخره بممارسة قيم العرف الاخلاقي الموروث[٧٨] أما حين يخفق الشاعر في توفير اية فرصة للافلات من براثن معاناة الخوف من الموت فحسبه أن يغرق همه في الخمر وهو موقف احباط رأينا طرفة بن العبد يتخذه حين تملكه اليأس من تحقيق كرامة وجوده الانساني في اطار انتمائه ، بيد أن ثمة نصا آخر من النمط نفسه يتنازعه عبيد بن الابرص وأوس بن حجر يقرر ان الصيغة تنبثق ايضا في موقف اليأس من مواجهة تحدي الموت الذي لايواجه ، وهو قول الشاعر :

---

(٧٥) الشعر والشعراء ج١ ص٤٨٦ ، راق : من الرقية وهي التعويذة ، رجلوني مشطوا شعري ، شعث : تراكب وتماظل ، اخلاق : ممزقة ، مخراق : عمامة يلهو بها الصبيان ويضرب بها بعضهم بعضا ، ليسبدوا : ليهيئوا ، اطباق : مفاصل وينظر مثل هذه الصيغة لابي الطمحان القيني في الحماسة البصرية ، لابن ابي الفرج البصري ، تحقيق د. مختار الدين احمد ، الهند ١٩٦٢م ج١ ص٢٨١ .

(٧٦) تنظر دواوين بشر بن ابي خازم ، تحقيق د . عزة حسن دمشق ١٩٧٢م ، ص٧٤ ، ديوان خفاف بن ندبة ، تحقيق د . نوري القيسي ، بغداد ١٩٦٨ ص١٠٢ ، ديوان الافوه الاودي ص١٥ ، ديوان قيس بن الخطيم ص٦٨ .

(٧٧) ديوانه ص٢١٧ .

(٧٨) ينظر ديوان حاتم بن عبدالله الطائي ص٢١٠ ، ص٢٢٥ ، ديوان عروة بن الورد ص٤٢٥ ، ص٢٩ شرح القصائد السبع الطوال ، ص٣٧٤ والمنص لعمرو بن كلثوم .

هبّـت تلـومُ وليسـت ساعةَ اللاحي   هلا انتظـرت بهـذا اللـوم إصبـاحي

قاتلهـا اللـه تلحانـي وقـد علمـتْ   أنـي لنفسـي إفسـادي وإصـلاحي

إن أشرب الخمـرَ أو أُرزأ لها ثمنـاً   فلا محالـةَ يومـاً أننـي صـاحي

ولا محالـةَ مـن قبـرٍ بمحنيـةٍ   وكَفَنٍ كسراةِ الثـور وضّـاحِ(٧٩)

وقد يطول امر متابعة المرضوعات التي يشكل تحدي الموت محورا فيها من بكاء الطلل والحكمة والتامل والاعتبار والرثاء الا ان الموت يبقى في وعي الشاعر الجاهلي ذلـك التحدي الذي لايواجهه الشعر الامن موقع الاستسلام او اصطناع الاطمئنان الى حتميته وشموله لكل الاحياء(٨٠) .

ولايشير الموروث الجاهلي بعد ذلك الـــى معاناة ذات ابعاد محـددة على الصعيـد الفني . فالقصيدة الجاهلية نمط مشترك متداول لا تمس شموله تيارات ثقافية او فنية وافدة تبعث على اتخاذ مواقف متباينة في الفكر والفن يمكن ان نجد طريقها الى نتاج الشعراء او تتبلور في اطار مدارس شعرية متخصصة(٨١) بيد ان ذلك كله لا يلغـي مواقف وجد الشعراء انفسهم فيها مضطرين الى الدفاع عن قدراتهم الشعريـة من خلال تاكيـد حقيقة عنايتهم بانتقاء مايقولونه وتثقيفه دون ان ينسوا الاشارة بشياطينهم وتوابعهم من الجن الذين يمثلون منابع القدرة الالهامية في الوعي الجاهلي ، ولعل من اقدم مايطالعنا من نماذج في هذا الميدان قول امرئ القيس :

أنا الشاعرُ المرهوبُ حولـي توابعـي   من الجـنّ تـروي ما أقولُ وتعـرفُ

إذا قلـت أبياتـاً جيـاداً حفظتُهـا   وذلـك أنـي للقـوافي مثقّـفُ(٨٢)

ويستمد عبيد بن الابرص من خياله الشعري صورة رائعة يوازن فيها بين شاعريته وشاعرية سواه من الشعراء الذين لايجيدون الذي يجيده من السبح والغوص في بحور الشعر فيقول :

سلِ الشعـراء هل سبحوا كسبحي   بحـورَ الشعـرِ أو غاصـوا مغاصـي

لسـانـي بالنثيـرِ وبالقـوافـي   وبالأسـجاع أمهـرُ في الغيـاص

---

(٧٩) ديوان عبيد بن الابرص ص ٢٤٤ وديوان اوس ص١٤ ، اللاحي: اللائم ، محنية : منحنى الوادي ، سراة : ظهر ، وضاح : لماع .

(٨٠) تنظر دراسة د . مصطفى عبداللطيف جياووك الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، بغداد ١٩٧٧م

(٨١) اشار الدكتور طه حسين الى وجود مدارس شعرية جاهلية منها مدرسة اوس بن حجر التي سماها مدرسة الصنعة في كتابه في الادب الجاهلي ، مصر ١٩٢٦م ص٢٤٥ ــ ٢٠٨ ولكن الدراسة الاستقرائية التي ضمنتها كتابي شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين انتهت الى ان شعر اوس ورواته ينتمي الى مدرسة القصيدة الجاهلية دون ان يتسم بخصائص تصلح لافراده بمدرسة خاصة .

(٨٢) ديوانه ص٣٢٥ وينظر مايماثلها في ديوان الاعشى ص٢٢١

من الحوتِ الذي في لُجّ بحرٍ   يجيدُ السبحَ في لجج المغاصِ(٨٣)

ويمكننا ان نرصد رغبة واضحة عند الشاعر الجاهلي في انتشار شعره على السنة الرواة وبلوغه مبلغه المطلوب لاسيما قصائد الهجاء من ذلك قول زهير بن ابي سلمي للحارث بن ورقاء الصيداوي :

يا حارِ لا أُرمينْ منكم بداهيةٍ   لم يَلقَها سُوقةٌ قبلي ولا ملكُ
تعلَّمنْ ها لعَمْرُ اللهِ ذا قسماً   فاقصدْ بذرعِكَ وانظر أين تنسلكُ
لئنْ حللتَ بجوٍّ في بني أسدٍ   في دينِ عمرو وحالتْ بيننا فدكُ
ليأتينَّكَ مني منطق قذعٌ   باقٍ كما دنّس القبطيةَ الودكُ(٨٤)

ويبدو ان تهمة سرقة الشعر أو انتحاله كانت من اقسى ما يوجه الى الشاعر ولهذا فان استقراء نماذج دفاع الشاعر عن شعره كفيل بأن يطلعنا على صور دفاع تتمثل في انكار تهمة الانتحال كما في قول الاعشى :

فما أنا أم ما انتحالي القوا   فِ بعد المشيب كفى ذاكَ عارا(٨٥)

ومما يلفت النظر بعد ذلك نص لكعب بن زهير دافع فيه عن شعره وشعر الحطيئة حشد فيه تفاصيل قد لاتخرج عن دائرة المألوف من النماذج التي سبقت الاشارة اليها ولكنها تبقى متسمة بضرب من التركيز في توضيح المواصفات التي نسبها الى شعره اذ قال :

فمن للقوافي شانَها من يحوكُها   إذا ماثوى كعبٌ وفوَّزَ جرولُ
يقولُ فلا يعيا بشيء يقولُهُ   ومن قائليها من يسيءُ ويعملُ
يقومها حتى تقوم متونها   فيقصر عنها كل ما يتمثل
كفيتُكَ لا تلقى من الناس شاعراً   تَنَخَّلَ منها مثل ما اتنخَّل(٨٦)

فاذا ما تذكرنا أن كعبا شاعر مخضرم كان لنا ان نرجح ان نضج النموذج الشعري في اواخر

---

(٨٣) ديوانه ص٧٦ ، النثير : الكلام المنثور ، لج معظم الماء . وينظر اعادته لمثل هذا المعنى في ديوانه ص٨١ .

(٨٤) ديوانه ص١٨٢ – ١٨٣ ذرعك : خطوك : جو : واد ، دين عمرو : طاعة الملك عمرو وهو عمرو بن هند ، فدك : ارض بعينها ، القبطية : كل ثوب ابيض ، الودك : الدسم . وينظر مثل هذا المعنى في ديوان عنترة ص٢٨١ .

(٨٥) ديوانه ص٥٢ ، وينظر مثل هذا المعنى في ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي بيروت ١٩٨٠م ، ص٢٣٠ ، ديوان طرفة بن العبد ص٧٠ .

(٨٦) ديوانه ، طبعة دار الكتب ، مصر ١٩٥٠ ، ص٥٩ ، فوز : مات بعده ، جرول : اسم الحطيئة يقومها : يعدلها تنخل اصطفى واختار .

العصر الجاهلي وحاجته الى مقومات فنية متجددةهو الذي تمخض عن هذا الوضوح في المصطلح الفني الذي ارتاد آفاقا اكثر رحابة في العصر الاموي ثم آل به الامر الى ان يغدو المادة الاساسية للنقد الذوقي ثم المنهجي في العصر العباسي .

يبقى علينا اخيرا ان نعيد الاشارة الى ان الشعر الجاهلي ـ شانه شان نتاج اي عصر شعري آخر ـ لايعدو ان يكون فعالية انسانية لا تنبثق الا في مواجهة تحد انساني او بيئي او فكري ومعنى ذلك ان دراسة طبيعة استجابة الشعر لتحديات عصره مسؤولة عن استيعاب موضوعاته واتجاهاته وتقاليده دون استثناء وذلك مالا ادعيه لهذه الدراسة التي طمحت الى تقديم مؤشرات رئيسة لعلها تشكل مفاتيح دراسة موسعة قادمة باذن الله .

الإبداع بين مقوماته والانفعال في النقد القديم

الدكتور
عبد الفتاح صالح نافع
جامعة اليرموك ـ دائرة اللغة العربية
اربـد ـ الاردن

(١)

تمهيـد :ـ

الاصالة ، أو ما اصطلح على تسميته بالابداع الفني ، ظاهرة وقف النقاد منذ القدم حيارى تجاه تعليلها . من أين تنبع ، ومن أين تستمد ؟ هل هي جزء من طبيعة الانسان تولد وتنشأ وتنمو معه ، أم هي نتيجة قوى خارقة عن قدرة الانسان وارادته ؟ . ثم ما علاقة الانفعال بعملية الأصالة أو الابداع ؟ هل الانفعال دافع ضروري وجوده حتى يدفع الفنان الى الاجادة والى الوصول بمشاعره الى الآخرين بحيث تتم عملية التفريغ الفني على أتم وجه ، أم أن الانفعال لا يعدو أن يكون هزة عصبية تصيب الانسان فتضعه في مرحلة مـا بين العقلانيـة والجنون بحيث لا يعـود يملك من امره شيئاً ولا من إرادته نصيبا ؟

هذه الأمور وما يتصل بها شغلت أذهان النقاد قديما على اختلاف شعوبهم . وهذا في نظرنا دلالة صحة ، واشارة تفوق ، وعلامة تلقى الضوء على مدى ما كان للفـن من منزلة واحتـرام في نفوس هـذه الشعوب ، كان الفن شيئاً مقدسا ، لايصل اليه الا الموهوبون أو الذين اختارتهم السماء فمنحتهم قدرتها وعظمتها وشعاعها النوراني .

فاليونان نظرا لما كانوا يرونه ويعتقدونه من قدسية لفن الشعر ـ جعلوا الشعر نابعا عن موهبة أو عن ضـرب من الجنون ، ووصلوا بـين الشعراء والقوى الخفية . وأعادوا عملية الابـداع الى هـذه القوى التي تلقن الشعراء فنهم وتمنحهم أصالتهم ؛ فالشعر الرفيع لا يتأتى بغير الجنون ، بغـير وحي خاص يشبه الجنـون . والشـعراء والمحسنون لا ينظمون قصائدهم الجميلة على انهـا انتاج فني بـل لأنهم ملهمون تملكهم الشياطين . وحالما يخضعون لـسلطان الموسيقى والوزن يفقدون رشـدهم ويوحى اليهم وتمتلكهم الأرواح فيجمعون ألحانهم من وديان ربات الشعر ، يطيرون اليها طيرانا . وما الشاعر الا مخلوق مقدس ، ضعيف ، ذو جناحين لا يتسنى له الابتكـار حتى يوحى اليـه ويفقـد حواسـه ويطيش صوابه فاذا هو لم يصل الى هذه الحال فلا حول له ولا قوة على الافصاح عن تكهناته(١) .

---

١ ـ فن الشعر ٧٩ وينظر الشعر ٩٨ .

واعتبر اليونان هذا ظاهرة خاصة بهم ، تميزهم وتقتصر عليهم دون غيرهم ، فربة الشعر منحتهم النبوغ ، وحبتهم بالمقدرة على صياغة الكلام المكتمل التنغيم في حين حرمت منه الاخرين[٢] .

وساير الرومان اليونان في نظرتهم الى الالهام في الشعر ورده الى القوى الغيبية . فاكبروا الشاعر وعظموا من شأنه ، ووضعوه في مصاف الكهنة والرسل والأنبياء[٣] .

ونظرة العرب للشعر والشعراء لا تقل أهمية عن نظرة اليونان والرومان . فالشعر ديوان العرب ، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم[٤] . يكشف عن النفسية العربية بكل ما فيها من بطولات وأمجاد وبأس وشدة وكرم ووفاء . وهو الذائد عن أعراضهم والحافظ لمآثرهم والناطق المعبر عن أمانيهم وأحلامهم، وهو معيار الألحان يرفع من رتبة صاحبه ويكسبه مهابة العلم ويكسوه جلال الحكمة[٥] .

ومن ثم قدر العرب الشعراء كثيرا فكانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في الاعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ، لأنه حماية لأعراضهم ،وذب عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم ،[٦] .

والعرب يكادون يلتقون فيفهمهم لعملية الابداع مع اليونان والرومان ، فهذه الظاهرة في نظرهم ليست جهدا انسانيا خالصا ، وانما هي في حقيقتها تعود الى قوى خارقة خارجية تتمثل في الجن والشياطين . وهذه القوى تؤثر في الشعراء فتسلب ارادتهم وتلقنهم الشعر تلقينا[٧] . وما الشعر الا قرآن ابليس يلقنه لبني آدم عن طريق رسله من الجان[٨] .

وقد ظل هذا الرأي في مصدر الشعر سائدا بين القدماء من يونان ورومان وعرب فترة طويلة ، ولكن هذا لا يعني أن هذه النظرة لم يكن هناك من يعارضها . فاذا كان هناك لدى اليونان من اعتبر الشعر الهاما يسقط من ربات القريض الساكنات في قمة هيلكون فيلتقطه الشعراء الهائمون في جنباته فان مدرسة الاسكندريين لم تلبث أن اخذت بالرأي القائل ان للشعر أسراره ومكنوناته ؛ فما يجدي الالهام بغير الفن والمجهود ؟ وذهب بعضهم الى أكثر من هذا فقالوا ان الشعر مجهود جبار لا اثر للوحي فيه . أما عند الرومان ؛ فقد رأى هوراس أن الشاعر المجنون كالأجرب او المريض بالصفراء او المجذوب يفر منه العقلاء ويخشون المساس به ، ويكابده الصبيان ويتبعونه في غير احتياط[٩] .

ولم يقصر العرب في هذا المجال ؛ حقا ان الشاعر لديهم يختلف عن غيره من الناس العاديين ، ولكنه لا يكتسب هذه الصفة العظيمة اذا لم يكن صانعا مولدا مخترعا : فاذا لم يكن عنده توليد معنى ولا اختراعه ، أو استظراف في لفظ وابتداعه أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني ، أو نقص مما اطاله سواه من الالفاظ ، أو صرف معنى الى وجه عن وجه آخر ، كان اسم الشاعر عليه مجازا ولم يكن له الا فضل الوزن ، وليس بفضل عندي مع التقصير[١٠] .

ومسألة الالهام والصناعة قديمة قدم الفنون ، وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالزمان وتطور الفكر واختلاف المفاهيم بين عصر وعصر .

(٢)

بين الالهام والصنعة

والعلاقة القائمة بين الالهام والصناعة في الفنون ، تقودنا في الحقيقة الى ظاهرة أخرى هامة ، فاذا كانت الصناعة ضرورية في الفنون ، واذا كان التهذيب او التنقيح لازما ليمنح الفن تلك الهالة التي تميزه عن غيره ، فهل هذا يعني أن الفن مثله مثل غيره من العلوم والصناعات في حاجة الى المهارة اللغوية والقدرة أكثر من حاجته الى دوافع داخلية او تأثيرات نفسية ؟ ثم ما قيمة الانفعال في دفع الفن نحو التفوق والابداع؟ وكيف نحكم على أن هذا الأثر الفني أو ذاك كان ردة فعل هائجة غاضبة

٢ ــ فن الشعر ٣٢ .
٣ ــ فن الشعر ٥٣ .
٤ ــ مقدمة ابن خلدون ١ : ١١٢٢ .
٥ ــ العمدة ١ : ٢٦ .
٦ ــ العمدة ١ : ٦٥ .
٧ ــ البيان والتبيين ٢ : ٢٣٠ .
٨ ــ رسالة الغفران ٢٥٢ وينظر معجم الادباء ١٨ : ٢٦٩ .
٩ ــ فن الشعر ٨٣ .
١٠ ــ العمدة ١ : ١١٦ .

ساخطة أو أنه صناعة فنية ترشح فيها الفنان من جبينه وهو يتعمل وينضح ؟ . كل هذه الاسئلة تحوم في الذهن عند دراسة النقد القديم ، دون أن نجد لها شافيا الا ما تناثر هنا وهناك من آراء وأحاديث جزئية يحاول الناقد أن يربط فيما بينها ليصل لا الى نظرية متكاملة آكيدة بل الى ما يشبه هذه النظرية بحيث تنجلي الرؤية في الذهن وترتسم الخطوط لتؤدي في النهاية الى مفهوم ما لمعنى الانفعال وعلاقته بالابداع في النقد القديم .

فقد نظر العرب - منذ القدم - الى العلاقة القائمة بين الالهام والصناعة على أنها العلاقة القائمة بين الابداع القائم على التأثر والابداع القائم على التقليد والمحاكاة ، « المعاني على ضربين - ضرب يبتدعه صاحب الصناعة من غير ان يكون له امام يقتدى به فيه ، أو رسوم قائمة في امثلة مماثلة يعمل عليها - وهذا الضرب ربما يقع عليه عند الخطوب الحادثة ويتنبه له عند الأمور النازلة الطارئة ، والاخر ما يحتذيه على مثال تقدم ورسم فرط(١١) والنص يوحي بأن الضرب الأول قائم على الانفعال ، فالابداع فيه يرتبط ارتباطا مباشرا بالخطوب والامور النازلة فهي الدوافع الاساسية للفنان التي تمكنه من أن يأتي بالمعنى المستظرف الجديد المخترع ، وما يترتب على هذه الدوافع من نتائج فنية هو ما يمنح الشاعر قصب السبق(١٢) .

واذا كان أرسطو ، قد جعل من الانفعال السبب الرئيس في عملية الابداع ، ومنح صاحبه القدرة على الاتيان بالأعاجيب ، وجعله الكامن وراء عبقرية الشعراء وتفوقهم ، فأقدر الناس على التأثير اذا تماثلت الطبائع هم من يكونون في حال من الانفعال ، وأقدر الناس تعبيرا عن الشقاء من كان الشقاء في نفسه ، واقدرهم تعبيرا عن الغضب من استطاع أن يملأ بالغضب قلبه(١٣) . فان العرب أدركوا أن الانفعال الصادق يمنح الشاعر صفة الاسترسال والانطلاق ، ويعطيه قدرة عظيمة على التعبير ، في حين يحول التصنع دون ذلك ويقف الفنان عاجزا أمام الحدث لا يستطيع أن يقول شيئا ، فاذا قال فهو التكلف المقيت والبعد عن السجية والطبيعة الانسانية ، والغرابة والكزازة والثقل الذي ينفر السامع ويبتعد بالفن عن مرماه الحقيقي وراوا أن بلاغة الكلام تكمن في مسابقة معناه للفظه ، فلا يكون لفظه الى السمع أقرب من معناه الى القلب(١٤) . والمطبوعون من الشعراء هم من أدركوا هذه الحقيقة فيلمون بالمعاني الماما يأخذون العفو منها دون استقصاء أو استغراق في الوصف(١٥) . فاذا ما توفرت دوافع الشعر ودواعيه ، وتركت آثارها في نفسية الشاعر اثارت لديه الانفعال الكامن ، وحركت قريحته وأعملت قلبه وجاش عقله بمكنون الودائع ، فتنبع المعاني وتدر أخلافها ، فيسترسل الشاعر على طبيعته لا يتعثر ولا يحد من انطلاقته موانع واذا هو يؤدي من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر وعفوا بلا جهد(١٦) .

ونظرا للعلاقة الوثيقة التي تربط ما بين الدافع والانفعال ، وأهمية ذلك في عملية البناء الفني ، فقد صب النقاد كثيرا من اهتمامهم لدراسة دوافع الشعر ، رابطين في اغلب الأحيان بين هذه الدوافع وبين نفسية الفنان . فهم تنبهوا الى أن العملية الفنية ينبغي أن يتوفر لها الوقت الملائم لتتم فالشعر لا يؤاتى الانسان باستمرار ولا يرتبط برغبة الفنان وانما له أوقات يسرع فيها أتيه ويسمح فيها ابيه ، منها اول الليل قبل تغشى الكرى ، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير(١٧) . واحس الشعراء انفسهم بهذه الظاهرة ، فالفرزدق ربما مرت عليه ساعة ونزع ضرس أهون عليه من أن يقول بيتا واحدا والعجاج تنثال عليه القوافي أحياناً ويقف عاجزا لايستطيع أن يقول شيئا في أحيان أخرى(١٨) .

وقد دفعهم هذا الاحساس أولا الى البحث في خارج أنفسهم لعلهم يجدون ما يستحثها على القول ، فزهير يقترح على النابغة عندما عسر عليه أن يتبع بعض شعره أن يخرجا الى البرية(١٩) . والنصيب عندما يعسر عليه القريض يشد راحلته ثم يسير في الشعاب الخالية ويقف في الرباع المقوية ، فيطربه ذلك ويفتح له الشعر(٢٠) والاحوص يرى أنه « لم يستدع

١١ - الصناعتين ٨٤ .
١٢ - العمدة ١ : ٢٦٥ .
١٣ - الشعر ٩٨ .

١٤ - البيان والتبيين ١ : ١٥
١٥ - الموازنة ١ : ٤٩٦ .
١٦ - مقدمة شرح ديوان الحماسة ١٢ .
١٧ - الشعر والشعراء ١٩ .
١٨ - البيان والتبيين ١ : ٢٠٩ والشعر والشعراء١٩ .
١٩ - الموشح ٥٨ .
٢٠ - الاغاني ١ : ٣٦٣ .

شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي »[٢١] .

وكثير عندما يعسر عليه الشعر « يطوف في الرباع المخلية ، والرياض المعشبة فيسهل عليه ارصنه ويسرع اليه احسنه[٢٢] .

ودفعهم هذا الاحساس ثانيا الى البحث في انفسهم لعلهم يجدون بحسهم الباطني ما يكمن خلف عملية الابداع ؛ فتنبهوا الى أن هذه العملية يختفى خلفها دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف منها الطمع والشوق والطرب والغضب[٢٣] ، وأن هذه الدوافع تتفاوت في تاثيرها على النفس ، « فالنفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والمحبة[٢٤] .

وركز النقاد على ظاهرة الطمع البشري كثيرا ، واعتبروها دافعا عظيما يفوق غيره من الدوافع في بعث الشعر ؛ ولعل هذه النظرة يعود سببها الى كون الشعر مظهرا من مظاهر التكسب ووسيلة من وسائل العيش . وبنوا ملاحظاتهم هذه على ما سمعوه من الشعراء ، فالحطيئة عندما سئل اي الناس أشعر « أخرج لسانا دقيقا كأنه لسان حية فقال هذا اذا طمع »[٢٥] . وبشار يعلل جودة مدائحه في عقبة بن سلم عن غيره من ممدوحيه « ان عطاياه اياي فوق عطاء كل أحد »[٢٦] بل نحن نجد بعضهم يربط جودة العمل الفني بالطمع البشري ، ويرى ان الاثر الفني الناجم عن الطمع أفضل منه في حالة كونه ناجما عن الوفاء ، فأبو يعقوب الخريمي يعلل تفوق مدائحه على مراثيه في محمد بن منصور : « كنا حينئذ نعمل على الرجاء، ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد »[٢٧] والكميت رغم تشيعه الا أن شعره في بني أمية أجود منه في الطالبيين « ولا أرى علة ذلك الا قوة أسباب الطمع وايثار النفس لعاجل الدنيا على آجل الآخرة[٢٨] وتوصل النقاد الى أن الدوافع الشريرة أكثر اثارة للفنان وبعثا لانفعاله من الدوافع الخيرة

٢١ ـ الشعر والشعراء ١٨ .
٢٢ ـ المصدر نفسه ١٨
٢٣ ـ المصدر نفسه ١٧ وينظر العمدة ١ : ٩٥ والاغاني ٩ : ١٠٨ .
٢٤ ـ البيان والتبيين ١ : ١٢٨ وينظر الصناعتين ١٥٣ .
٢٥ ـ الشعر والشعراء ١٧ .
٢٦ ـ الاغاني ٣ : ١٩٤ .
٢٧ ـ الشعر والشعراء ١٨
٢٨ ـ المصدر نفسه ١٨ .

وبالتالي اكثر اهمية لبناء العملية الفنية فالشعر نكد بابه الشر فاذا دخل في الخير ضعف ؛ وهذا ما يفسر سقوط شعر حسان بن ثابت في الاسلام رغم أنه فحل من فحول الجاهلية[٢٩] . وما سقوط شعر لبيد في الاسلام الا لصلاحه وتقواه[٣٠] .

واذا كان العرب قد تناولوا الطمع والرغبة والغضب والرهبة ، وجعلوها دوافع هامة للابداع الفني ؛ فانهم ادركوا أيضا اهمية الحب واهمية الحزن كدافعين عظيمين في اثارة النفس الانسانية ودفعها للتعبير عن مشاعرها ؛ فجرير حقا يقول غزلا رائعا دون ان يعشق ولكنه الغزل المبنى على الصياغة والقدرة الفنية لا على المشاعر والأحاسيس اما لو عشق واحب لكان لنسيبه شأن آخر في التأثير والاثارة « ما عشقت قط ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فتبكي على ما فاتها من شبابها »[٣١] . وقد ترك الحب بمظاهره المختلفة آثاره في النفس العربية على مر العصور ؛ وكان لها باستمرار بمثابة الوقود المختزن يدفعها دفعا للقول والتعبير ، ويلهمها بين حين وآخر أجمل اللوحات وأرقها . هذه العاطفة نجدها تتمثل لدى العربي بحب الشاعر لولده ولأخيه ولآبائه ولنفسه وللمرأة التي علقها . ونجدها في حبه للحيوانات وحدبه عليها . وفي عشقه للصحراء وتغنيه بها وتأخذ هذه العاطفة عليه لبه ؛ فنجده ينفعل تجاهها انفعالا عظيما ؛ يحقد ويتزن ؛ ويندفع ثم يتوقف ، يعيش لحظات من الفوران والتدفق ثم ينقلب هادئا ساكنا متقبلا للامور في حشمة ووقار. وحتى في نظرتهم للطبيعة نكاد نحس أنهم ينظرون اليها كما ينظرون الى حي جليل ملؤه المعاني البليغة فاذا نفوسهم تجاهها مفعمة بالاجلال والخشوع والصبابة والاستعبار والحب . فاذا كان الحب في نظر اليونان يزيل وحشة النفوس ويفعم القلوب بالالفة والصداقة ويجلب السرور ويزيح الهموم ؛ واذا كان منبع الرقة ومصدر الشوق والرغبة[٣٢] فان العرب احسوا هذه العاطفة وتغلغلت في اعماقهم ؛ فانطلقوا يعبرون عما تخلفه من اثر في نفوسهم ؛ فتسربت في مدائحهم ومراثيهم وغزلهم ووصفهم وفخرهم .

٢٩ ـ الشعر والشعراء ١٧، والموشح ٩٠ .
٣٠ ـ الاغاني ٨ : ٤٣ .
٣١ ـ الموشح ١٠٠ .
٣٢ ـ المادبة ٦٠ .

ولعل عاطفة الحب تتجلى أكثر ما تتجلى في شعر الرثاء ، فقد أدرك العرب أن الحزن هو أقوى الدوافع في بناء العملية الفنية واكثرها اثارة ودفعاً لعملية الابداع ، وذلك لأن شعراء الرثاء يقولون وأكبادهم تحترق(٣٣) • ولعل هذا الغناء الحزين الذى نسمعه من أبي ذؤيب الهذلي في رثاء أولاده(٣٤) أو غناء ابن الرومي في رثاء ولده الأوسط(٣٥) ، أو الخنساء في بكاء أخويها صخر ومعاوية ، أو لبيد في رثاء أخيه(٣٦) أو المتنبي في رثاء جدته(٣٧) اقول لعل هذه النماذج من الغناء الحزين المفعم بالحب خير دليل على مدى ما كان الحزن يوفره من انفعال في النفس العربية ، وأفضل مثال على مدى ما كان يصل بالشاعر الفنان الى الابداع •

كما أن عاطفة الحب وتأثيرها تبدو لنا في هذا الحنين الذي نلمسه بين حين وآخر لدى الشعراء الذين كتب عليهم أن يشقوا ، وان يبتعدوا عن أوطانهم وأهليهم• واذا هذه العاطفة تشعل في نفوسهم نارا متأججة وتدفعهم للتعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم واذا الزفرات والدموع والآهات تتحول الى عبارات وصور غمست بمداد من القلب والنفس معا • ومن منا لم يقرأ أبيات الصمة القشيري في حنينه لنجد وربوعها(٣٨) ولم يشعر بهذه الاحاسيس العظيمة المفعمة بالحب والشوق والتي تسيل من قلبه ونفسه على لسانه لترسم لوحة في الحب والحنين قل أن نجد نظيرا لها •

ومن منا لم يقرأ مقطوعة عوف بن محلم الخزاعي(٣٩) في حنينه الى أهله ووطنه وحديثه عن الحرقة والألم والحسرة التي يشعر بها نتيجة الغربة والبعد ولا يشارك هذا الفنان أحاسيسه ومشاعره • ومن منا لم يستمع الى أبيات المتنبي العظيمة في الحنين حين كان يعيش في بلاد فارس بينما روحه تهيم هناك في حمص وبلاد الشام(٤٠) نقرأها فاذا ذكريات الشباب العنيف المتوقد والفتوة الثائرة تطلان برأسيهما ، تذكرانه بفترة هي من اعز فترات حياته وأحلاها ،واذا الأماكن التي عاش فيها تشخص أمامه ماثلة للعيان ، يعيشها بقلبه ونفسه معا ، واذا دمشق وغوطتها وشعبها المضياف تنقل حسه وادراكه آلاف الأميال ليعيش هناك يردد ذبذبات نفسه وينقل نبضات قلبه •

لقد فطن العرب الى هذا جميعا ، عرفوا دوافع الشعر ، وحددوا أوقاته ، وذكروا علاقة ذلك كله بالانفعال ، ثم ارتباط هذا جميعه بالعملية البنائية أو عملية الابداع • حقا لقد أوجزوا في ذلك كثيراً ولكنهم كانوا يلمحون بين الحين والاخر الى ترابط هذه المفاهيم معا وانصهارها في بوتقة واحدة لتؤدى دورها في البناء الفني •

(٣)

بين الموهبة والارتجال

قديما عرف العرب البلاغة بأنها « الايجاز في غير عجز ، والاطناب في غير خطل »(٤١) ورأوا أن الكلام لا يستحق هذه التسمية حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى السمع أقرب من معناه الى القلب(٤٢) • وأدركوا أن مثل هذه الميزة لا تتوفر لدى الفنان الا اذا رزق بالموهبة ، فالعلم وحده مهما كان في مقداره ونوعيته لا يكفي لدفع عملية البناء • « فعبدالحميد الكاتب وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما والسنتهما لا يستطيعان من الشعر الا ما لا يذكر مثله »(٤٣) •

واذا كان العلم وحده لا يكفي ، فان التجربة وحدها أيضا لا تكفي للخروج بالفن الى حيز الوجود، فالفرزدق كان مستهتراً بالنساء وزيرغوان وهو مع ذلك ليس له بيت واحد في النسيب يذكر في حين كان جرير عفيفا عزهاة لم يعشق أمراة قط وهو مع ذلك أغزل الناس شعرا(٤٤) وتوصل النقاد القدماء الى أن تفوق العرب بالبلاغة على غيرهم انما هو بسبب ما توفر لديهم من موهبة عظيمة ، هذه الموهبة التي تدفع الشعر في نفوسهم دفعا ، فتضحى البلاغة شيئاً

---

٣٣ – البيان والتبيان ٢ : ٣٢٠ .
٣٤ – جمهرة اشعار العرب ٦٦٦ .
٣٥ – ديوان ابن الرومي ٢ : ٦٢٤ .
٣٦ – ديوان لبيد ٩١ .
٣٧ – ديوان المتنبي ٤ : ١٠٢ .
٣٨ – الاغاني ٦ : ٥ودلائل الاعجاز ٣٣ .
٣٩ – معاهد التنصيص ١ : ٣٧٦ .
٤٠ – ديوان المتنبي ٤ : ٢٧٢ .

٤١ – البيان والتبيين ١ : ٩٧
٤٢ – المصدر نفسه ١ : ١١٥ والعمدة ١ : ٢٤٥ ودلائل الاعجاز ١٧٦ .
٤٣ – البيان والتبيين ١ : ٢٠٨ .
٤٤ – البيان والتبيين ١ : ٢٠٨ .

تجيش به الصدور فتقذفه على الالسن(٤٥) . واذا كل شيء بديهة وارتجال وكأنه الهام ، حيث لا معاناة ولا مكابدة ، ولا اجالة فكر ولا استعانة ، فما هو الا أن يصرف أحدهم وهمه الى الكلام فتأتيه المعاني ارسالا ، وتنثال عليه الالفاظ انثيالا(٤٦) . هذه القدرة العظيمة على الانطلاق والاسترسال ، والتي تغذيها الموهبة ، نجدها فاصلا مميزا عند النقاد ، يثنون على من امتاز بها ويكثرون من الحديث عن أصحابها ، فالنقاد معجبون منذ القدم بقصيدة الحارث بن حلزة :

لم يغركم غرورا ولكن
يرفع الآل جرمهم والضحاء

لكونه قالها في موقف واحد(٤٧) .

ويستحسنون معلقته

آذنتنا ببينها أسماء
رب ثاو يمل منه الثواء

لكونه ارتجلها بين يدي عمرو بن هند ارتجالا(٤٨) .

وراعهم جرير في قدرته واسترساله ، فهو يتحفز ويتوثب من حسن الشعر(٤٩) وهو لسهولة تناوله وتدفقه يبدو وكأنه يغرف من بحر(٥٠) ورأوا أن عظمة عمر بن أبي ربيعة في فنه تكمن في شدة أسره(٥١) .

وأكثروا من الحديث عن ذكاء أبي تمام وسرعة بديهيته وقدرته على الارتجال . ورأوا فيه شاعرا ينحت من قلبه(٥٢) .

وراقهم أبو العتاهية في أكثر من جانب ، راقهم في قدرته العظيمة على قول الشعر في أي وقت يشاء ثم في أي موضوع يشاء ، وأنه لا يكاد يفكر في الشعر الا ومثل له يقول ما يريد ويترك ما لا يريد(٥٣) ، وان الأمر كله لا يعدو منه كونه يضع قنينته بين يديه حتى يقول ما يشاء(٥٤) .

ان لحظات الالهام هذه التي تفجأ الفنان عندما تثور في نفسه شتى الانفعالات سرعان ما تتحول الى تعبير فني يأخذ في التشكل والبناء ليصل الى الذروة أحيانا واذا لحظة الحدس أو الالهام بناء فني متكامل تغذيه المشاعر والانفعالات وتسري فيه عصارة من الفكر والقلب معا . واذا ما نحته الفنان من فكره وقلبه قد اتخذ شكل لبنات متلاحمة متحدة متكاملة كل منها يؤدي دورا في عملية البناء ولكنه الدور غير المنفصل عن بقية الأدوار الأخرى .

ولكن لحظات الالهام هذه ، والتي تدفع عملية البناء الى الأمام أو الى أعلى ، قد لا تستمر حتى يستطيع الفنان نقل افكاره ومشاعره فتتوقف في اثناء الاندفاع أو تعجز عن الاستمرارية فاذا البناء يتكامل ولكنه غير المتحد أو المتصل ، فاللبنات تبدو من الظاهر قوية محكمة ولكن امعان النظر فيها أو اختبارها سرعان ما يكشف عن الزيف الذي داخلها والتعمل الذي اشترك في اكمال بنائها .

وقد فطن النقاد الى هذه الظاهرة ، وأدركوا اهميتها ، وعرفوا انها تحول بين الفنان وبين الوصول بفنه الى الكمال . بل وجعلوا الاستمرارية في لحظات الالهام ضروريا للحكم على عظمة الفنان أو عدمها . فالكميت يفجأ الشعر واذا هو لديه ضرب من الالهام لاستوائه وسهولته ، ولكنه لا يلبث ان يجيئه شيء عويص فيستعمله مخالفا بذلك سجيته وطبعه(٥٥) . وشعر ذي الرمة يبدأ حلوا جذابا فاذا كثر إنشاده ضعف ولم يكن هناك حسن ، فاذا به نقط عروس وابعار ظباء(٥٦) . وابو تمام يسترسل في طريقته ويجري على عادته يختلجه الطبع الحضري ، فينظم احسن عقد ويختال في مثل الروضة الأنيقة ولكنه لا يلبث ان يتسنم أوعر طريق ويتعسف أخشن مركب فيطمس تلك المحاسن ويمحو طلاوة ما قدم(٥٧) . وابو العتاهية ، مع رقة طبعه وقرب متناوله وسهولة نظم المنثور عليه وسرعته الى ما يعجز المتأني بلوغه لا يخلو من الخطأ الفاحش والقول السخيف(٥٨) .

٤٥ ـ المصدر نفسه ١ : ٩٦ .
٤٦ ـ المصدر نفسه ٢ : ٢٨ .
٤٧ ـ الاغاني ١١ : ٤٥ .
٤٨ ـ الشعر والشعراء ٩٦ .
٤٩ ـ الشعر والشعراء ١١ .
٥٠ ـ الاغاني ١١ : ٦١ .
٥١ ـ الاغاني ١ : ١٢٠ .
٥٢ ـ العمدة ١ : ١٩٢ .
٥٣ ـ الاغاني : ١٢/٤

٥٤ ـ الوشح ٢٩٧ .
٥٥ ـ الوشح ٣٠٣ .
٥٦ ـ المصدر السابق ٢٧٠ .
٥٧ ـ الوساطة ٢٢ .
٥٨ ـ الوشح ٤٠١ وينظر الاغاني ٤ : ٢ .

هي اذن ظاهرة عامة قلما يخلو شعر أحد منها، نكاد نجدها في الدواوين الجاهلية والاسلامية كلها(٥٩) ٠

وقد علل النقاد هذه الظاهرة تعليلا سطحيا ، فالفكر الذي ينتج المحاسن ويولد البدائع لابد أن يلحق به الكلال في الأوقات ، والزلل في الأحيان فيسقط الفنان في بعض شعره ويعدل عن الوجه الأوضح في كثير من معانيه(٦٠) ٠ ولحظات الالهام المبدع في نظرهم لا تستمر على حال ، ولا يمكن لفنان ان يتحكم بأهوائه الى النهاية ، فالمشاعر والأحاسيس قد تواتى الفنان أحيانا فيصيب هدفه ، وقد لا تواتيه فتسقط محاولاته قرب الهدف عاجزة عن أن تلامسه ومهما كان الفنان ذا قدرة خلاقة مجددة فلابد ان يدركه الوهن في احيان كثيرة فما الشعر الا كنبل في جفيرك ترمى به الغرض فطائع وواقع وعاضد وقاصر(٦١) ٠ ومع تفهمنا لمثل هذه التعليلات الا انها تظل في صميمها أقرب الى السطحية منها الى العمق ٠ ولعلها مرتبطة أساسا بفهم العرب للشعر واعتمادهم في هذا الفهم على ربط الشعر بالحقيقة والواقع اكثر من ربطه بالخيال ، فاذا ما حاولوا ربطه بالخيال ، فهموا الخيال على انه الكذب أو منافاة الحقيقة ٠ وقادهم هذا بالتالي الى خطأين كبيرين ، الأول أنهم فهموا الشعر على أنه نقل للواقع كما هو وبحرفيته والثاني أن نقل الواقع هذا اقتضى من الشاعر ان يكون واضحا كل الوضوح في تشبيهاته واستعاراته وصوره وفي كل ما يقدم بحيث لو ابهم او خرج عن حدود المعقول فانه يسقط سقوطا فاحشا ، فاذا اراد أن يخترع او يولد او يأتي بشيء جديد فيجب أن يحذر كل الحذر من أن يتخطى ما رسمه وما فرضوه من قيود على اللغة وعلى الشاعر معا ٠ ومن ثم عجز هؤلاء النقاد عن أن يدركوا أن الغوص على المعاني النادرة ، او ما سموه بالنظم العجيب والتوليد الغريب ، لا يعتبر في حقيقته شيئا ان لم يكن مصحوبا بالطبيعة الحية والاحساس البالغ والذخيرة النفسية التي تتطلب التعبير والافتنان به فالمعاني والتوليدات وسائل الى غاية ، وهي في الحقيقة لا قيمة لها الا فيما تؤديه وتنتهي اليه(٦٢) ٠

٥٩ ـ الوساطة ٤ ٠
٦٠ ـ الموازنة ١ : ٣٧وينظر امالي القالي ١ : ١١١ ٠
٦١ ـ الوشيع ٢٥٦ ٠
٦٢ ـ ابن الرومي ، حياته من شعره ٩ ٠

كما أن فهمهم الخاطيء لوظيفة الخيال جعلهم يعتمدون استقلالية البيت مما أدى بالقصيدة لأن تصبح مجموعة من تجارب جزئية فغفلوا عن وظيفة الصور العضوية ولم يلقوا بالا الى تضافر الصورة مع الفكرة أو الشعور الذي يهدفون لتصويره ، فجاءت صورهم جزئية مهوشة غير متآلفة في ابراز الصورة الكلية حتى لو اتحد موضوعها(٦٣) ٠ ولعل غياب الوحدة الشعرية غالبا في القصيدة العربية القديمة اساسا على أن الشعر العربي القديم في جوهره شعر تقريري لا تستخدم فيه امكانية الألفاظ الايحائية والى كون تجارب الشعراء القدماء محدودة ومن النوع البسيط الحسي المباشر ومن ثم برعوا في الجزئيات الشعرية دون أن يحققوا الوحدة الكلية(٦٤) ٠

واذا كانت البلاغة شيئا تجيش به الصدور فتقذفه على الألسن ، فليس معنى هذا ان يترك الشاعر أهواءه تسيره ، وانما ينبغي له ان يتوخى الحذر في انشاده ، فليس الشعر في الحقيقة وعند اهل العلم به سوى « حسن التأتي وقرب المأخذ واختيار الكلام ووضع الألفاظ في مواضعها وان يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله ، وان تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه ، فان الكلام لا يكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف(٦٥) ٠ وحتى يكون الشاعر ذا تأثير ينبغي عليه أن يحرص عليه على أن يكون النظم لديه سويا والتأليف مستقيما فيأخذ عفو الخاطر ويتناول صفو الهاجس ولا يكد فكره ، ولا يتعب نفسه ، والا فانه يصير الى التعقيد فينفر منه سامعوه ويمله قارئوه »(٦٦) ٠

وهذه النظرة تعنينا الى حد كبير ، فهي تعنى أن النقاد العرب أدركوا أهمية التهذيب والعناية بالشعر ، فلا يتركون أنفسهم على سجيتها دون قيد ولا شرط بحيث يتحكم الانفعال بالارادة ، وينطلق الفنان ملبيا لمشاعره وعواطفه غير عابيء بشيء ، وفطنوا الى اهمية الطبع وضرورة توافره ، ولكنه الطبع المدرب المثقف المبني على اعمدة وركائز قوية ، تسمح للشاعر بالانطلاق وتلبية دواعي نفسه ،

٦٣ ـ النقد الادبي الحديث ٤٤٨ ٠
٦٤ ـ دراسات في الشعر والمسرح ١٢ ٠
٦٥ ـ الموازنة ١ : ٤٢٣ ٠
٦٦ ـ دلائل الاعجاز ١٧٩ والصناعتين ٦١ ٠

ولكنها تحول ايضا بينه وبين السقوط في مهاوى العاطفه ومايجره الانفعال احيانا من ضعف أو جموح.

(٤)

بين الطبع المهذب والتكلف المصطنع

« أنشد أبو حاتم السجستاني شعرا لأبي تمام، فاستحسن بعضه ، واستقبح بعضا ، وجعل الذي يقرأ له يسأله عن معانيه ، فلا يعرفها أبو حاتم ، فلما فرغ قال : ما أشبه شعر هذا الرجل الا بخلقان لها روعة وليس لها مفتش »(٦٧) .

وهذا الحكم من ناقد له أهمية قصوى على ما نحن بصدده ، من أن الانفعال ، يدفع الفنان الى الابداع ، ويثير فيما يصل اليه اعجاب الآخرين من عامة وعلماء ، فيقفون امام لوحاته الفنية معجبين هائمين ولكنهم حيارى لا يستطيعون أن يجدوا تعليلا لما يحسونه في نفوسهم من اعجاب بهذا الجمال . وقد فطن أبو حاتم الى ما في لوحات ابي تمام من جمال غامض يبعث الدهشة والاستغراب وحاول تفسيرا له فلم يجد في نفسه شيئاً يقوله ، فالواقع عظيم ومؤثر ولكن المعاني غامضة لا يستطيع ان يجد ايضاحا لها وشرحا .

ومع أن الشعراء والنقاد كانوا معجبين بأبي تمام اعجابا عظيما ، غير أنهم لم يكونوا راضين كل الرضا عن هذا المسلك الذي يسلكه ابو تمام في شعره ، فهو يخرج عن المسار الذي رسمه النقاد القدماء للشاعرليسير عليه ، ويخالف السنن الموروثة والمتفق عليها من حيث وضوح المعاني والاستعارات والتشبيهاتوالبعد عن الغموض والالتواء والاحالة . ويحاول أن يختط لنفسه مسلكا خاصا لم يسلكه الشعراء قبله ، فيتكىء على نفسه ويستقي منها دون نظر الى تلك القواعد الصارمة الموضوعة التي تمنع الفنان من ان ينطلق كما يشاء وكما يهوى(٦٨) .

وكانت نتيجة سلوكه هذا أن أضحى شرها الى ايراد كل ماجاش بــه ولجلجة فكرة فخلــط الجيد بالرديء والعين بالرذل الســاقط والصواب بالخطأ(٦٩) .

وهــذا لا يعني أن النقد القديم قــد حال بين الفنان وبين الاسترسال مع نفسه فلطالما أثنى النقاد القدماء على الطبع والسجية والبديهة والارتجال ونفروا من التكلف والتصنع والخروج على ما طبع الانسان عليه . ولكن حديث القدماء عن هذه القواعد والرسوم التي وضعوها ليسير عليها الفنان ليست في الحقيقة ســوى اطــر ليــس المقصود منها حجب الحرية او منعها بقــدر ماهي مظهر من مظاهر الجمال تضفي على النص رونقا وحلاوة وتجعل النص محددا ضمن مشاعر مضبوطة وانفعالات متزنة ، واحاسيس تتحكم فيهــا الارادة وذلك بدلا من أن تفلت هــذه المشاعر وتجمع تلك الانفعالات ، وتنطلــق هــــذه الاحاسيس دون رابط أو قيــد ، فتخلو من التأثــير والجاذبية رغم ما قد يكون فيها من معان عميقة أو استعارات بعيدة . هم يريدون اذاً من الفنان ان يكون مطبوعا ، ولكن ليس هو الطبع الذي يسمح له أن ينطلق ويجمح دون حدود ،« ولكنه الطبع المهذّب الذي قد صقله الادب ، وشحذته الرواية ، وجلتــه الفطنة ، وألهم الفصل بين الرديء والجيد ، وتصور أمثلة القبح والحسن(٧٠) ولا شك أن الفنان اذا حــلا طبعه بالأدب والرواية والفطنة والالهــام والقدرة المميزة ، فان مثل هذا الطبع كفيل بان يطوع لــه اللغة ويسيرها بين يديه كيف يشاء ، لا ان تطوعــه هي وتسيره كيف تشاء . ويمكنه من ان يوفق مــا بين الحس والكلمة والنغمة والشعور واذا به « يعلو الكلام فيأخــــذه من فوق فيجيء سلســا ذا طلاوة ورونق(٧١) . وهذا يقتضى من الفنان أن يعمد بين الحين والاخــر الى نــوع من التهذيب والتنقيح في القصيدة حتى يخرجها في صورتها التي يرضاها هو ويرضى عنها الآخرون .

والتنقيح والتهذيب ضروري ولازم ليس في شرع النقاد فحسب ، بل وفي نظر الشعراء أيضا . فالانفعال حقا يخلق الابداع ويسمو بالأثر الفنى ، ولكن الفنان بحاجة دائما الى مراجعة نفسه ومراجعة ما أنشد ،فقد يكون الانفعالقويا حادا فيشرد الذهن وتجمحالعاطفة وتاخذ الكلمات في خضم هذا الشرود والجموح لون المبالغة والخروج عن المألوف فتأخــذ شكلا أكبر من حجمها وتقع بعض الصور في أماكن لا تناسبها . وقــد يخفت الانفعال ويضعف فــلا يستمر في تدفقه الذي بدأ به ، فاذا الكلمات تتهاوى من القوة الى الضعف ــ وأحيانا الركاكة ــ وهــــذا كله يضعف من عملية البناء الفني ويخل بالتالي من

٦٧ ــ الموشح ٦٥ .
٦٨ ــ الموشح ٥٠٢ وينظر الموازنة ١ : ٢٠ .
٦٩ ــ الموازنة ١ : ١٣٩ .

٧٠ ــ الوساطة ٢٥ .
٧١ ــ الصناعتين ١٥٧ .

قدرة الفنان على الابداع . ومن ثم كان شيئاً من التهذيب والتنقيح يغدو لازماً لاعادة المعدلات الى وضعها الصحيح . وهذا هو ما عناه النقاد بالطبع المهذب وقد عرفه الشعراء الكبار وادركوا اهميته . ورأوا فيه وسيلة من وسائل التفوق فبشار يعيد تفوقه على أهل زمنه لانه لا يقبل كل ما تورده عليه قريحته ويناجيه به طبعه ويبعثه فكره . بل ينظر الى مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات، فيسير اليها بفكر جيد وغريزة قوية فيحكم سبرها وينتقي حرها ويحترز عن متكلفها »(٧٢) .

والنابغة الذبياني يحكم لحسان بن ثابت بالشاعرية ويحكم على الخنساء بانها بكاءة ، وما ذلك الا لكون حسان ينظر في شعره جيدا ويتحكم بعواطفه ومشاعره فيأتي شعره مطبوعا مصفى في حين تنطلق الخنساء في غنائها على سجيتها لا تلوى على شيء فيأتي شعرها مطبوعا ولكنه أقرب الى النواح منه الى الشعر المهذب المنقى(٧٣) .

وهذا التفاوت في الطبع أدركه النقاد بين شاعر وشاعر ، ولاحظوه في شعر الشاعر نفسه فالعجاج لا يحسن الهجاء ويحسن المدح ، وذو الرمة أحسن الناس تشبيها وأجودهم تشبيبا وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء وقراد وحية ، فاذا صار الى المديح خانه الطبع وذاك أخره عن الفحول(٧٤) .

وأدرك النقاد أهمية الطبع في عملية الابداع ولا سيما اذا اختلط بالتجربة واشترك معها في الاداء « فرقة الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم ، والغزل المتهالك ، فإن اتفقت لك الدماثة والصبابة ، وانضاف الطبع ، فقد جمعت لك الرقة من أطرافها »(٧٥) .

ونحن نلمس هذه الرؤية لقيمة الطبع في الاداء لدى كثير من الشعراء ، فالمتنبي يعلل تراجع شعره في آخر ايامه « قد تجوزت في قولي وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان(٧٦) .

٧٢ ـ العمدة ٢ : ٢٣٩ .
٧٣ ـ الاغاني ٤ : ١٦٧ .
٧٤ ـ الشعر والشعراء ٣٨ .
٧٥ ـ الوساطة ١٨ وينظر البيان والتبيين ١ : ٤٤ .
٧٦ ـ يتيمة الدهر ١ : ٨٩ .
٧٧ ـ الشعر والشعراء ٤١ .
٧٨ ـ الموشح ٥٠ .
٧٩ ـ الوساطة ٢٥ .

وناقد مثل أبي عبيدة يفضل زهيرا على جميع الشعراء لشدة أسره في المدح ، ولتكفيه على اكتاف القوافي وأخذه باعنتها حيث شاء من اختلاف معانيها مدحا وذما(٧٧) . والعباس بن الاحنف ـ زعم انه يقول في فن واحد ـ الا انه يتدفق طبعا و كلامه سهل وعذب وفيه ماء ورقة وحلاوة(٧٨) وشعر البحتري يبعث في النفس الارتياح والطرب والصبوة لكونه مطبوعا(٧٩) فاذا ما قصد أبا تمام وانقطع في فهم الشعر وتعريفه اليه اختلف لديه الامر(٨٠) .

ولاحظ النقاد أن الطبع قد يفوق العلم والمعرفة في بناء العملية الفنية فابو العتاهيه من سوقة الناس وعامتهم وكان طبعه وقريحته أكثر من أضعاف ما اكتسبه من أدبه واقتناه من علمه »(٨١) .

ومن الطريف أن أنصار المدرسة القديمة من النقاد حكموا بالتفوق للقدماء على المحدثين لكون الشاعر القديم لا يعول الا على قريحته ، ولا يعتصم إلا بخاطره ، ولا يستقي الا من قلبه ، في حين يطبع المحدث على قوالب ويحذو على أمثلة ويتعلم الشعر تعلما ويأخذه وذلك عيب شديد اذا قصد الشاعر بالصنعة سائر شعره وبالابداع جميع فنونه ، وتلك مجاهدة للطبع ومغالبة للقريحة مخرجة سهل التأليف الى سوء التكليف وشدة التعمل(٨٣) .

ولم ينكر النقاد القدماء كون الشاعر القديم يعمد الى الصناعة والتهذيب ، ولكنهم يلحون على ان هذه الصناعة وهذا التهذيب انما هما في الحقيقة اضافة الى العادة والطبيعة المتأصلتين في النفوس وذلك ما جعل شعرهم فخما جزلا قويا متينا(٨٣) . أما المحدثون فقد حاولوا الاقتداء بالقدماء سواء في الجرى على أساليبهم وطرقهم أو في اختيار الفاظهم ؛ فلم يتمكنوا من اللحاق بهم فاضطروا الى ان يتكلفوا وأن يتصنعوا فخرجوا عن طبعهم ليلبسوا لبوس غيرهم وفي مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق ، واخلاق الديباجة »(٨٤) .

ولم ينكر النقاد القدماء ان شعر المحدثين قد يكون جيدا محكما ، ولكن القارىء أو السامع لا يلبث أن يشعر ان الفنان قد أطال التفكير ؛ وانه عانى كثيرا ، ورشح جبينه ؛ وحذف واضاف وأكثر من الضرورات

٨٠ ـ العمدة ٢ : ١١٤ .
٨١ ـ الموشح ٣٠٤ .
٨٢ ـ الموازنة ١ : ٢٦٠ .
٨٣ ـ الوساطة ١٧ .
٨٤ ـ المصدر نفسه ١٩ .

حتى تمت له عملية البناء . وأضحى شعره يقرع السمع فعلا ولكنه لا يصل الى القلب الا بعد اتعاب الفكر وكد الخاطر والحمل على القريحة(٨٥) .

وادرك النقاد ان الطبع اذا كان ضروريا ولازما لدفع عملية البناء الى الامام ، فانه ضروري ايضا لاستكمال هذه العملية ولاخراجها عملية مبدعة متلاحمة لا خلل فيها ولا تراخ . وتنبهوا الى ان التكلف هو احد عناصر تزعزع العملية الفنية وتحول ما بين الانفعال وبين اداء دوره البناء . فالشعر « اذا كان مستكرها وكانت الفاظ البيت لا يقع بعضها مماثلا لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين اولاد العلات . واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب اختها مرضيا موافقا ، كان على اللسان عند إنشاد ذلك الشعر مؤونة . واجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك انه قد افرغ افراغا واحدا وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان(٨٦) » . ومن ثم نظر النقاد بعين الرضا الى الشعر الشديد الاستواء وعارضوا كل المعارضة الشعر الشديد الاختلاف « لان ذلك دليل على التفاوت وقلة التناسب وتنافي الاطراف وتخالف الابيات(٨٧) » .

وهذه نقطة هامة جدا على صعيد الخلق الفني وعلى صعيد الاثر النفسي . فالشعر المستوى هو دلالة واضحة على ان صاحبه ينطلق على سجيته ويحتفظ باستمرارية الانفعال ، وبقدرة عظيمة على التوفيق بين ارادته وانفعاله . وهو سمة الفنان المطبوع الذي لا تجذبه عناصر الجمال الشكلي فتبعده عن هدفه وعن احساسه نحو هذا الهدف ، وبالتالي فان تاثيره سرعان ما ينتقل الى الاخرين ، لانه في تناوله فنه لا يعبر عن وجدانه فقط ، بل ويمس وجدانات الأخرين وعواطفهم من خلال تجربته الفنية .

أما الشعر المختلف فهو برهان أكيد على أن صاحبه ــ حتى وان بدا منفعلا منطلقا على سجيته في البداية ــ سرعان ما تخونه سجيته ويقصر طبعه ، فيخفت انفعاله وتضعف أحاسيسه فيتجه الى عناصر الجمال الشكلي أو التعقيد أو المبالغة ليصرف الأذهان الى مثل هذه الأشياء الخارجية مضحيا بالهدف والاحساس العام .

٨٥ ــ الوساطة ١٩ والشعر والشعراء ٢٤ ويتيمة الدهر ١ : ١٥٣ .
٨٦ ــ البيان والتبيين ١ : ٦٦ وينظر الشعر والشعراء ٣٥ .
٨٧ ــ يتيمة الدهر ١ : ١٤٧ .

ومن ثم عاب بعض النقاد ابا تمام واخرجوه من دائرة الشعر(٨٨) لشدة اختلاف شعره . ورأوا ان تاثيره يكاد يكون منعدما ، فاذا ما كان له شعر جيد موصوف ، فمع ذلك الا « لانه يأتي في تضاعيف الرديء الساقط فيجيء رائعا لشدة مباينته ما يليه فيظهر فضله بالاضافة ، والمطبوع الذي هو مستوى الشعر قليل السقط لا يبين جيده من سائر شعره بينونة شديدة(٨٩) » . وفضلوا البحتري عليه لما يمتاز به من استواء في شعره فهو يعلو ويتوسط ولا يسقط في حين ابو تمام يعلو علوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا(٩٠) .

وعاب النقاد الجعدي ايضا لاختلاف شعره . ورأى الفرزدق ان « مثله مثل صاحب الخلقان ، يرى عنده ثوب خز وثوب عصب . والى جنبه سمل كساء »(٩١) .

ونفر النقاد من كل ما يؤدي الى هذا الاختلاف في الشعر ، ويخرج الشاعر عن طبيعته وسجيته . فرفضوا المبالغة ، ورأوا فيها « استراحة من الشاعر اذا اعياه ايراد معنى حسن بالغ فيشغل الاسماع بما هو محال ، ويهول مع ذلك السامعين ، وانما يقصدها من ليس يتمكن من محاسن الكلام(٩٢) » . واعتبروها علامة ضعف لدى كثير من الشعراء وسببا في عدم تفوقهم وابداعهم واسقط بعضهم مسلما بن الوليد وابا تمام من قائمة الشعراء المبدعين لاغراقهما في المبالغة وسعيهما وراءها . ولو خلا شعر أبي تمام منها لتقدم أكثر الشعراء المتاخرين(٩٣) .

واذا كان النقاد قد رفضوا المبالغة واعتبروها دلالة ضعف في البناء الشعري ، فهم أيضا اتخذوا موقفا معاديا من الغريب والتعقيد ــ لاسيما اذا كان من غير أهل البادية ــ فالشاعر في سلوكه مثل هذا المسلك يَضِل ويُضِل ويَتعب ويُتعب ولا ينجح فتعتل الألفاظ ولا تصح المعاني(٩٤) . وعلى الشاعر ان يضع في اعتباره أن « تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق من غير أهل

٨٨ ــ الوشح ٤٦٥ .
٨٩ ــ الموازنة ١ : ٥٤ .
٩٠ ــ الموازنة ١ : ١١ وينظر الوشح ٤٦٥ .
٩١ ــ الوشح ٩٠ .
٩٢ ــ العمدة ٢ : ٥٤ .
٩٣ ــ الموازنة ١ : ١٣٩ ، ١ : ٢١ وينظر الوشح ٤٦٥ .
٩٤ ــ يتيمة الدهر ٢ : ١٥٣ وينظر اسرار البلاغة ١ : ٢٦٦ .

البادية بغض . والخروج مما بنى عليه اول الكلام اسهاب »(٩٥) .

ولم يخلص الشعراء العظام كالمتنبي رغم قدرتهم اللغوية من سهام النقد بسبب تعاطيهم الغريب وتعقيد معانيهم(٩٦) . اما الشعراء الذين كانوا يبتعدون عن الغريب ولا يستعملون الالفاظ المستكرهة ولا يرلبون القوافي الصعبة ـ مثل ابي العتاهية ـ فنالوا الثناء كل الثناء(٩٧) .

(٥)

بين العيد وحرية الحركة

نظر النقاد القدماء الى الشعر على أنه صناعة كغيرها من الصناعات لها مختصوها من النقاد الذين ليس لأحد أن يخرج على أحكامهم(٩٨) . وحاول هؤلاء قدرجهدهم أن يضعوا للشعراء مقاييس وضوابط تحدد لهم الطريق وتوضح لهم معالم الشعر الأصيل . وبذلوا جهودا جبارة في تحليلاتهم وتفصيلاتهم ودراساتهم . درسوا الفلسفة والمنطق واطلعوا على الثقافات المختلفة . وكانوا قد استوعبوا كل جزئية ـ مهما كانت دقيقة ـ في التراث القديم . وحاولوا أن يفيدوا من دراساتهم المختلفة للفلسفة والمنطق والثقافات المتعددة في دراسة اللغة عامة والشعر خاصة .

ولعل أكثر ما يعنينا في نظرة هؤلاء النقاد للشعر هو تلك النظرة التي قيدت الشعر وحدت من انطلاقته بفرضها قيودا معينة لم تسمح للشاعر أن يتجاوزها ولو على نطاق ضيق . لقد جعل بعض النقاد الشعر علما يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء والدربة « فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان »(٩٩) . وركزوا كثيرا على اهمية الخبرة والدربة لا عند الشاعر فحسب ، بل وعند الناقد أيضا « فمن سبيل من عرف بكثرة النظر في الشعر والارتياض به وطول الملابسة له ، ان يقضى له بالعلم بالشعر والمعرفة باغراضه وأن يسلم له الحكم فيه ،ويقبل منه ما يقوله . ويعمل على ما يمثله ولا ينازع في شيء من ذلك ، اذ كان من الواجب أن يسلم لاهل كل صناعة صناعتهم ، ولا يخاصمهم فيها . ولا ينازعهم الا من كان مثلهم نظيرا في الخبرة وطول الدربة والممارسة »(١٠٠)

وهذه أحكام جيدة لا اعتراض عليها بل هي من صميم العملية النقدية . ولكن ما نعترض عليه ، هو أن يحجر على الشاعر وان يوضع ضمن قوالب جامدة تمنعه من حرية الحركة كيف يشاء وتحول بينه وبين التعبير عن اهوائه وميوله كيف يريد . نحن لا نعترض على تنظيم الارادة ـ التي بدورها تنظم الانفعال ـ ولكننا نعترض على الطريقة التي وضعت لمثل هذا التنظيم ، فكثير من المقاييس والضوابط كانت تحجم من الانفعال وتمنعه من أن ينطلق ليعبر عن المشاعر والاحاسيس في الصياغة التي يرتضيها . بل نفرض على الفنان صناعات وتراكيب معينة بل وألفاظا لا يجوز له ان يتعداها « وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة ، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ، ولا أن يستعمل غيرها »(١٠١) وقنن هؤلاء النقاد الشعر وقعدوه ووضعوا له أجناسا واقساما هي أقرب الى المنطق منها الى الشعور(١٠٢) .

وكان هذا الربط الأليم بين اللغة والمنطق ، ودراسة الشعر من هذه الزاوية سببا في تحجيم الانفعال وبالتالي في الحد من قدرة الشاعر على الابداع . فقد جعل الشاعر يعيش ضمن أطر شكلية محددة تهتم بالمقاييس والمقارنات والعمليات الذهنية على حساب الخيال والمشاعر والاحاسيس . فاذا ما أبدع أحدهم فهو الابداع الجزئي في صور جزئية منفردة لا ينقاد بعضها الى بعض ولا تلتئم معا لتشكل ذلك البناء المتحد المتلاحم القائم على وحدة المشاعر .

ويبدو أن الأخطاء الخمسة التي حذر أرسطو منها الشعراء « الاستحالة أو مخالفة العقل ، أو ايذاء الشعور ، التناقض ، أو الخروج عن أصول الصناعة »(١٠٣) كانت بمثابة الضوء للنقاد العرب

٩٥ ـ البيان والتبيين ١ : ٤٤ .
٩٦ ـ يتيمة الدهر ١ : ١٥٧ .
٩٧ ـ الاغاني ٤ : ٤٠ .
٩٨ ـ طبقات فحول الشعراء ١ : ٤ ونقد الشعر ٦٥ ودلائل الاعجاز ١٦٦ .
٩٩ ـ الوساطة ١٥ .

١٠٠ ـ الموازنة ١ : ٤١٤ وينظر عيار الشعر ٢ .
١٠١ ـ العمدة ١ : ١٢٨ وينظر الوساطة ٥٤ .
١٠٢ ـ العمدة ١ : ١٢٠ ونقد الشعر ٦١ ، ٦٩ ، ٩٦ والشعر والشعراء ٨ والموازنة ١ : ٢٦ ، ٤ .
١٠٣ ـ الشعر ١٥٢ .

المنطقيين ـ أو الذين فهموا اللغة على اساس منطقي ـ كي يحتذوا بها ويسيروا ضمن حدودها مهاجمين من يخرج عليها • وقد كان لهذه النظرة المنطقيه خطرها الكبير على مفهوم الناقد لعملية الفن نفسها • فقدامه في تعريفه للشعر الجائز عما ليس بشعر : « وليس يوجد في العباره عن ذلك ابلغ ولا اوجز مع تمام الدلاله من ان يقال فيه : انه قول موزون مقفى يدل على معنى »(١٠٤) •

وفي هـذا التعريف حيف كبير ووهـم خاطئ للعمليه الفنيه نفسها ، فليس الوزن والقافيه والمعنى سوى لبنات ضمن عمليه البناء الصحم تؤدى دورها كما تؤديه بقيـه العناصر • وتكتسب اهميتهـا بمقدار تاديتها لهذا الدور • فالتعريف يهمل الخيال والمشاعر ودورهما العظيم في الاداء والبناء كما يغفل عن عمليه الابداع نفسها •

وقد ذهبوا يبنون على هذا المفهوم كثيرا من المقاييس الخاطئه ، فاذا كان الشعر معنى • فينبغي ان يكون المعنى « مواجها للغرض المقصود غير عادل عن الامر المطلوب »(١٠٥) •

وعلى هذا فالشاعر لا يحق ان يجمح به الخيال فيبتعد ولـو قليلا عن موضوعه ، وانمـا ينبغي ان يلزمه ظله وان يتقيد بالواقع فـلا يخرج عنـــه فالوصف انما هو «ذكر الشيء كما فيه من الاحوال والهيئات»(١٠٦) • والبلاغـه هي أن تكـون الالفاظ قوالب للمعاني فيكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه(١٠٧) • والشاعر في هذا انما يساير قاعدة عامـة ونظاما خاصا درج عليهما العرب ولا يسوغ له مخالفتهم بأى حـال والعـرب « شبهت الشيء بمثله تشبيها صادقا على ما ذهبت اليه في معانيها التي أرادتها ـ وأحسن التشبيهات ما اذا عكس لم ينتقض ، بل يكون كل شبه بصاحبه مثل صاحبه ، ويكون صاحبه مثله متشبهاً به صورة ومعنى »(١٠٨) •

وحتى عندما تناول بعض القدماء الاستعارة التي هي أقرب لون الى الخيال ، كان يعنيهم منهـا الوضوح والقرب أكثر مما تعنيهم القدرة على التخيل « فالقصد فيها التوسط والاجتزاء بما قرب وعرف والاقتصـار على ما ظهر ووضح »(١٠٩) •

ولعل عبدالقاهر الجرجاني هـو أكثر النقاد الذين فهموا قيمة الاستعارة ودورها داخل الاثـر الفني ومدى ما تقدمه من دفع لعملية الابداع الفني • لقد رأى فيها ضربا من التشبيه ونمطا من التمثيل ، ولكنه رأى أن هذا التشبيه أو التمثيل لا قيمة لـه تذكر اذا لم تعيه القلوب وتدركه العقول وتستفتي فيهالافهام والأذهان لا الاسماع والاذان•والاستعارة لا قيمة لها اذا لم تقع موقعها ولم تصب عرضها في حسن ترتيب يتكامل معه البيان بحيث يصل المعنى الى القلوب مع وصول اللفظ الى السمع ويستقر في الفهـم مـع وقـوع العبارة في الأذان(١١٠) فدرس الاستعارة ضمن صمام الأمان الذي عن طريقه تنصهر سائر عناصر النص في شبه اتحاد لتؤدى دورهـا وتنقل تاثيرها •

ان هذا الوضوح الذي طالب به النقاد العرب والحوا عليـه وقرنوا لفظ البيان بمدى القدرة على اظهاره(١١١) ، كان سببا في كسر حدة المد العاطفي فحال بينه وبين الوصول الى مـداه واضحى حجـر عثرة امـام الفنان يقف بينـه وبين تحقيق قدرته الابداعية •

ثم كانت ظاهرة الوقوف باللغة عند حدود معينة لا يجوز للشاعر أن يتعداها أو أن يقيس عليها حيث « ينبغي أن ننتهي باللغة الى حيث انتهوا ولا نتعداه الى غـيره فان اللغـة لا يقاس عليها »(١١٢) أقـول كانت سببا في تقوقع الشاعر ضمـن أطـر محددة معينة يظل يصول ويجول خلالها فيكرر نفسه وينحصر ابداعه ضمن جزئيات محـدودة من فكرة وحسه ولا يكاد يربـط بينها رابط • ومن غريب المفارقات أن شاعرا كالمتنبي وآخـر كالمعري ينبذان من قائمة الشعراء وتنفى عنهما صفة الشاعرية لدى بعضالنقاد لكونهما لميجريا علىأساليب العرب(١١٣)

---

١٠٤ ـ نقد الشعر ٦٤ •
١٠٥ـ نقد الشعر ٩١ •
١٠٦ـ المصدر نفسه ١٢٠•
١٠٧ـ المصدر نفسه ١٥٣ •
١٠٨ـ عيار الشعر ١٠ •

١٠٩ـ الوساطة ٣٢؛ وينظر المثل السائر ٢ : ١١٥ •
١١٠ـ اسرار البلاغة ١ : ١١٢وما بعدها •
١١١ـ البيان والتبيين ١ : ٧٥ •
١١٢ـ الموازنة ٢ : ٢٥ •
١١٢ـ مقدمة ابن خلدون ١ : ١١٠٧ •

ومع تقديرنا لكثير مما قدمه النقاد العرب من اراء واحكام . الا اننا لا نتفق مع وجهات النظر التي تعمل على ايقاف حرية الشاعر او تحد من قدرته على الانطلاق للتعبير عن مشاعره وانفعالاته حتى لو ادى به الامر الى ان يغمض أحيانا او يخالف نهجا متفقا عليه في حدود يظل بها ملتزما بما هو واجب وضروري . فعالم الشاعر يتصف بالحرية ، والشاعر العظيم يحلق عالمه اللغوي الخاص به ، بقوانينه التي تميزه ، وهو يحطم الشكل والعلاقات والتراكيب التي فرضها المجتمع على اللغة ثم يبني شكلا وعلاقات وتراكيب جديدة حية تنبع من تجربته الحية ورؤيته المباشرة(١١٤) . والشاعر الكبير « يحلق في سماء من الخيال وينشد الحرية في فنه فلا يسمح لقيود اللغة ان تلزمه حدا معينا لا يتعداه ، بل يلتمس التخلص من تلك القيود كلما سنحت له الفرص فهو في أثناء نظمه لا يكاد يفكر في قيود التعابير الا بقدر ما تخدم تلك التعابير أغراضه الفنية وبقدر ما تعينه على الفهم والافهام ؛ له ان يقتطف من الصور والأخيلة ما يحلو له وما يحقق رغبته الفنية ويشبعها . فلا غرابة أن نرى في ترتيب كلماته أمرا غير مألوف أو معهود »(١١٥) .

ومن الطريف أن الشاعر البحتري أدرك في قوله(١١٦) :

كلفتمونا حدود منطقكم
في الشعر يلغى عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج (م)
بالمنطق ما نوعه ، وما سببه
والشعر لمح تكفي اشارته
وليس بالهذر طولت خطبه

أن هناك فئة من النقاد تلزم الشعراء بالسير ضمن اطار المنطق واضعة مقاييس تتنافى والعملية الفنية نفسها مع أن الشعر لا يجرى هذا المجرى ولا يسير هذا المسار ، ولا يعتمد على القول المحقق أو ما يقطع به البرهان وانما يكفي فيه التخييل والذهاب بالنفس الى ما ترتاح اليه من التعليل حتى يبدع الفنان ويقدم خلاصة فكره ومشاعره(١١٧) .

١١٤ـ دراسات في الشعر والمسرح ٤٩ .
١١٥ـ من اسرار اللغة ٢٤٨ .
١١٦ـ ديوانه ١ : ٢٣٤ .
١١٧ـ اسرار البلاغة ٢ : ١٢٢ .

كما أن أبا العتاهية أدرك أن الشعر وانشاده يحتاجان الى رقة وطبع فائض وليس هو عملية تعليمية لها أصولها وقواعدها(١١٨) .

(٦)

بين العقلانية والطبيعة النفسية

كان الاتجاه الكلاسيكي المتشدد الذي اتخذه النقاد القدماء سببا في تبلور نظرية عمود الشعر ، هذه النظرية التي اصبحت من الصلابة بحيث لا يسمح بالثورة عليها . وأدى هذا الى أن يصاب الشعر العربي بانتكاسة كبيرة ، فقد حرم من أهم ظاهرة تدفعه الى الامام ، وهي ظاهرة التخيل والتماس أبعاد جديدة وتصورات غير تقليدية .

واصبحت نظرية عمود الشعر لدى النقاد مقياسا للتفاضل بين الشعراء والحكم الفاصل بين الجيد والرديء منهم(١١٩) فالآمدي يرفض المساواة بين أبي تمام والبحتري وجعلهما طبقة واحدة « لأن البحتري اعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف ... ولأن أبا تمام شديد التكلف ، صاحب صنعة ، ويستكره الألفاظ والمعاني ، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ولا على طريقتهم(١٢٠) بل ان البحتري نفسه يتخذ من اتباعه لعمود الشعر ميزة يفخر بها ـ رغم أنها تقليدية ـ ويضعها ندا أمام اختراعات أبي تمام وابداعاته « كان أغوص على المعاني مني ، وأنا اقوم بعمود الشعر منه »(١٢١) .

كان لهذه الآراء والنظرات النقدية اثرها في الحد من الانفعال لدى الفنان . وساهمت الى حد كبير في تحطيم القدرة الابداعية المتجددة لكثير من الفنانين والشعراء على مدى زمن طويل . فقد رسخ

١١٨ـ الموشح ٥٦٦ .
١١٩ـ مقدمة شرح ديوان الحماسة ٩ والوساطة ٣٣ .
١٢٠ـ الموازنة ١ : ٤ .
١٢١ـ الموازنة ١ : ١٢ .

النقاد القدماء نظرياتهم ودعموها بمفاهيم لغويـة وعقلية وفلسفية • بحيث أضحت هذه النظريات أشبه بالقوانين الملزمة واضحى الخروج عليها يعني الخروج من دائرة الصواب الى الخطا ثم السقوط •

واذا كان النقاد قد أولوا قدرا كبيرا من اهتمامهم الى الجانب اللغوي كمظهر خارجي لعملية البناء الفني فقد كان كثير منهم على وعي تام بقيمة الدوافع الداخلية في اتمام هذه العملية والخروج بها من التخبط في فلسفات اللغة ومشاكلها الى الرؤيـة الداخلية والتغلغل في أعماق النفس لمعرفة مدى ما كان لهذا الأثر الفني أو ذاك من تاثير على السامع او القارىء •

حقا ان الجوانب اللغوية والنحوية وما يتبع ذلك من تقسيمات شكلية كانت سمة غالبة ، ولكن هذا لم يحل بين النقاد والشعراء وبين طرح آراء لهم كانت تعدو هذه الارتباطات والقيود ، واذا آراؤهم هذه تغطي على ضعفهم وعجزهم السابق لتظهر نقدا أصيلا ، لا أقول قائما على العلم ، ولكنه في غالب الأحيان النقد مخضته التجربة واستساغه الذوق وقبلت به القلوب قبل العقول •

فالاصمعي يخرج لبيد من طبقة الفحول وينفي عنه جودة الشعر « شعره كانه طيلسان طبرى ، جيد الصنعة وليست له حلاوة»[١٢٢] •

ويفضل بشار على مروان ، رغم أن مروان شاعر مقلد وآخذ بمسالك الأوائل في حين كان بشار مجددا غزير الشعر كثير الفنون قديرا على التصرف[١٢٣] • وهذا في حد ذاته فيه خروج على النظرات سالفة الذكر التي كانت تقوم اصالة الفنان بمدى تقليده وتبعيته •

وأدرك كثير من النقاد أن قيمة الفن تكمن في مدى ما يبعثه من أثر في النفس بحيث تمتزج مشاعر الفنان بمشاعر السامع أو القارىء «فالكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان »[١٢٤] • واعظم ما يكون الفن عندما يصدر من ذات متاثرة ومؤثرة « ما رأيت دمعة ترقرق في عين وتجرى على خد ، احسن من عبرة أمطرتها عينها ، فاعتسب لها قلبي»[١٢٥] •

وعظمة الشعر تكمن في قدرته على الاثارة وهز النفوس وتحريك الطباع[١٢٦] • وأفضله « ما لم يحجبه عن القلب شيء »[١٢٧] •

وهذا يقودنا الى ظاهرة هامة وهي أن النقاد ادركوا مدى ارتباط العملية الفنية بالطبيعة النفسية، فالفنان مهما كان حاذقا ماهرا صانعا ، فليس هذا شرطا كافيا ليؤثر بفنه على الغير • فاذا أراد أن يملك هذا التاثير فعليه أن يكون خبيرا بمعرفة النفوس وما تفكر به وما تميل اليه فينظر في أحوال المخاطبين قاصدا محابهم وشهواتهم مبتعدا عما يكرهونه وينفرون منه « فالنفس بطبيعتها تسكن الى ما وافق هواها وتقلق مما يخالفه ، ولها أحوال تتصرف بها ، فاذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له وحدثت له اريحية وطرب ، واذا ورد عليها ما يخالفها قلقت واستوحشت »[١٢٨] •

ونظرا لهذا الارتباط الكبير بين الفن والطبيعة النفسية ، أدرك بعض النقاد أن مرد الحكم على نجاح العمل الفني أو اخفاقه ينبغي أن يرد أولا وقبل كل شيء الى مدى قبوله والتأثر به نفسيا • فليس الأمر في القدرة على الصياغة أو التهذيب أو التنقيح ، ولا يعود الأمر في الحكم الى ظاهر الوضع اللغوى بأي حال من الأحوال وانما يرجع الاستحسان أو عدمه الى مدى وقع الأثر في الفؤاد[١٢٩] •

وهذه ظاهرة لا مجال للشك في صحتها « فكم من أثر فني هذب كل التهذيب وثقف غاية التثقيف وجهد فيه الفكر ، واتعب لأجله الخاطر ، حتى احتمى ببراءته عن المعائب ، واحتجز بصحته عن المطاعن ، ثم تجد لفؤادك عنه نبوة ، وترى بينه

١٢٢ـ الموشح ١٠٠ •
١٢٣ـ المصدر نفسه ٣٩١ •
١٢٤ـ البيان والتبيين ١ : ٨٣ •
١٢٥ـ الصناعتين ٣٠٩ •
١٢٦ـ العمدة ١ : ١٢٨ •
١٢٧ـ المصدر نفسه ١ : ١٢٢ •
١٢٨ـ عيار الشعر ٦ وينظر العمدة ١ : ٢٢٢ والصناعتين ٧١
١٢٩ـ اسرار البلاغة ١ : ٩٧ •

وبين ضميرك فجوة . فان خلص اليهما فبان يسهل بعض الوسائل اديه ويمهد عندها حاله فاما بنفسه وجوهره وبمدانه وموقعه فلا "(١٣٠) وعلى هذا فان الشعراء الذين ارهقوا انفسهم وقصروا جهدهم على سلامة الوزن واقامة الاعراب واداء اللغة والبحث عن الكلام المروق والكلام المزوق ، هم في الحقيقة اقل الناس حظا في هذه الصناعة لانهم عنوا بالجانب الشكلي ، واهملوا علاقة النسب بين الالفاظ والمعاني ثم الصلة العظيمة التي تربط بين الفنان وشعره ثم بينه وبين سامعيه"(١٣١) . فالشعر ليس شيئا تعليميا . وليس هو معلومات تتحمل الصواب والخطأ وانما هو اولا وقبل كل شيء مشاعر واحاسيس تتدفق من الفنان وعظمتها في مدى قدرتها على ان تتغلغل في النفس البشرية . فتجد هذه النفس فيها امالها وتطلعاتها والامها ومعاناتها . ومن اجل هذا اختلف الشعراء فيما بينهم ، فالشعراء الذين عاملوا الشعر معاملة المنطق اخفقوا والشعراء الذين بنوا شعرهم على الطبيعة النفسية تفوقوا وابدعوا . وذلك لان هؤلاء وضعوا نصب اعينهم ان يصلوا القلوب وان يمسوا المشاعر في حين كان هم اولئك دقة الصناعة وجمالها وبعدها عن الخطأ غافلين عن حقيقة هامة مؤكدة وهي ان "الشعر لا يحبب الى النفوس بالنظر والمحاجة ، ولا يحلى في الصدور بالجدال والمقايسة ، وانما يعطفها عليه القبول والطلاوة ، ويقربه منها الرونق والحلاوة ، وقد يكون الشيء متقنا محكما ، ولا يكون حلوا مقبولا ، ويكون جيدا وثيقا وان لم يكن لطيفا رشيقا . وقد يجد الصورة الحسنة والخلقة التامة مقلية ممقوتة وأخرى دونها مستحلاة مرموقة"(١٣٢) .

ومن هذه الزاوية مضى بعض النقاد يلحون على مانسميه معاملة الكلمة ومعرفة ايقاعها وقدراتها الايحائية فالى جانب الجمال الشكلي ينبغي أن ينظر الى المضامين الداخلية والى ما تحمله الكلمة من قوى شعورية قد تصلح في مجال ولا تصلح في مجال اخر فالكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع اخر"(١٣٣) وهنا تتدخل قدرة الشاعر المبدعة الرائدة لتميز وتختار وتنتقي . وهو في هذا الانتقاء لا يجري خلف الالفاظ الرشيقة لرشاقتها وانما لكونها تمثل — الى جانب الرشاقة — جزء متمما من الاحساس والمشاعر اللازمة في مثل هذا المجال ، فالالفاظ بكل ما تحمله من معان ومشاعر "انما نراها بعيون القلوب ، فاذا قدمت منها مؤخرا ، أوأخرت منها مقدما ، افسدت الصورة وغيرت المعنى"(١٣٤) .

ومن هنا تظهر الاهمية العظيمة لارتباط اللفظ بالمعنى . تلك الظاهرة التي دار الجدل حولها كثيرا ، والتي نعتقد القديم قد اخفق في فهمها . حقا ان النقاد القدماء تحدثوا عن اللفظ والمعنى حديثا يكاد يفصل بين كل منهما — وذلك تأثرا بالنظرة المنطقية القائمة على الفكر اكثر منها على المتذوق — ولكن هؤلاء النقاد لا يكادون يصرفون زاوية فنية الا واوحوا بمدى الارتباط العظيم بين اللفظ والمعنى لا من حيث الجانب الشكلي فحسب وانما من الجانب العاطفي والنفسي أيضا . فالجمال الشكلي هو في الحقيقة جزء لا يتجزأ من الجمال العام الذي يسعى اليه الفنان فاذا منح الفنان القدرة العظيمة على المزج بين اللفظ والمعنى "وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع الغيث في التربة الكريمة"(١٣٥) .

وقد ادرك النقاد مدى تاثير القيمة الجمالية للفظ على الاذهان والاسماع وادركوا مردودها على القلب أيضا وأحسوا بحسهم العظيم دلالات الالفاظ وايحاءاتها "فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار . والألفاظ الرقيقة كأشخاص ذوي دماثة ولين ولطافة مزاج . ولهذا ترى الفاظ ابي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم ، وتأهبوا للطراد ، وترى الفاظ

١٣٠ـ الوساطة ٤١٢ .

١٣١ـ المصدر نفسه ٤١٣ .

١٣٢ـ الوساطة ١٠٠ وينظر الصناعتين ١٨٧ .

١٣٣ـ دلائل الاعجاز ٣٢ وينظر المثل السائر ١ : ٢١١ .

١٣٤ـ الصناعتين ١٧٩ .

١٣٥ـ البيان والتبيين ١ : ٨٣ .

١٣٦ـ المصدر نفسه ١ : ٢٥٤ .

البحتري كأنها نساء عليهن غلائل مصبغات ، وقد تحلين بأصناف الحلى[137] .

والنص عظيم الدلالة على مدى الارتباط القائم بين اللفظ وبين الحس ، بين الدلالات والايحاءات التي يحملها اللفظ وبين وقع ذلك جميعا على الشعور . وهذا الفهم لقيمة اللفظ في الأداء هو الذي جعل النقاد يطالبون الشعراء بأن لا يجروا على نمط واحد ، بل ان يجعلوا الفاظهم مناسبة لموضوعاتهم ، فالغزل والافتخار والمديح والهجاء والوعيد والهزل كل له رتبته وكل ينبغي أن يوفى حقه . وقد بنى النقاد كثيرا من احكامهم بناء على القدرة المتوافرة للشعراء في استخدام اللفظ المعبر الموحي ، فابو تمام رب معان وفكر يهمه الاغراب والابتكار ، والبحتري وفق جدا بين الفاظه ومعانيه واحساساته فاذا شعر غنى ، والمتنبي سما في وصف المعارك ، فاذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، واشجع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلا[138] وسواء أكان الشعر صدقا أو بكاء أو كذبا أو حقيقة فان عظمة الفنان تكمن في قدرته على التناول والاداء وفي حدسه المبدع لمعرفة ما يجول في الخواطر ، سئل النصيب الا تخبرنا عنك وعن اصحابك ؟ قال : بلى ، جميل اصدقنا شعرا وكثير أبكانا على الظعن ، وابن أبي ربيعة آكذبنا ، وانا أقول ما أعرف[139] .

ظاهرة أخرى اعطاها النقاد حقها من العناية والاهتمام لما لها من ارتباطات نفسية وشعورية ، وهي علاقة التمثيل والتشبيه بالطبيعة النفسية وشدة ارتباطهما بها . فاذا كان للفظ كل تلك الدلالة الايحائية اذا أحسن اختياره والتوفيق فيما بينه وبين الغرض الدال عليه ، فالتمثيل له أيضا دلالته العظيمة وقدرته على التأثير النفسي اذا جاء في موقعه . فالطبيعة البشرية تظل مترددة حائرة كلما واجهتها مشكلة أو اصطدمت بعقبة . فاذا كان الأمر يتعلق بالعواطف فان الحيرة تزداد ويضطرب الذهن في البحث عن حل ، ومهمة الفنان هنا تكمن ، في قدرته على وضع الأمور في نصابها بالمثال والمثالين واذا الابهام ينكث والغموض ينجلى واذا النفس تجد راحة وأنسا . فانس النفوس على أن تخرجها من خفي الى جلي ، وتاتيها بصريح بعد مكنى ، وان تردها في الشيء تعلمها اياه الى شيء آخر هي بشأنه أعلم ، وثقتها به في المعرفة احكم ، نحو أن تنقلها عن العقل الى الاحساس ، وعما يعلم بالفكر الى ما يعلم بالاضطرار والطبع[140] . ومن الطبيعي أن الشيء اذا نيل بعد شدة طلب ، وبعد الاشتياق الزائد اليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالميزة أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وكانت به أضن وأشغف والتمثيل اذا امتزج بالمعاني المعبر عنها أو امتزجت هي به بحيث يبدو الاثنان في صورة واحدة ، فانه يرفع من قدر المعاني ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعوة القلوب اليها ، ويستثير لها من أقاصى الأفئدة صبابة وكلفا ويقصر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفا[141] .

أما التشبيه فله اثره الكبير في العلوق بالنفس ، وبعث الهوى في القلوب ، وهو في يد الفنان أشبه بالعصا السحرية ، عن طريقة يلملم الأشياء ويجمع بينها ويبعث الحياة في مواتها وكلما كان التباعد كبيرا بين الشيئين اللذين يتناولهما الفنان كلما كان ذلك في النفوس أعجب وكلما بعث الطرب والأريحية وأثار دفائن النفوس ، فعن طريق التشبيه يمكن للفنان أن يؤلف بين المتباينات ويختصر المسافات ويجمع المتضادات[142] . وكلما استطاع الفنان ان يتحكم بصوره وأن يطوع اللغة لخدمة هذه الصور كلما تمكن من أن يستولى على هوى النفس وينال الحظ الأوفر من ميل القلوب .

وينبغي على الفنان أن يضع في الاعتبار أن التفاوت الجمالي والشعوري في الصور لا يقوم على مدى صحة هذه الصور أو قربها من الحقيقة بل على

١٣٧- المثل السائر ١ : ٢٥٢ .
١٣٨- المثل السائر ١ : ١٥ .
١٣٩- الموشح ٢٢١ .

١٤٠- اسرار البلاغة ١ : ٢٢٤ .
١٤١- اسرار البلاغة ٢٢٥ ، ٢٦٣ .
١٤٢- المصدر نفسه ١ : ٢٤٧ .

مقدار ممازجتها للقلب وعلوقها بالنفس ولياقتهـا بالطبع(١٤٣) . ولعل هـذا ما جعل بعضهم يحكم لجرير بالتفوق على الفرزدق ، فقد استطاع جرير أن يخاطب شعور العامة وأن يصل الى افئدتهم ، في حين اقبل الفرزدق على لغة خاصة لم تحظ بالقبول الا لدى العلماء(١٤٤) .

كما أن التفاوت الجمالي والشعوري في الصور يعود الى القدرة الابداعية عند الفنان نفسه ، فقـد يتنـاول كثير من الفنانين صورا مشتركـة فيجيد أحدهم ويخفق الآخر . وما ذلك الا لأن هذا أحاط نفسه بسوار من التقليد والتكرار في حين تناول ذاك المعاني المشتركة المبتذلة وعرضها في اطار جديد فيه جدة وفيه ابداع وفيه اختراع(١٤٥) .

خاتمـة :

مما تقدم نرى أن النقاد القدماء طرحوا آراء كثيرة لهـم فيما ينبغي أن تقوم عليـه عملية البناء الفني . وقدموا نظراتهم في مفهوم الابداع ومقوماته، وعلاقـة ذلك جميعه بالانفعـال وكرسوا كثيرا من وقتهم وجهدهم لارساء مفاهيمهم وتاطيرها . وهم وان كانوا لم يستطيعوا أن يوصلوا نظرية واضحة لهذه العلاقة، فان آراءهم اتخذت في كثير من الاحيان شبه رسوم ثابتة وقواعـد راسية ظلت على مـدى قرون تمثل النموذج الافضل لمن اراد ان يمارس عملية الفن .

نظروا في مفهوم الالهـام والصنعة والموهبـة والارتجال ، وكانوا في هـــذا جميعه يحاولون ان يضبطوا عملية البناء ضبطا دقيقا . وأن يحـددوا للفنان طرقا مرسومة يسير عليها دون عناء .

حقـا ان النقاد سـواء في تاطيـرهم للقواعد والآراء او في نظرتهم المنطقية للغة قد حدوا من حرية الفنان وحالوا بينه وبين الانطلاق للتعبير عن مشاعره في كثير من الاحيان ؛ وفي هذا ما فيه من خطورة ،

ولكننا لا ننكر أن هؤلاء النقاد قد قدموا في أحيان كثـيرة آراء صـائبـة فـي قضـايـا تعتبر من صميم النقد وذات صلة كبيرة بعمليـة البناء . وامسكوا بالخيط الدقيق الذي يربط بين هذه القضايا وبين النفس البشرية .

حقا ان آراءهم كانت فردية وان نقدهم كان جزئيا مبنيا على التذوق ولكن هذا التذوق اتخذ صفة الثبات غالبا لكونه مبنيا على التجربـة والممارسة والدربة ومن ثم جاءت آراؤهم - رغم بساطتها - أشبه ما يكون بلبنات صلبة راسخة متماسكة شكلت عبـر الزمن بنـاء متلاحما لـــه قوانينه وقواعده وشخصيته .

وهم في مفهومهم للابداع درسوا الشعر فنا نابعا من الالهـام ، ودرسوه فنا قائمـا على الصناعـة ، ودرسوا دوافع الشعر على اختلافها وتوصلوا الى ان الفن العظيم يكمن خلفه دوافع واثارات بناءة وان عملية البناء الفني تكتسب اصالتها وعمقها من كونها قائمة على انفعال خلاق . وادراك النقاد اهمية الموهبة في عمليـة الخلق ، فالانفعال مهما كانت قوتـه ، والتجربة مهما كانت حدتها يظلان في حاجة ماسة الى شيء آخر هو الموهبة او القدرة الخلاقة التي تحول التجربة والانفعال الى خلق فني مبدع .

وتنبه النقاد الى أهمية التهذيب في عملية البناء . فاذا كان الانفعال يسمو بالأثـر الفني ، فان مثل هذا الانفعال جدير بالملاحظة اذا مـا جمح أو خفت ، ففي جموحه خروج عن المألوف وفي خفوته ضعف في الاداء يؤدي الى خلخلة البناء وتهاويه .

ومن ثم ركز النقاد على ماسموه بالطبع المهذب، حيث نحس أن مشاعر الفنان تتدفق فعلا ، ولكنه التدفق المنظم المنضبط الذي يبدو فيه الفنان ممسكا بزمام مشاعره بارادة ثابتة قادرة على توجيه هذه المشاعر نحو هدفها . وهذا يتطلب بالتالي أن يكون الفنان ذا قدرة عظيمة على تطويع اللغة والتصرف بها ؛ فلا ينصرف الى البهرجة والزخرف والشكل فتبعده عن غايته ؛ ولايجذبه الغريب فيطوح به في متاهات تعجزه وتعجز القارىء معه .

١٤٣- الوساطة ٤١٢ وينظر دلائل الاعجاز ٣٠ .

١٤٤- الاغاني ٨ : ٧٩ .

١٤٥- ينظر الوساطة ١٨٦ .

وقد وجه النقاد كثيرا من اهتمامهم للغة الشعر ، ودرسوها دراسة وافية • واذا كان النقد القديم قد قدم دراسات جيدة في هذا المجال ، فان مثل هذه الدراسات في الحقيقة ، ظلت ناقصة في كثير من جوانبها • ولعل أهم هذه الجوانب وابرزها هو ذلك الجانب الدراسي الذي ربط اللغة بالمنطق فقاد النقاد الى متاهات المقاييس والمقارنات والعمليات ، الذهنية ، وحصر الابداع في اطر شكلية لا علاقة بينها وبين النفس • مما ساهم في تحجيم الانفعال وحد من قدرة الفنان على الابداع •

وساعد على هذا التحجيم أيضا تلك النظرة الداعية الى الوقوف باللغة عند حدود معينة لا يُسمح بتجاوزها • فقد وقفت الحدود والقوالب والاطر التي فرضوها سدا منيعا حدّ من قدرة الفنان على التخيل ومنعه من ان ينطلق كيف يشاء •

ولكن هذا لا يعني ان النقاد وقفوا عاجزين عن فهم الجانب النفسي والشعوري للغة • فقد ادرك بعضهم ان عظمة الفن تكمن في قدرته على التأثير فعالجوا الفن من هذه الزاوية رابطين بين الدلالات النفسية ، واضعين في الاعتبار ان اللغة بما فيها من الفاظ وصور وايحاءات ، ليست سوى انعكاسات للنفس البشرية في مختلف أهوائها وحالاتها • حقا ان هذه النظره كانت على نطاق ضيق ، ولم تأخذ سمة نظرية تصمد أمام النظرية القديمة المتأصلة التي ترجح الجانب العقلي والمنطقي للغة ، ولكن هذا لم يمنع أن يكون لها مريدوها واتباعها من النقاد والشعراء •

مصادر البحث ومراجعه

١ ـ ابن الرومي ، حياته من شعره
عباس محمود العقاد
دار الكتاب العربي ـ بيروت ط ٧ ـ ١٩٦٨م

٢ ـ أسرار البلاغة
عبدالقاهر الجرجاني
تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي
مكتبة القاهرة ـ ط ١ ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م

٣ ـ الأغاني
أبو الفرج الاصبهاني
مصور عن طبعة دار الكتب ـ نشر المؤسسة المصرية العامة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م

٤ ـ الأمالي
أبو علي القالي
دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

٥ ـ البيان والتبيين
أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيق عبدالسلام محمد هارون
ط ٣ ـ ١٣٨٨هـ

٦ ـ جمهرة اشعار العرب
أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي
دار المسيرة ـ بيروت ١٩٧٨م

٧ ـ دراسات في الشعر والمسرح
د • مصطفى بدوي
دار المعرفة ـ القاهرة ١٩٦٠م

٨ ـ دلائل الاعجاز
عبدالقاهر الجرجاني
مكتبة القاهرة ـ ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م

٩ ـ ديوان ابن الرومي
تحقيق د . حسين نصار
مطبعة دار الكتب ـ القاهرة ١٩٧٤م

١٠ـ ديوان أبي الطيب المتنبي
شرح أبي البقاء العكبرى تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي
القاهرة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م

١١ـ ديوان لبيد
دار صادر ـ بيروت ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م

١٢ـ ديوان البحترى
دار صادر ـ بيروت

١٣ـ رسالة الغفران

ابو العلاء المعرى تحقيق د ٠ عائشة عبدالرحمن
دار المعارف ـ القاهرة ط٦ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م

١٤ـ شرح ديوان الحماسة

أبو علي احمد بن محمد بن الحسن المرزوقي
تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون
لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م

١٥ـ الشعر والشعراء

ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم تحقيق أحمد محمد شاكر
دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٦م

١٦ـ الشعر

ارسطو طاليس تحقيق وترجمة :
د ٠ شكرى عيـاد
دار الكاتب العربي القاهرة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م

١٧ـ الصناعتين ، الكتابة والشعر

أبو هلال العسكرى تحقيق د ٠ مفيد قميحة
دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م

١٨ـ طبقات فحول الشعراء

محمد بن سلام الجمحي تحقيق محمود محمد شاكر
مطبعة المدني ـ القاهرة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م

١٩ـ العمـدة في محاسـن الشعر وآدابه ونقـده

ابو علي الحسن بن رشيق القيروانى
تحقيق محيي الدين عبدالحميد
مطبعة السعادة بمصر ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م

٢٠ـ عيار الشعر

محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي
تحقيق د ٠ طه الحاجرى ود ٠ محمد زغلول سلام
المكتبة التجارية ـ القاهرة ١٩٥٦

٢١ـ فن الشعر

هوراس : ترجمة د ٠ لويس عوض
الهيئة المصرية العامة ـ ١٩٧٠م

٢٢ـ المأدبـة

افلاطون : تعريب وليم الميرى
ط ١ ـ ١٩٥٤

٢٣ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين ابن الاثير تحقيق د ٠ أحمد الحوفى و د ٠ بدوي طبانه
مكتبة نهضة مصر ط١ ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٦م

٢٤ـ معاهد التنصيص

عبدالرحيم بن أحمد العباسى تحقيق محمـد محيي الدين عبدالحميد
عالم الكتب ـ بيروت ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م

٢٥ـ معجم الادباء

أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي
تحقيق أحمد فريد الرفاعي
دار احياء التراث العربي بيروت ـ لبنان

٢٦ـ مقدمة ابن خلدون

عبدالرحمن بن خلدون
مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر بيروت ـ ط٣

٢٧ـ الموازنة بين شعر ابي تمام والبحتري

أبو القاسم الحسن بن بشر الامدى تحقيق السيد أحمد صقر
دار المعارف ـ القاهرة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م

٢٨ـ الموشح

ابـو عبيدالله محمد بن عمران بـن موسى المرزباني تحقيق علي محمد البجاوي
دار نهضة مصر ـ ١٩٦٥م

٢٩ـ النقد الادبي الحديث
د · محمد غنيمي هلال
دار النهضة العربية ـ القاهرة ط٤ ـ ١٩٦٩م

٣٠ـ نقد الشعر
ابو الفرج قدامه بن جعفر تحقيق كمال مصطفى ·
مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٣م

٣١ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه
القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي
مطبعة عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٦٦م

٣٢ـ يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر
ابو منصور الثعالبي تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد
دار الفكر ـ بيروت ط٢ ١٩٧٣م ـ ١٣٩٤هـ

دفاع عن النحو العربي

الدكتور
نعمة رحيم العزاوي
معهد تطوير تدريس العربية

لم يعرف نحو لغة من اللغات ما عرفه النحو العربي من برم اهله به ، ونعتهم اياه بالصعوبة والتعقيد ، ولم تقصر أمة في معرفة نحوها والإلتزام باصوله وضوابطه مثلما قصرنا في نحونا : واظهرنا ومازلنا نظهر ، من الجهل به ، والتحلل من قيوده ورسـومه ..

والحقيقة ان نحو أي لغة ، ماهو الاصورة لها ، ومرآة تعكس خصائصها وميزاتها ، فاذا علمنا ان العربية ، هي لغة أجمع القريب والبعيد على وصفها بالجمال والدقة والوضوح ، ادركنا ما لحق النحو العربي من ظلم ، وما حمل عليه من ضيم ، فليس معقولا ان تكون اللغة جميلة ودقيقة ، ثم يكون نحوها صعبا ومعقدا ، يضيق به اهله ، وينصرفون عن قـواعـده ...

ولعل النحو العربي لم يعرف الخصوم . ولم يشهد توالي الحملات عليه ، ومواصلة الاتهام له ، الا في هذا العصر ، الذي فسدت فيه السلائق . ووهنت الملكات ، واستشرى التعبير العامي وانزوت الفصحى ، حتى لاذت ببطون الكتب ، واعتصمت بالسنة قلة من العلماء وهؤلاء ايضا لا يستخدمونها بطلاقة ، عندما تضمهم قاعة درس اويشتمل عليهم مجلس علم ..

لقد اقترن الهجوم على النحو العربي في هذا العصر ، بظاهرة لغوية واضحة هي فساد السليقة ، وغياب المناخ اللغوي الصالح ، الذي يربي الملكة ، ويرسخ ضوابطاللغة ومواضعاتها السليمة في نفوس المتكلمين . وهذا يعني أن مادة النحو ليست السبب الاول لهذا الضعف اللغوي الذي استولى على ابناء العربية ، وتمكن من السنتهم وتجلى في جهلهم بأبسط قواعد اللغة وأوليات ضوابطها ، وانما السبب الاول هو فساد البيئة اللغوية وتلوثها بما ينسخ ما يتعلمه الصبي من أصول اللغة ، وضوابط النحو ..

واذا كان صحيحا في كتب النحو المدرسية مادة صعبة ، ومسائل لاتخدم اللسان ولاتعصم دارسها من لحن أو خطأ ، فصحيح ايضا أن فيها أوليات ومبادىء ، تصون اللسان من الخطأ الفاحش وتحمي القلم من اللحن المعيب، ولكن جهل الدارسين بالاوليات والمبادىء مثل جهلهم بالصعب والشائك ، مما يشير الى أن النحو ليس سبب المشكلة اللغوية، وأن من الخطأ ان نعزو اليه وحده مايعانيه ابناء العربية من جهل بلغتهم ، وقصور عن اتقان قواعدها ..

لقد درج المعنيون بالعربية ، والمشتغلون على ان يجعلوا النحو مرمى لسهامهم ، وان يردوا هبوط

المستوى اللغوي الى صعوبة مسائله ، وارتفاعها عن مدارك الشداة والمبتدئين .

ونحن لاننكر ذلك ؛ ولاندافع عن كتب النحو المدرسية ، وكلنا نريد ان نلفت نظر هؤلاء الى ان للمشكلة أسبابا ؛ وان من الخير ان يستقصوا هذه الاسباب ، ويجدوا في تحريها ؛ ليستطيعوا ان يربطوا الواقع اللغوي بجميع جذوره ؛ ويصلوه بكل المؤثرات التي تمخضت عنه ، واسهمت في خلقه . وأن يكفوا عن هذه النظرة السريعة التي تجعل النحو وحده سبب التردي ، واساس المشكلة . .

ونحن لم نكتب هذا البحث لنعالج اسباب الضعف اللغوي ؛ وانما قصدنا من ورائه الى تجلية جوهر النحو العربي ، وتحديد ما شاب هذا الجوهر من اعراض كدرت صفاءه وذهبت بنضارته ، ونحن نفعل ذلك لندافع عن علم رفيع ، احتشد له اباؤنا ومنحوه من جهودهم ، مارفع قواعده ، واعلى صرحه ، وجعله بحق مفخرة من مفاخر تراثنا ، في دقة مسائله ، واحكام تبويبه وحتى يمكن ان نقول: ان ماتركوه في هذا العلم ينطق بفضلهم ؛ ويدل على وفرة حظهم من الفهم الثاقب ، والذكاء اللماح ؛ ويشهد بما بذلوه من جهد صادق في التحري والضبط والامانة .

ولقائل ان يقول : كيف ذكر العيوب دفاعا ، ونجعل تعداد النقائص سبيلا لاظهار فضل هذا العلم ، والاشادة بمكانته ؟ فنجيب بأن تنزيه النحو مما شابه ، وتخليصه مما علق به ، سيظهر حقيقة جوهره، ويبرز المستور من فضله ؛ وسيجعله علما ، داني القطوف ، سهل التناول ؛ فتخرس عند ذلك الالسنة التي دابت على ثلبه ، ولم تفتر عن التشهير به ، والطعن عليه . .

لقد اصيب النحو العربي منذ نشاته بجملة من العلل والافات التي ظلت تلازمه « **وتعيش في طواياه، وتنحو وتتغلغل في اعماقه خلال عصوره المختلفة**»(١). وهي متشابكة ومتداخلة يعسر فصل بعضها عن بعض ؛ ولكنها جميعا تضافرت على تشويه النحو ، وطمس جماله ، وادت الى صرف الدارسين عنه ؛ وساحاول في هذا البحث ان اشير الى اهم هذه العلل ؛ ثم اقترح ما ينبغي لها من علاج سالكا في ذلك سبيل الايجاز :

أولا : العلل

١ ـ اضطراب القواعد :

الاساس في القاعدة هو الاطراد والشمول الذي يمكن دارسها من تمثلها ؛ والرجوع اليها في التطبيق والاستعمال ، فاذا اضطربت القاعدة ، وكثرت صورها « **فقدت أخص صفاتها في الضبط الجامع ، وانتشر الامر** »(٢) . .

والذي ينظر في النحو العربي يجد ان الاضطراب أو التناقض صفة تلازم الكثير من قواعده وضوابطه حتى ليندر ان نجد قاعدة من هذه القواعد تطرد وتعم ، أو تسلم من استثناء ينقضها ؛ ويلغي حكمها . .

وان المطلع على كتاب كهمع الهوامع ؛ أو شرح الاشموني ؛ يهوله مايرى من تشعب الاراء وكثرتها حتى لتصل المذاهب في المسألة الواحدة احيانا الى عشرة أو تزيد ؛ كالذي نقله الاشموني في اعراب الاسماء الخمسة حيث قال : ان فيها عشرة مذاهب ، فلم يرض الصبان عن ذلك فبادر بقوله : انها اثنا عشر . . .

وقد بلغ من تناقض الاراء وتدافعها ان دارس النحو يقف على الحكم ، ثم يقول وهو آمن : ان هناك رايا آخر يناقضه ؛ ولعل أقرب مثال على ذلك ان « **لم** » وهي حرف جزم مشهور لايطرد لها هذا الحكم ؛ بل تشعب فيها القول . ونسب اليها انها احيانا لاتجزم . حملا لها على « **ما** » او « **لا** » فيرفع الفعل بعدها ، كما نسب اليها انها تنصب ؛ واحتج على ذلك بقراءة « **الم نشرح** » فهي اذن تجزم وترفع وتنصب ، ولولا ان الفعل لايجر ، لنسبوا اليها الجر ايضا . . .

ولست هنا بحيث أسرد الامثلة على هذا المظهر ، فهو أمر يعرفه كل من شدا بالنحو بله أولئك الذين تفرغوا له ، وطال ترددهم على كتبه ودراساته .

لقد ادرك النحاة القدامى أن ما انتهوا اليه من قواعد وضوابط ينقصه الاطراد ويعوزه الشمول

---

١ ـ اللغة والنحو بين القديم والحديث (عباس حسن) : ٦٥.

٢ ـ مناهج تجديد (امين الخولي) : ٥٧ .

فذهب بعضهم الى ان « **انحى الناس من لم يخطيء احداً** »(٣) .. وقال الخليل : « **لغة العرب اكثر من ان يلحن فيها المتكلم** »(٤) وقال الكسائي : «**على ماسمعت من كلام العرب ليس احد يلحن الا القليل** »(٥) وما هذه الاقوال وامثالها الا اعتراف من النحاةبأن القاعدة النحوية لاتطرد ، وأن هذا يصدق حتى علىالقواعد الاولية؛ وما يجري مجراها من المسائل الابتدائية في النحو ، كرفع الفاعل ونصب المفعول ، فقد ذهب النحاة الى ان الفاعل قد ينصب في حالة اسموها « **امن اللبس** » .

ويمكن تعليل ظاهرة اضطراب القواعد بالاسباب الاتية :

ا ـ **جمع** اللغة عن ازمنة متباعدة وقبائل مختلفة :

لقد اتجه النحاة الى : « **الاستشهاد باللغة في مدى زمني طويل ، يمتد من الجاهلية الى منتصف القرن الثاني في الحواضر ، والى آخر القرن الرابع في البوادي** »(٦) كما انهم دونوا كل ما سمعوه عن القبائل وعدوه حجة ، لاسبيل الى رفضه ، وان خالف السلوك اللغوي العام ، وشذ عن المعهود المطرد من نظام العربية ..

ان تطاول المدى الزمني ، وكثرة القبائل التي رويت عنها اللغة ادبا الى اضطراب القواعد ، وتصادم الاقيسة . وكان المنهج اللغوي السليم يقتضيهم ان يميزوا بين مادة لغوية تاريخية وصلت اليهم عن طريق النصوص القديمة ، والمرويات المأثورة ، وبين مادة لغوية حية ، تجري بها الالسن ، وتتداولها الجماعة اللغوية ، وينظروا الى المادة القديمة ، وما ينشأ عنها من قواعد واقيسة على انها نحو تاريخي ، لايحتاج اليه المتكلم في نشاطه الراهن ، ولا يستعين به على تصحيح نطقه ، ودفع غائلة اللحن عنه ..

لم يعترف النحاة بهذه الحقيقة ، فوجدوا انفسهم امام مادة لغوية كثيرة لاتساير القواعد التي استنبطوها ، فحكموا عليها بالشذوذ حينا ، ووصفوها بالقلة حينا آخر فادى ذلك الى بلبلة القواعد ، واضطراب المقاييس ..

لقد نظر النحاة الى المدى الزمني الطويل « **على انه مدى واحد ومرحلة واحدة** »(٧) ولم يأخذوا بنظر الاعتبار « **ان اللغة ظاهرة اجتماعية ، تتطور باستمرار ، وان لكل مرحلة منها خصائص مستقلة ، قد تكون جديدة تماما او متجددة عما سبقها** »(٨) **فادى الى ان يتجاوز في ابحاثهم ضربان** متناقضان من المادة اللغوية : ضرب قديم لم يعد له ظل في الاستعمال ، وضرب جديد ينبض بالحياة ، وتفيض به الالسن ، فترتب على ذلك نحو مثقل بالاقيسة المتعددة المتضاربة ، وتكشف عملهم هذا عن تجاهل لصفة اللغة الاجتماعية ، وتنكر لما تمتاز به اللغة من ليونة ، وسرعة تطور واستجابة طبيعة الحياة (٩) ..

فاذا زدنا على ذلك انهم لم يفصلوا اللغة المشتركة عن اللهجات المحلية التي مجالها الحياة الدارجة والمحادثات العادية ، وضرورات الحياة اليومية ، ادركنا انهم وجدوا انفسهم مرة اخرى امام اشتات مختلفة وخصائص لغوية متباينة ، فلم يسعهم ازاء غياب الانسجام فيالمادة اللغوية المدروسة الا ان تضطرب قواعدهم وتتناقض احكامهم ..

ان المألوف في كثير من اللغات ان تتجاور اللغة المشتركة معاللهجات ، فتكون الاولىاداة التعبير في المجالات الجدية ، وتؤدي بها الافكار الدقيقة ، المراد ايصالها الى كل افراد الجماعة اللغوية ، وتظل الثانية في حدود البيئة المحلية ؛ ويعمد اليها في معالجة شؤون الحياة اليومية ، غير ان النحاة لم يفرقوا بين هذين الضربين من الاستعمال اللغوي ،

---

٣ ـ الرد على الزبيدي في لحن العوام (ابن هشام اللخمي). مخطوط ، ورقة : ٥٧

٤ ـ المصدر نفسه .

٥ ـ المصدر نفسه .

٦ ـ اصول النحو العربي (د . محمد عيد) : ١٢٢ .

٧ ـ نفسه : ١٢٣ .

٨ ـ المصدر نفسه .

٩ ـ مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب (امين الخولي) : ٢٤ .

وعدوا ما نطقت به القبائل العربية مـادة موثقة ، تستقى منها قواعد اللغة ، وتبنى عليهـا احكام النحو ، فجاءت بعض قواعدهم قائمة على لهجات محلية ، خلت منها لغة الادب ، ولم يحفل بهـا شـاعر أو خطيب ، أو لـم ترد في نـص عربـي فصيح(١٠) ...

لقد اغفـل النحاة هـذه الحقائق المهـمة . وتجاوزوا حدود الزمان والمكان ، وعدوا اللغة وحدة واحدة غير ابهين بما عرض لها من تطور وتحول ، وما استقرت عليه من مستويين : احدهما مشترك، تجتمع عليه القبائل ، والاخر خاص تنفرد به هذه القبيلة او تلـك ، ولايعول في نشـاط لغـوي رفيع ، فلم يكن غريبـا ان يضـطرب منهجهم . وتتعارض اقيـستهم . ان المنهج السليم في دراسة اللغة لايجيز للباحث « **أن يخلط المراحل الزمنية ، أو يخلط المستويات المختلفة** »(١١) ..

ب ـ عدم الفصل بين الشعر والنثر في تعقيد القواعد :

ان الناظر في كتـب النحو يجـد ان اعتماد النحاة على الشعر اكثر من اعتمادهم على النثر فقد « **كانت شواهدهم الشعرية تفوق في عددها الشواهد النثرية** »(١٢) .. وكان كثير من القواعد قائما على بيت او على شـطر بيت . وقد كان من المفروض ان ينظر النحاة الى ان للشعر لغته الخاصة به ، وان الشاعر لايملك ما يملكه الناثر من حرية ؛ لذا جاز له ان يـستعمل من الصيغ والتراكيب مالو ملك حريته لكان له منصرف عنها ، ومحيد الـى غـيرهـا ...

ان الشـاعر مضطر احيانا الى ان يتنكب النظام المعهود للغة ، ويجوز على الاسلوب المألوف فيها ، ليقيم وزنا او يرضي قافية كما انه قد يخرج عن النظام اللغـوي السائد لا لارضـاء الوزن أو القافـية ، وانما لان تجربته وطبيعة المعنى الذي يريد الافصاح عنه ، تضطره الى نمط من التعبير لم يألفه الناس في واقعهم اللغوي والذي يدرس الشواهد النحوية يقع على الكثير من انماط التعبير التي تند عن المألوف ، وتفارق الكثير المطرد من اسـاليب الاداء ، لا لان ضرورات الوزن اقتضتها ، أو لان شروط القافية املتها على الشعراء ، دائما لان طبيعة التجارب التي ارادوا نقلها قد استدعت تلك الانماط التعبيرية ، غير ان نظرة النحاة السطحية لهـذه الانماط التعبيرية جعلتهم يعتقدون ان بنية الشعر ، ومواضعاته الشكلية ، كانت سـببا لتلك القيـم التعبيريـة .

لم يفهم النحاة كثيرا من القيم التعبيرية التي انطوت عليها شواهدهم الشعرية ، ولم يكن مـن دابهم ان يفهموها ، وانما نظروا اليها على انهـا قيم دفعت اليها مضايق الشعر ، ولا شك في ان هذه النظرة قريبة وسطحية ، لم تمكنهم مـن استكشاف ماتنم عنه تلك القيم من اسرار مبنية ، مما حدا باحثا معاصرا على ان يرمي النحاة بالجور على الشعراء العرب حين وصموا كثيرا من اساليب الاداء عندهم بـ « **الضرورة فقال« ولست اعـرف امة من الامم تصف شعرها بمثل هذا الوصف ، او تصمه بمثل هذه الوصمة** »(١٤) ..

وسواء اكان خروج الشعراء عن الاسلوب اللغوي المألوف ناجما عن ضرورات الوزن او القافية، ام كان بسبب المعاني التي رغبوا في نقلها ؛ فقد كان على النحاة ان يبحثوا الشعر وحده ، ويخصوه بنحو قائم براسه(١٥) ، اذ ليس هناك لغة تجعل القواعـد

---

١٠ ـ لقد جاء في باب المثنى مثلا انه يجوز ان يلزم المثنى الالف دائما في حالات الرفع والنصب والجر ، وذلـك لان بعض القبائل في لهجاتها المحلية تفعل ذلك ، ومـن شواهد النحاة على هذا قول الشاعر :

ان اباها وابـا ابـاها
قد بلغا في المجـد غايتاهـا

هذه لغة بني الحـارث بن كعب وبها جاء قـوله تعالى: « ان هذان لسـاحران »

وقـول الاخر :

تزود منا بـين اذنـاه طعنة
دعته الـى هابي التراب عقيم

١١ ـ مدخل الى علم اللغة (د . محمود حجازي) : ٢٢ ، ط٢.

١٢ ـ الشواهد والاستشهاد في النحو (عبدالجبار علوان) : ١٣١

١٤ ـ من اسرار اللغة (د . ابراهيم انيس) ٢٢٦ ، ط٣ .

١٥ ـ من أسرار اللغة : ٣٢٦ .

المبنية على الشعر قواعد تسري على اللغة كلها(١٦) ؛ وليس معقولا ان يكون قول الفرزدق مثلا :

قنافــذ هداجون حــول بيوتهم
بما كــان اياهــم عطيــة عــودا

قاعدة تجيز لنا ان نقول في حالة السعة والاختيار « **كان طعامك زيد اكلا** » فكلام الفرزدق مقبول حسن ، وكلامنا سخيف مردود ..

لم يخطر ببال احد من النحاة « **ان الشعر لايصح ان يكون المصدر الذي تستنبط منه قواعد لغة من اللغات** »(١٧) .. بل نظروا الى الشعر على انه احسن مصادرهم لان روايته « **ادق من رواية النثر ، وان تذكر المنظوم اسهل من تذكر المنثور ، وان احتمال التغير والتبديل في الشعر اقل من احتماله في المروي من النثر ، وذلك لحرصهم على تصوير الاساليب العربية في ادق صورها** »(١٨) ..

ولعلهم معذورون ــ من هذه الناحية فقط ــ في الاعتماد على الشعر ؛ ولكن المنهج السليم كان يقتضي ان يفرقوا بين الشعر والنثر ، ويجعلوا لكل منهما قواعده الخاصة به ؛ ولاشك في ان المادة النثرية الموثوق بها كثيرة وموفورة ، وعلى راسها القرآن الكريم والحديث الشريف ــ ولو انهم فصلوا بين الشعر والنثر لما تضاربت قواعدهم ، ولما كان لهم في المسالة الواحدة اكثر من راي ..

وقد فطن بعض اللغويين القدامى الى ما في الشعر من خروج احيانا عن الواقع اللغوي ؛ فذهب ابن جني الى ان الاضطرار يجعل الشاعر ينطق بما لم يرد به سماع ، وقال : « **والشعر موضع اضطرار ، وموقف اعتذار وكثيرا مايحرف فيه الكلم عن ابنيته ، وتحال به المثل عن اوضاع صيغها لاجله** »(١٩) . كما ذهب الشاطبي الى ان الشعر وحده لايصح ان يكون اساسا لقاعدة نحوية مالم يتأيد بالنثر الصحيح الفصيح ، قال : « **اما الاعتماد على الشعر مجردا عن نثر شهير يضاف اليه ، أو يوافق لغة مستعملة ، ويحمل ما في الشعر عليه ؛ فليس بمعتمد عند اهل التحقيق ، لان الشعر محل الضرورات** »(٢٠) ...

١٦ ــ اللغة العربية المعاصرة (د . محمد كامل حسين) :٢٦.
١٧ــ من اسرار اللغة : ٣٢٦
١٨ــ نفسه : ٣٢٦ .
١٩ ــ الخصائص (ابن جني) : ١٨٨/٢ .
٢٠ــ المواهب الفتحية .

٢ ــ ألتأويــــل

وهذا داء آخر من ادواء النحو ، وعيب بارز من عيوب منهجه غير ان النحاة، وان كانوا يمارسونه في كتبهم وابحاثهم بطريقة عملية ؛ لم يعرفوه ، عدا ماأثر عن ابي حيان النحوي من انه قال عنه . « **التاويل انما يسوغ اذا كانت الجادة على شيء ، ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتاول** »(٢١) ..

وهذا يعني ان التأويل هو نتيجة للخطأ الذي ارتكبه النحاة في طريقة جمع اللغة وتدوينها ، وهو ما تكلمنا عليه في الفقرة السابقة ؛ فالجادة التي يعنيها ابو حيان ليست الا الكثير المطرد في لغة العرب المشتركة ، واما ما خالف الجادة فلا يخرج عن ان يكون واحدا مما يأتي :

أ ــ اللغات المحلية : التي كانت القبائل تتعامل بها في حياتها اليومية ..

ب ــ الصيغ والتعبيرات : التي تندعن المألوف لسبب تعارفه اهل اللغة ، واطمأنوا اليه ، واسعفتهم به طبيعة العربية وخصائصها الذاتية ، وقد بحث ابن جني هذا النمط من الصيغ تحت عنوان « **باب في شجاعة العربية** » .

ج ــ الصيغ والتراكيب : التي تدفع اليها مضايق الشعر ، وطبيعة تعبيراته التي تقتضي احيانا مخالفة الشائع والمألوف من اساليب الاداء .

د ــ الصيغ والتعبيرات : التي اخطأ فيها الشعراء وجه الصواب ، الا ان النحاة ابوا أن يصموهم بالخطأ ، لانهم كانوا يعتقدون ان العربي لا يخطيء ، وانه يرث اللغة كما يرث سائر طباعه وعاداته ، وان عليهم ان يجدوا لكلامه المغاير لكلام العرب وجها يخرجونه عليه .

فالنحاة استنبطوا مقاييسهم واحكامهم مما جمعوه من المادة اللغوية التي تهيأت لهم ، وهي مادة متفاوتة في الخصائص ؛ لذا سرعان ما اكتشفوا ان اقيستهم هذه لا تنطبق على كل ما جمعوه من مادة لغوية ، بل ان جانبا من هذه المادة لاتساير هذه الاقيسه . ولا تنطوي تحت لوائها ، فعمدوا الى

٢١ــ الاقتراح (السيوطي) : ٢٤ .

تأويلها ؛ اي صرفها عن ظاهرها وتدبير بعـــــض الافتراضات الذهنية، التي تعود بتلك المادة اللغوية الى حظيرة القواعد اللغوية العامة ، او الى الجادة . على حد تعبير ابن حيان ..

فالتاويل اذن مجموعة التأويلات والتخريجات او الحيل النحوية التي تذرع بهـا النحاة لتلافي خروج بعض الصيغ والتراكيب عن الكثير المطرد من قواعد اللغة واساليب التعبير بها ..

ومن الامثلة على التأويل في كتب النحو انهم حين يجدون الاسم منصوبا في اسلوبي التحذيـر والاغراء ، يعمدون الى تقدير فعـل ناصب لهـذا الاسم . وحين يجدون جملة اسمية لم تستوف ركنيها يعمدون الى تأويلها ، وتقدير ما يكملها من مبتدأ او خبر كقولهم : « **حج مبرور** » و « **لعمري ان الحق منتصر** » وغيرهما ..

وليس حـذف بعض اجزاء الجملة دافعـا للتأويل دائما ، بل قد يكون السبب فيه ما قرروه من ان بعض الحروف لاتعمل في الافعال ، لفقدها القدرة على العمل ، وحين يجدون ما يخالف هذا الاصل يؤولون ، ويقدرون بعده حرفا ينسـبون اليه العمل ، كما فعلوا في الواو والفاء واللام وحتى وهي من نواصب المضارع التي لاتنصبه بنفسها ، وانما تنصبه بتقدير « **ان** »بعدها .

وكان سيبويه قد عرض لعلة تقدير « **ان** » بعد اللام وحتى فقـال : « **لان اللام وحتى انمـا يعملان في الاسماء ، فيجران ، وليست من الحروف التي تضاف الى الافعال ، فاذا اضمرت ــ ان ــ حسن الكلام لان ــ ان ــ و ــ يفعل ــ بمنزلة اسم واحد . واذا قلت (اخشى ان تفعل) فكأنك قلت (اخشى فعلك) افلا ترى ان (ان تفعل) بمنزلة (الفعل) ــ اي المصدر ــ فلـما اضمرت (ان) كنت قد وضعت هذين الحرفين مواضعهما لانهما لا يعملان الا في الاسماء ولايضافان الا اليها و (ان) و (تفعل) بمنزلة الفعل** » [٢٢] .

وحين يجد النحاة في لغة التنزيل العزيز قوله تعالى : « **ان هذان لساحران** » وقد جاء المثنى فيه على لغة من يلزم المثنى الالف مطلقا ، وعليـها قول الشـاعر :

ان اباهـا وابـا اباهـا
قـد بلغـا بالمجـد غايتاهـا

او قـول الاخر :

اعرف منها الجيد والعينانا
ومنخـران اشـبها ظبيانـا

نجد النحاة يطيلون في تأويل الاية ، فبعضـهم يعرب « **ان** » مخففة واسمهاضمير شان محذوف وهذان مبتدا ، وساحران خبر ، والجملة في محل رفع خبر ــ ان ــ والتقدير انه الحال او الشأن هذان لساحران وبعضهم يعرب ــ ان ــ على انهاحرف بمنزلة « **اجل** » ، وهذان مبتدا ، واللام زائدة ، وساحران خبر ويحتجون لتأويلهم هذا بقـول الشـاعر :

بكر العوائل في الصبوح يلمنني والومهنه
ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه

وليس من وكدي هنا الاسترسال في تأويلات النحاة وتقديراتهم ، فذلك مما فاضت به كتبهم ولعل ماذكرته يكفي لاعطاء فكرة عن التأويل ..

٣ ــ التعلـيل

من الثابت ان التعليل سمة ظهرت في الدرس النحوي منذ نشاته ، ثم لازمته في اطوار حياته . فكل حكم نحوي يعلل ، ولكل ظاهرة لغوية لابد من سبب عقلي . ويذهب الدارسون الى ان العلـة تسربت الى الدرس النحوي بتاثير العلوم التي غلبت على عقول النحاة ، وشاعت في بيئاتهم ، كعلوم الفقه والمنطق والكلام ، وغيرها ، وقد كان لمنطق ارسطو اثر واضح في هذه العلوم .

لقد بدأ التعليل في النحو يسيرا سهلا ، شأن كل شيء في بدايته ، ثم تحول بمرور الزمن الـى صناعة فكرية ، تبعث الدهشة ، وتثير الاعجاب . لما تدل عليه من براعة اصحابها ، ونفاذ عقولهم ، وقدرتهم على التعليل .

٢٢ــ الكتاب (سيبويه) : ٦/٣ ، تح عبدالسلام هارون .

والخليل هو أول من بسط القول في العلل النحوية بسطا لفت بعض معاصريه . فتقدم اليه يسأله : اخذت هذه العلل عن العرب ، ام اخترعتها من نفسك ؟ فاجاب الخليل : « **العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواضع كلامها ، وقامت في عقولها علله ، وان لم ينقل عنها** » وقال : « **انه اعتل بما راى انه علة لما علله فان سنح لغيره علة هي اليق مما ذكره بالمعلول ، فليأت بها** »(٢٢) ..

والعلل التي اعتل بها الخليل هي علل قريبة ، لا تعقيد فيها ولا غموض ، وهي تستند في اغلبها الى الحس العربي في استثقال اسلوب واستخفاف آخر ، مثال ذلك تعليله نصب المنادى المضاف وبناء المفرد ، قال الخليل : « **انهم نصبوا المضاف نحو ياعبدالله ، ويا اخانا ـ والفكرة حين قالوا : يا رجلا صالحا ، حين طال الكلام ، كما نصبوا هو قبلك وهو بعدك ، ورفعوا المفرد حين قالوا يازيد ، ويامحمد ، كما رفعوا قبل** وبعد عند قطعهما عن **الاضافة ، وتركوا التنوين** في المفرد كما **تركوه في قبل وبعد** »(٢٤) ...

اما العلل التي ظهرت في دراسات النحاة في القرنين الثالث والرابع ، فهي علل معقدة ، تدل على مبلغ تكلف النحاة لها ، وغوصهم وراءها واستمدادهم اياها مما ثقفوه من المنطق أو الفلسفة او علوم الكلام . وقد ادى طغيان التعليل على مباحث النحاة الى ان ينهد لهذا الجانب من نشاطهم من العلماء يستقصونه ويؤلفون فيه . فكان ان الف في العلل هارون الحائك وقطرب والمازني وابن كيسان والزجاجي(٢٥) ، كما افرد ابن جني جانبا من الخصائص لدراسة العلة والدفاع عنها .. ولتفاوت العلل قربا وبعدا ، صنفها الزجاجي الى ثلاثة اضرب ، علل تعليمية ، وعلل قياسية وعلل جدلية ..

« **فاما التعليمية فهي التي يتوصل بها الى تعليم العرب ، فمن هذا النوع من العلل قولنا ان زيدا قائم ، ان قيل بم نصبتم زيدا ؟ قلنا ب (ان) لانها تنصب الاسم وترفع الخبر ، لانا كذلك علمناه ونعلمه .. فهذا وما اشبهه من نوع التعليم وبه ضبط كلام العرب ..**

فاما العلة القياسية فانه يقال لمن قال نصبت زيدا بـ (ان) في قوله : ان زيدا قائم ولم وجب ان تنصب ان الاسم ؟ فالجواب في ذلك ان يقول لانها واخواتها ضارعت الفعل والمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظا ، والمرفوع بها مشبه بالفاعل لفظا ، فهي تشبه من الافعال ما قدم مفعوله على فعله نحو ضرب اخاك محمد ، وما اشبه ذلك ..

واما العلة الجدلية النظرية فكل ما يعتل به في باب (ان) بعد هذا . مثل ان يقال : فمن اي جهة شابهت هذه الحروف الافعال ؟ وبأي الافعال شبهتموها ؟ ا بالماضية ام المستقبلة ام الحادثة في الحال ؟.. وحين شبهتموها بالافعال لاي شيء عدلتم بها الى ما قدم مفعوله على فاعله ؟.. وهلا شبهتموها بما قدم فاعله على مفعوله ؟ .. وكل شيء اعتل به المسؤول جوابا عن هذه المسائل داخل في الجدل والنظر» (٢٦) .

ويلاحظ ان هذه العلل الثلاث هي ما يطلق عليه في العادة العلل الاوائل والثواني والثوالث على الترتيب ، كما يلاحظ ان العلل الثواني ليست الا عللا للعلل الاوائل ، لذا اطلق عليها بعض النحاة علة العلة .

ولعل الامثلة الاتية تعطي القارىء فكرة عن تعليلات النحاة . وماكانوا يضربون فيه من متاهات وافتراضات لاصلة لها بالظواهر اللغوية التي « **يقررها العرف اللغوي المبني على الاستعمال وحسب** » (٢٧) ..

ذهب البصريون مثلا الى ان علة بناء « **الان** » انها شابهت اسم الاشارة ، وذهب الكوفيون الى ان علة ذلك ان الالف واللام فيها دخلتا على فعل

٢٢ـ الايضاح في علل النحو (الزجاجي) : ب

٢٤ـ الكتاب : ٣٠٢/١ ، ط بولاق .

٢٥ـ في اصول اللغة والنحو (د . فؤاد حنا ترزى) : ١٢٢ .

٢٦ـ الايضاح في علل النحو : ٦٤ ، ٦٥ .

٢٧ـ في اصول اللغة والنحو : ١٢٢

ماض من قولهم : « **آن، يئين** » أي « **حان، يحين** » وبقي الفعل على فتحته(٢٨) ..

وذهب هشام الكوفي الى ان علة رفع الفاعل أنه اسند اليه ، وذهب الاخرون الى أنه رفع للفرق بينه وبين المفعول به ، وذلك ان الفعل لايكون له اكثر من فاعل واحد ، وقد تكون له مفعولات كثيرة ؛ فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرته . وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون ، نظرا لان الفتحة اخف الحركات ..

وعللوا جمع المؤنث السالم بالكسرة لانه فرع على جمع المذكر السالم ، ولما كان الجمع ينصب بالياء فاعطوا الاصل الحرف واعطوا الفرع الحركة التي هي من جنس الياء ...

ثانيا : العلاج

تلك هي اهم ادواء النحو العربي ، وابرز الافات التي مني بها منذ نشأته ، ومازالت تعيش في ثناياه ، وتصرف عنه الدارسين ، ولعل امتداد هذه الافات الى كتب النحو المدرسية هو اكثر خطرا ، واولى بان نفكر في علاج ناجع له ..

ان الغرض من تعليم الناشئة والشداة قواعد العربية ، هو ان نمكن للفصيحة من السنتهم ونجعل افئدتهم تهوي اليها ، فكلما كانت هذه القواعد عملية ، لاتعقيد فيها ولا تشعيب ، ولا اثر فيها لتعليل أو تأويل ، وكانت أقرب الى عقولهم ، وانفع لهم في تعبيرهم وتحريرهم ، فاذا هيأنا لهم هذه القواعد بلغنا من تعليمهم مانريد وامددناهم في صراعهم مع العامية بقوة تهيء لهم شيئا من الثبات والمقاومة ، وربما التغلب والانتصار ..

اما اولئك الذين اختاروا النحو ميدانا للتخصص ، فان لهم ان يدرسوا من النحو العربي مايشاء لهم التخصص من دقائق وتفصيلات ، وان يقفوا من وجوهه على ما يعرفون به الفصيح والافصح والاقل والاكثر ، مادام الجو من حولهم يمكنهم من ذلك ، وما دامت الغاية من دراستهم تجيزه لهم .. ولعل العلاج ينحصر في الوجوه الاتية :

١ ـ الغاء الاضطراب في القواعد :

ان هذا العلاج يخلص كتب النحو المدرسية مما يثقلها من اختلاف الراي في المسالة الواحدة ويضع التلميذ امام قواعد ثابتة ، لا يستوى بها استثناء ولا يلغي احكامها تجويز ..

ولا شك في ان طرد القواعد ، وتخليصها من التناقض ، يقتضي ان نسوى بين وجه لغوي قوي ووجه لغوي اقوى ، فنأخذ باحدهما ، ونترك الاخر من غير ان نلزم انفسنا بمعرفة جميع الاوجه كما يقتضي هذا العلاج ان ننزه الكتب المدرسية من القواعد المستنبطة من لغة الشعر ، وماتفرضه من تجاوزات ، او ما يسمى بالشاذ والقليل والقائم على الضرورة ..

ان كتب النحو المدرسية يجب ان تعرض النحو الايسر ، والقواعد الاقرب منهما ، والاكثر رواجا في حياتنا اللغوية الحاضرة ، ولاشك في اننا اذا فعلنا ذلك طردنا القواعد واقللنا التفريع ، ومنعنا اختلاف الصور وتشعب الاحوال ، ولكي يتضح هذا العلاج اسوق له مثلا من موضوع « **الاستثناء** » المقرر على الطلاب للصف الاول المتوسط ..

في هذا الباب نحمل الصبي الغض على ان يعرف المستثنى بـ « **خلا ، عدا ، حاشا** » يجوز فيه النصب والجر ، هذا اذا لم تسبق ((**خلا وعدا**)) كلمه « **ما** » ، فان سبقتهما وجب نصب المستثنى بهما . ومن ذلك نعلم ان النصب مشترك في الاحوال كلها مع « **ما** » وبغيرها . فلو قلنا أن الاستثناء بـ « **خلا ، عدا ، حاشا** » له حكم واحد دائما هو النصب للمستثنى بها ، وقد تدخل ما على « **عدا وخلا** » فاننا بهذا نقدم القاعدة ، ونضبط الامر ، ونمنع بلبلة عقول الصغار ..

٢٨ـ الانصاف في مسائل الخلاف (ابن الانباري) : المسألة الحادية والسبعون .

بمثل هذا العلاج تقضي على ظاهرة اضطراب القواعد في الكتب المدرسية ، ونقدم للتلاميذ نحوا موجزا ،يسهل ضبطه ، ويمكن الرجوع اليه في تصحيح التعبير ، وتقويم اللسان .

ان من الح الواجبات ان يعمد القائمون على كتب النحو المدرسية ، فيلغوا منها التجويزات ، وتعدد الوجوه ، ولسنا في هذا نخرج عن كلام العرب ، او نخالف احكام النحاة ، وانما نختار « **الجادة** » وندع «**الازقة** » و « **الممرات** » التي لايضرب فيها الامن ضل سواء السبيل ...

٢ ـ الغاء التاويل والتقدير :

مما سبق اتضح لنا ان سبب ظاهرة التأويل والتقدير هو خطأ في منهج النحاة ، وذلك انهم جعلوا القواعد والاقيسة هي « **الجادة** » وارادوا ان تخضع النصوص اللغوية لتلك « **الجادة** » فاضطروا الى التأويل. وكان المنهج السليم يقتضي ان تسير القواعد وراء النصوص ، وان تكون تابعا لها . وقد ظهر في تاريخ نحونا من رفض التأويل ، واقبل على النصوص اللغوية يفهمها على ظاهرها ، ومن غير ان يبحث عما وراء السطور ، او يفترض كلمات وحركات لاوجود لها في النصوص ، وكان ابن مضاء القرطبي هو الذي يرفض التأويل ، فعزا ذلك بعض المعاصرين(٢٩) الى عقيدته الدينية ، اذ كان يؤمن بـ « الظاهر » ولا يميل الى التأويل والتعليل ...

وقد ايد الدرس اللغوي الحديث وجهة نظر ابن مضاء ، ذلك لان هذا الدرس يتناول النص اللغوي كما هو ، وكما يفرزه الواقع ، ولايتناوله بـ « **التغيير والتبديل والبحث وراء السطور** »(٣٠) ..

ان طابع الدراسة اللغوية الحديث « **لم يعد يعنى بغير المادة اللغوية اساسا للوصف ،اما التاويل فانه يباين ذلك تماما لان مضمون البحث عن الباطن خلف الظاهر . وافتراض حروف في مادة الكلمة ، وصيغ لكلمات وجمل كاملة ، وكل ذلك من عمل الذهن** »(٣١) . ولاصلة له بالواقع اللغوي ، وقد صدق امين الخولي حين قرر ان العالم اللغوي يتحرز من النظريات والافتراضات ، ويتعلق بالوقائع فحسب(٣٢) ..

فالمنهج الوصفي في الدراسة النحوية واللغوية : يعتمد على دراسة النص بصورته التي يبدو عليها ، وبذهن خال من الافكار الذهنية والفلسفية التي تضطر الدارس الى ان يجهد النص ، وبحمله ماليس فيه ، بان يضيف اليه ، او يحذف منه ، لتستقيم مع تلك الافكار ..

ان دراسة اللغة « **تقوم على الشكل لا على الحدس والتخمين** »(٣٣) . وان « **واقع اللفظة وهو حروفها المنطوقة بالفعل ، لا الملحوظة في الذهن ، وواقع الجملة هو العلاقات بين اجزائها التي تظهر في السياق ، لا التي يفترضها التخيل ، فالكلمة التي يلحظها النحوي، ويقدرها ليست بكلمة على الاطلاق، والحركة التي يتصورها في آخرها ليست بحركة ايضا والنحاة في هذا كمن يتخيل وجود الطلاب ، فيعقد امتحانا ، ويوزع كراسات الاجابة ، واوراق الاسئلة لمجرد هذا الخيال(٣٤) ، وقد يكون هذا الخيال مضحكا ، وباعثا على الرثاء لمن يقوم به ، ولكنه تجسيد ينطبق تماما على مايطبقه النحاة في التاويل** » ..

فاللغة منظمة من الرموز التي يؤدي كل منها دلالة حسبما يقرره العرف الاجتماعي ، وقد تفهم دلالات كثيرة من رمز واحد ، لان العرف ارتضى ذلك ، وسار عليه ، ومهمة دارس اللغة ان يصف استعمالات هذه الرموز ودلالاتها كما تظهر له ، وليس له ان يؤول او يقدر ، لان التقدير والتأويل عمل شخصي وظني لايتفق مع السمعة الاجتماعية للغة(٣٥) ..

٢٩ـ النحو العربي (د . ابراهيم السامرائي) : ٦١ .

٣٠ـ اصول النحو العربي : ٢١٢ .

٣١ـ المصدر نفسه .

٣٢ـ مناهج تجديد : ٨٢

٣٣ـ اصول النحو العربي : ٢١٤ .

٣٤ـ دراسات نقدية في النحو العربي (د . عبد الرحمن ايوب) : ٥٢ .

٣٥ـ اصول النحو العربي : ٢١٦ .

أن التقدير والتأويل معناهما ان يفرض شخص ظواهر نغوية ، والوانا من الاستعمال لايؤيده واقع اللغة ، ولا تجري به السنة اهلها . .

لقد امتلأت كتب النحو العربي بالظنون والافتراضات ، بسبب التأويل والتقدير ، ولكي نقرب مادة النحو من نفوس طلابها لابد لنا من تصفيتها من الاراء الظنية والتصورات ، واذا كنا نحرص على ابقاء هذه التصورات والافتراضات في كتب النحو المطولة التي يدرسها المتخصصون ، فان ابقاءها في كتب الشداة والمبتدئين امر لاضرورة له ، ان لم يكن فيه ضرر . . ولكي توضح هذه الوسيلة العلاجية ، نسوق هذه الامثلة الاتية :

أ ـ **المعروف** عند النحاة ان الجملة المفيدة لابد فيها من وجود مسند ومسند اليه ، قال سيبويه : تحت عنوان : « **هذا باب المسند والمسند اليه**»: «**وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الاخر ، ولايجد المتكلم منه بدا ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك (عبدالله اخوك) و (هذا اخوك) ومثل ذلك (يذهب زيد) فلا بد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الاول بد من الاخر في الابتداء** »(٣٦) . .

وقد علق الدكتور محمد عيد على قول سيبويه هذا بقوله : « **فهذه اللابدية فرضت عدم استغناء كل** من ركني الجملة عن الاخر ، كما فرضت على المتكلم النطق بهما ، وامتد ذلك الى الباحثين في النحو فطبقوا **مبدأ « اللابدية » هذا بتقدير احدهما اذا لم يوجد مع الاخر بل استفحل الامر فقدروهما معا مع خلو الكلام منهما** »(٣٧).

والحقيقة ان « **الدراسات اللغوية الحديثة لاتعترف باللابدية في فهم الجملة، فالجملة حقيقتها هي التي تؤدي الفائدة كاملة ، اما تكوينها الشكلي فلا يشترط فيه أن يوجد في النطق مسند ومسند اليه بل تتحقق الفائدة الكاملة بوجودهما ، وقد تتحقق بكلمة واحدة ، اذا ادت المعنى المفيد** »(٣٨) . . .

٣٦ـ الكتاب ١/٧ ، ط بولاق .

٣٧ـ اصول النحو العربي : ٢١٧ ، ٢١٨ .

٣٨ـ اصول النحو العربي : ٢١٨ .

والى هذا ذهب فندريس حين قال : «**والجملة تقبل بمرونتها اداء اكثر العبارات تنوعا ، فهي عنصر مطاط ، وبعض الجمل يتكون من كلمة واحدة ، (تعال) ، لاصه ، السيارة ، اياك) وكل واحدة من هذه الكلمات تؤدي معنى كاملا بنفسه** »(٣٩) . .

وفي الكلام العربي ، وعلى راسه القرآن الكريم ، جمل لم يتوافر فيها الركنان اللذان جعلهما النحاة شرطين لازمين لكل جملة مفيدة ، نعني بهما المسند والمسند اليه ، ومع ذلك فقد فهم العربي معنى هذه الجمل كاملا ، لان العرف اللغوي ارتضى ذلك . .

وقد ذهب بعض الدارسين المحدثين الى ان الجمل نوعان ، احدهما منطقي ينطقه المتكلم في هدوء وتعقل ، وهو يتركب من اسمين ، او اسم وفعل ، والاخر انفعالي ينطقه المتكلم وهو منفعل متوتر ، وهو ماجاء على كلمة واحدة مثل « **اياك** » ، « **الاسد** »، فاذا « **اخضعناها للمنطق ، فقد نقلناها من اسلوب الى اسلوب ، وقطعنا الصلة بين معناها وروحها، او بين منطوقها ونفسية صاحبها** »(٤٠) . .

والحقيقة ان في كلام العرب جملا كثيرة لم يتحقق فيها وجود المسند اليه وحده ، وجاءت المسند فقط ، او المسند اليه وحده وجاءت بغيرها احيانا ، ولم يكن الدافع الى ذلك نفسي دائما، كما قرر هذا الباحث ، وانما كان العرف اللغوي او خصائص اللغة الذاتية ، وما تعتمد عليه من قدرات تكمن في بنيتها ، سببا لوجود افعال هذه الجمل ، ومهمة اللغوي ان يقبل هذه الجمل كما صدرت ، من غير ان يزيد عليها ويفترض عناصر وهمية مكملة لها . . .

لقد قام فهم النحاة للجملة على اساس منطقي « **ثم فرضوا الواقع الفلسفي على الشكل اللغوي** »(٤١) . . بمعنى انهم فهموا الجملة في ضوء المنطق ، فكما لايمكن أن يكون هناك حدث بلا محدث ، أو لايكون حدث من غير ذات ، كذلك لم

٣٩ـ اللغة : فندريس : ١٠١ .

٤٠ـ المدخل الى دراسة النحو العربي في ضوء اللغات السامية (عبدالمجيد زين الدين) : ٦١ ، ٦٢ .

٤١ـ اصول النحو العربي : ٢٢٠ .

يرتضوا ان يجيء مسند اليه بلا مسند او العكس وكانوا اذا غاب احدهما قدروه ، حتى يتفق النص اللغوي مع الواقع الخارجي ..

والدراسات اللغوية الحديثة « **لاتعترف بهذا الالزام المنطقي ولاتسمح لاحكام المنطق الفلسفية ان تتحكم في دراسة اللغة ، فليس من اللازم في الجملة ان يوجد المسند والمسند اليه ، والعلاقة** »[٤٢] .

فاذا سلمنا بهذا اصبح الفعل في مثل قولنا « **السيارة** » لمن تحذره منها ؛ عبثا لايرتضيه الدرس اللغوي السليم ، زيادة على مايسببه من نفور الطالب من اللغة ، واستثقاله اياها . ومثل هذا يقال عن تقديرنا المبتدأ في مثل قولنا : « **حج مبرور**» وقولنا : ((**والله لاخدمن وطني**)) وتقديرنا الخبر في مثل قولنا : « **لعمري ان الحق منتصر** »

ب ــ في علم اللغة الحديث مايسمى « **المورفولوجيا** » ويقصد به تحليل النصوص اللغوية ، وتلمس ما فيها من عناصر صوتية تحدد علاقة الكلمة بغيرها ، وتبين توزيعها الصرفي من حيث الاسمية والفعلية وجنسها من حيث التذكير والتأنيث ، ونوعها من حيث الافرادوالتثنية والجمع ويطلق على هذا العنصر الذي يعول عليه في تحديد هذه الامور « **المورفيم** ». ومن الامثلة على ذلك في لغتنا ان « **التاء** » في « **ضربت** » هو المورفيم الذي يحدد ان الفعل مسند الى المفرد الغائب ، ومثل هذا يقال عن ((**اضرب**)) و ((**اضربي**)) ، وما اليها..

ومن هذا يتضح لنا ان في الافعال العربية في بعض وجوه استعمالها ؛ عناصر صوتية تعبر بها « **عن الفاعل من حيث جنسه وعدده دون أن يكون شيء مختبيء أو مستتر** »[٤٣] .. ولكن النحاة كانوا يواجهون النصوص اللغوية بافكار دخيلة من المنطق والفلسفة ، ومن هذه الافكار « **استحالة وجود حدث دون ان يكون له محدث ، وان الفعل يدل على الحدث والزمان فقط** » واذا كان الامر كذلك فلا بد من تقدير فاعل محدث لمثل قولنا :« **اسافر غدا** » وهذا الفاعل ضمير مستتر تقديره « **أنا** » ومن هذه الافكار ايضا ان يكون الفاعل بعد الفعل ، وخضوعا لهذه الفكرة لابد أن يكون الفاعل مستترا بعد الفعل « **جاء** » في قولنا : « **محمد جاء** » .

والواقع ان هذا اللون من التفكير لايصلح في دراسة اللغة لان اللغة تدرس كما تظهر ، وكما يفرزها الواقع اللغوي ، ولاشك في ان تنزيه كتب النحو المدرسية من هذا الضرب من التفكير اللغوي يجعل مادة النحو ايسر فهما ، واقرب الى اذواق المتعلمين وعقولهم ..

فالغاء التقدير والتأويل وسيلة علاجية يمكن ان تأخذ بها كتب النحو المدرسية في الاقل لتخليصها مما اثقلها من اراء ظنية وافتراضات لا يلمسها التلميذ في النصوص اللغوية ، بل يراد على تخيلها واصطيادها مما وراء السطور ..

والحق ان التلميذ يفهم تلك النصوص من غير تقدير وتأويل ، كما فهمها اسلافه قبل ان يخلق النحاة ويتكرموا بتأويلها ، وآية ذلك ان النحاة انفسهم كانوا يصفون المحذوفات من الجمل بمثل قولهم : « **حذف لعلم المخاطب به** » .

بل ان اظهار بعض المحذوفات ، على سبيل التقدير والتأويل ، يذهب ببلاغة النص اللغوي ، ويكون وصمة عي للمتكلم ، كاظهار المحذوف في قولك « **ازيدا اكرمته** » وان اظهار بعضها الاخر يغير معنى الجملة ، ويصرفها من اسلوب لاخر ، كاظهار المحذوف في قولك ((**يا محمد**)) فلو اظهرنا ما زعم النحاة انه محذوف في « **ازيدا اكرمته** » لصارت العبارة « **اكرمت زيدا اكرمته** » وهي عبارةضعيفة لاينطق بها فصيح ولو اظهرنا ماقيل انه محذوف في «**يامحمد** » لصارت الجملة «**ادعو محمدا** » وبين التعبيرين بون شاسع لايخفى على اريب .

٣ ــ الغاء التعليل :

لقد كان التعليل ــ كما تقدم ــ سمة الدرس النحوي ، ومعلما بارزا من معالم منجهه وفي بعض

٤٢ــ نفسه .

٤٣ــ اصول النحو العربي : ١٤٢ .

كتب النحو ما يقفنا على الاسباب التي تكمن وراء هذه الظاهرة ؛ فقد ذهب أحد النحاة الى ان التعليل واجب في النحو ، ذلك لانه يكشف حكمة الله في الصيغ واوضاع الكلام ، وواضح ان هذا النحوي يرى أن اللغة بصيغها ونظمها من وضع الله تعالى ،وان على النحاة ان يبحثوا عن حكمةالله فيها، فكان التعليل(٤٤) ..

وذهب آخر الى أن العرب انفسهم قد عللوا نطقهم ، ومن حق النحاة ان ياخذوا عنهم ما عللوا به ، ويبحثوا عن العلة فيما لم يعللوه ، ولكن قامت علله في عقولهم ونياتهم عند النطق ، على حد تعبير الخليل ..

ومن امثلة تعليل العرب لنطقهم ؛ ماحكاه الاصمعي فقال :« **عن ابي عمرو قال : سمعت رجلا من اليمن يقول: فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها. فقلت له : اتقول جاءته كتابي ؟ قال نعم اليس بصحيفة** »(٤٥) ..

والحق ان العرب لم يعللوا نطقهم ، ولم تكن علل كلامهم قائمة في عقولهم ؛ ذلك لانهم « **لم يكونوا نحاة ، ولا فلاسفة وانما كانوا يتكلمون فقط** »(٤٦) .. وحين ظهر الدرس النحوي ، وقامت حلقات هذا العلم ، قصدها بعض الاعراب ، ووقفوا يسمعون مايدور فيها ، فلم يفهموا اكثر ما كانوا يسمعون ، بل كانوا يقابلونه بالدهشة والحيرة ، روى ابو حيان التوحيدي : « **وقف اعرابي على مجلس الاخفش فسمع كلام أهله في النحو ، وما يدخل معه ، فحار وعجب ، واطرق ووسوس : فقال له الاخفش : ماتسمع ياأخا العرب ، قال : أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا ماليس من كلامنا** »(٤٧) .. وفي كتب الادب روايات اخرى تصور ما كان يظهره بعض الاعراب من انكار لمصطلحات النحو التي كانوا يسمعونها عرضا عند المامهم ببعض حلقات النحاة ..

فاما ماأثر عن بعض العرب من انهم عللوا نطقهم ، فان ماروي من هذه التعليلات ، كالذي تقدم ، هو ساذج اذا قيس بما صنع النحاة من غرائب العلل ..

على أن حركة التعليل التي ظهرت مبكرة في النحو العربي ، ثم لازمت هذا العلم في جميع اطواره ، قد وجدت من النحاة من يتصدى لها ، ويرى فيها خروجا عن المنهج السليم في دراسة اللغة . وكان الكسائي اقدم من اعترض على ظاهرة التعليل ، وذهب الى ان « الظواهر اللغوية تنقل ولا **تمنطق ، وتروى ولا تفسر بعمل عقلي** »(٤٨) .. سئل الكسائي عن اختلاف احوال « **أي** » فأجاب : « **أي كذا خلقت** » وكان جوابه هذا افصاحا عن ان الظاهرة اللغوية لا تعلل ..

وجاء ابن مضاء فانكر على النحاة منهجهم في دراسة اللغة والنحو ، وكتب في ذلك كتابا اسماه « **الرد على النحاة** » هاجم فيه العامل والعلل النحوية ،ودعا الى اسقاطها ؛ لانها لاتزيدنا معرفة بكلام العرب ، ولو جهلناها لم يضرنا جهلها . قال ابن مضاء « **ومما يجب ان يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث ، وذلك سؤال السائل عن ــ زيد ــ من قولنا : ــ قام زيد ــ لم رفع ، فيقال لانه فاعل ، وكل فاعل مرفوع فيقول : يقال له كذا نطقت به العرب ، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر ، ولافرق بين ذلك وبين من عرف أن شيئا ما حرام بالنص ، ولا يحتاج فيه الى استنباط علة ، لينقل حكمة لغيره ، فسال لم حرم؟ فان الجواب عن ذلك غير واجب على الفقيه ، ولو اجبت السائل عن سؤاله بأن تقول له للفرق بين الفاعل والمفعول فلم يقنعه ، وقال : فلم لم تعكس القضية بنصب الفاعل ورفع المفعول ؟ قلنا له لان الفاعل قليل لايكون للفعل الافاعل واحد ، واعطي الاخف الذي هو للنصب للمفعول ، ليقل في كلامهم**

٤٤ــ اصول النحو العربي : ١٤٢ . وينظر مصدره .

٤٥ــ الخصائص (ابن جني) ٢/٢٢٧ وما بعدها .

٤٦ــ اصول النحو العربي : ١٧٤ .

٤٧ــ نفسه : ١٧٤ ، ١٧٥ وينظر مصدره .

٤٨ــ مناهج تجديد : ٨١ .

ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون ، فلا يزيدنا ذلك علما بان الفاعل مرفوع ولو جهلنا ذلك لم يضرنا جهله اذ صح عندنا رفع الفاعل الذي هو مطلوبنا باستقراء المتواتر الذي يوقع العلم »(٤٩) .

وقد طبق ابن مضاء نظرته هذه على عدد من أبواب النحو ، منها باب الممنوع من الصرف ، فذكر العلل الاول في منع الاسماء من الصرف وهي العلمية والعجمة والصفة والتأنيث والتركيب المزجي والعدل والجمع الذي لانظير له ووزن الفعل المختص به ، أو الغالب عليه والالف والنون الزائدتان . ثم ذكر العلل الثواني بعد ذلك فقال : « **والوجه عندهم لسقوط التنوين من الفعل لثقله ، وثقله ، لان الاسم اكثر استعمالا منه ، والشيء اذ عاوده اللسان خف ، واذا قل استعماله ثقل ، وهذه الاسماء وغيرها اكثر استعمالا منها فثقلت فمنعت ما منع الفعل من التنوين وصار الجر تبعا له . وليس يحتاج من هذا الا الى معرفة تلك العلل التي تلازم عدم الانصراف ، واذا ما غير ذلك ففضل »**(٥٠) .

يتضح من كلام ابن مضاء ان العلة الوحيدة المقبولة في الدرس النحوي هي نطق العرب للحالة التي وردت عليها اللفظة ، وثبوت هذا النطق باستقراء الكلام المتوارد ، وهذا ما سماه النحاة بالعلة الاولى ، وعبر عنه ابن مضاء والكسائي قبله بقولهما : **« كذا نطقت العرب »** ، واما العلل الثواني والثوالث فمرفوضة لانها لا تزيدنا بصرا بكلام ولاينال الدارس منها الا التعب والعناء ، ورياضة الذهن دون اللسان . . .

وقد التفت ابن مضاء الى ان العلم بالعلل لايفيد نطقا ، وكل مالايفيد نطقا لا مكان له في الدرس النحوي وفي كتب النحو المدرسي بوجه خاص ، قال ابن مضاء : « **ومما يجب ان يسقط من النحو الاختلاف فيما لايفيد نطقا كاختلافهم في علة رفع الفاعل ، ونصب المفعول .**

٤٩ـ الرد على النحاة : ١٥١ ، ١٥٢ .

٥٠ـ الرد على النحاة : ١٥٧ ، ١٥٨ ،

وسائر ما اختلفوا فيه من العلل الثواني وغيرها مما لايفيد نطقا »(٥١) . .

وقد اقر الدرس اللغوي الحديث ما ذهب اليه ابن مضاء ، وقرر ان التعليل مقبول اذا كان بحدود وصف كيفيات النصوص ، وذكر خصائصها ، فاذا تجاوز ذلك الى شرح الغايات ، وبيان الاهداف فانه« **يخرج من نطاق الممكن الى غيبيات لاتفيد موضوع البحث »**(٥٢) . .

وكان ارسطو قد ذكر ان علل الاشياء اربعة « **اثنتان منهما يتحقق بهما الشيء ووجوده وهما الفاعلية التي يجاب بها عمن فعل الشيء ؟ والماهية التي يجاب بها عن ــ ماهو ــ الشيء ؟ والعلتان الاخريان يشرحان خواص الاشياء وهما الصورية والغائية ، فالاولى تبين صفاته ، والثانية تبين غايته وهدفه »**(٥٣) . .

غير ان المناهج الحديثة لاتهتم بالحديث عن الاثنتين الاوليتين لانهما يشرحان ماهية الشيء ووجوده والعلم لايبحث الافيما هو موجود فعلا ، واما العلتان الاخريان وهما الصورية والغائية ، فقد ارتضى العلم اللغوي الحديث منهما الصورية فقط ، لان وظيفة هذا العلم هو البحث في الظواهر من ناحية صفاتها وكيفياتها ولا يعدو ذلك الى البحث في الهدف والغاية(٥٤) . .

واذا تتبعنا علل النحاة وجدناها عللا غائية ، تتعدى الظاهر الى ماوراء وتتجاوب صفاتالتراكيب وخصائصها الى البحث فيما وراء الصفات ، وهي علل تقوم على الصفة وتعتمد على الذهن . . .

واذا اردنا تيسير مادة النحو ، وتقريبها من افهام دارسيها من الناشئة والمبتدئين ، كان علينا أن نتخلى في كتبنا المدرسية في الاقل « **عن التعليل**

٥١ـ نفسه .

٥٢ـ اصول النحو العربي : ١٦٦ .

٥٣ـ نفسه : ١٦٦

٥٤ـ اصول النحو العربي : ١٦٦ ، ١٦٧ .

النحوي في اي لون من الوانه النظرية »[55] لان هذا الضرب من المعرفة النحوية « يبتعد عن طبيعة العربية ويعوق عن اكتسابها » [56] .. ويقول الدكتور ابراهيم السامرائي : « فاذا اردنا ان ننهج نهجا نوجهه للدارسين في عصرنا هذا فعلينا ان ناخذ بالمنهج الوصفي ، ذلك ان النحو في الدراسات الحديثة وصف للغة المكتوبة ، او المنطوق بها وصفا يتناول الكلمة وصورتها والضوابط التي تظهر في آخرها ، وعلى هذا فان ماندعوه مثلا بالاعراب التقديري في

٥٥ـ مناهج تجديد : ٨٢

٥٦ـ نفسه : ٨٣

نحونا ـ والتعليل مثله شيء باطل لانه بعيد عن المنهج الوصفي » [57] ..

وبعد

فقد تبين لنا ان النحو العربي وما يتلقاه الناشئة منه بوجه خاص يحتاج الى اصلاح ويتطلب شيئا من تشذيب وتهذيب ، واذا فعلنا ذلك يسرنا تعليمه ، وقدمنا لبابه دون قشوره ، وجوهره دون عرضه وفي ذلك تمكين لابنائنا من لغتهم ، وسد للثغرة التي ينفذ منها أعداء لغتنا ، الذين لم يتوا عن النيل منها ، والصد عنها ، بذريعة ما نجده من صعوبة في تعلم نحوها ..

٥٧ـ النحو العربي (د . ابراهيم السامرائي) : ٦٢ .

سُلّم الآحاد العددي للأعداد العربية

الدكتور

عبد الأمير محمد أمين الورد

كلية الاداب/جامعة بغداد

يدرس هذا البحث الاعداد بصورها المحوضة والفاظها المعروفة مجرّدة من اي وصف او إشارة او مفاد غير مفاد التتالي والتتابع .

ويتكوّن هذا السلّم من الاعداد متنضدة من « الواحد » الى « العشرة » حسب تزايدها تزايداً منتظما ، بدء بذكر الوحدة الاولى المسماة بلفظ « واحد » ، ثم بإضافتها الى وحدة مثلها لتكوين وحدة جديدة مسماة بلفظ « اثنين » ، ثم بإضافة الوحدة الأولى ايضاً الى الوحدة الثانية « اثنين » لتكوين وحدة جديدة ثالثة مسماة بلفظ « ثلاثة » . ثمّ تستمر إضافة الوحدة الاولى الى كلّ وحدة جديدة بصورة متتالية لتكوّن سلسلة من الوحدات هي « اربعة » و « خمسة » و « ستة » و « سبعة » و « ثمانية » و « تسعة » و « عشرة » .

يثير هذا السلّم عددا من المناقشات . وقبل ان نمضي في تناول اي منها تجدر الإشارة إلى امر ذي اهميّة ؛ انّه لا يوجد العدد مجرّداً من المعدود ، ممحوض الدلالة على العدّ والتسلسل ، إلاّ في التريّض البحت (Pure Mathematics) فإذا خرج العدد منه ارتبط بالمعدود الا نادراً ، كما سيمرّ بنا ذلك في بحوث قابلة ان شاء الله تعالى .

● ★ ●

لعلّ اوّل ما يثير هذا السلّم من المناقشات اختلاف زنات الالفاظ فيه . اذ تنتظم الفاظه ثماني زنات هي :

١ : فاعل : وعليها لفظ واحد لاغير منها هو « واحد » .

٢ : افعان : وعليها لفظ واحد لا غير منها هو « اثنان » .

٣ : فَعالة : وعليها لفظ واحد لاغير منهاهو « ثلاثة » .

٤ : أفعلَة : وعليها لفظ واحد لا غير منها هو « اربعة » .

٥ : فَعْلة : وعليها لفظان اثنان منها هما «خمسة» و « سبعة » .

٦ : فِعْلة : وعليها لفظان اثنان منها هما « ستة » و « تسعة » .

٧ : فَعالية : وعليها لفظ واحد منها لا غير هو « ثمانية » .

٨ : فَعَلة : وعليها لفظ واحد منها لاغير «عشرة»

والعربيّة ليست بدعا في عدم قياسته الزنات في الأعداد فمثلها في ذلك مثل اخواتها من الساميّات . فالدارس الذي يستخلص الفاظ الاعداد فيها من قاموس اللغات السامية الذي أورده ولفنسون في كتابه « تاريخ اللغات السامية » ينتظم عنده الجدول الآتي :

العربية	الاشورية البابلية	العبرية	الارامية	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
احَدٌ (واحد)	ادُو	احاد	حَدٌ	اَحَدٌ
اثنان	شِنا	شنايم	ترين	سَنِيت
ثلاثةٌ	شلاشو	شَلوش	تلاتٌ	شَلاَس
اربعةٌ	اربَعو	اَرْبَع	اَرْبَع	اَرْبَع
خمسةٌ	خمشو	حَمِش	حَمْشا	خَمَس
ستةٌ	ششو	شش	شِتّا	سِسْو
سبعةٌ	سِبو	شبَع	شَبَعْ	شَبعو
ثمانيةٌ	شمانو	شمونَة	ثمانا	سَمَانِي
تسعةٌ	تِشوُ	تشَع	تَشَع	تِشَعْ
عشرةٌ	عشرو	عسر	عَسَرْ	عَشَرْو

« تحتسب e فتحة ممالة ممطولة و o ضمة ممالة ممطولة » .

ويتضح بشكل غير مناقَش انّ الآشوريّة البابليّة تستخدم ثماني زنات للتعبير عن الفاظ الأعداد العشرة ، إذ تتحد فيها صيغة اللفظين المعبّرين عن العدد « واحد » والعدد « ستة » ، وصيغة اللفظين المعبّرين عن العدد « سبعة » والعدد « تسعة » وتستخدم العبريّة تسع زنات ؛ اذ تتّحد فيها صيغة اللفظين المعبّرَيْن عن العدد « سبعة » والعدد « تسعة » . وتستخدم الاراميّة ثماني زنات ، اذ تتّحد فيها صيغة الالفاظ المعبّرة عن الاعداد « سبعة » و « تسعة » و « عشرة » . وتستخدم لغات جنوب الجزيرة والحبشة تسع زنات ، اذ تتحد فيها صيغة اللفظين المعبّرين عن العدد « سبعة » والعدد « عشرة »(١) .

وهذه الظاهرة في تعدد زنات الفاظ الاعداد ليست وقفاً على الساميّات ، بل لعله ظاهرة لغوية عامّة(٢) .

(١) تاريخ اللغات السامية ٢٨٢ ـ ٢٩٤ . وقد آثر المؤلف في قاموسه ان يورد الالفاظ في العربية مؤنثة الا لفظ «واحد» ، فذكر «اثنان» ثم جاء بما بعدها مجردا من الهاء . واورد لفظ «ثمان» مضموم النون منونها .

(٢) السلم في الانكليزية هو
— Three - two - one - seven - six - five
- four - ten - nine - eight والزنات فيه كما هو مبين تسع لتوحد الزنة في اللفظين المعبرين عن العدد «خمسة» والعدد «تسعة» والسلم في الكردية هو «يك» «دو» «سي» «چوار» «پنج» «شش» «حوت» «هشت» «نو» «ده» .

ولئن دلّ هذا على شيء فهو يدلّ على انّ الاعداد في اللغات كلّ اللغات لم تنبثق في ذهن الانسان في ايّة لغة مرّة واحدة وفي ظرف واحد ؛ بل دعت إلى كلّ واحد منها دواعٍ تخالف تلك التي دعت الى سواه ، فجاءت متلوّنة متنوّعة الجرس والصيغة(٢) .

● ★ ●

ثاني ما يثير هذا السلّم من المناقشات هو مفادات زنات الالفاظ فيه . فبالرغم من انّنا لا نعرف تطوّر اللفظ العدديّ في خلال العصور في غير العربيّة ، وفي العربيّة ايضا ؛ يمكن القول إن الزنات الثماني للسلّم العدديّ الأوّل في العربيّة غير منفصلة عن سائر زنات العربيّة عامّة ؛ وليست شاذّة عنها . اي إنّ العربيّة لم تؤثر العدد في السلّم العدّيّ الأوّل هذا بوزن مقصور عليه لا يشركه فيه شيء من غير العدد . ويتضح ذلك مما ياتي :

ا : جاء لفظ « واحد » على زنة « فاعل » كما مرّ . وهذا الوزن ياتي اسما مثل « كاهل » و « غارب» و « ساعد » و « كاحل » ، ويأتي

(٢) هذه الكلمة تقال مع التحفظ في التعامل مع اللغتين الانكليزية والكردية بالميزان او القول الصرفي العربي الذي قد يسوغ لنا قرب العربية من الساميات التعامل به معها . وانما هي استئناسة نسوقها سوقا .

وصفاً مثل « ضارب » و « قاتل » و « جالس »(٤) فاذا جاء وصفاً كان له ان يعمل عمل فعله بشروط استقصاها النحاة(٥) ؛ وهو عندما يكون وصفاً لفظ يدلّ على من يقع منه الفعل(٦) . وله من الدلالات غير هذه ، الدلالة على اسم المفعول(٧) ؛ والدلالة على المصدر(٨) ، والدلالة على المفعول فيه(٩) ، والدلالة على معنى الجمع(١٠) ، والدلالة على معنى « صاحب الشيء » او «ذي الشيء»(١١)؛ والدلالة على معنى المبالغة(١٢) ، والدلالة على الغريزة(١٣) ؛ والدلالة على معنى الصفة المشبّهة(١٤) ، والدلالة على الوصف للمؤنث من غيرهاء ، التأنيث(١٥) .

ولفظ « واحد » في السلّم العدديّ المجرد اسم لمفتتح العدد(١٦) ، أو هو مفتتح العدد(١٧) ، او اول عدد الحساب(١٨) ، او اول العدد(١٩) هو إذنْ ليس وصفاً في افتتاح العدد بل اسم(٢٠) . وقد يكون وصفاً في غير هذا السياق ، كما سيأتي في قابل الدراسات إن شاء الله تعالى(٢١) .

(٤) ابنية الصرف في كتاب سيبويه ١٥٤ والممتع في التصريف ١ / ٨٠.
(٥) الكتاب لسيبويه ٥ / ٢٥٢ و شرح بن عقيل لالفية بن مالك ٢/٨٨ وما بعدها .
(٦) شذا العرف في فن الصرف ٧٧ وشرح الرضي على الشافية ١/١٤٨ .
(٧) معاني القرآن للفراء ٢/١٨٢ .
(٨) الكامل في اللغة والادب للمبرد ١/١٠٦ .
(٩) معاني القرآن للفراء ٢/٢٦٣ .
(١٠) اللسان «سمر» و «جمل» و «بقر» .
(١١) المختار من صحاح اللغة «رمح» وشذ العرف ١٤١ . والتبيان للعكبري ١٢٣٧ واللسان «حبل» .
(١٢) ابنية الصرف ٢٧٣ .
(١٣) شذا العرف ١١٤ .
(١٤) شرح الرضي على الشافية ١/١٢٧ و ١٤٨ وشذا العرف ٨١ .
(١٥) ديوان‌الادب للفارابي ١/٢٤٤ – ٢٦٣ وجمهرة اللغة لابن دريد ٣/٤٥) و ٤٦؟ والمزهر في علوم اللغة للسيوطي ٢/٨٨ و ٨٩ .
(١٦) اللسان «وحد» والمصباح المنير «وحد» .
(١٧) المصباح «كالسابق» .
(١٨) القاموس المحيط «الواحد» واللسان «وحد» .
(١٩) المخصص لابن سيدة ١٧/٩٧ و ٩٨ والمختار من صحاح اللغة «وحد» واللسان «وحد» .
(٢٠) المخصص «كالسابق» .
(٢١) الايات في يوسف ١٢/٣٩ و ٦٧ والرعد ١٢/٤ و ١٦ وابراهيم ١٤/١٨ و٥٢ وص ٣٨/٥ و ٦٥ والزمر ٣٩/٤ وغافر ٤٠/١٦ والبقرة ٢\٦١ و١٣٣ و ١٦٣ والنساء ٤/١١و١٢ و١٧١ والمائدة/٧٣والانعام٦/١٩ والنحل ١٦/٢٢ و٥١ والكهف ١٨/١١٠ والانبياء ٢١\١٠٨ والحج ٢٢\٣٤ والنور ٢٤\٢ والعنكبوت ٢٩\٤٦ والصافات ٣٧\٤ وفصلت ٤١\٦ والتوبة ٩\٣١ والفرقان٢٥\ ٢٤ والمخصص ١٧\٩٧.

ولم يتناوله المشترك اللفظيّ ، فلم يتعاوره اكثر من معنى ؛ لذلك لا تجد له في كتب اللغة غير صورة متقاربة من التعبيرات ، إذ كان المعنى فيه واحداً .

ومن خصائص لفظ « واحد » ما نصّ عليه الفيروزآباديّ من انه ليس له تثنية(٢٢) ، وما قصد من ذلك هو انه لا مثنى له من لفظه . وشفع قوله هذا بقوله « ولا للاثنين واحد من جنسه »(٢٣) ، أي من لفظه ايضا . ولكنّ الفيروزآباديّ نفسه هو الذي قال في موضع آخر « الواحد اول عدد الحساب وقد يثنّى »(٢٤) . واشار ابن منظور ايضاً الى تثنية الواحد بعبارة مقاربة ، واورد شاهداً شعريا رواه ابن الأعرابيّ هو :

فلمّا التقينا واحدَيْن عَلَوْتُه
بذي الكفّ إنّي للكماة ضروبُ(٢٥)

وجليّ ان التثنية جاءت للدلالة على الوصف لا على تثنية اول عدد الحساب ، لذلك لا يعتدّ بها في هذا الموضع من الدراسة .

اما جمع الواحد وتثنيته اللذان لا تكاد تخلو منهما كتب اللغة ومراجعها فالكلام عليهما يندرج تحت الوصف بالعدد ، لانهما لا يدلان على « جمع » او « تثنية » اول عدد الحساب ايضا . وقد قال ابن جنّي في الواحد يراد به العدد انه لا يثنّى ولا يجمع ؛ الا ترى انهم قد استغنوا عن تثنيته بـ « اثنين » وعن جمعه بـ « ثلاثة » ؟(٢٦) .

وهكذا نجد لفظ « واحد » قد جاء مصوغا على وزن له دلالات كثيرة ؛ وورد في كلّ دلالة عدد كبير من الالفاظ .

● ★ ●

٢ : جاء لفظ « اثنان » على وزن « افعان » من المثنّى ؛ فالهمزة فيه وصل ؛ والالف والنون للتثنية . ومثله « اسمان » و « ابنان » مثنّى لـ « اسم » و « ابن » . وتقول كتب العربية : « اثنان » ضعف الواحد »(٢٧) وهو « اسم من اسماء العدد ، اسم للتثنية »(٢٨) .

(٢٢) القاموس المحيط «الاحد» .
(٢٣) السابق .
(٢٤) السابق «الواحد» .
(٢٥) اللسان «وحد» .
(٢٦) المخصص ١٧/٩٧ و ٩٨ .
(٢٧) اللسان «ثني» والقاموس المحيط «ثني» .
(٢٨) المصباح المنير «الثنية» .

وتجمع المصادر على انه من مادة ثنى يثنى ثنيا » ؛ اذ تضعه المعجمات وكتب اللغة والصرف في هذه المادة قائلة إنّ اصله « ثَنَيٌ » : « فَعَلٌ » لحملهم ايّاه على « اثناء »(٢٩) ، فهو من « ثَنَيْتُ » بوزن « قَلَم » ؛ لان « الاثنين » قد « ثُنِيَ » احدهما على صاحبه ، ويجوز ان يكون اصله « ثِنْيٌ » كـ « جِذْع »(٣٠) .

وهكذا يربط اللغويّون هذا اللفظ إلى « ثني الشيء يثنيه ثنيا : ردّ بعضه على بعض ، وقد تثنى وانثنى . واثناؤه ومثانيه : قواه وطاقه ، واحدها « ثِنْيٌ » و «مَثْناة» و «مِثْناة» . وتمضي مسيرة الاشتقاق قائلة : « انثنى : انعطف ، وكذلك اثنونى على « افعوعل » . و « اثنونى في صدره على البغضاء : انحنى وانطوى . وكلّ شيء عطفته فقد ثنيته » ... و « الثني : ضم واحد الى واحد . والثني : الاسم والثنى : الامر يعاد مرتين ، وان يفعل الشيء مرتين ... ويقال : ثِنَى وثُنَى »(٣١) .

ولكنّ اللغويين اذ يقررون هذا ، واذ يضيفون ان « الاثنين » قد ثني احدهما على صاحبه(٣٢) ، يقررون ايضا انه ليس للواحد تثنية، ولا للاثنين واحد من جنسه »(٣٣) . فيمكن القول من بعد هذا : إنّ لفظ « ثِنْي » أو « ثَنَى » او « ثِنَى » أو « ثَنَى » إنْ صحّ ان احدها مفرد حقيقي ، او مقدر متصور ! « اثنان » هو كلفظ « اخ » أو « زوج » او « توام » او « صديق » ، يدلّ على المفرد مع اشارته الى علاقة تربطه بلفظ آخر مثله ؛ فهو بهذا لا يستغني في التثنية عن الاسلوب المتّبع في صوغ المثنّى ، والملتزم بإتباع المفرد الفا ونونا مكسورة في حال الرفع ، وياء ونونا مكسورة في حالي النصب والجرّ . مع سقوط النون إذا اضيف الاسم الى ما بعده .

ولكن لفظ « اثنان » ليس مثنّى في راي النحاة بل ملحق به ، اذ هو خارج عن حدّ التثنية . وعبارة ابي السعادات ابن الشجريّ دقيقة في حدّ التثنية والجمع ، اذ يقول :

(٢٩) المصباح المنير والقاموس المحيط كالسابق والامالي الشجرية ٦٩/٢ .

(٣٠) الامالي الشجرية ٢ /٦٩ و ٧٠ .

(٣١) اللسان «ثني» .

(٣٢) الامالي الشجرية ٦٩/٢ .

(٣٣) القاموس المحيط «الأحد» .

« التثنية والجمع المستعملان بالحرف اصلهما التثنية والجمع المستعملان بالعطف ؛ فقولك : « جاء الرجلان » و « مررت بالزيدين » اصله : جاء الرجل والرجل ، و : مررت بزيد وزيد . فحذفوا العاطف والمعطوف ، و اقاموا حرف التثنية مقامهما اختصارا . وصحّ ذلك لاتفاق الذاتين في التسمية بلفظ واحد . فإن اختلف لفظ الاسمين رجعوا الى التكرير بالعاطف »(٢٤) .

لذلك عدّ « اثنان » و « اثنتان » و « ثنتان » خوارج عن حدّ التثنية ، ملحقات بالمثنى ؛ اذ لم يسمع « اثن » ولا « اثنة » ولا « ثنت »(٢٥) . ويقول الليث : « اثنان » اسمان لا يفردان قرينان؛ لا يقال لأحدهما « اثن » كما انّ « ثلاثة » اسماء مقترنة لاتفترق »(٢٦) .

وهنا يظهر المجال واسعا أمام تعليلات الصرف لتقول كلمتها فتسدّ بها هذه الثغرة ، اذ تقول بلسان ابن سيده : « قال ابو عليّ « اثنان » محذوف موضع اللام ؛ كما انّ قولهم « ابنان » كذلك(٢٧) ، ونجد الفيّوميّ بعده يقول : « الاثنان » من اسماء العدد : اسم للتثنية حذفت لامه وهي ياء . وتقدير الواحد « ثَنَي » وزان « سبب » ، ثم عوّض همزة وصل فقيل « اثنان » وللمؤنث « اثنتان » ، كما قيل : « ابنان » و « ابنتان »(٢٨) .

نصل من هذا الى ان « اثنان » يحمل دلالتين ؛ دلالة التكرار والورود لاكثر من مرّة ، وهذا ما تنبض به المادّة اللغويّة « ث ن ي » ، ودلالة تحديد عدد هذا التكرار ، وهذا ماتنهض به الصيغة إذ تلحقه بالمثنّى في حين انّ الصيغة واللفظ اتّحدا في لفظ العدد « واحد » وتظافرا وتظاهرا .

ويمكن ان نفترض ان ارتباط مادة « ثنى » في العربية بالعدد ظهر بعد ظهور اسلوب التثنية بالالف والنون، اي انّ اصل ماظهر هو المادة «ثني» الدالّة على الانعطاف والتكرّر غير المحدود الكميّة ولا ذي الدلالة على عدد ، ثم ارتبط هذا اللفظ بالعدد بالحاقه بالمثنّى بزيادة الالف والنون او الياء والنون . ومن هذه المفردة الجديدة الحاملة

(٢٤) الامالي الشجرية ١٠/١ .

(٢٥) شرح الاشموني ٧٦/١ .

(٢٦) اللسان «ثني» .

(٢٧) المخصص ٩٨/١٧ .

(٢٨) المصباح المنير «ثنية» .

للمعنيين مرتبطين اشتق ما جاء من الالفاظ دالاً على الثنائيـة مثل « المثنّى » و « المثنّى » و « الثناء » وغيرها .

وآية ما نذهب اليه :

ء : ان الالف والنون ماتزالان اية التثنيـة في الاسـم ، وفي الفعـل ايضاً ؛ كما في المضـارع « يذهبان » و « تتحـدّثان » . وتحمـل الالف وحدها مهمّة التثنية في الماضي مثل « ذهبا » و « تحدثـا » و « ذهبتـا » و « تحدثتـا » ، وفي المضارع المنصوب والمجزوم مثل « لن يتحدّثا » و « لن يذهبا » ؛ و « لم تتحدثا » و « لم تذهبا »، وفي الامـر مثل : « إذهبا » و « تحدثا » ، وفي اضافة المثنّى الى ما بعده مثل « ولدا زيد » . و تبدل في الاسم ياءً في النصب والجرّ .

ب ان مادة (ثنى) في العربية لم تعبّـر عن التكرار مرّة ومرّة لا اكثر في العدد إلاّ مرتبطة بالالف والنون . اي ان اصل ماظهر هو المادة «ثنى» لا اكثر في اللغة كلّها . ولو كانت المادة اللغوية هي التي تملك التعبير عن تكرار الوحدة العدديّة مرّة ومرّة لا اكثر في العربيّة لما احتاجت الى الارتباط بالالف والنون .

ج : إنّ لفظ العدد « اثنان » يغاير الفاظ سائر الاعداد الثمانية التي تليه في صيغها الصرفية الستّ في كونه يدل على جمعيّة التكرار بالصيغة الصرفيّة ، وعلى كميّة التكرار بالمادة اللغوية كما سيتضح ذلك في قابل ان شاء الله تعالى .

د : إنّ « اثنان » يتّخذ منهجا قياسيّاً في التثنية مشبها بذلك كلّ مثنّى آخر ، في حين لا يتّخذ سائر ما يليه من الاعداد منهجا قياسيّاً ما ؛ وذلك ناتج عن انّ مرتبة التثنية مرتبة واحدة في حين انّ مرتبة الجمعيّة تختلف حسب الكميّة ؛ فلكلّ كميّة سماع خاصّ بها .

ج : تقدّم لنا نظرة إلى أسماء العدد «اثنين» في جدول الساميات السـابق ذكره ما يأتي من الحقائق :

★ : ان الساميات جميعـا الا العربـيـة وحدها عمدت الى محاولة جعل اللفظ الدال على المثنّى في مادّته اللغويّة يقوم على الثلاثية ، وذلك لأنّ الثلاثية هي الاصل الاشيع فيها(٣٩) .

★ : سلكت العبريّة ولغة جنوب الجزيرة والحبشة سلوك العربيّة ايضا ؛ فقد أضافت من الاصوات ما يدلّ على الكميّة علـى أصل اللفظ الدال على التكرار المجرّد . وهكـذا جاءت الياء والميم « يم » في العبرية لتشير الى الكمية في حـين جاءت « شنا » تدل على التكرار لاغير فكانت من ذلك لفظة « شنايم » . ويقال ذلك ايضاً في كلمة « سَنيت » في لغة جنوب الجزيرة والحبشـة ؛ فقد وردت التاء للدلالة على الجمع ووردت «سَني» للدلالة على التكرار غير المحدد . اما الآشـوريّة البابلية فقد اكتفت بـ « شـنا » اصطلاحاً علـى التثنية تكراراً وعددا .

وابتداء من العدد « اثنـين » ينشطر عالم الاعداد شطرين متمايزين : هما الاعداد الفرديّة او الوتريّة ؛ وهي الأعداد التي لا يمكن شطرها الى شطرين متماثلـين بوحدات تامّة . بل لابدّ لأحدهما ان يزيد على الآخر بوحدة عدديّة ؛ وان يقلّ صاحبه عنه بوحدة عدديّة مماثلة ، والاعداد الزوجيّة او الشفعيّة ، وهي الاعداد التي يمكن شطرها الى نصفين متماثلي الكمية .

● ★ ●

قبل البدء بتدارس الاعداد التي تزيد على « اثنين » يجب القول انّ هذه الاعداد تدخل الدراسة في مرحلة جديدة هي مرحلة الجمع إذ تواتر العربيّة العدد « واحد » بالإفراد ، والعدد « اثنين » بالتثنية ؛ اما العدد بعد الاثنين فينتظم كلّه في سلك الجمع .

٣(٤٠) : مما يلفت النظر في الاعداد الثمانية المبدوء ؛ بـ « ثلاثة » والمنتهية بـ « عشرة » انّها لم تأتِ على زنة واحدة ؛ بل جاءت على ستّ زنات ، كما مر بنا قبل في هذه الدراسة ، ولـم تأت من مادّة لغويّة واحـدة بل من ثماني موادّ مختلفة . فقد اعتمد كلّ منها في تأدية معناه على عمادين اثنين ؛ صيغـة تدّل على الجمعيـة ولا تحدّد مقدارها بل تشير الى تكرار المادة اكثر من مرّة ومرّة ، ومادّة لغويّة تشير الى كميّة هذا التكرار . فلا تنتظم هذه الاعدادّ الثمانية كما هـو واضح صيغة صرفيـة واحدة تتعـدّد موادّها

(٣٩) تاريخ اللغات السامية ١٤ .

(٤٠) ما تزال الدراسة تتناول المناقشة الثانية ولذلك جاءت الفقرة متممة للفقرتين السابقتين في مناقشة العدد «الواحد» والعدد «اثنين» .

اللغويّة[٤١] ، ولا مادّة لغوية واحدة تتعدد صيغها الصرفية[٤٢] .

لقد سبق لنا القول انّ العربيّة لم تؤثر السلّم العدديّ الاوّل باوزان يدّع لا يشركه فيها غيره . وقد ثبت لنا ذلك بالنسبة للعددين « واحد » و « اثنان » ، وسنبحث ذلك بعد قليل بالنسبة للأعداد الاخرى من هذا السلّم . وقد سبق لنا القول انّ الأعداد الجمعيّة اكتسبت دلالة الجمعية من اوزانها وصيغها الصرفيّة ، ودلالة الكمية من موادها اللغوية .. فما اية القولين يا ترى ؟

يهدينا الاستقصاء الى ما ياتي :

ء : صيغة « ثلاثة » : « فَعالة » . وجاء عليها من الالفاظ : اثنتان وخمسون لفظة من الصحيح[٤٣] ، واثنتان واربعون لفظة من المضاعف[٤٤] وسبع لفظات من المثال[٤٥] ، وثلاث من اللفيف المفروق الواويّ ، واربع من اللفيف المفروق اليائي[٤٦] ، وست من الأجوف الواويّ ، وواحدة من الاجوف اليائيّ[٤٧] . فهذه خمس عشرة كلمة ومئة كلمة ، منها ثلاث دوالّ على الجمع هي : « الصحابة » : وهي في الاصل مصدر[٤٨] ، و « الجماعة »[٤٩] و « الزرافة » : الجماعة من الناس ، ولا جمع فيها ذا مفرد الا « الصحابة » ؛ اذ هي جمع « صاحب » . ولم يجمع « فاعل » على « فعالة » الا هذا[٥٠] .

ب : صيغة « اربعة » : « افعَلة » وليست « فَعْلَلَة » بدليل سقوط الهمزة في مشتقّاتها كلّها[٥١] ، ولو كانت اصليّة ما سقطت ، ولكانت عندئذ رباعية . وجاء عليها من الالفاظ في اللغة تسعٌ ، منها لفظتان دالتان الجمع هما « الأزْفَلَة » : الجماعة من الناس ، ومثلها معنى « الاجْفَلَة »[٥٢] ولعلهما واحد . ولا الجمع فيها .

ج : صيغة « خَمْسَة » و « سَبْعَة » : « فَعْلَة » ، وجاء عليها خمس وثلاثون لفظة ومئتا لفظة من الصحيح[٥٣] ، وإحدى وسبعون لفظة من المضاعف[٥٤] ، وثلاث وثلاثون لفظة من المثال الواويّ ، ولفظة واحدة من المضاعف الواويّ ، ولفظتان من اللفيف ، ولفظة واحدة من المثال اليائيّ[٥٥] ، وثلاث وثلاثون لفظة من الاجوف الواويّ[٥٦] وإحدى وثلاثون لفظة من الاجوف اليائيّ[٥٧] . فمجموع ما جاء عليها خمس وثلاثون لفظة وثلاث مئة لفظة ، منها اربع عشرة دالة على الجمع هي :

الحَلْبة : الخيل تجتمع للسباق من كل اوب ولا تخرج من موضع واحد .

الفَقْعَة : جمع « فَقْع » وهو ضرب من الكمأة وهي من النوادر .

الرَّعْلَة : القطعة من الخيل .

الجُمْلَة : يقال : « اخذه بجملته » إذا اخذه اجمع .

الهَجْمَة : الخمسون من الإبل إلى ما زادت ، وقال الأصمعيّ : « هي المئة » .

الجَبْهَة : الخيلُ .

النَدْهَة : الكثرة من المال[٥٨] .

الكَبْنَة : الجماعة من الناس .

النَخْة : الرقيقُ ، أو البقر العوامل .

الصَرْمة : الجماعة .

---

(٤١) لو كان هذا الاحتمال قائما لكان ممكنا تختار اللغة ايا من الصيغ الست فلو اختارت صيغة «أفعلة» لجاءت الالفاظ «أثلثة» و «اربعة» و «اخمسة» و «اسدسة» و «اسبعة» و « اثمنه » و « اتسعة » و «اعشرة» لتدل على ما يرمز اليه الارقام ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ وليقس مالم يقل من الاوزان والصيغ الخمس الاخرى .

(٤٢) لو كان هذا الاحتمال قائما لكان ممكنا ان تختار اللغة ايا من المواد اللغوية الثماني ، فلو اختارت مادة «خمس» مثلا لوجدنا الالفاظ «خماسة» و «اخمسة» و «خمسة» و «خيمسة» و «خماسية» و «خَمْسة» لتدل على ما يرمز اليه بالارقام ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٩ ٨ و ١٠ ويلتبس فيها كما هو واضح عددان بعددين وليقس ما لم يقل في المواد «ثلث» و «ربع» و «سدس» و «سبع» و «ثمن» و «تسع» و «عشر» .

(٤٣) ديوان الادب ١/٣٨٤ .

(٤٤) السابق ٢/٦٧ — ٦٩ .

(٤٥) السابق ٣/٢٢٣ و٢٣٤ .

(٤٦) السابق ٣٦٩ .

(٤٧) السابق ١/٣٨٤ .

(٤٨) السابق ٣٨٥ .

(٤٩) السابق .

(٥٠) اللسان «صحب» .

(٥١) اللسان «ربع» .

(٥٢) ديوان الادب ١/٢٧٢ واللسان «زفل» و «جفل» .

(٥٣) ديوان الادب ١/١٢٤ — ١٤٧ .

(٥٤) السابق ٣/١٢ — ١٧ .

(٥٥) السابق ٢١١ و ٢١٢ .

(٥٦) السابق ٣٠٧ — ٢١٠ واللسان «عيل» .

(٥٧) ديوان الادب ٣/٣١٠ —٣١٢ .

(٥٨) السابق ١٢ — ١٧ .

الجَفْئة : جماعة القوم .

الصَفْئة : جماعة الناس .

الثلّة : جماعة الغَنَم .

الجَمئة : جماعة يسألون الديَة(٥٩) .

ولا جمع فيها كما هو واضح الا لفظة واحدة هي « الفَقَعَة » : جمع فقع وهو ضرب من الكماة وهى من النوادر . ويكفينا تعليق الفارابيّ هذا .

ويجب القول ان العربيّة صاغت المصادر الدالّة على المرّة من الثلاثيّ على هذا الوزن ، وصاغت عليه ايضا بعض ما شذّ من المصادر الدالّة على الهيأة(٦٠) .

د : صيغة « سِتّة » و « تِسْعَة » : « فِعْلَة » : وجاء عليها اثنتا عشرة لفظة ومئة لفظة من الصحيح(٦١) ؛ وست وستون من المضاعف(٦٢) ، وثلاث لفظات من المثال(٦٣) ، وخمسون لفظة من الاجوف(٦٤) ، وثلاث وستون لفظة من الناقص الواويّ واليائيّ(٦٥) . فمجموع ذلك اربع وتسعون لفظة ومئتا لفظة ، منها إحدى وعشرون لفظة دالّة على الجمع هي :

الرِثدة : الجماعة من الناس يقيمون ولا يظعنون .

اللِبدة : مثل الرثدة(٦٦) .

عِترة الرجل : رهطه الأدنون(٦٧) .

هم قوم شِجْعَة : اي شجعان ، ونظيره غلمة وغلمان(٦٨) .

المِدفة : من الرجال ما بين العشرة الى الخمسين .

الحِزقة : الجماعة من الناس وهي الخِرقة

الفِرقة : واحدة الفِرَق من الناس .

السِفلة : نقيض العلِيّة .

الغِزلة : جمع غزال(٦٩) .

(٥٩) السابق ١٣٦/١ — ١٤٧ .
(٦٠) شذا العرف ٧٦
(٦١) ديوان الادب ١٢/٣ — ١٧ .
(٦٢) السابق ٣٥ — ٣٩ .
(٦٣) السابق ٢١٣ و ٢١٤ .
(٦٤) ديوان الادب ٢٢٧/٣ — ٢٣٠ .
(٦٥) الصحاح مواد باب الواو واليائي .
(٦٦) ديوان الادب ١٩٦/١ .
(٦٧) السابق ١٩٧ .
(٦٨) السابق ١٩٨ .
(٦٩) السابق ١٩٩ .

الجِرمة : الذين يجترمون النخيل ، أي : يصرمونه .

الجِزمة من الإبل نحو الصِرمة .

الصِرمة : من الابل ما بين العشرة الى الاربعين .

الغِلمة : جمع غلام .

ضِبنة الرجل : عياله(٧٠) .

العِدة : الفرقة(٧١) .

الجِلة : جمع جليل مثل صبيّ .

حِلّة : قوم حلة : اي حلول (٧٢) .

جيرة : جمع جار .

شيعة الرجل : اتباعه وانصاره(٧٣) .

إخوة واخوة : جمع « اخ »(٧٤) .

حِشوة : حِشوة البطن وحُشوته : امعاؤه؛ وفلان من حِشوة بني فلان ، اي : من رذالهم .

الخِصية : جمع خَصيّ وكذلك الخصيان.

الصِبية : جمع صَبيّ وكذلك الصبيان .

العلية : فلان من علية الناس ، وهو جمع رجل علي ، اي : شريف رفيع .

الفتية : جمع فتيّ وهو السخي الكريم .. وكذلك فتيان وفتوّ .

النِسوة والنُسوة والنساء والنسوان : جمع امرأة من غير لفظها .

ومن هذه الالفاظ كما هو واضح جاءت كل من « الشجعة » و « السفلة » و « الغزلة » و « الغلمة » و « الحلّة » و « الجيرة » و «الأخوة» و « الخصية » و « الصبية » و « العلية » و « الفتية » و « النسوة » جموعا .

ويجب القول هنا ايضا ان العربية صاغت المصادر الدالّة على الهيأة من الثلاثيّ على هذا الوزن ، وصاغت عليه ايضا بعض ما شذّ من المصادر الدالّة على المرّة(٧٥) .

هـ : صيغة « ثمانية » : « فعاليّة » لان مادتها « ثمن » ، وجاء عليها اربع عشرة لفظة(٧٦)

(٧٠) السابق ٢٠١ .
(٧١) السابق ٣٦/٣ .
(٧٢) السابق ٣٨ .
(٧٣) السابق ٢٢٨ .
(٧٤) من هذه المفردةالى نهاية السردمستفاد من الصحاح للجوهري في موادها .
(٧٥) شذا العرف ٧٦ .
(٧٦) ديوان الادب ٧٣/١ و ٧٤ .

منها لفظة واحدة دالة على الجمع هي « زبانية »، وهي جمع قيل واحدة « زِبْنِيّ » ، وقيل « زبنية » ، وقيل « زَبانيّ » ، و « الزُّبانية » : الشُّرَط(٧٧) . ومما يجدر ذكره أن وزانات الصيغة الثالثة المتصرفة من صيغ منتهى الجموع ـ وهي الجمع الذي يمتاز عن مفرده بالف زائدة وبعدها ثلاثة احرف أوسطها متحرك وثالثها هاء التانيث ـ تاتي على تناغم ايقاعيٍّ مع صيغة « فعالية » ؛ لانها مثلها في كون الحرفين الاولين مفتوحين ، و الثالث الفا ، والرابع مكسورا ، والخامس مفتوحا ، والسادس هاء تانيث ، وهذه الوزانات مجموع كلّها . وتشيع هذه الوزانات في اللغة المعاصرة في اسماء القبائل والعشائر والاسر ؛ ويمكن تقصي ذلك بنظرة سريعة في معجم القبائل العربية(٧٨) .

و : صيغة « عَشَرة » : « فَعَلَة » ، وجاء عليها خمس وثمانون لفظة ومئة لفظة من الصحيح(٧٩) ، وثلاث لفظات من المضاعف(٨٠) ، وخمس وستون لفظة من الأجوف(٨١) ، ولفظة واحدة من الأجوف الصحيح الواو(٨٢) اما الناقص فتاتي منه اللفظة وقد ابدلت لامها الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فيختلف جرسها وان اتفق صرفها لذلك لا نرى الى ذكرها وعدّها سبيلا . فمجموع الالفاظ اذن هو أربع وخمسون لفظة ومئتا لفظة ، جاء منها ثمان دوال على الجمع هي :

الحَرَجَة : الجماعة من الابل .

الحَفَدة : الاعوان والخدم(٨٣) .

بنو فلان « هَدَرَة » ، اي : ساقطون ليسوا بشيء(٨٤) .

قوم « شَجَعَة » ، أي : شجعاء(٨٥) .

يقال هم « طَبَقَة » من الناس(٨٦) .

« الدَكَلَة » هم الذين لا يجيبون السلطان من عزّهم(٨٧) .

---

(٧٧) السابق ٢٧٤ .
(٧٨) معجم القبائل العربية .
(٧٩) ديوان الادب ٢٣٤/١ ـ ٢٤٣ .
(٨٠) السابق ٥/٣) .
(٨١) السابق ٢٣٩ ـ ٢٤٢.
(٨٢) السابق ٢٤٤ .
(٨٣) السابق ٢٣٥/١ .
(٨٤) السابق ٢٣٧ .
(٨٥) السابق ٢٣٨ .
(٨٦) السابق ٢٤٠ .
(٨٧) السابق ٢٤١ .

« البررة » جمع بارّ(٨٨) .

« العَوَرَة » من الأعور(٨٩) .

وهذه الصيغة « فَعَلَة » مقيسة جمعا في « فاعل » صفة للذكر العاقل مما كان صحيح اللام نحو « فاسق ـ فسقة » و « خائن ـ خونة »(٩٠). فالجمع الذي له مفرد من هذه الصيغة كثير جدا . ومنه على سبيل المثال ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى (بأيدي سفرة كرام بررة)(٩١) و (أولئك هم الكفرة الفجرة)(٩٢) اما لفظة « خَزَنَة » فقد وردت في القرآن الكريم اربع مرات كانت في احداهن مفردة وفي الاخريات مضافة(٩٣) ..

بعد هذا الاستعراض لصيغ الاعداد يمكن القول ان الالفاظ من « ثلاثة» الى «عشرة» هي ليست جموعاً بل اسماء جموع . واذا كنا قد وجدنا في عدد مما شابهته من الالفاظ وزنا الفاظا هي جموع قياسية او سماعية لها مفردات من لفظها ، فاننا لا نعرف لاي من هذه الالفاظ مفردات من لفظه .

★ ★ ★

ثالث ما يثيره هذا السلم من المناقشات ان تتبع اصول الفاظه يظهر لنا انها لم تتجاوز الثلاثي ان قط . ولم تقل عنه الى الثنائي الا في «اثنان» . فبالرغم من ان اللغويين يرون انها من « ثَنَيْ » لايمكن الاطمئنان الى ما يرون . ولعمري لو كان اصلها كذلك لامكن ان يقال فيها « ثنيان » لا ان بتحيل لثنائيتها الواضحة ليتم تساوقها مع الذوق اللغوي العربي في ميله الى الثلاثيّة شانها في ذلك شان اخواتها الساميّات ، فتضاف اليها الهمزة الموصولة في اولها في العربية كما تم ذلك لمادة « اخ » او « دم » او « اب » او يضاف اليها حرف المد في آخرها في الساميات فالنظر في الجدول العددي السامي يظهر الالف في آخر اصل مادة المثنى في الأشورية البابلية وفي العبرية وفي لغة جنوب الجزيرة والحبشة .

ولو كانت «اثنان» ثلاثية لما وجدت لفظة « ثنتان » من غير همزة مع لفظة «اثنتان» بالهمزة .

---

(٨٨) السابق ٥/٣) .
(٨٩) السابق ٢٤٤ .
(٩٠) ابنية الصرف ٢٠٤ .
(٩١) عبس ١٥/٨٠ و ١٦ .
(٩٢) السابق ٤٢ .
(٩٣) انظر المعجم المفهرس «خزنة» .

ولعل في ورود هاتين الصيغتين للمثنى المؤنث دليلا على الاصل الثنائي للكلمة ، فاستقراء اساليب التأنيث القياسية في العربية يظهر لنا ان لها منهجاً يكاد يكون هو الغالب في التأنيث فيها يمكن صوغه فيما يأتي :

١ : اذا كان المؤنث على وزن المذكر من غير ما تغيير في بنائه اللفظي بنته على الفتح ، والحقته هاء لتحافظ على نطق الفتح وسمتها هاء التأنيث . فاذا اتصلت اللفظة المؤنثة بهذا الاسلوب بما بعدها حولت الهاء تاء(٩٤) ولهذا يأتي مؤنث «مرء» «مراة» ومؤنث « طالب » « طالبة » .

٢ : اذا تغير بناء المؤنث عن بناء المذكر فنقص عنه ، انهت العربية المؤنث بفتحة متوسطة الطول سمتها الفا مقصورة كما في « غضبان » « غضبى » و « حيران » « حيرى » .

٣ : اذا تغير بناء المؤنث عن بناء المذكر بنقص في بعضه واختلاف في حركاته : انهت العربية المؤنث بفتحة طويلة تقف بعدها على حرف صحيح هي الهمزة كما في «ابيض» و «بيضاء» و « اسمر » « سمراء » فقد نقصت الهمزة في اول المذكر وفتحت الفاء الساكنة وأسكنت العين المفتوحة(٩٥) .

فالفتح اذن هو الالصق بالتأنيث والادل عليه في المقيس من العربية . ويجد المتتبع ظلالا واضحة لهذا الذوق في غير العربية ، ففي الروسية مثلا يجد الالقاب التي تنتهي بـ « وفيج » في المذكر تنتهي بـ « وفنا » في المؤنث ، وهكذا نسمع « بافلوفيج » ومؤنثه « بافلونا » ويجد الاسماء التي تنتهي بـ « وف » في المذكر تنتهي بـ « وفا » في المؤنث ، فنسمع مثلا « فديتوف » ومؤنثه « فديتوفا » . وفي الاسبانية للمذكر « دون » وللمؤنث «دونا» ، وكذلك « مانيول » و « مانيولا » ، و « دوق » و « دوقا » وفي الايطالية « سينيور » و « سينوريتا » ويجد المتتبع ايضاً كثيراً من الاسماء في غير هذه اللغات تنتهي بالالف اذا كانت للمؤنث . ولعل في هذا ما يؤيد ان الفتح هو المستحب في الاناث .

(٩٤) دأب كثيرمن الدارسين على تسمية هذه الهاء تاء وفي الصحيح انها ليست كذلك بل هي هاء كما رأى كبار علماء العربية كالخليل بن احمد وسيبويه والاخفش والفراء والكسائي والمبرد وغيرهم .

(٩٥) بالرغم من اشارات اللغويين والصرفيين سابقا الى علامات التأنيث الثلاث المذكورة ، لم يحاولوا استنتاج العلاقات الصرفية الايقاعية بنوع الفتح لصياغة المذكر والمؤنث . والمحاولة هذه في هذا البحث هي المحاولةالاولى في هذا الصدد .

بعد هذه الاستئناسة يمكن القول ان اصل «ثِنْتان» هو «ثنتَان» ، مثنى لـ «ثِنَه» التي هي مؤنث « ثن » وذهب توالى الحركات وكثرة الاستعمال بفتحة النون في «ثِنْتان» وان العربية دارت هذه الثنائية وطبّت لها في الاصل «ثن» فاضافت اليه حرف الياء فنقلته الى الثلاثية ، وهكذا حاولت الساميات الاخرى ايضاً كما سبق شرح ذلك . ولذلك كان هذا الاصل الثنائي الشاذ الفاذ الوحيد من اصول الاعداد التسعة الاخرى .

رابع المناقشات التي يمكن ان تثار تتناول الاصوات في هذا السلّم . ويظهر بأنعام النظر ان الاصوات التي استخدمت في أصول هذه ـ بحسبان اصل «اثنان» ثنائياً ؛ وغض النظر عن الابدال في ستة » ـ بلغت اربعة عشر صوتاً ترددت تسعاً وعشرين مرة .

فالباء وردت مرتين في « ربع » و « سبع » .

والتاء وردت مرة واحدة في «تسع» .

والثاء وردت اربع مرات في «ثني» و «ثلث» و «ثمن» .

والحاء وردت مرة واحدة في «وحد» .

والخاء وردت مرة واحدة في «خمس» .

والدال وردتمرتين في «وحد» و «سدس» .

والراء وردت مرتين في «ربع» و «وعشر» .

والسين وردت خمس مرات في «خمس» و «سدس» و«سبع» و «تسع» .

والشين وردت مرة واحدة في «عشر» .

والعين وردت أربع مرات في «ربع» و «سبع» و «تسع» و «عشر» .

واللام وردت مرة واحدة في «ثلث» .

والميم وردت مرتين في «خمس» و «ثمن» .

والنون وردت مرتين في «ثني» و «ثمن» .

والواو وردت مرة واحدة في «وحد» .

وعندما صاغت العربية الاعداد من هذه الاصوات في صيغها المعروفة اضافت اليها ما تتطلبه الصيغ من اصوات لكل حسب ما هي عليه . وبحسبان الفتحة والكسرة اصواتاً غير الالف والياء حرفي المد ، تكون عدّة الاصوات المستعملة لحاجة الصيغ سبعة اصوات ترددت خمساً وثلاثين مرة وهي :

الهمزة وردت مرة واحدة في «أربعة» .

النون وردت مرة واحدة في «اثنان» .

الهاء وردت ثماني مرات اذ ختمت بهاء الاعداد من «ثلاثة» الى «عشرة» .

الالف وردت اربع مرات في «واحد» و «اثنان» و « ثلاثة » و« ثمانية » .

الفتحة وردت ست عشرة مرة — مع عدم حسبانها اذا كانت قبل الالف — ؛ مرة واحدة في كل من «ستة» و «تسعة» ، ومرتين في كل من «ثلاثة» و «خمسة» و «سبعة» و «ثمانية» ، وثلاث مرات في كل من «اربعة» و «عشرة» .
الكسرة وردت أربع مرات في «واحد» و «ستة» و «ثمانية» و «تسعة» .

ولما كانت النون قد وردت في أصوات الصيغ يكون مجموع الاصوات التي استخدمت لتكوين الاعداد عشرين صوتاً ، ومجموع ترددها اربعاً وستين مرة .

وتظهر لنا نظرة الى صفات الاصوات انها :

١ — منفتحة جميعاً ولا منطبق فيها(٩٦) .

٢ : مستفلة في سائرها ولا مستعلي فيها الا الخاء (٩٧) .

٣ : سائرها رخوة ولا شديد فيها الا الهمزة والباء والتاء والدال (٩٨) .

٤ : سائرها مجهورة ولا مهموس فيها الا التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين والهاء (٩٩) .

٥ : سائرة مصمتة ولاذلقية فيها الا الباء والراء واللام والميم والنون(١٠٠) .

٦ : لا حرف صفير فيها الا السين(١٠١) .

٧ : لا حرف قلقة فيها الا الباء والدال(١٠٢) .

ولاتمام الصورة في ذهن دارسي الاعداد تجدر الاحالة الى الجدول السابق للمقارنة ، ان الناظر في هذا الجدول يجد تناظراً واضحاً في تكويناتها في الساميات المختلفة ، بحيث يستنتج عددا من الملاحظات والحقائق هي :

١ : الفاء واللام في صيغة «ثلاثة» صوت واحد في العربية وهو كذلك في الساميات الا لغة جنوب الجزيرة والحبشة .

٣ : لا يجعل ورود الهمزة في الساميات منها حلق في ثلاثة منها خاء وفي اثنتين منها الحاء .

والحرف الثاني فيها جميعاً هو الميم ؛ والثالث في ثلاث منها هو الشين وفي اثنتين هو السين .

٣ : تكرر السين في العدد ستة واصله « سدسة » في بعض اللغات وتكرر مايقابله وهو الشين في بعضها .

٤ : في العدد «سبعة» و «تسعة» تكون السين الحرف الثالث في الساميات كلها الا في الآشورية البابلية .

٥ : في العدد «ثمانية» يكون الحرف الثاني هو الميم في الساميات كلها والحرف الثالث حرف المد والرابع هو النون والخامس حرف علة .

٦ : فيالعدد «عشرة» يكون حرف العين هو الاول والراء هو الثالث فيها جميعاً .

٧ : لا تختلف اربعة فيها الا في هاء التأنيث في العربية .

٨ : ثبات الاول في العدد «واحد» فيها جميعاً .

٩ : تحول الثاء اما الى التاءاو الشيناوالسين في الاعداد «اثنين» و «ثلاثة» و «ثمانية» .

١٠ : تحول الخاء الى الحاء في «خمسة» .

١١ : تحول السين الى الشين في الاعداد «خمسة» و «ستة» و «سبعة» و «تسعة» وتحول الشين الى السين في «عشرة» .

١٢ : يختفي حرف الحلق حاءً ثالثاً في «واحد» ويختفي عيناً ثالثاً في «سبعة» و «تسعة» في الآشورية البابلية .

١٣ : الهمزة في «اربعة» مثبتة في الساميات كلها .

فكيف سبق لنا القول بأنّها مزيدة وغير اصلية في العربية وأنها همزة صيغة ؟
يمكن الاطمئنان الى هذا بما يأتي :

١ : ان العربية عندما اشتقت الافعال من العدد «اربعة» اهملت هذه الهمزة وعدتها مزيدة ، بحيث صار الباحث عن اللفظ يجده في «رَبَعَ — فَعَلَ» الثلاثي ، لا في «أرْبَعَ — فعلل» الرباعي ذي الهمزة الاصلية التي تكون فاءً للكلمة .

٢ : يجد الباحث ان الاشتقاقات الصرفية جميعاًلمعنى التربيع اشتقت من الثلاثي «ربع» ايضاً .

٣ : لا يجعل ورود الهمزة في الساميات منها حرفاً اصيلا فلعل ما حدث لمادة «ربع» في العربية

٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ فن التجويد ٦٥-٧٤.

من زيادة الهمزة لتكوين اسم لهذا العدد قد حدث للمادة نفسها في الساميات الاخرى .

٤ : من صفات الساميات «ان اغلب الكلمات يرجع في اشتقاقه الى اصل ذي ثلاثة احرف ـ لبعضها اصل ذو حرفين ـ وهذا الاصل فعل يضاف الى اوله او آخره حرف او اكثر ؛ فتتكون من الكلمة الواحدة صور مختلفة تدل على معان مختلفة (١٠٣) . واقرب ما يمكن لنا تصوره هو ان الهمزة هي المزيدة في اول الكلمة الا ان العين مزيدة في آخرها ، ولا ان الراء او الباء مقحمة في وسطها .

وهنا يجب القول ان العربية لم تضع في اصول هذه الاعداد من سماتها المميزة الا صوت التاء ؛ اما الذال والغين والضاد وهي الاصوات الاخرى التي تميز العربية من غيرها من الساميات(١٠٤) فلا اثر لها فيها ، مما يدل على ان هذه الاعداد في العربية حافظت على اصولها الصوتية السامية الاولى

★ ★ ★

خامس ما تجدر مناقشته في دراسة هذا السلّم ما يظهر بوضوح من اختتام الفاظه من «ثلاثة» الى «عشرة» بهاء مفتوح ما قبلها ، وتلك هي هاء التأنيث .

فلماذا جاء التأنيث هذه الالفاظ يا ترى ؟

حاول من قبل غير واحد من رجال اللغة ودارسيها التعليل لهذا ، ولكنهم لم يعللوا له في الاعداد المحوضة للعد المجردة له ، بل عللوا له فيها متصلة بالمعدود ، وقد جمع اقوالهم ابو بكر محمد بن القاسم الانباري في كتاب المذكر والمؤنث فقال : «فان قال قائل : «لم صارت الهاء تثبت في عدد المذكر من الثلاثة الى العشرة ، ولا تدخل(١٠٥) في عدد المؤنث من الثلاث الى العشر » ؟ قيل له : « في هذا ثلاثة اقوال : » قال الفراء ومن قال بقوله : «تثبت في عدد المذكر من الثلاثة الى العشرة ، ولم تثبت في عدد المؤنث من الثلاث الى العشر ، لان العدد مبني على الجمع ، فلما كانوا يثبتون الهاء في جمع المذكر فيقولون : «صبي» و «صبية» ؛ و «غلام» و «غلمة» ، و «رغيف» و «ارغفة» ، و «قرد» و «قردة» ، و «حجر» و «حجارة» ؛ اثبتوها في عدده لان العدد مبني على الجمع ، ولما كانوا لايدخلون الهاءفي جمع المؤنث فيقولون «ركبة» و «ركب» و «قردة» و «قرد» لم يدخلوها في عدد المؤنث ، لان العدد مبني على الجمع ؛ ولم يحك في الاعلال لهذا عن الخليل ويونس وسيبويه والاخفش وغيرهم من شيوخ البصريين شيء ، وقال ابو حاتم السجستاني : «انما ادخلو الهاء في عدد المذكر ، ولم يدخلوها في عدد المؤنث،لان المؤنث اثقل من المذكر ، واكثرالمؤنث فيه هاء التأنيث ، فجعلوا جمع المؤنث بلا هاء ليكون اخف له ، لان الهاء لزمت الواحدة وذلك ثقل ، فكرهوا ان يمكنوا ذلك الثقل ، حتى ينتقل من الواحد الى الجماعة ؛ فنفروا من ذلك فحذفوا الهاء من الجمع ليعتدل الجمع ، فيكون ثقيل مع خفيف واما المذكر فخفيف فادخلوا الهاء في جمعه ، فقالوا : ثلاثة ، ليكون خفيف مع ثقيل فيعتدل ؛ وكرهوا ان يجمعوا بين الثقيلين فجعلوا ثقيلا مع خفيف ، وخفيفا مع ثقيل ، قلت [والكلام لابي بكر الانباري] : ثم نقض ابو حاتم هذاالقول على نفسه بأن قال : الثلاث الى العشر مؤنث على كل حال ، الا انه مؤنث لا علامة للتأنيث فيه ، فهو اخف لفظاً مما فيه حروف التأنيث ، فهذا تناقض ، لانه زعم انهم لم يدخلوا الهاء في عدد المؤنث ، لان المؤنث ثقيل ؛ فارادوا ان يكون خفيف مع ثقيل ؛ وادخلوا الهاء في عدد المذكر لانه خفيف، فارادوا ان يكون ثقيل مع خفيف ؛ فدل هذا الكلام على ان عدد المذكر مؤنث ، وعدد المؤنث مذكر(١٠٥) .

ثم ساق الانباري رأي المبرد محمد بن يزيد فيما تلا ، فلم يكن فيه تعليل التأنيث عدد المذكر وتذكير عدد المؤنث ، بل عد الامر قاعدة ناقش ما شذ عنها (١٠٦) .

اما رأي السجستاني فقد كفانا الانباري رده عليه . واما رأي الفراء في ان العدد مبني على الجمع في لفظه بورود صيغ من الجمع بالهاء للمذكر وصيغ بغير الهاء للمؤنث فمردود عليه بأن ما اورده من صيغ الجمع ليست أولى بالقياس عليها من غيرها من الصيغ التي لا هاء فيها ، فجمع صبي «أصبٍ» و«صبيان» و «صبوان» وجمع «غلام» : «غلمان» وجمع «رغيف» «رغف» و «رغفان» و «تراغيف» وجمع «قرد» «قرود» و «اقراد» و «اقرد» و «قرد» وجمع «حجر» : «احجار» و «أحجر»

(١٠٣) تاريخ اللغات السامية ١٤ .
(١٠٤) السابق ١٧٧ .

(١٠٥) كتاب المذكر والمؤنث ٦٢٥ .
(١٠٦) كتاب المذكر والمؤنث ٦٢٨ وما بعدها .

و «حجر»(١٠٧) . فلماذا تركت العرب هذه الجموع كلها ولم تبن العدد للمذكر الا على ذي هاء التانيث ؟

وجمع «ركبة» : «ركبات» ، وجمع «قبردة» : «قبردات»(١٠٨) مما تلحقه علامة التانيث ، فلماذا تركت العرب هذه الجموع ، ولم تبن العدد للمؤنث الا على الجمع الخالي من علامة التانيث هاءً كانت ام غيرهاء ؟

ان الفصل في هذا يمكن ان يقوم كما ياتي : لقد سبق القول ان الفاظ الاعداد لم تكن تستعمل في مبدأ استعمالها مجردة ؛ بل مرتبطة بالمعدود . واذ كانت معدوداتها كلها جموعاً مضافة اليها الاعداد انفسها ، عوملت من حيث التانيث والتذكير معاملة ما يسبق المجموع او يلحق به من اسبابه ، لان الالفاظ التي تدل على الجمع تعامل معاملة المؤنث الا اذا كانت على صيغة الجمع بالواو والنون رفعا والياء والنون نصبا وجرا اذ يجب في اسبابها التذكير لتأولها بالجمع(١٠٩) . ولكن الناظر في كتب التذكيرلتأويلها بالجمع (١٠٩).وولكن الناظر في كتب العربية يجد ميلها الى التانيث واضحاً قويا ، ويظهر ذلك في كتاب الله العزيز كثيراً ؛ من ذلك قوله تعالى: (قالت الاعراب آمنّا)(١١٠) وقوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى)(١١١) وقوله تعالى (وتأبى قلوبهم) (١١٢) وقوله تعالى (اتتهم رسلهم بالبينات)(١١٣) وقوله تعالى (او لم تكُ تاتيكم رسلكم(١١٤) ، وقوله تعالى (تأتيهم الملائكة)(١١٥) وقوله تعالى (فخذ اربعة من الطير فصرهنّ اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهنّ يأتينك سعيا(١١٦)) ، وقوله تعالى (الم ترَ انّا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازّا)(١١٧) وقوله تعالى (قال آمنت انّه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل)(١١٨) ، وقوله تعالى (ام تأمرهم احلامهم بهذا)(١١٩) . وقد وردت لفظة «قالت» في احدى عشرة مرة في القرآن الكريم مسندة الى جمع مذكر . لقد تحملت اسباب الجموع كما راينا علامة التانيث ولم تتحملها هي .

وهكذا تتحمّل هذه الكلمات علامة التانيث مع جموع المذكر لتشير الى لمح هذه الصفة الغالبة من صفات الجمع عند العرب ؛ وهكذا ايضا ارتبطت الاعداد بهاء التانيث عندما كانت سببا من اسباب جمع المذكر فارتبطت هاء التانيث بتذكير المعدود حتى عندما يكون المعدود مما يجمع بالواو والنون والياء والنون . وعندما جرّدت هذه الاعداد من المعدود واستعملت ممحوضة للعدّ لاغير حملت معها هذه الهاء .

اما تذكيرها مع المؤنث كما سيمر بنا ذلك فليس غريبا في العربية فاذا كان تانيثها مع المذكرات المجموعة سببه لمح التانيث في الجموع المذكرة تلك، فان وضوح صفة التانيث في الجمع يغني الاعداد عن تحمل علامة الصفة . وليست الاعداد بدعا في تحملها الصفة عن معدوداتها في العربية ؛ اذ فيها ايضا صفات تحمل عن موصوفاتها علامة التانيث ان لم يكن في الجملة دليل على التانيث . وهذه الصفات هي التي جاءت على زنة «فعيل» بمعنى المفعول ، و «فعول» ، و «مفعال» و «مفعل» ، اذ هي صفات يستوي فيها المذكر والمؤنث ؛ فاذا جاء في الجملة دليل على التانيث لم تؤنث الصفة فتقول مثلا «زينب امراة حبيب» ، اما اذاقلت «مررت بحبيب» فان المعنى ينصرف الى المذكر لاغير، فاذا كنت تعني المؤنث قلت «مررت بحبيبة» (١٢٠) وفي العربية صفاتلا تحتاج الى التانيث لاقتصار الوصف بها على المؤنث ، وقد مرّ بنا في درسنا للعدد «واحد» ذكر جماعة منها .

ومهما يكن من امر فأن العربية في سلوكها مع العدد في التانيث والتذكير ليست بدعا في الساميات فأن العبرية والسريانية تسلك ذلك ايضا (١٢١) .

★ ★ ★

سادس ما تجدرمناقشته في امر هذه الاعداد في هذا السلم هو انها تتسم بسمة تخالف فيهاما تعارف عليه علماء العربية بعامة في امر الكلمات المجردة . فالناظر في كتب العربية يجد ان الاسما ترد فيها غالبا مفردة ، مذكرة ، مرفوعة ، محلا

(١٠٧ و ١٠٨) لسان العرب مواد هذه الالفاظ .
(١٠٩) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ٤٠٢/١ .
(١١٠) الحجرات ١٤/٤٩ .
(١١١) التوبة ٣٠/٩ .
(١١٢) السابق ٨ .
(١١٣) السابق ٧٠ .
(١١٤) غافر ٥٠/٤٠ .
(١١٥) الانعام ١٥٨/٦ والنحل ٣٣/١٦ .
(١١٦) البقرة ٢٦٠/٢ .
(١١٧) مريم ٨٣/١٩ .
(١١٨) يونس ١٠ / ٩٠ .
(١١٩) الطور ٣٢/٥٢ .

(١٢٠) شذا العرف ٩١ ـ ٩٢ .
(١٢١) تاريخ اللغات السامية ٢٦٢ .

بأداة التعريف . ولعل هذا يتضح في المعجمات أكثر منه في غيرها .

ان النظر في هذه الالفاظ يؤدي الى انها :

١ : اسماء جموع فلامفرد لها من لفظها ليؤثر فيها ، بل هي مفردة بما انها اسماء جموع ، واما «واحد» فمفرد واما «اثنان» فاسم على حياله وهو بذلك مفرد ايضا .

٢ : ذات صيغ في التانيث والتذكير ثابتة مترثة ، فلا يصح عليها ما يصح على سواها ليذكر لمؤنثها مذكر .

٣ : مرفوعة الالفاظ في الدرج ، موقوفة في غير الدرج . ولقد قرن اصحاب معاني القرآن ومعربوه ومفسروه حروف اوائل السور وحروف المعجم ايضا بالاعداد من حيث الوقف . واقدم من فعل ذلك منهم ابو الحسن الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة اذ قال : « ان العرب تقول في حروف المعجم كلها بالوقف اذا لم يدخلوا حروف العطف، فيقولون « الف باء تاء ثاء » ويقولون : «الف وباء وتاء وثاء » وكذلك العدد عندهم ما لم يدخلوا حروف العطف ؛ فيقولون «واحد» «اثنان» «ثلاثة» . ويدلك على انه ليس بمدرج قطع الف «اثنين» وهي من الوصل ؛ فلو كان وصلها بالذي قبلها لذهبت ؛ ولكن هذا من العدد ، والعدد والحروف كل واحد منها شيء مفصول على حياله (١٣٢) » . وقد قال الزجاج بمثل ذلك (١٣٣) ، والزمخشري ايضا وابو حيان الاندلسي (١٣٤) .

ان النظر في هذا يؤدي بنا الى القول ان الاعراب يدخل الكلمة متصلة بسواها اي اتصال مهما دنا وقل ؛ فاذا لم يظهر ذلك الاتصال عدم الاعراب . الا ترى ان الدرج بالعطف اظهر الاعراب في كلام العرب ؛ وان القطع والوقف اخفاه وطمسه؟

٤ : مجردة من اداة التعريف . ويمكن التأول لذلك بما يأتي :

ء : ان الكلمة في المعجم العربي وسواه من كتب العربية انما توضع في سياق يبني عليها فيه سواها فتكون مسند اليها . فهي بذلك مبتداة في اغلب احوالها . وتعريف المبتدأ هو الاصل ورفعه كذلك . وليست الاعداد كذلك .

ب : انها كانت من قبل في اغلب احوالها مضافة الى معدوداتها مما يمنع اقترانها بحرف التعريف ولزمها ذلك حين جردت من المعدود ومحضت للعد.

ج : انها في التجريد اسماء لمعانيها فلا حاجة بها الى اداة التعريف .

د : لا يصدق عليها اي نوع من انواع اداة التعريف «ال» فهي معها لا للعدد ولا لاستغراق الجنس ولا لتعريف الحقيقة (١٢٥) .

وما هذه التعليلات الا محاولات تساق في موضع وموضوع لا يسعف فيهما غيرها .

★ ★ ★

يجب القول بعد ان الدارس لا يضع قلمه بعد هذه الاسطر الا وفي نفسه اشياء كثيرة واشارات متعددة نرجو الله تعالى ان يوفقنا برحمته الى انضاجها وارسائها على شاطيء الدراسة انه سميع مجيب .

والحمد لله من قبل ومن بعد
بغداد في مساء الخميس الرابع
عشر من ذي القعدة الحرام ١٤٠٢ هـ
الثاني من ايلول ١٩٨٢ م .

---

(١٣٢) معاني القرآن للاخفش ١٤٦ - ١٤٧
(١٣٣) معان القرآن واعرابه للزجاج ٢١/١ .
(١٣٤) الكشاف للزمخشري ٢٠/١ البحر المحيط لابي حيان ٣٤/١ .

(١٢٥) شرح ابن عقيل لالفية بن مالك ١٥٤/١ .

المصادر والمراجع :

١ : أبنية الصرف في كتاب سيبويه ـ للدكتورة خديجة الحديثي ـ مكتبة النهضة ـ بغداد ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م .

٢ : الامالي الشجرية لابي السعادات عبدالله العلوي الحسني ابن الشجري ـ حيدر آباد الدكن ـ دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٩ هـ

٣ : البحر المحيط لابي حيان الاندلسي ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٩٨٦ م .

٤ : التبيان في اعراب القرآن لابي البقاء العكبري ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ القاهرة ١٩٨٦ م .

٥ : تاريخ اللغات السامية ـ لابي ذؤيب ولفنسون ـ دار القلم بيروت ـ ١٩٨٠ م .

٦ : جمهرة اللغة لابن دريد ـ دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٥ هـ .

٧ : ديوان الادب للفارابي ـ تحقيق احمد مختار عمر ـ القاهرة ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

٨ : شذا العرف في فن الصرف للحملاوي ط ١٦ ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٥ م .

١٠ : شرح ابن عقيل لالفية ابن مالك تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ١٣ ـ القاهرة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .

٩ : شرح الاشموني لالفية ابن مالك (حاشية الصبان) مطبعة البابي الحلبي ـ القاهرة .

١١ : شرح رضي الدين الاستربادي لشافية ابن الحاجب ـ الاستانة ١٢٧٥ هـ .

١٢ : الصحاح للجوهري تحقيق احمد عبد الغفور عطا ـ القاهرة ١٣٧٧ هـ .

١٣ ـ فن التجويد لعزة عبيد دعاس ط ٧ ـ حمص ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

١٤ : القرآن الكريم .

١٥ : القاموس المحيط للفيروزابادي ـ القاهرة ١٢٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م ـ البابي الحلبي .

١٦ : الكتاب لسيبويه ـ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ـ القاهرة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

١٧ : كتاب المذكر والمؤنث لمحمد بن القاسم الانباري تحقيق طارق عبد عون الجنابي ـ وزارة الاوقاف بغداد ـ ١٩٧٨م.

١٨ : الكشاف للزمخشري ط بيروت ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧ م .

١٩ : الكامل في اللغة والادب للمبرد تحقيق زكي مبارك واحمد محمد شاكر القاهرة ١٣٥٥ ـ ١٣٥٦ هـ ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ م ـ مصطفى البابي الحلبي .

٢٠ : لسان العرب لابن منظور ط بيروت ١٣٧٤ هـ ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م ـ ١٩٥٦ م .

٢١ : المختار من صحاح اللغة للرازي تحقيق عزة القصيباتي ـ مطبعة المفيد ـ دمشق ١٣٥٨ هـ .

٢٢ : المخصص لابن سيده ط دار الطباعة الكبرى الاميرية ـ القاهرة ١٣٢١ هـ .

٢٣ : المزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي تحقيق جاد المولى والبجاوي وابي الفضل ابراهيم ـ القاهرة .

٢٤ : المصباح المنير للفيومي تحقيق مصطفى السقا ـ القاهرة ـ البابي الحلبي .

٢٥ : معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة بيروت دار العلم للملايين ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٢٦ : معاني القرآن للاخفش ـ (رسالة دكتوراه) تحقيق عبدالامير محمد امين الورد ـ جامعة بغداد ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

٢٧ : معاني القرآن للفراء ـ تحقيق احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح اسماعيل شلبي القاهرة ـ ١٩٥٥ م ـ ١٩٧٢ م .

٢٨ : معاني القرآن واعرابه للزجاج تحقيق عبدالجليل عبده شلبي ـ القاهرة ١٩٧٣ م ـ ١٩٧٤ م .

٢٩ : الممتع في التصريف لابن عصفور الاشبيلي تحقيق فخر الدين قباوة ط ٢ ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

المختار من كتاب الأمثال
لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري
المتوفى سنة ٢١٥ هـ

تحقيق
جليل العطية
باريس

ترجمة المصنف

هو ابو زيد[١] سعيد بن أوس بن ثابت بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري .

وهو عربي صليبة ، كان من اعلام اللغة والنحو ، كثير السماع من اعراب البادية .

وكان سيبويه يكنى عنه بقوله «اخبرني من أثق بعربيته » ، وكذلك كان يلقبه بالثقة استاذه يونس ابن حبيب .

روى عن ابن عوف وعوف الأعرابي ومحمد بن عمرو وسليمان التميمي وابي عمرو بن العلاء وسعيد بن أبي عروبة ورؤبة بن العجاج وعمرو بن عبيد وغيرهم .

وروى له ابو داود والترمزي ، وكان جده أحد الستة الذين جمعوا القرآن في عهد الرسول (ص) وقد أعتمد جمهرة علماء اللغة على آراء أبي زيد ونقوله فجعلوها مصادر نهلوا منها منهم : ابو عبيد القاسم بن سلام ، وابن السكيت الذي أعتمد عليه كثيراً في سفره المشهور « اصلاح المنطق » .

(١) انظر ترجمته في : مراتب النحويين ٧٣ ـ ٧٦ ، اخبار النحويين البصريين ٥٢ ـ ٥٧ تهذيب اللغة ١٢/١ ـ ١٣ تاريخ العلماء النحويين للتنوخي ٢٢٤ ـ ٢٢٥ (وفيه مصادر كثيرة في الهامش) الفهرست : ٦٠ ، تاريخ بغداد ٧٧/٩ ـ ٨٠ ، فهرست ابن خير ٢٧٠ ـ ٢٧١ ـ ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، نزهة الالباء ١٠١ ـ ١٠٤ انباه الرواة ٣٠/٢ ـ ٣٥ ، الوافي ٢٠٠/١٥ ـ ٢٠٢ الترجمة ٢٨٠ ، الاعلام ٩٢/٣ .

ومن العلماء الذين انتفعوا كثيرا بعلمه وكتبه ابو علي الفارسي .

وتاثر ابن جني كثيرا بآراء ابي زيد وهذا واضح في جميع مؤلفاته .

وكان يقال : الاصمعي يحفظ ثلث اللغة وابوزيد ثلثي اللغة والخليل بن احمد نصف اللغة وابن كركرة الاعرابي يحفظ اللغة كلها !

وكان ابو زيد يلقب الناس ، فلقب الجرمي بالكلب لجدله واحمرار عينيه ، ولقب المازني بالمدرج لان مشيه كان يشبه مشي التدرج ولقب ابا حاتم السجستاني راس البغل لكبر راسه !

وقد تلقى العلم علي ابي زيد كثير من التلاميذ الذين لازموا حلقته العلمية في مسجد البصرة ومن اشهر هؤلاء : التوزي والجاحظ والجرمي والسجستاني والحرمازي وخلف الاحمر والرياشي وسيبويه والزيادي والقاسم بن سلام وابو العيناء ومؤرج السدوسي والمازني وغيرهم .

وتوفي ابو زيد في البصرة عام ٢١٥ هـ قال الخطيب البغدادي :

اخبرني احمد بن علي بن التوزي ، اخبرنا محمد بن عمران المرزباني ، اخبرني محمد بن العباس ، اخبرنا المبرد ، حدثنا الرياشي وابو حاتم قالا : مات ابو زيد سنة خمس عشرة ومائتين .. مات « ابو زيد » عن سن عالية ، كان في الثالثة والتسعين ، وهذا يعني انه عاصر الدولتين الاموية والعباسية .

وبوفاته انطوى علم غزير .

مصنفاته :

كان ابو زيد من المصنفين المكثرين وقد حفظ لنا المؤرخون اسماء طائفة من هذه المصنفات منها :

كتاب التثليث ، كتاب القوس والترس ، كتاب المياه ، كتاب الابل والشاء ، كتاب خلق الانسان ، كتاب ايمان عثمان ، كتاب اللغات ، كتاب قراءة ابي عمرو ، كتاب الجمع والتثنية ، كتاب بيوتات العرب ، كتاب الجود والبخل ، كتاب الواحد ، كتاب التمر ، كتاب المقتضب ، كتاب الغرائز ، كتاب الوحوش ، كتاب الفرق ، كتاب السؤدد ، كتاب نعلت وأفعلت ، كتاب المشافهات ، كتاب غريب الاسماء ، كتاب المصادر ، كتاب المنطق ، كتاب الحلبة وغير ذلك .

اما اهم الكتب التي وصلت الينا من مؤلفات أبي زيد فهي :

١ ـ كتاب النوادر وقد ظهرت الطبعة الاولى منه في بيروت ١٨٩٤ ، وظهرت الطبعة الثالثة محققة بعناية د . محمد عبدالقادر احمد ـ بيروت ١٩٨١ .

٢ ـ كتاب المطر ـ نشر في مجموعة البلغة في شذور اللغة ـ بيروت ـ ١٩٠٨ .

٣ ـ كتاب اللبا واللبن ـ نشر في المجموعة السابقة .

٤ ـ كتاب الهمز ـ نشر في بيروت ـ ١٩١٠ .

كتاب الامثال :

عني علماء اللغة بجمع الامثال والتاليف فيها ، وكانوا يجوبون البادية لالتقاط الامثال والاستعانة بها على فهم دقائق اللغة العربية وغيرها . فكانت الامثال عونا على معرفة الشخصيات والتواريخ والوقائع التي جاءت بها الاشعار والأراجيز .

وقد الف في الامثال جمهرة من العلماء[٢] منهم صحار بن عياش العبدي ، علاقة الكلابي ، عبيد بن شريه الجرهمي ، ابو عمرو بن العلاء ، يونس بن حبيب ، النضر بن شميل ، ابو عبيدة ، الاصمعي ، اللحياني ، سعدان بن المبارك ، ابن الأعرابي ، التوزي ، ابن السكيت ، الزيادي ، الجاحظ ، ابن قتيبة ، وغيرهم .

وجميع هذه المصنفات مفقودة .

واقدم الكتب التي وصلت إلينا في الامثال العربية ، امثال العرب للمفضل بن محمد الضبي صاحب المفضليات (المتوفي حوالي سنة ١٧٠ هـ) ، وكتاب الأمثال لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (المتوفى سنة ١٩٥ هـ) وكتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام الهروي (المتوفى سنة ٢٢٤ هـ) وكتاب الامثال لابي عكرمة الضبي (المتوفى سنة ٢٥٠ هـ) .

كتاب ابي زيد

صنف أبو زيد كتابا اسمه الامثال كان من المصادر الاساسية التي اعتمد عليها الميداني في موسوعته الشهيرة وقد اعترف بفضل هذا الكتاب عليه في مقدمة موسوعته ، وبين الأستاذ عبدالرحمن التكريتي في مبحثه القيم مصادر الميداني في كتابه « مجمع الأمثال »[٣] ان الميداني نقل مالايقل عن ٤٩ مثلا من كتاب ابي زيد .

وقد كان لكتاب ابي زيد من الشهرة بحيث ان ابا علي القالي نقله الى الاندلس[٤] ورواه هناك عن شيخه ابن دريد عن ابي حاتم السجستاني عن مؤلفه .

ومن المؤلفين الذين عرضوا لكتاب ابي زيد وانتفعوا به بشكل ما ، صاحب معجم لسان العرب نقد ذكره في مادة « غرر » .

ومن المؤرخين الذين ذكروا هذا الكتاب الصفدي في كتابه « الوافي » .

كل هذا يوثق نسبة كتاب الامثال لأبي زيد ويؤكد أهميته العلمية ويبعث على الأسف فقده !

مخطوطة المختار

اعتمدت في تحقيق هذا المختار على مخطوطة فريدة عثرت عليها اثناء رحلتي العلمية الى استانبول في صيف ١٩٨٥ ، قوام المخطوطة ورقة واحدة تقع بين الورقتين ٩٧ ـ ٩٨ من المخطوطة ذات الرقم ١٤٧٦ بمكتبة راغب باشا باستانبول .

ولهذه المخطوطة اهمية علمية فهي ، مجموع ادبي ، لغوي ، تاريخي مكتوب بخط العلامة الشهير عبدالقادر بن عمر البغدادي[٥] (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣ هـ) صاحب كتاب خزانة الادب وشرح أبيات المغني وغيرها ، ولم يشر بروكلمان الى هذا الكتاب ، ولاغرو في ذلك فالنص صغير ، وقد أشار الأستاذ ششن[٦] الى مجموع البغدادي دون ان يفصل محتوياته . ويبدو ان البغدادي لم يطلع على كتاب أبي زيد فنقل هذا المختار من خط علي بن محمد النيلي وقد عرف البغدادي بدقة الخط وحسنه والمؤسف انني لم اظفر بترجمة النيلي هذا ، وقد عمدت الى تخريج الأمثال وفقا للقواعد العلمية ، وعسى ان يكون في نشر هذه الباقة من الامثال العربية ماينفع ويقرب لنا صورة كتاب ابي زيد المفقود ، والله اسأل أن ينفع به . وهو الموفق .

---

٢ ـ لمزيد من التفاصيل ينظر :

الامثال العربية القديمة للمستشرق الالماني رودلف زلهايم ، ومقدمة كتاب الزاهر لابن الانباري .

٣ ـ انظر المورد ٢ : ٣(٩٩-١٢٢) : ١٩٧٤ .

٤ ـ انظر : فهرسة ابن خير لاشبيلي : ٢٧٢ .

٥ ـ انظر ترجمته في : خلاصة الاثر للمحبي ٢ : ٤٥١ ـ ٤٥٤ ، كشف الظنون : ١٢٣٠ ، مقدمة تحقيق « حاشية على شرح بانت سعاد » ـ الاعلام ٤/١ .

٦ ـ انظر : نوادر المخطوطات العربية ٢٠١/٢ .

[٩٧ ظ] هذه أمثال منتخبة من أمثال أبي زيد سعيد بن أوس الانصاري .

١ ـ يقال: شَرٌّ مااضطرَّكَ الى العُرْقُوب.

يقال هذا عند طلبك الحاجة الى اللئيم منعك او أعطاك . وللعُرقوبِ مُخَّةٌ قليلةٌ .

٢ ـ ويقال : كُنْ حُلْماً كُنْهُ .

يتمثلُ به عندَ كلِ شديدةٍ خافها صاحبُها أن تنزلَ به أو نزلت به .

وأصله : زعموا أن رجلاً أهوى برمحه حتى جعل السِنان بين عيني امرأة وهي نائمةٌ فاستيقظت فلما رأته فَزِعَت وغمضت عينيها وقالت : كُنْ حُلْماً كُنْهُ !

تقول : ليكنْ هذا حُلماً .

٣ ـ ويقال : لاتَعْدَمُ صَنَاعٍ ثَلَّةً .

يقالُ هذا عند قضاءِ حاجةٍ وعند كلِ مايصنع مما يقدر عليه . والثَّلَّةُ الصوف .

٤ ـ ويقال : كانَ حِماراً ذَكَراً فاستأتنَ .

أي فتحول أتاناً .

٥ ـ ويقال : عَنْزٌ نَزَتْ في حَبْلٍ فاستيست .

أي فتحولت تيساً !

٦ ـ ويقال : الجَحْشَ لمّا بذَّكَ الأعيارُ !.

يقول إن فاتتك الاعيار فعليك بالجحش .

يقال هذا للرجل الذي يطلب الأمر الجسيم فيفوته ، فيقال : اطلب ما دون ذلك .

---

١ ـ شرح شعر زهير لثعلب ٦٨ ، ١٧٩ ، ابن رفاعة ٦٩ ، الميداني ١٥١/٢ ، زهر الاكم: ٢٨٨/٣ .
نص المثل عند ثعلب : شر ما اجاءك الى مخة العرقوب .

٢ ـ ابن رفاعة رقم ٧٧ ، الميداني ٥٠/٣ .

٣ ـ ابن رفاعة ١٢٢ ، الميداني ١٥٤/٣ ، نشوة الطرب : ٧٠٠ .

٤ ـ فرحة الأديب ٥٣ ، ابن رفاعة ٨٩ ، الوسيط للواحدي ١٤١ ، نشوة الطرب ٧٢٢ .

٥ ـ ابن سلام ١٢٠ رقم ٣٠٩ . الجمهرة ٣٩/٢ .
يضرب للرجل لعز بعد الذلة .

٦ ـ الجمهرة ٣٠٥/١ ، الأمثال والتشبيهات للثعالبي (مخطوطة) ق ٧٣ ، زهر الاكم ٤٠/٢ لفظ الجحش في المثل يكون مصوبا على الاغراء أي : عليك الجحش !

٧ ـ ويقال : لا يخدع الأعرابيُّ إلا واحدةً .

يقول إلا مرةً واحدة ، وذلك أنه خُدع مرةفيقول لا يخدع إلا تلك المرة ، ليس معها اخرى .

٨ ـ ويقال : مَنْ لـي بالسَّـانحِ بَعْدَ البارحِ ؟

وذلك أنه مرّت به ظباءٌ بارحةٌ فقيل له أنهاسوف تسنح لك .

فقال : مَنْ لي بالسانح بعد البارح ،، يضربهذا للرجل يسيء إليه الرجل فيقال له أنه سوفَ يحسنُ إليك فيضربُ هو حينئذٍ هذا المثل .

٩ ـ ويقال : قُودُوهُ بَارِكاً .

وذلك أن امرأةً ركبـت بعيراً وهو باركٌفاعجبها وطأةُ المكان .

فقالت : قودوه لي باركاً .

١٠ ـ ويقال : أحشُّك وتروثني !

يعني فرسه .

يضربُ لكل من غذوته واصطنعت عِنده يداًفلم يشكر لك .

يقال : حششـتُ الدّابةَ أحشُهـاحَشاً إذا علفتها الحشيش .

١١ ـ ويقال : لكَ أبكي ولا عَبْرةَ بي .

يقول أنا أبكي من أجلِك ولا حزنُ لي فيخاصةِ نفسي .

١٢ ـ ويقال العَيْرُ يَضْرِطُ والمِكوَاةُفي النّارِ .

إذا جزع الأنسان من الشيء قبل أن يقعَ فيهبه ومن الأمر لابد أن يقعَ به .

---

٧ ـ الميداني ٣/ ٢٠٥ .

٨ ـ الجمهرة ٢/ ٢٥٩ ، ابن رفاعة ١٠٩ ، نشوةالطرب ٧٢٧ .
العرب تتشاءم بالظباء البارحة . والسانحمامر عن اليمن والبارح عن الشمال .

٩ ـ مجمع الاقوال للعكبري (مخطوطة) ق ٢٠٦ ،الميداني ٢/ ٤٧٩ .
يضرب لمن لـم يتعود مباشـرة الترفه ثـمباشرهـا .

١٠ـ ابن رفاعة ٣٤ ، التمثيل والمحاضرة ٣٣٩ ،الميداني ١/ ٢٥٦ .
ويروى « احسك » بالسين ايضا .

١١ـ ابن سلام ١٧٤ .

١٢ـ الضبي ١٦٥ ؛ ابن سلام ٣٠٩ ، الفاخـر٧١ ، ١٥٤ ، ابن رفاعة ٣٩ ، غاية الكمال في سوائر الامثال (مخطوطة) : ق ١٦٤ .

١٣ ــ ويقال : أَتبِع اللجام الفرَسَ وأَتبع الدلوَ الرشا .

إذا اعطاك رجل" عطيةً او أعطى غيرك فاستزدته . ضربتَ له هذا المثل .

١٤ ــ ويقال لا تَسألِ الصارخَ وانظُر ماله .

يقول : إذا جاءك في حاجةٍ أو عرفت أنه محتاج إليك فلا تكله الى أن يسألك فاقضِ حاجته.

يقول : إذا سمعت الصراخ فانه من جزع وشر أصابه ، فلا تسأله عن أمره .

١٥ ــ ويقال الأكلُ سُرَّيطى والقضاءُ ضُرَّيطى .

وذلك أن رجلاً أقرضَ رجلاً مالاً فأكله فلما تقاضى منه أضرط به الآخر ، فضربَ الطالبُ هذا المثل .

١٦ ــ ويقال رجُلا مُستعيرٍ أسرعُ من رِجلَيْ مُعيرٍ .

إذا استعارك عاريةً اسرع في الاستعارة وإذا أدّاها أبطأ في ردّها .

١٧ ــ ويقال : بَرْدُ غَداةٍ غرَّ عبْداً من ظَمأٍ .

وذلك أن رجلاً غدا وهو مبرد" ولم يأخذ معه سِقاء" فعطشَ فضرب هذا لنفسه .

يضرب للانسان إذا ضيّع الحزمَ ولم يأخذ للشيء عِدّته .

١٨ ــ ويقال : حبّذا التُراثُ لولا الذِلّة .

زعموا أن رجلاً مات فبعث أخوه الى امرأته أن ابعثي اليّ بعشاء أخي فبعثت به فضمه الى عِشاء نفسه ، فرآه كثيراً فقال :

ياحبّذا التُراثُ لولا الذِلة ! .

يقول الميراثُ حلو" لولا أن أهلَ بيته يقلّون فتلك ذِلة" له ! .

١٢ــ الضبي : ٥٠ ، الجمهرة ١/٩٢ . المستقصى :١٧ ، الميداني ١/ ٢٣٦ .
قاله عمرو بن ثعلبه في حكاية طويلة ساقها المفضل الضبي .

١٤ــ الميداني ٣/ ١٨٥ .

١٥ــ تفسير غريب مافي ابنية كتاب سيبويه للسجستاني (مخطوطة) ق ١٢ ، السدوسي ٦٩ ، ٨٠ . الميداني ١/ ٦٨ .
يروى ايضا بصيغة : الاكل سريط والقضاء ضريط .

١٦ــ ابن رفاعة ٦٥ ، الميداني ٢/ ٤٩ .
ويروى : اسرع من رجلى مؤد .

١٧ــ ابن سلام ٢١٣ ، الجمهرة ١/ ٢١٨ .
مبرد : خرج في برد النهار اي مبكرا ، قبيل شروق الشمس .

١٨ــ الضبي ١١١ ؛ الفاخر ٦٣ ؛ الجمهرة ٢/٢١٢ ؛ نزهة الانفس (مخطوطة) ق ٢٥٢ .

١٩ ــ ويقال : إن الحاشية تهيجُ الآبية •

يقال هذا للرجل ، يقال له تعال كُلْ فيقول:لا اشتهيه ، فإذا رأى رجلاً يأكل قامَ فأكل معه !•

٢٠ ــ وفي المثل نظماً :

القومُ إخــوانٌ وشَتَّى في الشِّيَمْ

وكلهم يجمعُــــهُ بيتُ الأدم

يضرب هذا للأخلاط من الناس إذا اجتمعوا•

٢١ ــ [٩٨ و] ويقال : أســاءَ كارِهٌ ماعَمِل •

وذلك أن رجلاً أكرهه آخر على عمل فأساءعمله •

يضرب هذا للرجل يطلب منه حاجة فلا يبالغُ فيها •

٢٢ ــ ويقال إني لأعلم مــن أيــن تؤكلُ الكَتِف •

تضربه لكل شيء علمته •

٢٣ ــ ويقال : عَبْدٌ صَرِيخه أمَةٌ •

إذا استصرخَ الذليلُ فلم يجد له ناصراً إلا ذليلاً مثله ، ضُرِبَ هذا له •

٢٤ ــ ويقال توهي الأديمَ ولا ترقعُ •

يُضرب لمن يُفسدُ ولا يُصلح •

وأنشد أبو زيد :

تذكَّرُ عَوْفــا باضغانِهـــا وتوهِــي الأديــمَ ولا تَرْقَعُ

٢٥ ــ ويقال : بِكلِ وَادٍ أثرٌ مِــنْ ثَعْلَبَة •

يضرب هــذا لكلِ رفيعِ القَدْر ، شائعِ الذِكر •

١٩ــ الضبي ٦٣ ، الحيوان ٥/ ٢١٢ ، ابن سلام٣٩٤ رقم ١٣٨٥ ، عيون الاخبار ٣/ ٢٢٥ ، التمثيل والمحاضرة ٣٨ ، ٧٧ ، تهذيب اصلاح المنطق٦٢ ، ٤٧ ، مجمع الامثال ١/ ٣٣٩ .

٢٠ــ الجمهرة ٢/ ٣٠٣ ، النشوة ٧٢٧ ، اللســان(ادم) ويروى :
وكلهم بجمعهم بيت الالم .

٢١ــ الجمهرة ١/ ١٩٧ رقم ٢٣٦ .

٢٢ــ الجمهــرة ٢/ ٤٢٢ رقــم ١٩٣٩ . ابــن رفاعــة ٧٦ .

٢٣ــ الجمهرة ٢/ ٤٠ رقــم ١١٨٥ . نشــوالطرب ٧٢٥ .

٢٤ــ الجمهرة ١/ ١٦٠ . ابن رفاعة ١٢٧ ، اللسان(وهي) . الميداني ٣/ ٥٢٣ ويروى : يوهي الاديم ولايرقــع .

٢٥ــ ابن رفاعة ٤٨ ، الميداني ١/ ١٦٥ .

٢٦ ــ ويقالُ يَحثُثُ وَهُوَ الآخِرُ .

يُضرب هذا لمن يستعجلك وهو أبطأ منك .

٢٧ ــ ويقال إذا اشْتَرَيتَ فاذكُر السُّوقَ!

يقول : إذا اشتريتَ فعليك بالصحة واجتنب العيبَ فانك تحتاجُ أن تقيم السلعةَ التي اشتريتها في السوقِ مرةً لابد !

كتبتُ هذه الأمثال من خط مختارها علي بن محمد النيلي رحمه الله تعالى والحمد لله وصلى الله على رسوله وآله أجمعين .

* * *

٢٦ــ ابن رفاعة ١٢٧ رقم ١٢٧٥ ، الميداني ٣/ ٥٢٣ .

٢٧ــ الميداني ١/ ١٢٨ .

المصادر والمراجع

١ ـ اخبار النحويين البصريين للسيرافي تحقيق كرنكو ـ بيروت ـ ١٩٣٦ .

٢ ـ الاعلام للزركلي (١ ـ ٨) ـ الطبعة الرابعة ـ بيروت ـ ١٩٧٩ .

٣ ـ الامثال لزيد بن رفاعة الهاشمي ـ حيدر اباد ـ ١٣٥١هـ .

٤ ـ الامثال لابي عكرمة الضبي ـ تحقيق الدكتور رمضان عبدالتواب ـ دمشق ـ ١٩٧٤ .

٥ ـ الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام ـ تحقيق الدكتور عبدالمجيد قطامش ـ مكة المكرمة ـ ١٩٨٠ .

٦ ـ الامثال العربية القديمة لرودلف زلهايم . ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٨٢ .

٧ ـ امثال العرب للمفضل الضبي تحقيق الدكتور احسان عباس ـ دار الرائد العربي ـ بيروت . ١٩٨١ .

٨ ـ انباه الرواة على انباه النحاة للقفطي (١ ـ ٤) تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ـ القاهرة ٥٠ ـ ١٩٧٣ .

٩ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١ـ١٤) القاهرة ـ١٩٣١

١٠ـ تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم للمفضل بن محمد التنوخي المعري ـ تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو ـ الرياض ١٩٨١ .

١١ـ تفسير غريب ما في ابنية كتاب سيبويه لابي حاتم السجستاني ـ مخطوطة مصورة .

١٢ـ التمثيل والمحاضرة لابي منصور الثعالبي . تحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلو ـ القاهرة ـ ١٩٦١ .

١٣ـ التهذيب للازهري ـ (ج١) تحقيق عبدالسلام هارون ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ .

١٤ـ تهذيب اصلاح المنطق للتبريزي ـ تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .

١٥ ـ الجمهرة لابن دريد ـ نشر كرنكو ـ حيدر اباد ـ١٣٤٤ هـ .

١٦ـ حاشية على شرح بانت سعاد لعبد القادر البغدادي (الجزء الاول) تحقيق نظيف محرم خواجة ـ فيسبادن ـ ١٩٨٠ .

١٧ـ الحيوان للجاحظ (١ ـ ٧) تحقيق عبدالسلام هارون ـ القاهرة ـ (طبعة مصورة) .

١٨ـ خلاصة الاثر للمحبي (١ ـ٤) ـ القاهرة ـ١٢٨٤هـ .

١٩ـ زهر الاكم في الامثال والحكم للحسن اليوسي (١ـ٢) تحقيق الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الاخضر ـ الدار البيضاء ٩٨١ .

٢٠ـ شرح شعر زهير بن ابي سلمى صنعة ثعلب تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة ـ بيروت ـ ١٩٨٢ .

٢١ـ عيون الاخبار لابن قتيبة (١ ـ ٤) طبعة مصورة ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ .

٢٢ـ غاية الكمال في سوائر الامثال ـ لابن قدامة المقدسي ـ مخطوطة مصورة .

٢٣ـ الفاخر لابن سلمة الضبي ـ تحقيق الطحاوي ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ .

٢٤ـ فرحة الاديب للاسود الفندجاني ـ تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ـ دمشق ـ ١٩٨١ .

٢٥ـ فهرسة ابن خير الاشبيلي ـ طبعة مصورة ـ بيروت ـ ١٩٧٩ .

٢٦ـ الفهرست لمحمد بن اسحق النديم ـ تحقيق رضا تجدد ـ طهران ـ ١٩٧١ .

٢٧ـ كشف الظنون لحاجي خليفة ـ استانبول .

٢٨ـ لسان العرب لابن منظور (١ ـ ١٥) ط ـ دار صادر بيروت ـ ٥٥ ـ ١٩٥٦ .

٢٩ـ مراتب النحويين لابن الطيب اللغوي ـ تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ ١٩٥٥ .

٣٠ـ مجمع الاقوال في معاني الامثال لمحمد بن عبدالرحمن العكبري ـ مخطوطة شستربتي .

٢١ـ مجمع الامثال للميداني (تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ـ منشورات عيسى البابي الحلبي القاهرة ١٩٨٠ .
٢٢ـ المستقصى للزمخشري ـ حيدر اباد ـ ١٩٦٢ .
٢٣ـ نزهة الالباء في طبقات الادباء لابن الانباري تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ـ بغداد ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٠ .
٢٤ـ نزهة الانفس للواحدي ـ مخطوطة مصورة في المكتبة الشرقية بباريس (ن . ب ٢٣٣٤) .
٢٥ـ نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب (١ـ٢) لابن سعيد الاندلسي ـ تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن ـ عمان ١٩٨٢ .
٢٦ـ نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا للدكتور ششن ـ (١ـ٣) ـ بيروت ٧٥ـ١٩٨٢ .
٢٧ـ الوافي بالوفيات للصفدي (ج١٥) تحقيق بيرندراتكه فيسبادن ـ ١٩٧٩ .
٢٨ـ الوسيط في الامثال للواحدي ـ تحقيق الدكتور عفيف عبدالرحمن ـ الكويت ـ ١٩٧٥ .

الدُّرُّ المرصوف في وصف مخارج الحروف

تأليف ابي المعالي محمد بن ابي الفرج فخرالدين الموصلي المتوفي سنة ٦٢١ هـ

تحقيق : الدكتور

غانم قدوري الحمد

مدرس في كلية الشريعة

جامعة بغداد

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فان كتاب (الدر المرصوف) حوى دراسة موجزة للاصوات العربية، مخارجها وصفاتها ، وهو يتميز بمبحث ذكر فيه المؤلف الاصوات التي تشترك في مخرج واحد ، وبين اسباب افتراقها في السمع بالرغم من اتفاق المخرج . وقد وجدت ان الكتاب يستحق التحقيق والنشر من جهة مادته ، ومن جهة قلة الكتب العربية المنشورة في موضوعه ،مما كتبه علماء العربية المتقدمون . وهذه نبذة مختصرة عن حياة المؤلف ونشاطه العلمي ، مع وصف لمخطوطة الكتاب وطريقة التحقيق .

مولد المؤلف ونشاته :

ولد ابو المعالي محمد بن ابي الفرج بن معالي بن بركة ، فخر الدين الموصلي ، ثم البغدادي ، في شهر ذي الحجة من سنة ٥٣٩هـ بالموصل(١) ونشأ فيها ،وطلب العلم هناك ، وقرأ القراءات على يحيى بن سعدون القرطبي ، نزيل الموصل(٢) . وسمع من خطيب الموصل ابي الفضل عبدالله بن احمد الطوسي(٣) .

١ ـ ابن الدبيثي : المختصر ١٦٨/١ ، وابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب ج٤ ق٢ ص٣٦٠ .

٢ ـ ابن الجزري : غاية النهاية ٢٧٢/٢ .

٣ ـ ابن الدبيثي : المختصر ١٦٨/١ ، والصفدي : الوافي بالوفيات ٢١٩/١ ، والسبكي : طبقات الشافعية ١١/٨ .

دخلته الى بغداد واقامته فيها :

ظل ابو المعالي في الموصل حتى جاوز عمره الثالثة والثلاثين ، فرحل عنها وقدم بغداد في سنة ٥٧٢هـ(٤) . واخذ بدراسة الفقه والعربية ، فدرس الفقه في المدرسة النظامية ، وقرا العربية والادب على ابي البركات عبدالرحمن بن محمد الانباري المتوفى سنة ٥٧٧هـ(٥) .

ولم يلبث ابو المعالي ان صار معيدا بالمدرسة النظامية بعد ان برع في علوم العربية والقراءات والفقه والاصول(٦) ، حتى وصفه المؤرخون بانه (معيد النظامية)(٧) . وكان الى جانب ذلك يدرس في مسجده بسوق السلطان في بغداد(٨) .

منزلته العلمية :

يفهم مما ذكره المؤرخون في ترجمة ابي المعالي انه صار في بغداد احد علمائها المشهورين في القراءات والفقه والعربية ، فقد قال عنه ابن النجار(٩) :« وتفقه بالمدرسة النظامية ، حتى برع في الخلاف والفقه والاصول ، وصار احد المعيدين فيها »(١٠) .وقال ايضا « كان فقيها فاضلا ، نحويا ، حسن الكلام في مسائل الخلاف . وله معرفة تامة بوجوه القراءات وعللها وطرقها ، وله في ذلك مصنفات ، وكان كيسا متواضعا متوددا ، حسن العشرة »(١١) .

ووصفه ابن الفوطي بانه (الفقيه المقرىء) وقال عنه : « كان عارفا بالفقه والأدب والقراءة »(١٢) . وقال عنه ابن الجزري : « امام فقيه مقرىء كامل »(١٣) .

مؤلفاته :

كان الفخر الموصلي مشتغلا بالتاليف الى جانب قيامه بالتدريس في المدرسة النظامية وفي مسجده بسوق السلطان ، وقد ذكر المؤرخون اسماء ثلاثة من مؤلفاته هي :

١ ــ كتاب نبذة المريد في علم التجويد(١٤) .

٢ ــ كتاب المعيار لأوزان الشعر ، وهو في علم العروض(١٥) .

٣ ــ كتاب في مخارج الحروف(١٦) .

---

٤ ــ ابن الدبيثي : المختصر ١٦٨/١ ، والاسنوي : طبقات الشافعية ٤٤٧/٢ .

٥ ــ الذهبي : معرفة القراء ٨٩/٢) ، والصفدي : الوافي بالوفيات ٣١٩/٤ .

٦ ــ ابن الدبيثي : المختصر ١٦٨/١ ، والسبكي : طبقات الشافعية ١١٤/٨ .

٧ ــ الذهبي : العبر ٨٦/٥ ، وابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب ٩٦/٥ .

٨ ــ ابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب ج٤ ق٢ ص٣٦٠هامش ٢ .

٩ ــ هو المؤرخ المحدث المقرىء ابو عبدالله محمد بن الحسن البغدادي الشهير بابن النجار ، مات سنة ٦٤٣ هـ له مصنفات منها (تاريخ بغداد) ذيل به على (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي (انظر مصادر ترجمته في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢١٧/٦) .

١٠ــ نقلا عن السبكي : طبقات الشافعية ١١٤/٨ .

١١ــ نقلا عن الاسنوي : طبقات الشافعية ٤٤٦/٢) .

١٢ــ تلخيص مجمع الاداب ج٤ ق٢ ص٣٦٠ .

١٣ــ غاية النهاية ٢٢٨/٢ .

١٤ــ ابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب ج٤ ق٢ ص٣٦٠ .

١٥ــ المصدر نفسه .

١٦ــ ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/ ١٠٥.

ولا أستبعد ان تكون هناك كتب اخرى ألفها الفخر الموصلي غير هذه الثلاثة لكن أخلت بذكرها كتب التاريخ ، واذهب مخطوطاتها حدثان الدهر . فقد قال ابن النجار : « كانت له معرفة تامة بوجوه القراءات وعللها وطرقها ، وله في ذلك مصنفات »[١٧] . ولعل الكتاب الثالث من مؤلفات الفخر الموصلي هو كتاب (الدر المرصوف) الذي نكتب له هذه المقدمة ، ولا يعرف شيء عن الكتابين الآخرين .

وفاته :

عاش الفخر الموصلي في بغداد قريبا من خمسين سنة قضاها في الدراسة والتدريس والبحث والتأليف . وكان معظم تلك المدة في عهد الخليفة العباسي المشهور الناصر لدين الله (٥٧٥ — ٦٢٢هـ) ، الذي نعمت بغداد في عهده بقسط من الهدوء والاستقرار بعد ان جدد الناصر ما اندثر من رسوم الخلافة ، واعاد الهيبة والقوة اليها[١٨] .

وقد توفي الفخر الموصلي ببغداد ليلة السبت السادس من شهر رمضان من سنة ٦٢١هـ ، ودفن بالسهلية عند جامع السلطان[١٩] ، عن اثنتين وثمانين سنة[٢٠] .

وصف مخطوطة كتاب (الدر المرصوف) :

للكتاب نسخة مخطوطة تحتفظ بها مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ضمن مجموع يضم عددا من الكتب والرسائل ، ويحمل رقم (٢٠/٥ من مخطوطات المدرسة الاسلامية) ، ويستغرق الكتاب الأوراق (١٦٨و — ١٧٣ظ) من المجموع ، وهو مكتوب بخط واضح كتبه محمد بن موسى ابن عمران الغزي سنة ٨٤٧هـ[٢١] . ولم اجد ذكراً اذاكرا لنسخة اخرى من الكتاب[٢٢] .

وقد جاء في صفحة العنوان مانصه « رواية العدل ابي الحسن علي بن الوجوهي عنه ، رواية أبي محمد ابراهيم بن عمر الجعبري عنه نقل من خط الجعبري رحمه الله » . والوجوهي (ت ٦٧٢هـ) هو احد تلامذة الفخر الموصلي ، والجعبري (ت ٧٣٢هـ) هو تلميذ الوجوهي[٢٣] . وهذه ملاحظة تؤكد نسبة الكتاب الى مؤلفه .

اسم الكتاب :

جاء اسم الكتاب في اول النسخة المخطوطة على هذا النحو (الدر الموصوف في وصف مخارج الحروف) . وتستوقف الناظر في هذا العنوان كلمة (الموسوف) بالواو بعد الميم ، اذ يبدو انها تصحفت

١٧ـ نقلا عن الذهبي : معرفة القراء ٤٨٩/٢ . وانظر : الصفدي : الوافي بالوفيات ٣١٩/٤ .

١٨ـ انظر : السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٥٠) .

١٩ـ ابن الفوطي : تلخيص مجمع الاداب ج٤ ق٣ ص٣٦٠. وقال المنذري (التكملة لوفيات النقلة ترجمة ١٩٩٥) : « ودفن من الغد بمقبرة السهلية عند جامع البلد » .

٢٠ـ الذهبي : العبر ٨٦/٥ .

٢١ـ انظر وصفا لمحتويات ذلك المجموع في فهرس مكتبة الاوقاف العامة في الموصل ٨٣/٢ .

٢٢ـ في مكتبة المتحف ببغداد رسالة ضمن المجموع المرقم (١١٥٤٠) تحمل عنوان الكتاب الذي نحققه تبدأ بعد البسملة بـ « قال الشيخ برهان الدين بن وثيق الاندلسي » . ولاتمت محتويات هذه الرسالة بصلة الى (كتاب الدر المرصوف) وابن وثيق هو ابراهيم بن محمد الاندلسي المتوفى سنة ٦٥٤هـ وله رسالة في (تجويد القرآن ومخارج الحروف) تحتفظ مكتبة (اياصوفيا) بتركيا بنسخة منها ، وفي معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصورة من تلك النسخة (رقم ٦٢ قراءات وتجويد) وتبدو نسخة المتحف مضطربة المادة اذا قورنت بنسخة (اياصوفيا) .

٢٣ـ انظر : ابن الجزري : غاية النهاية ٥٥٦/١.

عن كلمة (المرصوف) بالراء بعد الميم . لأن(المرصوف) انسب من (الموصوف) بالنسبة لبقية الفاظ العنوان .

ولا تعين المصادر المتيسرة في تحقيق عنوان الكتاب ؛ فلا نجد فيها اكثر من قول ابن كثير : « وصنف كتابا في مخارج الحروف »[٢٤] . وقد ترددت كثيرا في تغير كلمة (الموصوف)[٢٥] ، ولكني بعد ان وجدت كتابا باسم (الدر المرصوف في الصفة والموصوف) ؛ وهو من تاليف محمد امين بن فضل الله الدمشقي المحبي (ت ١١١١ هـ)[٢٦] . ورايت كثيرا من الكتب تحمل عناوينها اسم : الدر المنثور ، والدر المنظوم ، والدر المنضود ... الخ[٢٧] ، ترجح لدي ان يكون الكتاب هو (الدر المرصوف) بالراء بعد الميم . وكان الدكتور حاتم الضامن قد توقف عند عنوان هذا الكتاب . والمح الى احتمال حصول تصحيف فيه ؛ فذكر الكتاب على هذا النحو :(الدر الموصوف (المرصوف) في وصف مخارج الحروف)[٢٨] .

تحقيـق النص :

ان الاعتماد على نسخة واحدة ، ليست نسخة المؤلف ، في التحقيق امر لا يخلو من المشكلات ؛ ولكن ذلك لاينبغي ان يمنع من اخراج الكتب المهمة ذات المخطوطات الوحيدة ، لأن ذلك خير من بقائها محجوبة عن الدارسين .

ومخطوطة كتاب (الدر المرصوف) كتبت بخط حسن واضح ؛ ومشكول احيانا ؛ وهي لا تخلو من تصحيف عدد قليل من الالفاظ . وقد حاولت ـ قدر المستطاع ـ اصلاح التصحيف بالرجوع الى المصادر التي نقل منها المؤلف ، او التي تشبه الكتاب في الموضوع ؛ وقد حرصت على عدم اثقال النص بالهوامش الا فيما يكون ضروريا لتوضيح النص .وارجو بذلك ان اكون قد قدمت نصا صحيحا للكتاب .

وفي ختام هذه المقدمة اخص بالشكر الاخ الاستاذ الفاضل سالم عبدالرزاق احمد ، امين مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ، لمساعدته في تصوير مخطوطة الكتاب ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء ، وهو الموفق للصواب واليه المرجع والمآب .

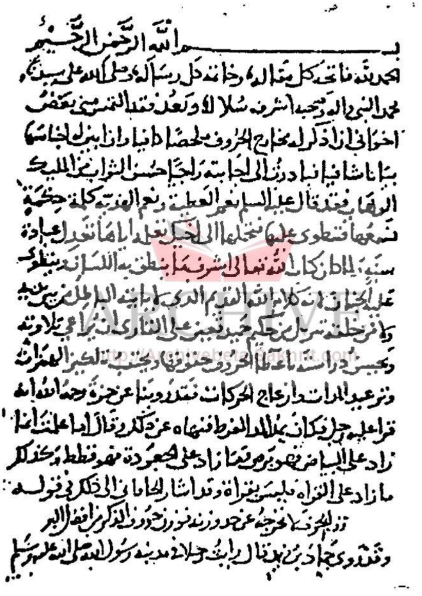
٢٤ـ البداية والنهاية ١٠٥/١٢ .

٢٥ـ لاسيما ان عنوان مخطوطة مكتبة المتحف المذكورة في الهامش ٢٢ جاءت بالواو ايضا .

٢٦ـ البغدادي : ايضاح المكنون ٤٤٧/١ .

٢٧ـ انظر : حاجي خليفة : كشف الظنون ٧٣٢/١ ـ ٧٣٦ .والبغدادي : ايضاح المكنون ٤٤٨/١ ـ ٤٥١ .

٢٨ـ انظر : مقدمة تحقيقه لكتاب بيان السبب الموجب لاختلاف القراء للمهدوي ، في مجلة معهد المخطوطات العربية في الكويت مج ٢٩ ج١ ص١٣٥ .



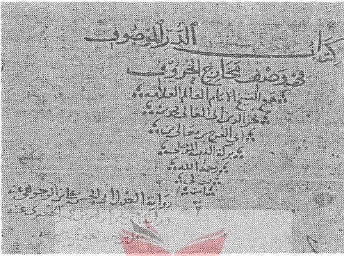
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاتح كل مقالة، وخاتمة كل رسالة، وصلى الله على سيدنا
محمد النبي وآله وصحبه أشرف سلالة، وبعد فقد التمس مني بعض
إخواني أن أذكر له مخارج الحروف وصفاتها بيانا وأن أبين له أحكامها
بيانا شافيا، فبادرت إلى إجابته رجاء حسن الثواب من المليك
الوهاب، فقد قال عليه السلام نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة
تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها إلى أخ لك تعلمه إياها تعدل عبادة
سنة، ولما أن كان كتاب الله تعالى أشرف ما ينطق به اللسان وينطوي
عليه الجنان، لأنه كلام الله القديم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، تعين على القارئ أن يراعي في تلاوته
وتجويده وأداء قراءته إعطاء الحروف حقوقها وتجنب اللكز في الهمزات
وترك عبد المدات وارتعاج الحركات، فقد روينا عن حمزة رحمه الله أنه
قرأ عليه رجل فكان يمد المد المفرط فنهاه عن ذلك وقال أما علمت أن ما
زاد على البياض فهو برص وما زاد على الجعودة فهو قطط وكذلك
ما زاد على القراءة فليس بقراءة، وقد أشار الخاقاني إلى ذلك في قوله:

زن الحرف لا تخرجه عن حد وزنه فوزن حروف الذكر من أفضل البر

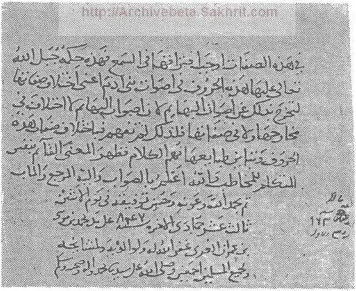
وقد روى حماد بن زيد قال رأيت رجلا أتى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم

الصفحة الاولى من مخطوطة
كتاب الدر المرصوف



كتاب الدر المرصوف
في وصف مخارج الحروف

صفحة العنوان من مخطوطة كتاب
الـدر المرصـوف



بهذه الصفات التي أوجبت اختلافها في السمع فهذه حكمة جبل الله
تعالى عليها هذه الحروف في أصوات بني آدم أعني اختلاف صفاتها
لتخرج بذلك عن أصوات البهائم لأن أصوات البهائم لا اختلاف في
مخارجها ولا في صفاتها فلذلك لم تفهم فباختلاف صفات هذه
الحروف وتباين طبائعها تم الكلام فظهر المعنى القائم بنفس
المتكلم للمخاطب والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب
تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في يوم الاثنين
ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٨٤٧ على يد محمد بن موسى
بن عمران الأعرجي غفر الله له ولوالديه وللمشايخه
ولجميع المسلمين أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الصفحة الاخيرة من مخطوطة كتاب
الـدر المرصـوف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله فاتحةَ كلِّ مقالةٍ ، وخاتمةَ كلِّ رسالةٍ ، وصلّى اللهُ على سيدنا محمد النبيِّ وآلهِ وصحبهِ أشرف سلالة ، وبعد :

فقد التمس مني بعض إخواني أنْ أذكر لهمخارجَ الحروف ملخصاً كافياً ، وأن أُبيِّنَ له أجناسَهَا بياناً شافياً ، فبادرت الى إجابته راجياًحسن الثواب ، من المليك الوهاب . فقد قال عليه السلام : « نعم العطيةُ ونعم الهديةُ كلمة حكمةتسمعها فتطوى عليها ، فتحملها الى أخيك تعلِّمُهُ إيّاها ، تعدل عبادة سنة »(١) .

ولما كان كتاب الله تعالى أشرف ماينطق بهاللسان ، وينطوي عليه الجَنَانُ ، لأنه كلام الله القديم الذي (لايأتيه الباطلُ مِنْ بينِ يَدَيْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ)(٢) تعيَّنَ علىالقارىء أن يُراعيَ تلاوته، ويُحْسِنَ دراسته ، بإعطاء الحروف حقوقهــا ، ويجتنب تَلْكِيزَ الهمـزات وترعيـد المـدات وإزعاج الحركات ، فقد روينا عن حمزة(٣)، رحمه الله ، أنه قرأ عليه رجل فكان يمدّ المدّ المفرط ، فنهاهعن ذلك ، وقال : أمَا علمتَ أنما زاد على البياض فهوبَرَص" ، وما زاد على الجعودة فهو قَطَطٌ"،وكذلك مازاد على القراءة فليس بقراءة(٤) .

وقد أشار الخاقاني(٥)الى ذلك في قوله(٦):

زِنِ الحرفَ لا تخرجْهُ عنْ حدِّ وَزنِهِ فَوَزْنُ حروفِ الذكرِ مِنْ أفضلِ البِرِّ

(١) لم اعثر على نص هذا الحديث ، ولكني وجدتالسيوطي ذكر في كتابه الجامع الصغير (١٨٨/٢) ان الطبراني اخرج معجمه الكبير عن ابنعباس : « نعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها الى اخ لك مسلم فتعلمها اياه » وقد ضعفهالسيوطي .

(٢) فصلت ٤٢ .

(٣) هو حمزه بن حبيب الزيات الكوفي ، احدالقراء السبعة المشهورين (ت ١٥٦ هـ) . (انظر ترجمته عند ابن الجزري : غاية النهاية١/٢٦١) .

(٤) روى هذا الخبر ابن مجاهد في كتابه : السبعةفي القراءات ص٧٧ .

(٥) الخاقاني هو ابو مزاحم موسى بن عبيد اللهبن يحيى البغدادي المتوفى سنة ٣٢٥هـ . قال عنه ابن الجزري (غاية النهاية ٣٢١/٢) :« هو اول من صنف في التجويد ، فيما اعلم وقصيدته الرائية مشهورة » .

(٦) البيت هو السادس والعشرون من قصيدةالخاقاني في التجويد ، وهي تتالف من ٥١ بيتا (انظر : نص القصيدة في بحث : علم التجويدنشأته ومعالمه الاولى ، لكاتب هذه السطور ، في مجلة كلية الشريعة العدد السادس ص٣٤٨ ،السنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م) .

وقد رَوَى حماد بن زيد[٧]، قال : رأيت رجلا في مدينة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ / ١٦٩ و /يستعدي[٨] على رجل ،فقلت : ماتريد منه ؟ : إنه يتهدد القرآن ، قال : واذا المطلوب رجل إذا قرأ يهمز همزاً متعسفاً[٩] .وقد قال عليه السلام : « الماهر بالقرآن يكتب عند الله من السفرة الأبرار »[١٠]. وهذا انما يحصل بمعرفة مخارج الحروف ومعرفة أجناسها وألقابها ليضع الحروف مواضعها ، ويجتنب فيها الزيادة والنقصان ، ونحن نذكر ذلك على وجه تحصل به الكفاية ، ان شاء الله تعالى .

وقبل الخوض في ذكر مخارج الحروف فلنذكر مايكون كالمقدمة لهذا الكتاب ، تعرف به مخارجها إجمالاً ، ونذكر اختلاف العلماء في عدد المخارج ، ثم بعد ذلك نورد المخارج في فصل ، وأجناسها في فصل ، ثم نعقب ذلك بخاتمة نذكر فيها علل اختلاف الحروف مع اتحاد المخرج ، فبه تكمل الفائدة .

فنقول ، وبالله التوفيق : اعلم أن العلماء اختلفوا في عدد مخارج الحروف فذهب سيبويه[١١] في جماعة من النحويين الى أن للحروف ستة عشر مخرجاً ، ثلاثة للحلق ، وثلاثة عشر للفم[١٢].

وقال الجَرْمِي[١٣] ومن تابعه من النحويين إنّ اللام والنون والراء من مخرج واحد ، فجعل مخارج الفم أحد عشر ، ويدل على دعواه حجة لا يليق ذكرها بهذا المختصر[١٤].

فاذا أردت أن تعرف مخرج الحرف فأسكنه وأدخل عليه الهمزة ، فاذا قيل لك : من أين مخرج العَين مثلاً ؟ [فقل][١٥]: أَعْ ، فتراها من الحلق ، فان قيل لك : من أين / ١٦٩ ظ / مخرج الباء مثلاً ؟ فقل : أبْ فتراها من الشفتين ، وكذلك سائرها .

---

(٧) هو حماد بن زيد البصري ، من ائمة الدين ومن كبار المحدثين ت ١٧٩هـ : انظر : السيوطي : طبقات الحفاظ ص٩٦) .

(٨) في الاصل (ينعدى) . و (يستعدي) عن كتاب الرعاية لمكي ص١٢٠ .

(٩) ورد الخبر في كتاب الرعاية لمكي ص١٢٠ .

(١٠) روى البخاري ومسلم وابن ماجة واحمد :(الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة) (انظر : المعجم المفهرس لالفاظ الحديث ٢٨٠/٦) .

(١١) سيبويه هو ابو بشر عمرو بن عثمان البصري ،من كبار نحاة العربية وهو صاحب (الكتاب) في النحو ، (ت ١٨٠هـ ؛ (انظر مصادر ترجمته :عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ١٠/٨) .

(١٢) انظر : سيبويه : الكتاب ٤٣٣/٤ ، والمبرد :المقتضب ١٩٢/١ ، وابن جني : سر صناعة الاعراب ٥٢/١ .

(١٣) الجرمي هو ابو عمر صالح بن اسحاق ، من اهل البصرة ، نحوي لغوي ، فقيه ، محدث (ت ٢٢٥هـ) .

(١٤) قال السيوطي (همع الهوامع ٢٢٨/٢) :« وذهب الجرمي وقطرب والفداء وابن دريد وابن كيسان على خلف عنه ، الى أنها اربعة عشر مخرجا » .

(١٥) [فقل] زيادة ليست في الاصل يقتضيها السياق ، ويدل عليها قول المؤلف بعد .

فصــــل

اعلم أن للحروف ستة عشر مخرجا ، ثلاثةللحلق[16]، وثلاثة عشر للفم ، فمن أقصى الحلق مخرج الهمزة والألف والهاء .

ومن وسطه مخرج العين والحاء .

ومـــن أدناه مما[17]يلي الفـــم مخرج الغين والخاء .

والقاف تخرج من أصل اللسان ، وهو المخرج الأول من مخارج الفم .

ودونه الى مايلي الفم مخرج الكاف ، ولقرب مخرجيهما لا تجتمع [مع][18] القاف في كلمة ، لا حاجز بينهما .

والشين والجيم والياء من وسط اللسان .

والضاد تخرج من حافة اللسان مع مايليه من الأضراس . ومن الناس من يتكلفهـــا [من][19] الجانب الأيمن ، ومنهم من يتكلفها مـــن الجانب الأيسر ، وهي منـــه أسهل . وقد روي عـــن عمر ــ رضي الله عنه ــ أنه كان أعسر أيســـر ، يعمل بكلتا يديه ، وينطق بالضاد من الجانبين[20].

واللام تخرج من أدنى حافة اللســـان إلى منتهى طرفه .

ومخرج النون والراء من باطن اللسان وفوق الثنايا ، إلا أن الراء أدخل إلى ظهر اللسان من النون .

والطاء والدال والتاء تخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا العُلى .

والزاي والسين والصاد تخرج مـــن طرف اللسان وأصول الثنايا السفلى .

والظاء والثاء والذال تخرج مـــن بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العُلَى .

والفاء تخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العُلَى .

والباء والميم والواو تخرج مـــن /١٧٠و/ الشفتين . والباء تشبه الميم في الجهر والشـــدة ، ولهذا يبدل أحدهما من الآخـــر . تقول العرب :أربى فلان على فلانٍ ، وارقى عليه ، اذا زاد .

---

(١٦) الحلق : هو الفراغ الذي يقع بين الحنجرة واقصى اللسان (انظر : د محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارىء العربي ص١٤٤ ، ود . كمال محمد بشر : علـــم اللغة العـــام (الاصوات) ص٨٦ ــ ٨٧) .

(١٧) في الاصل (وما) والصواب (مما) .

(١٨) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

(١٩) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

(٢٠) انظر : علي القاري : المنح الفكرية ص١١ .

وإذ قد أتينا على ما أردنا ذكره من مخارج الحروف فلنذكر أجناسها .

فنقول وبالله التوفيق :

فصل

اعلم ، وفقك الله لمرضاته ، أنّ للحروف أربعة وأربعين لقباً[٢١]، نحن نذكر من ذلك ما لا يسع جهله ، وتجب معرفته .

فأول ذلك : الحروف المهموسة ، يجمعها قولك (سكت فحثه شخص) ، ومعنى الهمس أنه حرف جرى معه النفس عند النطق به .

ثم : المجهورة ، وهي باقي الحروف ،ويجمعها قولك : (مد عطاء[٢٢] جعظر وقل بذ طيران) . ومعنى الجهر أنه حرف قوي فمنع النفس أن يجري معه عند النطق به ، والجهر الصوت الشديد[٢٣].

والثالث : الحروف الشديدة ، وهي ثمانية أحرف ، يجمعها قولك : (أجدت طبقك) ، ومعنى الشديد أنه حرف اشتد لزومه لموضعه فلم يجر معه النفس .

والرابع : الحروف الرخوة ، وهي ثلاثة عشر حرفاً ، يجمعها قولك : (ثخذ ظغش زحف صه ضس) ، ومعنى الرخاوة أن الحرف ضعف الاعتماد عليه عند النطق به ، فجرى معه الصوت .

والخامس : الحروف الزوائد ، وهي عشرة يجمعها قولك (سألتمونيها)، ومعنى هذه التسمية أنه لا يقع في كلام العرب حرف زائد في اسم ولا فعل إلا من هذه العشرة، لأنها تأتي زائدة /١٧٠ظ/ على وزن الفعل ، ليست بفاء ولا عين ولا لام .

والسادس : الحروف الأصيلة ، وهي ماعدا الزوائد .

والسابع : حروف الابدال ، وهي أحد عشر ، يجمعها قولك : (طال يوم أنجدته) وسميت بذلك

---

(٢١) قال مكي (الرعاية ص٩١) : « لم أزل أتتبع ألقاب الحروف التسعة والعشرين وصفاتها وعللها حتى وجدت من ذلك أربعة وأربعين لقباً ، صفات لها » .

(٢٢) في الأصل (عطا) .

(٢٣) تعريف المهموس والمجهور هنا مقتبس من تعريف سيبويه (انظر : الكتاب ٤/٤٣٤) . وللغويين المحدثين تعريف أوضح للصوت المجهور وهو عندهم « الصوت الذي تتذبذب (أو تهتز) الاوتار الصوتية حال النطق به » ، والمهموس بعكسه (انظر د . كمال محمد بشر : علم اللغة العام (الاصوات) ص١١٠ ، ود . احمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ص١٠٦ ، ود . ابراهيم انيس : الاصوات اللغوية ص٢٠) .

ويجب أن نلاحظ هنا أن إدراج حرف الهمزة والطاء والقاف ضمن الحروف المجهورة لايتناسب مع النطق العربي الفصيح في زماننا ؛ فهذه الاصوات اليوم مهموسة .

لأنها تبدل من غيرها ، ولا يبدل غيرها منها ؛ تقول هذا أمر لازب ولازم[٢٤]، فالميم بدل من الباء . ولا تقول[٢٥] الباء بدل من الميم ، والبدل موقوف على السماع .

والثامن حروف الاطباق ، وهي الطاء والظاء والصاد والضاد ؛ وسميت بذلك لأن[٢٦] طائفة من اللسان تنطبق مع الريح الى الحنك عند النطق بها.

والتاسع : الحروف المنفتحة ، وهي ماعدا حروف الاطباق ، وسميت بذلك لأن اللسان لا ينطبق مع الريح عند النطق بها .

العاشر : حروف الاستعلاء ، وهي سبعة :منها حروف الاطباق والثلاثة الباقية : الغين والخاء والقاف : سميت بذلك لأن الصوت يعلو بها الى الحنك عند النطق بها .

الحادي عشر : الحروف المستفلة ، وهي ماعدا المستعلية ، وسميت بذلك لأن اللسان لا يستعلي عند النطق بها الى الحنك كما يستعلي بالمستعلية .

الثاني عشر : حروف الصفير : وهي الزاي والسين والصاد ، وسميت بذلك لصوت يخرج معها عند النطق بها يشبه الصفير .

الثالث عشر : القلقلة ويجمعها قولك (بجد قط) وسميت بذلك لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن . /١٧١ و /

الرابع عشر : حروف المد واللين ، وهي الألف والواو الساكنة التي قبلها ضمة والياء الساكنة التي قبلها كسرة ، وسميت حروف المد لأنهن في أنفسهن مدات ، وحروف اللين لأنهن يخرجن في لين من غير كلفة على اللسان .

الخامس عشر : الحروف الخفية ، وهي الهاء وحروف المد واللين ، وسميت بذلك لخفائها في اللفظ .

السادس عشر : حروف العلة ، وهي الهمزة وحروف المد واللين ، وسميت بذلك لتغيرها وانقلابها ، لأن الواو والياء يعتلان فيقلبان ألفاً مرة وهمزة مرة ، نحو كال ومال ، وتنقلب الهمزة ياء مرة[٢٧] وواواً مرة وألفاً مرة ، فتقول راس ومومن وبير[٢٨]، وهذا يُستَقصَى في كتب التصريف .

---

(٢٤) انظر : السيوطي : المزهر ٦٤٣/١ .

(٢٥) كذا في الأصل ، ولعل الانسب (ولا تقل) .

(٢٦) في الاصل (طابقة) والصواب (طائفة) .

(٢٧) (ياء مرة مكررة) في الاصل .

(٢٨) رسمت في الاصل (راس ومؤمن وبئر)مهموزة .

السابع عشر : حروف الإمالة ، وهي الألف والراء وهاء التأنيث ، وسميت بذلك لأن الإمالة لا تكون في كلام العرب إلا فيها ، فالهاء تمال في الوقف ، والراء والألف يمالان في الوصل والوقف .

الثامن عشر : الحرف المكرر ، وهو الراء ، سُمِّي بذلك لتكرره على اللسان عند النطق ؛ لأن طرف اللسان يرتعد به ، وأظهر مايكون ذلك اذا كانت الراء مشددة ، فيجب على القارىء إخفاء التكرير ، وإلا كان لاحناً .

التاسع عشر : حرفا الغنة ، وهما النون والميم الساكنان ، وسميا بذلك لأن فيهما غنة تخرج من الخياشم عند النطق بهما .

العشرون : حرفا الانحراف ، وهما / ١٧١ظ / اللام والراء ، سميا بذلك لأنهما انحرفا عن مخرجيهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما .

الحادي والعشرون : الحرف الجرسي ، وهو الهمزة ، سُمِّيَتْ بذلك لأن الصوت يعلو بها عند النطق بها .

الثاني والعشرون : الحرف المستطيل ، وهو الضاد ، سُمِّيَ بذلك لأنه استطال عند النطق [به][29] حتى اتصل بمخرج اللام .

الثالث والعشرون : الحرف المتفشي ، وهو الشين سُمِّي بذلك لانه تفشى في مخرجه عند النطق به حتى اتصل بمخرج الطاء . ومعنى [التفشي][30] كثرة انتشار التنفس .

الرابع والعشرون : حروف الذلاقة ، ويجمعها قولك (فر من لب) ، وسُمِّيَتْ بذلك لأنها من طرف اللسان ، وهو ذلقه .

الخامس والعشرون : الحروف المصمتة ، وهي ماعدا هذه الستة وهي[31] : الهمزة والهاء والألف والعين والحاء والغين والخاء ، وسميت بذلك لتمكنها في مخرجها من الفم ، والألف خارجة عن المذلقة والمصمتة ، لأن الألف حرف هوائي يهوي في الفم ولايستقر في مخرجه .

وقد أعرضنا عن ذكر بقية الألقاب اذليس فيها كبير فائدة ولا يليق ذكرها بهذا المختصر .

---

(٢٩) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٠) زيادة لايستقيم المعنى بدونها ، وانظر في معنى التفشي : مكي : الرعاية ص١٠٩ .

(٣١) حصل اضطراب في كلام المؤلف هنا عن الحروف المصمتة ، فاختلط بالكلام على الحروف الصتم ، يدلك على ذلك هذا النص الوارد في كتاب الرعاية لمكي (ص ١١١) : « والمصمتة : وهي ماعدا هذه الستة من الحروف ، وهي اثنان وعشرون حرفا ، ثلاثة منها معتلات وهن : الواو والياء والهمزة ، وتسعة عشر صحاح ، والالف خارجة عن المذلقة والمصمتة ؛ لانها هواء لامستقر لها في المخرج ... الحروف الصتم ، وهي الحروف التي ليست من الحلق ، وهي ما عدا سبعة الاحرف الخارجة من الحلق وهي : الهمزة والهاء والالف والعين والحاء والغين والخاء ... » .

خاتمة الكتاب

إن قال قائل : الهاء أُخت الهمزة في المخرج،فما الذي أوجب افتراقهما في السمع ؟ قلنا : الهاء بعد الهمزة في المخرج قريبة منها ، ولو سلمنا/ ١٧٢ و / اتحاد المخرج ، لكن الهاء حرف مهموس رخو ، ولولا ذلك لكانت الهاء همزة ،والهمزة حرف شديد مجهور[٣٢]، ولولا ذلك لكانت الهمزة هاء ، اذ المخرج واحد ، وانما فرق بينهما في السمع اختلاف صفاتهما ، ومن أجل ذلك أبدلت العرب كل واحد منهما من الآخر ، فقالوا :أرقت ماءَك ، وهرقت ماءك[٣٣]. وقد قرىء : (هِيّاكَ نعبد وهِياكَ نستعين)[٣٤]، وقالوا : أَيَازيد وهَيَا زيد[٣٥]، الى غير ذلك ، فهما وان اتفقا في المخرج فقد اختلفا في الصفات .

فان قيل : فالعين والحاء من مخرج واحد ،فما الذي أوجب افتراقهما في السمع ؟ قلنا : العين حرف مجهور ، فهو أقوى من الحاء ، والحاء صوت مهموس رخو : ولولا جهر العين لكانت حاء . وقد قال الخليل بن أحمد ـ رحمه الله ـ : لولا بُحّةٌ الحاء لأشبهت العين في اللفظ لاتحاد المخرج[٣٦]. ولولا ذلك لم يختلف في السمع حرفان من مخرج واحد .

فان قيل : فما الذي فرق بين القاف والكاف مع قرب مخرجهما ؟ قلنا : جهر القاف[٣٧] واستعلاؤها وهمس الكاف وتسفلها هو الذي فرّق بينهما ، فلولا جهر القاف واستعلاؤها لكانت كافاً ، ولولا همس الكاف وتسفلها[٣٨] لكان قافاً .

فان قيل فما الذي أوجب افتراق الشين والجيم والياء في السمع مع اتحاد المخرج ؟/ ١٧٢ظ/ قلنا ، همس الشين ورخاوتها ، وجهر الجيم وشدتها ، وتسفل[٣٩] الياء وخفاؤها فرّق في السمع بينهما .

---

(٣٢) القول بأن الهمزة صوت مجهور هو رأي علماء العربية المتقدمين : اما علماء الاصوات المحدثون فمنهم من يقول : انها صوت مهموس (انظر د . عبد الرحمن ايوب : اصوات اللغة ص٢١٧) ومنهم من يقول : انها صوت لامجهور ولامهموس (انظر : د . ابراهيم انيس : الاصوات اللغوية ص٩١ . ود . كمال محمد بشر : علم اللغة العام (الاصوات) ص١٤٣) .

(٣٣) السيوطي : المزهر ١/٤٦٢ .

(٣٤) في قوله تعالى (واياك نعبد واياك نستعين)(سورة الفاتحة آية ٥) وذكر ابن خالويه ان أبا سوار الغنوي قرأ ذلك (انظر مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ص١) .

(٣٥) انظر : السيوطي : المزهر ١/٤٦٢ .

(٣٦) انظر : كتاب العين ١/٥٧ .

(٣٧) القاف مهموسة في نطق العربية الفصيح اليوم (انظر : د . كمال محمد بشر : علم اللغة العالم (الاصوات) ص١٣٨) .

(٣٨) في الاصل (ثقلها) في هذا الموضع والذي قبله،وهو تصحيف فالذي يقابل استعلاء القاف هو تسفل الكاف ، وانظر هامش (٤٢) الآتي .

(٣٩) في الاصل (ثقل) والارجح ان ذلك تصحيف صوابه (تسفل) ، وانظر الهامش السابق .

فالحروف قد تكون من مخرج واحدفتختلف في السمع لاختلاف صفاتها ، وهذا تقارب بين الحروف من جهة [المخرج](٤٠)وتباين من جهة الصفة . وقد تكون الحروف من مخرجين [وهي مختلفة الصفات ، فهذا غاية التباين ، اذ قداختلفت في المخارج والصفات ، وتكون من مخرجين متفقة الصفات ، فهذا أيضا تقارب بين الحروف من جهة الصفات، وتباين من جهة المخرج، ولا تجد أحرفاً من مخرج واحد](٤١) وتكون متفقة في الصفات البتة ، لأن ذلك يوجب اتفاقها في السمع ، فلا يكون فيها فائدة ، فتصير كأصوات البهائم التي لا اختلاف في مخارجها ولا في صفاتها، فلابد أن تختلف الحروف : إمّا في المخرج وإمّا في الصفات ، فافهمْ هذا فعليه مدار الحروف كلها .

فان قيل : فما الذي فرّق بين الدال والطاء والتاء مع اتحاد المخرج ؟ قلنا لولا [التسفل](٤٢) والانفتاح اللذان في الدال لكانت طاء ، ولولا الاطباق والاستعلاء اللذان في الطاء لكانت دالاً، ولولا الهمس الذي في التاء لكانت دالاً ، ولولا الجهر الذي في الدال لكانت تاء ، وذلك لاتحاد المخرج ، فالدال أقرب الى الطاء من التاء ، فاعرفْ هذه المناسبة بين الحروف فإن مَنْ جَهِلَهَا لم يكن على ثقة من تلاوته .

فان قيل : السين أُخت الزاي في الصفير والمخرج والرخاوة والانفتاح والتسفل ، فَلِمَ افترقا في السمع ؟ قلنا : همس السين وجهر الزاي أوجب افتراقهما في السمع ، فلولا همس السين / ١٧٣ و / لكانت زاياً ، ولولا جهر الزاي لكانت سيناً ، فاختلافهما في الجهر والهمس أوجب افتراقهما في السمع .

فإن قيل : فقد وَاخَتِ الصادُ السينَ في المخرج والصفير والهمس والرخاوة ، فَلِمَ افترقا في السمع ؟ قلنا : اختصاص الصاد بالاطباق والاستعلاء أوجب افتراقهما في السمع ، ولولا ذلك لكانت الصاد سيناً ، واختصاص السين بالتسفل والانفتاح أوجب ذلك أيضا ، ولولا اختصاص السين بما ذكرناه لكانت صاداً ، فاعرفْ من أين اختلفت هذه الحروف في السمع ، والمخرج واحد .

---

(٤٠) في الاصل (من جهة اللفظ) والتصحيف من كتاب الرعاية لمكي ص١٣٠ لان المعنى يختل بدونها ، وربما حصل تحريف في نص الكتاب على يد النساخ او بعد ان المؤلف اعتمد على نسخة سقيمة من كتاب الرعاية .

(٤١) مابين المعقوفين زيادة ليست في الاصل اقتبستها من كتاب الرعاية لمكي ص١٣٠ .

(٤٢) في الاصل (الثقل) وهو تصحيف ، وفي هامش الاصل تعليق لاحد تلامذة العالم المشهور ابن الجزري (هو أبو الخير محمد بن محمد ت ٨٣٣هـ) حول هذه الكلمة ، ونصه : « قوله : (لولا الثقل) لم يظهر ما هذا ، ولعله (لولا التسفل) لان الدال مستفلة ، ويدل على ذلك قوله بعد ذلك (لولا الاطباق والاستعلاء اللذان في الطاء) فتامل ، ولعل هذا تحريف من الكاتب ، بكر [كلمتان غير واضحتين] من تلامذة ابن الجزري » .

فان قيل : الذال والظاء والثاء من مخرج واحد ، فما الذي أوجب افتراقها[٤٣] ؟ قلنا : اختصاص الذال بالجهر ، والثاء بالهمس ،واختصاص الظاء بالاطباق ، أوجب اختلافها في السمع ، فلولا الجهر الذي[٤٤] في الذال لكانت ثاء ، ولولا الهمس الذي في الثاء لكانت ذالاً ، ولولا الانفتاح الذي في الذال لكانت ظاء[٤٥]،فاعرف ذلك .

فان قيل : فما أوجب الافتراق في السمع بين الواو والميم والباء ، مع اتحاد المخرج ؟ قلنا : الميم وان شاركت الباء في الجهر والشدة إلاّ أن الميم فيها غنة ، فلولا الغنة التي في الميم[٤٦] وجريان التنفّس معها لكانت باءً ، لاشتراكهما في الجهر والشدة والمخرج . والواو مجهورة ، وفيها خفاء اذا سكنت، وثِقَل" إذا تحركت، وفيها مد ولين.فاختلافها[٤٧] / ١٧٣ ظ / في هذه الصفات أوجب افتراقها في السمع .

فهذه حكمة جَبْل الله تعالى عليها هذه الحروف في أصوات بني آدم : أعني اختلاف صفاتها لتخرج بذلك عن أصوات البهائم ، لأن أصوات البهائم لا اختلاف في مخارجها ولا في صفاتها ، فلذلك لم تَبِنهم ، فباختلاف صفات هذه الحروف وتباين طبائعها فُهم الكلام فظهر المعنى القائم بنفس المتكلم للمخاطب ، والله أعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب .

•★•

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ٨٤٧ هـ ، على يد محمد بن موسى بن عمران الغزي ، غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين أجمعين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(٤٣) في الاصل (افتراقهما) وفي هامش الاصل (لعله افتراقها لأنها ثلاثة) .

(٤٤) في الاصل (الرخاوة التي) وكذا الموضع الذي سبق (بالرخاوة) ؛ والمعنى لايستقيم الا بما اثبته ؛ ويدل عليه قوله (ولولا الهمس الذي في الثاء لكانت ذالا) والجهر نقيض الهمس اما الرخاوة فتقابلها الشدة ، وهذه الحروف الثلاثة كلها تتصف بالرخاوة ، فيصير لامعنى لقوله : (فلولا الرخاوة التي في الذال لكانت ثاء)والصواب ان تكون العبارة (فلولا الجهر الذي ...) وهو ما اثبته .

(٤٥) في الاصل (لكانت ثاء) والصواب ما اثبته ،لان الذال اخت الظاء ، ولا يفرق بينهما الاوجود الاطباق في الظاء وعدمه في الذال .

(٤٦) في الاصل (النون) والسياق يأبى ذلك .

(٤٧) في الاصل (فاختلافهما) وما اثبته هو الذي يناسب سياق الكلام .

مصادر المقدمة والتحقيق

١ ــ ابراهيم انيس (دكتور) : الاصوات اللغوية ، ط٤ ،مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧١م .

٢ ــ احمد مختار عمر (دكتور) : دراسة الصوت اللغوي ،الطبعة الاولى ، مكتبة عالم الكتب القاهرة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م .

٣ ــ الاسنوي (جمال الدين عبدالرحمن الاسنوي) : طبقات الشافعية ، تحقيق عبدالله الجبوري ، سلسلة احياء التراث الاسلامي وزارة الاوقاف بالعراق بغـداد ١٣٩٠هـ ـ١٣٩١هـ .

٤ ــ ابن الجزري (ابو الخير محمد بن محمد) : غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق برجستراسر مطبعة الخانجي بمصر ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م .

٥ ــ ابن جني (ابو الفتح عثمان) : سر صناعة الاعراب ج١ تحقيق مصطفى السقا واخرين . مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٤م .

٦ ــ ابن خالويه (ابو عبدالله الحسين بن احمد) مختصر في شواذ القران من كتاب البديع ، ط١ ، تحقيق برجستراسـر، المطبعة الرحمانية . القاهرة ١٩٣٤م .

٧ ــ الخليل بن احمد : كتاب العين ،ج١ ، تحقيق الدكتورابراهيم السامرائي والدكتور مهدي المخزومي ، وزارة الثقافة والاعلام العراقية ١٩٨٠م.

٨ ــ ابن الدبيثي : المختصر المحتاج اليه من تاريخ الحافظ ابي عبدالله محمد بن سـعيد بن محمد بن الدبيثي ، انتقاء محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ،ج١ تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٧١ ــ ١٩٥١ ، مطبوعـات المجمع العلمي العـراقي .

٩ ــ الذهبي (ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان) : العبر في خبر من غبر ج٥ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م.

١٠ــ الذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار ،ط ١ ، دار الحديثة القاهرة ١٩٦٩ .

١١ــ السـبكي تاج الدين ابي نصر عبدالوهاب بن علي بـن عبد الكافي) : طبقات الشافعية الكبرى ط١ ، ج٨ ، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧١م.

١٢ــ سيبويه (ابو بشر عمرو بن عثمان : الكتاب ج٤ ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ .

١٣ــ السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر) : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الرابعـة

١٤ــ السيوطي : طبقات الحفاظ ، تحقيق علي محمد عمر، ط مكتبة القاهرة ١٩٧٢م.

١٥ــ السيوطي : المزهر في علوم اللغة وانواعها ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم واخرين ، دار احياء الكتب العربية القاهرة (د.ت) .

١٦ــ السيوطي : همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية تحقيق محمد بدرالدين النعساني ط١ مكتبة الخانجي بمصر ١٣٢٧هـ .

١٧ــ الصفدي (صلاح الدين خليل ايبك) : كتاب الوافي بالوفيات ط٢ ج٦ باعتناء هلموت ريتر ، فيسبادن ١٣٨١هـ = ١٩٦١م .

١٨ــ عبدالرحمن ايوب (دكتور) : اصوت اللغة ، مطبعة دار التاليف ، القاهرة ١٩٦٣ .

١٩ــ ابن العماد الحنبلي (ابي الفلاح عبدالحي) : شذرات الذهب في اخبـار من ذهب ، ج٥ ، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥١هـ .

٢٠ــ ابن الفوطي (كمال الدين ابو الفضل عبدالرزاق بن احمد) : تلخيص مجمع الاداب في معجم الانساب ، الجزء الرابع القسم الثالث تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ١٩٦٥ .

٢١ــ ابن كثير (ابو الفداء اسماعيل بن عمر) : البدايـة والنهاية في التاريخ ج١٣ مطبعة السعادة القاهرة (د.ت).

٢٢ــ كمال محمد بشر (دكتور) : علم اللغة العام ، قسم الاصوات ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م

٢٣ــ المبرد (ابو العباس محمد بن يزيد) : المقتضب ج١ تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة . دار التحرير للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٥هـ .

٢٤ــ محمود السعران (دكتور): علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .

٢٥ــ مكي بن ابي طالب القيسي : الرعايـة لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، تحقيق دكتور احمد حسن فرحات . دار المعارف للطباعة دمشق ١٣٩٣هـ= ١٩٧٣م .

٢٦ــ المنذري (زكي الدين ابو محمد عبد العظيم بن عبدالقوي): التكملة لوفيات النقلة تحقيق د . بشار عواد معـروف . مؤسسة الرسالة بيروت .

٢٧ــ المهدوي (ابو العباس احمد بن عمار) : كتاب بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات ، تحقيق الدكتور حـاتم الضامن . مجلة معهد المخطوطات العربية في الكويت ، المجلد التاسع والعشرون ، الجزء الاول ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م .

ابن بسام
حياته وشعره

تحقيق الدكتور

مزهر السوداني

كلية التربية ـ جامعة البصرة

هو علي بن محمد بن نصر ، وعرف بالبسامي، وهو اسم جده كما يقول ابن الاثير[1] ، وعرف ايضا بالعبرتائي نسبة الى عبرتا : قرية كبيرة من اعمال بغداد بين بغداد وواسط[2] وشذ صاحب البداية والنهاية عن جميع مترجميه فسماه علي بن احمد[3] .

واختلف في اسم جده ، ففي معجم[4] الشعراء (ناصر) وفي فهرست ابن النديم (نصير)[5] وفي لباب ابن الاثير (منصور)[6] ، والاسم الاخير اطلق على والد جده . ويبدو ان الاختلاف في اسم جد الشاعر من عمل النساخ بدلالة قول ابي تمام يمدحه [7] :

بنصر بن منصور بن بسام انفرى
لنا شظف الايام عن عيشة رغد

وقول ابن الرومي يرثي والد الشاعر[8]

اودى محمد بن نصر بعدما
ضربت به في جوده الامثال

ولادته :

لم يذكر احد السنة التي ولد فيها ابن بسام ، على الرغم من حرص بعضهم على ذكر السنة التي توفى فيها وهي ٣٠٢ او ٣٠٣ وقد اضاف بعض مؤرخيه قائلين ان الشاعر عاش نيفا وسبعين سنة ، ولذلك يمكن ان تكون ولادة الشاعر في حدود سنة ٢٣٠ او قبلها بقليل .

ان القول بولادة ابن بسام حوالي سنة ٢٣٠هـ لا يتفق وقول ابن خلكان ان الشاعر هجا المتوكل حين امر بهدم قبر الحسين بن علي (رض) سنة ٢٣٦هـ[9] ولذلك ينبغي القول ان الشاعر لم يدرك الحادثة بسبب صغر السن ولكنه سمها او رواها له الكبار فنظم فيها ابياته التي ذكرها ابن خلكان ، وهذا الذي فعله ابن بسام شائع معروف في الشعر الديني والمذهبي .

حياته :

ولد ابن بسام لاسرة ثرية مرموقة في المجتمع العباسي ، فجده نصر بن منصور كان

يتولى ديوان الخاتم والنفقات والازمة في ايام المعتصم(١٠) ، وقد مدحه ابو تمام بقصيدة مطلعها(١١) :

الطلال هند ساء ما اعتضت من هند
اقايضت حور العين بالعون والربد

وكان أبوه سريا وجيها معروفا بين الطبقة الغنية العباسية ، وعلى عادة الاغنياء من معاصريه كان مشغوفا بالبناء وتشييد القصور ذات الحدائق والبساتين ، وقد وصف المسعودي في مروج الذهب احد قصوره(١٢) ؛ وقال ابن الرومي يرثيه :

ملك تنافست العلا في عمره
وتنافست في موته الاجال

ومنها :

حالت بدارك بعدك الاحوال
وتغولت بقطينها الاغوال
وبكاك من بستان قصرك زاهر
لثناك من نفحاته اشكال
وبكت حمائمه وعاد غناؤها
نوحا يهاج بمثله البلبال
اعزز علي بمنزلاتك ان غدت
ولهن دونك عامر وحلال
اعزز علي بصافناتك ان غدت
تبكي السروج لهن والاجلال(١٣)

اما البحتري فقد عاتب والد الشاعر لانه قصر في حقه (١٤) ، ولا نعرف شيئا عن طفولة الشاعر ولا عن الشيوخ او الاساتذة الذين درس عليهم باستثناء قول صاحب الهفوات النادرة ان فضلا اليزيدي ت ٢٧٨ (١٥) كان يختلف الى ولد محمد بن نصر ابن بسام ليقرأوا عليه الاشعار ..(١٦) وعلى عادة ابناء الاسر الكبيرة في العصر العباسي كانت لابن بسام صولات وجولات في دنيا اللهو والشرب والمجون في صدر شبابه وفتوته يدل على ذلك شعره ، قال :

وكانت بالصراة(١٧) لنا ليال
سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالي
وعنوان المسرة والاماني(١٨)

وقال في مناطق أخرى من بغداد :

بشاطىء نهر طابق(١٩) فالمعلّى(٢٠)
فما والاهما فالقريتين
معاهد لهونا والعيش غض
وصرف الدهر مقبوض اليدين(٢١)

وربما احب الشاعر في صدر شبابه بدليل ما في شعره من غزل وصبابة :

لقد صبرت على المكروه اسمعه
من معشر فيك لولا انت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم
لولاك ما كنت ادرى انهم خلقوا(٢٢)

وقال ايضا :

لا اظلم الليل ولا ادعي
ان نجوم الليل ليست تغور
ليلى كما شاءت فان لم تجد
طال، وان جادت فليلي قصير(٢٢)

وقال المرزباني عن ابن بسام : .. وله مع خاله ابي عبدالله احمد بن حمدون اخبار ..(٢٤) ولعل من تلك الاخبار القصة التي رواها ياقوت في معجم(٢٥) الادباء على لسان الشاعر نفسه :

قال ابن بسام كنت انعشق خادما لخالي احمد بن حمدون ، فقمت ليلة لادب اليه فلما قربت منه ؛ لسعتني عقرب ، فصرخت ، فقال خالي ماتصنع ها هنا لا فقلت : جئت... ، فقال : صدقت في غلامي ، فقلت لو نتي ...(٢٦) .

ويغلب على الظن ان ابن بسام حين ودع مرحلة الشباب بدأت الدنيا تضيق عليه الخناق ، فلابد ان والده ـ برغم غناه قد ضاق ذرعا ببذخ ابنه ، لاسيما وهو ليس الابن الوحيد(٢٧) ؛ اضف الى ذلك ان زوجة ابيه(٢٨) كانت هي الاخرى من المحرضين للوالد على ولده ، هكذا بدا الصراع بين الشاعر الشاب المثقف والوالد السري الجاهل كما وصفه فضل اليزيدي(٢٩) ـ فاذا تذكرنا ان الدولة العباسية في عصر الشاعر ، اي القرن الثالث الهجري ، لم تكن ـ على مايرام(٣٠) ، او انها لم تكن الدولة التي يرضاها الشبان المثقفون من امثال ابن بسام ؛ اقول اذا تذكرنا حالة الدولة

هذه فلا نعجب اذا راح الشاعر يلوح للمسؤولين بسيف الهجاء ناصحا لهم ان يجدوا عملا له :(٢١)

قل للرؤوس ومن ترجى نوافلهم
ومن يؤمل فيه الرفد والعمل

ان تشغلوني باعمال اصيرها
شغلا والا ففي اعراضكم شغل

ان الشاعر في هذين البيتين واثق من قدرته وقوته وهو كذلك واثق من كثرة عيوب الكبار « الرؤوس » لان اخواله(٢٢) ال حمدون هم ندماء الخلفاء وله اصدقاء بين كبار رجال الدولة(٢٣) . فلابد والحالة هذه ، من ابعاد الشاعر عن العاصمة كي يامن المسئولون على اعراضهم ما داموا لا يستطيعون اسكاته بطريقة اخرى .

ان الروايات التي تدل على تولي علي بن بسام عملا في الدولة العباسية ترجع الى فترة متاخرة من حياته بعد ان تجاوز الاربعين من عمره فاقدم هذه الروايات — وهي على لسان الشاعر نفسه(٢٤) — تقول انه كان يتولى البريد ايام عبيد الله بن سليمان ، وهذا — الوزير استوزر للمعتمد لاول مره سنة ٢٧٨هـ وبقي وزيرا ايام المعتضد حتى وفاته سنة ٢٨٨هـ(٢٥) ، ومن اجل التوفيق بين هذه الرواية وقول ياقوت عن ابن بسام : كان يصنع الشعر في — الرؤساء وينحله ابن الرومي وغيره(٢٦) .. اقول لابد ان نفترض ان الشاعر استطاع ان يموه على رجال الدولة فيتوارى خلف الهجائين المشهورين وبذلك يأمن معاداة هؤلاء الرجال الى حين ولعل بعض المسئولين كان يعرف اهاجي ابن بسام ولكنه اثر التجاهل وادعاء عدم المعرفة او عدم السماع كما فعل الخليفة المعتضد(٢٧) . واذا صدقنا ان المعتضد — برغم هجاء الشاعر له(٢٨) — كان كريما متسامحا ، فكيف نصدق ان الدولة العباسية — وموقفها من الشيعة معروف تجعل من ابن بسام المعروف بتشيعه(٢٩) عاملا على البريد(٤٠) ، اي رقيبا وراصدا لحركات اعداء الدولة ؟ وقد يشار في هذا الموضوع الى قول صاحب الفخري عن المعتضد : كان — محسنا الى بني عمه من آل ابي طالب(٤١) .. وهذا قد يفسر موقف الخليفة من الشاعر ، ولكن هل وصل الامر الى الجوانب التي تتصل بالامن وهيبة الدولة لاسيما مع شاعر طويل اللسان ميال بطبعه الى رؤية وتتبع الهفوات والسقطات ؟

وليس في المصادر اية اشارة تفيدنا في رسم صورة لابن بسام وهو يتولى البريد في ناحية(٤٢) ما في الدولة العباسية ؛ لذلك لا ندري طول الفترة التي قضاها في هذا العمل ، ولكن صاحب معجم الادباء يذكر روايتين تدلان على ان الشاعر بعيد بطبعه واخلاقه عن طبقة الموظفين ، فقد روى ياقوت ان العامل في المنطقة التي ولي بها ابن بسام البريد قد اهدى اليه ليلة عيد الاضحى بقرة للاضحية فاستغلها الشاعر وردها وكتب للعامل :

لم من يدلي اليك سالفة
وانت بالحق غير معروف

نفسك اهديتها لاذبحها
فعفتها عن مواقع التلف(٤٣)

ويبدو لي ان الشاعر حين تجاوز اواسط العمر قد استطاع ان يكتسب شهرة ليست قليلة بين الناس من معاصريه فصار يعرف بهجاء الوزراء(٤٤) ؛ وهو لقب خطير ومخيف اذا تذكرنا موقف الدولة من خصومها ومنهم الشاعر دعبل الخزاعي ت ٢٤٦ على سبيل المثال(٤٥) الذي طورد وحورب حتى ضاقت عليه الدنيا ، على حين كان ابن بسام ينعم بحماية الخليفة المعتضد له من وزيره الجبار قاسم بن عبيد الله(٤٦) ؛ على الرغم من هجائه للخليفة والوزير جميعا(٤٧) ان موقف الخليفة المعتضد من ابن بسام يذكرنا بموقف المامون من دعبل(٤٨) .

وفاتـه :

جميع الذين ذكروا وفاة علي بن بسام ترددوا بين سنتي ٣٠٢ او ٣٠٣هـ(٤٩) وفي معجم الادباء نجد النص التالي : لما ولى حامد بن العباس وزارة المقتدر ورتب معه علي بن عيسى يدبر الامور بين يديه قال ابن بسام ..(٥٠) وتولى حامد بن العباس وزارة — المقتدر في سنة ٣٠٦(٥١) ، وهذا يدل على ان الشاعر كان حيا في سنة ٣٠٦ .

وفي معجم الادباء نجد النص التالي :-

وكان — اي ابن بسام — قد هجا علي بن عيسى بن داود بن الجراح لما نفي الى مكة فلما ردت الوزارة (اليه) جلس يوما للمظالم فمرت في جملة القصص رقعة فيها مكتوب :

وافى ابن عيسى وكنت اضغنه
اشد شيء علي اهونه

ما قــدر الله ليــس يدفعــــه
وما ســـواه فليــس يمكنــــه

فقال علي بن عيسى : صدق هذا ابن بسام ، والله لا ناله مني مكروه ابدا ..(٥٢)

ان نفي علي بن عيسى الى مكه كان بعـد ان عزل من وزارته الاولى سنه ٣٠٤ ، اما عودته الى وزاره المقتدر ثانيه فكانت سنه ٣١٥(٥٣) . وهذا يدل على ان الشاعر كان حيا سنة ٣١٥هـ .

شعر ابن بســام

كان ابن بسام شاعرا وكان كاتبا ايضا ولكن الشــعر هو الغالب عليه(٥٤) ، ومن مؤلفات ابن بسـام : كتاب المعاقرين ، كتاب مناقضات الشعراء ، كتاب اخبار الاحـوص ، كتاب ديوان رســائله ، كتاب اخبار عمر بن ابي ربيعة(٥٥) . وهذا الكتاب الاخير رآه ياقوت وقال انـه جيد بالغ في معناه .. وقد روى فيه ابن بســام عن جماعه من الشيوخ منهــم : الزبــير بن بكار وعمر بن شبه وحماد بن اسحاق وغيرهم(٥٦) .. اما ديوان ابن بسام فاقدم من اشار اليه المرزباني في معجـم الشعراء قال : اكثر شــعره مقطعات وله قصائد رثى فيهــا اهل البيت(٥٧) .. وهذا ـ الكلام يفهم منه ان المرزباني كان بين يديه ديوان الشاعر او مجموع لشعره . وفي فهرست ـ ابن النديم ان ديوان الشاعر يقع في مائة ورقة اي في اربعة الاف بيت . وبعد ابن النديم لم اقف على ذكر لديوان الشاعر .

ان شهرة ابن بســام كهجاء اولا اضافة الى اشتهاره بهجاء الخلفاء والوزراء ثانيا تعني ان هذا الشعر يحمل في طياته اسبابا قوية لاهماله واغفاله وربما لاعدامه ايضا(٥٨) .

اما المجموعة الشــعرية التي اقدم لها بهـذه الصفحات فتقع في ٤٠٣ بيتا موزعة علـى ١٥٤ ـ مقطوعة اكثرها مكون من بيتين او ثلاثة وبعضهـا يصل الى ستة ابيات واطولها في ١٤ بيتا يمكن ان تقسم هذه المجموعة الى :

(١) اشعار نسبت لابن بسام ولم تنسب الى سواه ، وهي اكثرية المجموعة (١٤١ قطعة في ٣٦٢ بيتا) ولكن المعرفة بحياة ابن بسام قـد تساعد في الشك بنسبة المقطوعة ٢٩ اليه ، على الرغم من عدم نسبتها الى سواه ؛ لان صاحب هذه المقطوعة بدوي صاحب ابل ، وابن بسام بغدادي مترف ، كذلك اشك في المقطوعة ١٣٨ لان صاحبها بائس معدم .. يرقع ويرفو . ولم تصل الحال بابن بسام الى هذه الدرجة على الرغم من بعض(٥٩) اشارات تدل على ضيق ذات اليد .

(٢) في المجموعة ١٣ قطعة مجموع ابياتهـا (٤١) نسبت لابن بسام ولطائفه من معاصريه وهي المقطوعات ٦ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

وربما وجـدت قطع اخرى اشترك فيها ابن بســام مع شـعراء عصره ولكنني لم اطلع علـى مصادرها وعلى ايه حال فان نسبة الشعر الى اكثر من شاعر من الامور المعروفه في كتب التراث .

ان تشابه اساليب الشعراء وكذلك اتفاقهم في السخط على كبار رجال الدولة من معاصـريهم يجعل تمييز هجاء هذا الشاعر من ذلك من الامور العســيرة ؛ ولكن يمكـن الترجيح استنادا ـ الى بعض القرائن فمثلا القطعة (٢٧)

اذا حكم النصارى في الفروج ..

وهي التي يهجو فيها الشاعر الوزير ابن الفـرات لاعتماده على كتاب من النصارى(٦٠) . لقد نسبت هذه المقطوعة لعبدالله بن المعتز وهي في ديوانه(٦١) ، وقد اشار المحقق الى ان المقطوعة نسبت لابن بسام في معجم الادباء وفوات الوفيات دون ان يرجـح نسبتها لاحدهما مع ان كتب التاريخ تقول ان ابن الفرات استوزر وزارته الاولى للمقتدر سنة ٢٩٦هـ بعد تفرق اصحاب ابن المعتز عنه ثم مقتلـه(٦٢) ، ولذلك يسـتحيل ان يدرك ابن المعتـز وزارة ابن الفرات هذه ثم يهجوه بسبب كتابه النصارى .

اغراض شعـــره :

تقوم شهرة ابن بسام علـى الهجاء ، ولذلك من الطبيعي ان يحتل هذا الفرض ـ القسم الاكبر مـن المجموعة التي عثرت عليهـا (٩٦ قطعـة من مجموع ١٥٤) . واشهر الذين هجاهم ابن بسام هم :

(١) اهل بيته وهم ابوه واخوه وزوجة ابيه وعمه: ومجموع اهاجيه في اهل بيته (١٥) قطعـة مجموع ابياتها (٤٦) بيتا ، واكثر هذه الاهاجي في ابيه (٢٨) بيتا ، ولذلك قال القدماء ان ابن بسام من العققة(٦٣) .

(٢) اصدقاؤه ومنهم المغني النـديم جحظـة(٦٤) البرمكي وعبدالله بن المعتـز(٦٥) والمغنـي المعروف ـ بـ لحية التيس والنحوي المعروف بنفطويه .

(٣) رجال الدولة ومنهم الخليفتان الموفق(٦٦) والمعتضد ، وطائفة من الوزراء منهم صاعد بن مخلد واسماعيل بن بلبل ، وعبيد الله بن سليمان بن وهب وابنه القاسم ومحمد بن عبيد الله بن يحيى والعباس بن الحسن ، وابن الفرات وابن مقلة وعلي بن عيسى .

وما دام الاشخاص الدين هجاهم ابن بسام ليسوا صنفا واحدا او مجموعه متجانسه فمن الطبيعي ان تتعدد وتتنوع المعاني والاساليب التي يتخذها الشاعر لمهاجمه ضحاياه ، فليس من المعقول ان يهجو الشاعر اباه او اهل بيته بنفس الطريقه التي يهاجم بها احد الوزراء او احد المغنين . ان اهم فكره راح الشاعر يهاجم بها اباه هي البخل ، ولم يكن بخل والد الشاعر عاما شاملا بل كان بخلا بالطعام بالدرجة الاولى ، لان الشاعر يعترف بان اباه مشغوف بالبناء :

شـدت دارا خلتهـا مكـرمة
سـلط الله عليهـا الغـرقا(٦٧)

وقال ايضا :

بنى ابو جعفـر دارا فشيدها
ومثلـه لخيـار الدور بنـاء(٦٨)

وقد سبقت(٦٩) الاشارة الى وصف المسعودي لقصر من قصور محمد بن بسام والد الشاعر ، وكذلك — اشرت قبل صفحات الى رثاء ابن الرومي الوالد الشاعر واشارته الى ما في قصر المرثي من ضروب النباتات وانواع الطيور وما في اسطبلة من خيول ، لهذا كله نجد المسعودي ومن بعده الشريشي يشيران صراحة الى ان الشاعر انما يكذب على ابيه ويرميه بما ليس فيه .

ويبدو لي ان دفاع المسعودي والشريشي عن والد الشاعر لا يدفع عنه صفة البخل ، فهما يقولان ان الوالد كان مترفا سريا ، وهو امر لم ينكره ابنه ، ولكن ايصح ان تجتمع صفتا الغنى والبخل في شخص واحد ؟ والجواب نعم ، بل ان صفة البخل تكاد تكون ملازمة للاغنياء ، وهو امر واضح في كتاب البخلاء للجاحظ(٧٠) ، وابو عثمان من معاصري ابن بسام — ووالده ، ولذلك فاقواله وكتاباته يمكن ان تفيدنا في هذا الموضوع على الضد من اقوال — الشريشي الاندلسي الذي تفصله عن عصر ابن بسام اكثر من ثلاثة قرون ، اضف الى

هذا — أن بخل والد الشاعر وشغفه يمكن أن يستدل عليه من ابيات البحتري في معاتبته(٧١)

ابا جعفر ليس فضل الفتى
اذا راح في فرط اعجابه
.. رايتك تهوى اقتناء المديـ
ـح وتجهل مقدار ايجابه
وكيف ترجي وصولا اليـ
ـه ولم تتوصل باسبابه

ان بخل محمد بن بسام — برغم غناه — قد يكون سببه تبذير ابنه وسوء تصرفه ، ولذلك راح الشاعر يهجو والده كلما تردد في تلبية نفقات ابنه التي لا تعرف حدا ، ومما يؤيد هذا الافتراض ان شعر ابن بسام يدل على اقبال شديد على اللذات والمتع ، ولا يدل على شخصية متزنة تقدر الامور وتحسب لكل شيء حسابه . ويجب ان نتذكر في هذا المقام ان — والد الشاعر له زوجة اخرى غير امه ، فلابد ان هذه المراة كان لها دور في تعقيد الامور بين الشاعر وابيه ؛ ولذلك افحش في هجائها وراح يهدد اباه :

هبك عمرت عمر عشرين نسرا
اترى انني اموت وتبقى
فلئن عشت بعد يومك يوما
لاشقن جيب مالك شقا(٧٢)

ان الصور الساخرة التي رسمها الشاعر لابيه البخيل تثير الضحك حقا ، وتقدم لنا الوالد ليس بخيلا كسائر البخلاء ، انه بخيل له آراءه ومذهبه الذي يدافع عنه ولا يضيره ما يقول الناس ، انه يفلسف هذه الرذيلة ويلتمس الاعذار والاسباب ، قال ابن بسام عن والده(٧٤) :

رأى الجوع طبا فهو يحمي ويحتمي
فلست ترى في داره غير جائع
ويزعم ان الفقر في الجود والسخا
وان ليس حظ في اكتساب الصنائع
لقد امن الدنيا ولم يخش صرفها
ولم يدر ان المرء رهن الفجائع

وهكذا فالوالد ليس بخيلا بل طبيبا يحرص على صحة من في داره ، وهو لا يرى في الكرم والجود الا الفقر الاكيد ، اما الدنيا التي لا تؤتمن ولا يركن اليها فقد اخذ محمد بن بسام منها الامان ولذلك فهو لا يفكر بالاحسان الى احد احتياطا للمستقبل.

وقال عن طعام ابيه ايضا[٧٥] :

خبز ابي جعفر طباشير
فيه الافاويه والعقاقير

فيه دواء لكل معضلة
للصدر[٧٦] والبطن والبواسير

وقصعة مثل مدهن صفرا
تزعق من حولها النواظير

ونيل ما ترتجيه من يده
ما ليس تجرى به المقادير

ولاشك ان الشاعر يبالغ فلا توجد قصعة مثل المدهن في الصفر ، وتلاحظ لفظة : تزعق « فهي لفظة غنية بمدة دلالات وقد وفق الشاعر في اختيارها لتدل على ما تعانيه عيون الجائعين المنتظرين من تعب وتطلع وحيرة .

اما هجاؤه لرجال الدولة ، واكثرهم من الوزراء ، فاسبابه يرجع معظمها الى سوء اختيار هؤلاء لتولي تلك المناصب الخطيرة ، وهو امر افاضت في ذكره كتب التاريخ ، فقد وصل بعضهم الى الوزارة عن طريق الرشوة مثل القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد[٧٧] ، وعرف البعض الاخر بالانحراف الخلقي وسوء السيرة[٧٨] مثل اسماعيل بن بلبل ، واشتهر ابن مقلة بانه بنى داره عن طريق تهديم بيوت الناس[٧٩] ، ويقول النقاد عن رجال الدولة هؤلاء : ان كلهم او اكثرهم لصوص ، لا ينقضي على احدهم في المنصب اشهر او سنوات حتى يعمر بيته بالمنهوب المسلوب من ارزاق الرعية الضعفاء . ثم لا تنقضي مدة حتى يسلط عليه لصوص اكبر منه فينكبونه ويستصفون امواله .. وان في كتب التاريخ لسوأت لهم غير هذه واثاما جساما[٨٠] ..

ولاشك ان قسما من فضائح رجال الدولة هؤلاء لم يكن معروفا الا لقلة من الطبقة العليا في المجتمع العباسي ، ولعل من سوء حظ الوزراء ان يكون ابن بسام من تلك القلة التي تعرف كل شيء وله تجربة في اعمال الدولة ، كما سبق ان اشرت[٨١] ، ولذلك وعلى الرغم من سيول الشتائم والاهاجي التي صبها على رجال الدولة لم يجرؤا احد ان يتعرض له بسوء او حتى ان يقول له كذبت، بل ان الخليفة المعتضد ـ وهو الجبار المشهور بميله لسفك ـ الدماء والتمثيل بمن يغضب عليه[٨٢] ـ حين هجاه الشاعر بسبب البحيرة التي كان يخلو فيها مع جواريه :

ترك الناس بحيرة
وتخلى في البحيرة[٨٣]

لم يظهر لاحد انه سمعها ، وامر بتخريب تلك العمارات والابنية التي كلفت الدولة ٦٠ الف دينار[٨٤] اما الوزير المشهور علي بن عيسى فقد هجاه الشاعر قائلا :

وافى ابن عيسى وكنت اضغنه
اشد شيء علي اهونه

ما قدر الله ليس يدفعه
وما سواه فليس يمكنه[٨٥]

فلم يزد الوزير حين قرأ البيتين ان قال : صدق والله لا ناله مني مكروه ابدا . وقد يقال ان الشاعر في بيتيه الاخيرين لم يكن هاجيا بالطريقة والدرجه التي اشتهر بها ، وانما استغل ما عرف عن الوزير من تقوى وتدين[٨٦] فصاغ له هجاء فيه معاني القرآن واثر الدين . والواقع ان الالفاظ القرآنية والمعاني الدينية كثيرة في هجاء ابن بسام[٨٧] واستفادته منها في اهاجيه لعلي بن عيسى تشير الى طريقة ابن بسام في هجاء رجال الدولة ، فلم يكن هذا الهجاء بدرجه واحدة من ناحية الشدة والعنف وانما عرف الشاعر اقدار هؤلاء الرجال وسمعتهم بين الناس ـ فهناك بين معاصري الشاعر من الوزراء من استعمل في هجائهم الفاظا عنيفة قاسية مثل « الرقاعة[٨٨] » و « الاجارة[٨٩] » ويقال عن غير الوزراء بانهم « كلاب »[٩٠] . اما الذين يختلفون عن ـ هؤلاء فقد احتاط الشاعر وهو يهجوهم . وهذا الصدق والانصاف في هجاء الشاعر كان من اسباب شهرته وذيوع شعره وحرص المؤرخين على الاستشهاد بابياته ، ولذلك نجد الشاعر حين يتورط في هجاء بعض الفضلاء من الوزراء يعود فيرثيهم بعد وفاتهم اعترافا منه بانه كان متسرعا غاضبا حين هجاهم فقد هجا[٩١] عبيد الله بن سليمان وزير المعتمد ـ والمعتضد ثم عاد فرثاه وقد[٩٢] اثنى المؤرخون على هذا الوزير فقال احدهم عنه : كان من كبار الوزراء ومشايخ الكتاب وكان بارعا في صناعته حاذقا ماهرا لبيبا جليلا[٩٣] ..

وما فعله الشاعر مع عبيد الله بن سليمان فعل مثله حين قتل عبدالله بن المعتز سنة ٢٩٦ هـ

ـ فقد ـ رثى(٩٤) ابن المعتز على الرغم من العداوة والهجاء التي كانت بين الشاعرين ومن هجاء ابن المعتز قوله في ابن بسام :

من رام هجــــو علــــي
فشـــعره قـــد هجـــــاه

لو انه لابيـــــــــــه
ما كان يهجو ابـــــــاه(٩٥)

ولكن ابن بسام مع الحق ، والتاريخ انصف ابن المعتز فالثنى عليه(٩٦) ويبدو لي ان ابن بسام كشاعر هجاء ميال بطبعه نحو تجسيم العيوب والمبالغة في لمس الاخطاء والهفوات قد وقع في حيرة واعوزته الحيل مع اشهر وزراء القرن الرابع واكثرهم زهدا وورعا ـ وهو الوزير علي بن عيسى، ان الشاعر لايريد الكذب خاصة وهو شيخ ايام علي بن عيسى ، والوزير يكاد يكون مثاليا ، وشهرته واستقامته معروفة للجميع . وليس من المعقول ان امثال علي بن عيسى يتفق عليه او يحظى عنده شاعر سيرته معروفة مثل ابن بسام ، لذلك قرر الشاعر ان يهجوه ـ ولكن بماذا سيرميه والرجل لاهفوات عنده ؟ قال احد المؤرخين عن علي بن عيسى : كان كثير الوقار والجد بعيدا من التبذل والهزل ، على شح غالب في طباعه ، وتجهم ظاهر في اخلاقه . .(٩٧)

ان الوصف الاخير هو الذي استغله الشاعر فقال يهجو علي بن عيسى . .(٩٨)

لست روح الله عيســــــى
انما انت ابن عيســــــى

كلم الناس فان الـــــــ
لاه قـــد كلم موســـــى

ولعل اروع اهاجي ابن بسام هي القطعة التي يصور فيها خيبة امله في وزارة علي بن عيسى ـ الاولى سنة ٣٠١هـ : رجوت لك الوزارة طول عمري فلما كان منها ما رجوت .

تقدمني اناس لم يكـــونوا
يرومون الكـــلام اذا دنـــوت

فاحببت الممات وكل عيش
يحب الموت فيه فهو موت(٩٩)

لقد كان الشاعر في خصام مع معظم المتقدمين من رجال الدولة ، ولكنه كان يحس الظن ببعض الطيبين منهم ، ومن هؤلاء علي بن عيسى ، ولكن حتى هذا خيب امله ، فجزع وتمنى الموت ـ بل احبه كما قال .

ـ ١ ـ

مروج الذهب ٢٩٧/٤ : بسيط

١ ـ بنى ابو جعفر دارا فشيّدهـــا	ومثلـــه لخيـار الـدور بنّـــاءُ
٢ ـ فالجوع داخلهـــا والذل خارجها	وفـــي جوانبهـــا بؤس وضّـــراء
٣ ـ ما ينفـع الدار مـــن تشييد حائطها	وليس داخلهـــا خبـــز ولا مـــاء

ـ ٢ ـ

المنتحل : ١٤١ خفيف

١ ـ خلفوني خلافة الذئب في الشـــا
ءـ وكانوا في جهـــد حقـــي شـــاءُ

- ٣ -

لطائف المعارف : ٤٦ مجزوء الرمل

١ ـ قد أرحنا من بلاء ومضى كرب[1] السوداء
٢ ـ كان والله على الصحـ (م) حة غيظ العقلاء

- ٤ -

محاضرات الادباء ١/١٨٣ خفيف

١ ـ نلت ماتلت يادنيء بأم هي اعطتك رؤية الامراء
٢ ـ فاذا عدت الصنائع يوماً كنت فيها صنيعة البظراء

- ٥ -

الوساطة ٢٤٩ سريع

١ ـ من كان في الدنيا له شارة فنحن من نظارة الدنيا
٢ ـ نرمقها من كثب حسرة كأننا لفظ بلا معنى

- ٦ -

ديوان المعاني ٢ (٢٣ (٣٤٢) ، شرح مقامات الحريري ٢/١٦ (٢٤١) ، نهاية الارب ١١/١٨٩ (١ ـ ٤) بسيط

١ ـ اما ترى الورد يدعو للورود على حمراء صافية في لونها صهب
٢ ـ مداهن من يواقيت منضدة على الزمرد في اوساطها الذهب
٣ ـ كأنه حين يبدو من مطالعه صب يقبل صباً وهو مرتقب
٤ ـ خاف الملال اذا طالت اقامته فظل يظهر احيانا ويحتجب

- ٧ -

محاضرات الادباء ٢/٥٥٢ وافر

١ ـ ولست اقول ان قصرت فيما أؤمله غدرت فذاك كذب
٢ ـ فكم من مرة قد ضاق رزقي فأنكبني المنى والرب رب

- ٨ -

معجم الادباء ٥/٣٢٣ منسرح

١ ـ محتجب دون من يلم به وليس للخارجات حجاب
٢ ـ لان للخارجات منفعة تأتيه والداخلون طلاب

- ٩ -

مروج الذهب ٤/٣٠٢ ، تاريخ بغداد ١٢/٦٣ ، اللباب (البسامي) ، وفيات الاعيان ٣/٤٦ وله في ابن المرزبان ، وقد كان ساله دابة فمنعه منسرح

١ ـ بخلت عني بمقرف عطب فلن تراني ماعشت اطلبه
٢ ـ وان تكن صنته فما خلق الـ (م) لاه مصونا وأنت تركبه

– ١٠ –

محاضرات الادباء ٩/٣

الا ان عين المرء عنوان قلبه

تخبر عن اسراره شاء أم أبى

– ١١ –

ثمار القلوب ١٥١ ، ٥٢٩ (٢)(زهر الاداب ٥٥٧/٢، شرح مقامات الحريري ٥٣/٢ قال يرثي عبدالله بن المعتز

بسيط

١ – للّه درّك من ميت بمضيعة ... ناهيك في العلم والاداب والحسبِ

٢ – ما فيه لو ّولا ليت فتنقصه ... وانما ادركته حرفة(٢) الادب

– ١٢ –

مروج الذهب ٣٠٤/٤ ، وفيات الاعيان ٤٦/٣

من قوله في أسد بن جهور الكاتب :

كامل

١ – تعس الزمان لقد اتى بعجاب ... ومحا رسوم الظرف والادابِ

٢ – أو ماترى اسد بن جهور قد غدا ... متشبها بأجلّة الكتّاب

٣ – وأتى باقوام لو انبسطت يدى ... فيهم رددتهم الى الكتّاب

– ١٣ –

محاضرات الادباء ٢٤٤/٣

وافر

١ – واهوى المرد والشبان طرّا ... ولا ابغى مواصلة الكعابِ

– ١٤ –

محاضرات الادباء ٦٧٦/٢

مديد

١ – خلّ عني لست من اربي ... اربي في الكأس والطربِ

٢ – دونك العذب الزلال ولي ... سعة في صفوة العنب

– ١٥ –

زهر الاداب ٨٨/٣ ، وانظر معجم الشعراء ٢٩٠

قال يرثي علي بن يحيى المنجم

كامل

١ – قد زرت قبرك ياعلي مسّلما ... ولك الزيارة من اقل الواجبِ

٢ – ولو استطعت حملت عنك ترابه ... فلطالما عني حملت نوائبي

٣ – ودمي فلواني علمت بانه ... يروى ثراك سقاه صوب الصائب

٤ – لسكبته اسفاً عليك وحسرة ... وجعلت ذاك مكان دمع ساكب

٥ – فلئن ذهبت بملء قبرك سودداً ... لجميل ما ابقيت ليي بذاهب

— ١٦ —

مروج الذهب ٤/٢٩٩

قال في المعتضد — وافر

١ ــ الى كم لا نرى مانرتجيه — ولا تنفك من امل كذوبِ

٢ ــ لئن سموك معتضدا فأنني — اظنك سوف تعضد عن قريب

— ١٧ —

معجم الادباء ٥/٣٢٤ ، فوات الوفيات ٢/١٦٨ — كامل

١ ــ ولقد سريت مع الظلام لموعد — حصّلته من غادر كذابِ

٢ ــ فاذا على ظهر الطريق مغذة — سوداء قد عرفت اوان ذهابي

٣ ــ لا بارك الرحمن فيها عقربا — دبابة دبت الى دباب

— ١٨ —

ذيل زهر الاداب ١٨١

قال يرد على عبدالله بن المعتز — وافر

١ ــ فقدتك ياقذاة في شراب — دخلت من الدناءة كلّ بابِ

٢ ــ لئيم الفعل اشأم من غراب — وضع القدر اطفل من ذباب

٣ ــ واثقل حين تبدو من رقيب — واكذب حين تنطق من سراب

٤ ــ واغدر للصديق من الليالي — وانكى للقلوب من العتاب

— ١٩ —

خاص الخاص ١٠٨ ، المنتحل ١٤١ ، التمثيل والمحاضرة ١٠٦ (٣) ، محاضرات الادباء ٤/٥١٥ (٣) ، معجم الادباء ٥/٣١٩ ، نهاية الادب ٣/١٠٢ ومن شعره الذي قاله ونحله ابن الرومي ، قوله يخاطب عبيد الله بن سليمان الوزير وقد مات ابنهابو محمد سنة ٨٤ :

مخلع البسيط

١ ــ قل لابي القاسم المرجّى — قابلك الدهر بالعجائبْ

٢ ــ مات لك ابن وكان زينا — وعاش ذو النقص والمعايب

٣ ــ حياة هذا كموت هذا — فلست تخلو من المصائب

— ٢٠ —

معجم الادباء ٥/٣٢٠

لما بلغت الابيات المقدمة عبيد الله ساءته ، فدعاالبسامي ، وقال : يا علي كيف قلت ؟ وعلم البسامي انه مغضب ، فقال قلت ايها الوزير : — مخلع البسيط

١ ــ قل لابي القاسم المرجّى — لن يدفع الموت كف غالبْ

٢ ــ لئن تولى بمن تولى — وفقده اعظم المصائب

٣ ــ لقد تخطت لك المنايا — عن حامل عنك للنوائب

يعني ابنه ابا الحسين ، فسكت عبيد الله ولهى‌عنه .

– ٢١ –

محاضرات الادباء ١/٩٩ مجزوء الكامل

١ – ما للنساء وللكتا بة والعمالة والخطابة

٢ – هذا لنا ولهن منّا ان يبتن على جنابة

– ٢٢ –

معجم الادباء ٥/٣٢٤

وله في علي بن عيسى الوزير : وافر

١ – رجوت لك الوزارة طول عمري فلما كان منها مارجبوتُ

٢ – تقدمني اناس لم يكونوا يرومون الكلام اذا دنوت

٣ – فاحببت الممات[٦] وكل عيش يحب الموت فيه فهو موت

– ٢٣ –

المنتحل : ١٥٩ وافر

١ – كذبت ورب مكة والمصلّى وقلت الزور والبهتان بحتا

٢ – فلا تحلف فانك غير برّ واكذب مايكون اذا حلفتا

– ٢٤ –

محاضرات الادباء ١/١٨٠ خفيف

١ – كيف تستوثق الامور وتصفو ومدار الدنيا على ابن الفرات

– ٢٥ –

محاضرات الادباء ٢/٧١٢

في وصف ابريق مبذول العروة منسرح

١ – ابريق صفر كأنه قبس يشبه لوني بفرط صفرته

٢ – يمناه ممدودة لمسالة منه ، ويسراه فوق هامته

– ٢٦ –

محاضرات الادباء ٢/٦٦٣ متقارب

١ – اتانا بخبز له حامض شبيه الدراهم في حليته

٢ – يضرّس اكله طعمه وينشب في الحلق من خشنته

٣ – فلما تنفست عند الخوان تطاير في الجو من خفته

– ٢٧ –

معجم الادباء ٥/٣٢٥ ، فوات الوفيات ٢/١٦٨

كان ابن بسام ينشد في وزارة ابن الفرات وافر

١ – اذا حكم[٧] .... وباهوا بالبغال وبالسروج

٢ – فقل للاعور الدجّال هذا اوانك إن عزمت على الخروج

— ٢٨ —

المختار من شعر بشار ٧٦

قال في سعد حاجب الوزير الخاقاني : كامل

١ — ياسعد انـك قـد حجبت ثلاثة[٨] كلاً قتلت وفيك وشم واضح

٢ — واتيت تحجب رابعاً لتبيده[٩] فارفق به ، فالشيخ شيخ صالح[١٠]

٣ — يا حاجب الوزراء انك عندهم سعد ، ولكن انت سعد الذابح[١١]

— ٢٩ —

محاضرات الادباء ٢/٦٥٥ وافر

١ — ترى ابل البخيل لها سلاح تهاب ، ومالابلى من سلاح

٢ — تناوح ان رأت شخصا غريباً يوافي عند هبّات الرياح

— ٣٠ —

الابانة ١٧٦ خفيف

١ — اسكرتني الهموم والليل داج مثل عين المها بلا إصباح

٢ — زال صبري وزاد فكري فقلبي ابدا من غرامه غير صاح

٣ — ايها اللايمي ترفق بقلب ليس يسلى همومه لحي لاح

— ٣١ —

مروج الذهب ٤/٣٠٠ ، المنتحل ٥٥ (٢) ، خاص الخاص ٢١ (٢) .

له في عبيد الله بن سليمان الوزير وافر

١ — عبيد الله ليس له معاد ولا عقل وليس له سداد

٢ — رددت الى الحياة فعدت عنها لقول الله : « لوردّ والعادوا »

— ٣٢ —

حماسة الظرفاء ٢/١٣٢

قال في امراة ابيه : طويل

١ — ....

— ٣٣ —

شرح مقامات الحريري ١/١٨٤ كامل

١ — يامن تسربل بالملاحة وارتدى فعليه تعتكف العيون اذا بدا

٢ — فيرى هلالا زاهرا ويرى قضيبا ناضراً ويرى كثيبا املدا

٣ — فاذا نهضت ترجرجا واذا سفرت تبلجا واذا مشيت تـأودا

٤ — فترى الجبين كتاج ملك زانه در تراه مفرقا ومنضدا

٥ — ويجول ذاك الرشح في اقطاره كاليا سمين جرى به قطر الندى

٦ ــ الوجـــه فضي احـــاط بوجنتي ذهـب فانبت عارضين زبرجـــدا
٧ ــ وفـــم عقيقـي تضمـن لؤلـؤاً رطبـــا ونظـــم فـوق ذاك زمـرّدا

ــ ٣٤ ــ

تحفة الامراء (الوزراء) : ١٢٢ بسيط

١ ــ لو كان ما انتم فيـه يدوم لكـــم ظننـت ما انـا فيـــه دائمـا أبـــدا
٢ ــ لكـن رأيـت الليالـي غير تاركة ماساء مـــن حـادث اوسـر مطـــردا
٣ ــ وقد سكنت الـى انـي وانكـم سنستجد خـــلاف الحالتين غـــدا

ــ ٣٥ ــ

التشبيهات ٢٩٣ (١، ٢) ، ثمار القلـوب ١٢٠ ، ٥٠٩، (١ــ٣)
قال يهجو اخاه : خفيف

١ ــ يا طلـــوع الرقيـب يا بين إلـف يا غريمـــاً اتــــى على ميعـــادِ
٢ ــ يا ركودا في يـوم غيـم وصيف يا وجـــوه التجـار يـوم الكســاد
٣ ــ يا مقيتـاً يصـور اليـوم حـولاً ساعة منـــه ليلـة الميـــــلاد
٤ ــ خلِّ عنـا فانمـا انـت فينـمـا واو عمرو وكالحديـــث المعـــــاد

ــ ٣٦ ــ

مروج الذهب ٣٠١/٤
وله في عبيد الله بن سليمان مخلع البسيط

١ ــ لابدّ يانفس مـــن سجـود فـي زمـــن القـــرد للقـــرودِ
٢ ــ هبّـت لـك الريـح يا ابن وهب فخــذ لهـــا أهبـــة الركـــود

ــ ٣٧ ــ

مروج الذهب ٣٠١/٤
وله في الوزير صاعد بن مخلد وافر

١ ــ سجدنـا للقـــرود رجـاء دنيـا حوتهـــا دوننـا ايـدي القـــرودِ
٢ ــ فمـــا نالـت انامُلنـا بشـيء عملنـــاه ســوى ذلّ السجـــود

ــ ٣٨ ــ

الابانـة : ٣٢ ، ١٧٦ منسرح

١ ــ قطـــع احشـاء حاسديـه ولـم يتـب غليـل الحشـا مـن الحسـدِ

ــ ٣٩ ــ

التمثيل والمحاضرة : ١٠٦ مخلع البسيط

١ ــ وكـلّ ريـح لهـا هبـوب يومـــاً فلابـــدّ مـن ركـــودِ

لطائف المعارف ٤٦

وقال في جرادة : وافر

١ — أيرجى بالجراد صلاح امر وقد جُبل الجراد على الفساد

— ٤١ —

حماسة الظرفاء ٢/١٧٤ مجزوء الكامل

١ — عمرو العلى بذّ الورى في البذل والخلق الحميد
٢ — هشم الثريد لقومه والناس في محل شديد
٣ — وهشمت انت انوفهم ذا الخلق في طلب الثريد
٤ — حتى ارتجعت ثريدهم وسعيت في طلب المزيد

— ٤٢ —

احسن ما سمعت ٨٦

وله في هجاء ابني الفرات أبي العباس احمد ،وابي الحسن علي :

مجتث

١ — يارب انك عدلٌ على البرية شاهد
٢ — بنو الفرات ثقال وكلهم لك جاحد
٣ — ثلاثة[13] ليس فيهم الا ثقيل وبارد
٤ — يارب ان كان لابد من ثقيل فواحد

— ٤٣ —

خاص الخاص ١٠٩ ، تحفة الوزراء ٥٥ ، محاضرات الادباء ١/١٨٤

١ — فقدتكم يابني الجاحده أوفي كل يوم لكم آبده
٢ — متى كان يعرف فيما مضى وزيران[14] في دولة واحده

— ٤٤ —

بهجة المجالس ١/٧٢٧ مجزوء الكامل

١ — عاتب اخاك اذا هفا واعطف بودك واستعده
٢ — واذا اتاك بغيبه واشٍ ، فقل لم يعتمده
٣ — من ناقش الاخوان لم يبد العتاب ولم يُعده

— ٤٥ —

المنتحل : ١٦٠

١ — اذا زرتني زرت المنية طائعاً ولم يصف لي عيش ولم يرض لي دهر
٢ — وضاقت عليّ الارض بعد اتساعها واظلمت الاقطار وانقطع الظهر

٣ ــ فجد لي باغراض[١٥] وصلني بهجرة لتسلم لـي نفس فيبقى لـك الشكر
٤ ــ وان كنت تبغـي البر فاقطع زيارتي ففي النـاس اقوام جفاؤهـم بِـر

ــ ٤٦ ــ

اخبار ابي القاسم الزجاجي : ١٨١

كامل

١ ــ سيـان مـن بالصفـح مكسبه او مـن لـه بغنائـه جـزر
٢ ــ حالاهمـا فـي الصفح واحـدة مابـين مكتسبيهمـا فتـر

ــ ٤٧ ــ

التشبيهات ٢٩٤ (١ ، ٢ ، ٥ ، ٦) ، شرح مقامات الحريري ١/١٩٨ (١ ــ ٥)

قال في اخيه جعفر

بسيط

١ ــ يامـن نعتـه الـى الاخوات لحيته ادبـرت والدهـر إقبـال وادبـار
٢ ــ قـد كنـت ممن يهش الناظرون له تغض دونـك اسمـاع وابصـار
٣ ــ ايـام وجهك مصقول عوارضـه وللريـاض علـى خديـك انـوار
٤ ــ فيالدهـر مضـى ماكان احسنه اذ انـت ممتنـع والشرط دينـار
٥ ــ حانـت منيته فاسـود عارضـه كما تسوّد بعـد الميت الـدار
٦ ــ للـه اىّ فتى حانـت منيتـه وكـل شيء لـه وقـت ومقـدار

ــ ٤٨ ــ

مروج الذهب ٤/٣٠١

وله في العباس بن حسن الوزير :

طويل

١ ــ تحمّـل اوزار البريـة كلهـا وزيـر بظلـم العـالمين يجاهـر
٢ ــ الـم تر اسبـاب الذين تقدمـوا وكيـف اتتهـم بالبلاء الدوائـر

ــ ٤٩ ــ

مروج الذهب ٤/٣٠٢

وله في ابي جعفر محمد الفربلي

متقارب

١ ــ سألـت ابـا جعفـر فقـال : يـدى تقصـر
٢ ــ فقلـت لـه عاجـلا يكـون كمـا تذكـر

ــ ٥٠ ــ

مروج الذهب ٤/٣٠٠ وله في ابيه

منسرح

١ ــ خبـز ابـي جعفـر طباشـير فيـه الافاويـه والعقاقـير
٢ ــ فيـه دواء لكـل معضـلة للبطـن والصـدر والبواسـير
٣ ــ وقصعـة مثـل مدهـن صغـراً تزعـق مـن حولهـا النواظـير
٤ ــ ونيـل ماترتجيـه مـن يـده مالين تجـري بـه المقاديـر

مخطوطة كتاب الامثال ق ٦١ب :

يسر الفتى من عيشه ما يضره (نصف بيت)

- ٥٢ -

مروج(١٧) الذهب ٢٧٢/٤ وفيات الاعيان ٢٧٢/٥ قال في عمرو الصفار حين جيء به اسير الى بغداد ٢٨٨هـ طويل

١ ـ ايها المغتر بالدنـ يا أما ابصرت عمرا

٢ ـ مقبلا قد اركب الفا لج بعد الملك قسرا

٣ ـ وعليه برنس السخـ طة اذلالاً وقهرا

٤ ـ رافعاً كفيه يدعو (م) الله إسرارا وجهرا

٥ ـ ان ينجّيه من القتـ ل وان يمهل صغرا

- ٥٣ -

محاضرات الادباء ٦٠٠/٢ وافر

١ ـ لقد اوتيت من ملك عظيم فما اتيت انسانا فقيرا

- ٥٤ -

ديوان المعاني ٢١٥/١

من جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحى :

١ ـ قالوا تغير عن ملاحته قلت الزمان يريكم العبرا

٢ ـ يازهرة ومحاسنا مسخت ماذا لحاه الشعر لو شعرا

٣ ـ قد كانت الابصار تجرحه واليوم يجرحها اذا حضرا

- ٥٥ -

مروج الذهب ٣٠٠/٤ ، شرح مقامات الحريري ٢٢٦/٣

وله في ابيه

١ ـ بعثت لاستهديه عِيْراً ولم اكن لاعلم أنّ العير صار لنا صهرا

٢ ـ فوجّه لي كي نستوي في ركوبه فيركبه بطنا واركبه ظهرا

- ٥٦ -

مخطوطة كتاب الامثال ق ١٤٠

قال ابن بسام خفيف

١ ـ قلت مابالنا جفينا وكنا قبل ذاك الاسماع والابصارا

٢ ـ قال : انا كما عهدت ولكن شغل الحلي اهله ان يعارا

— ٥٧ —

المنتخب من كنايات الادباء ٤٠

خفيف

١ ــ كان للكركدن قرن فاضحى قرنه اليوم عند قرنك مذرى

٢ ــ من يكن قرنه كقرنك هذا فليكن بابه كايوان كسرى

— ٥٨ —

شرح نهج البلاغة ٢٨٠/٧ هزج

١ ــ لئيم درن الثوب نظيف القعب والقدر

٢ ــ ابو النتن ابو الدفر ابو البعر ابو الجعر

— ٥٩ —

المنتحل ١٦٦ سريع

١ ــ كنا نقول الدهر فيما مضى يخلط ميسوراً بمعسور

٢ ــ فانقطع الميسور في دهرنا فنحن في عسر وتقتير

٣ ــ مادرك الانسان في عيشة يكون فيها غير ميسور

— ٦٠ —

خاص الخاص ١٠٩ ، التمثيل والمحاضرة ١٠٦ (٢)

قوله في وزير وافر

١ ــ سنصبر إذْ وليت فكم صبرنا لمثلك من امير او وزير

٢ ــ ولما لم ننل منهم سروراً رأينا عزلهم كل السرور

— ٦١ —

التمثيل والمحاضرة ١٠٦ ، نهاية الارب ١٠٢/٣ مجزوء الكامل

١ ــ قد يحمل الشيخ الكبيـ ـرُ جنازة الطفل الصغير

— ٦٢ —

التحف والهدايا ١٢٤ خفيف

١ ــ أقبل الدنّ من بعيد فايقنـ ـنا بخفض ولذة وسرور

٢ ــ ففتحناه مسرعين فألفيـ ـناه خَلاً يُعدّ للمقرور

— ٦٣ —

تحفة الامراء (الوزراء) : ٧٧ كامل

١ ــ قالوا تغيّر شعره عن حاله فالسوق كاسدة بغير تجار

٢ ــ اما الهجاء فقد عراني كثرة والمدح قلّ لقلة الاحرار

- ٦٤ -

مروج الذهب ٤/٢٩٩ ، شرح مقامات الحريري ٢/١٥٦

له في جحظة(١٨) المغني : سريع

١ - لجحظة المحسن عندي يد | أشكرها منه الى المحشر
٢ - لما أراني وجهه برذونه | وصانني عن وجهه المنكر

- ٦٥ -

زهر الاداب ٦٧٠ كامل

١ - كم قد قطعت من ديومة | نطف المياه بها سواد الناظر
٢ - في ليلة فيها السما مُرْدَةٌ | سوداء مظلمة كقلب الكافر
٣ - والبرق يخفق من خلال سحابه | خفق الفؤاد لموعد من زائر
٤ - والقطر منهمل يسحّ كأنه | دمع المودع إثر إلفٍ سائر

- ٦٦ -

ثمار القلوب ١٦٦ ، ٢٩١ (٢ ، ٣) : وافر

١ - سأذكر عن بني وهب(١٩) امورا | وليس الغمر كالرجل الخبير
٢ - واخلاق البغال اذا استميحوا | ...... في المجالس كالحمير
٣ - وجوه لا تهشّ الى المعالي | ....

- ٦٧ -

ديوان المعاني ٢/٢٣٤ سريع

١ - سقياً لشهر الصوم من شهر | عندي له ماشاء من شكر
٢ - كم من عزيز فيه فتْنا به | أنهضه الليل من الوكر
٣ - ومن إمام كان لي وصله | الى كحيل العين بالسحر
٤ - لو كان يدري بالذي خلفه | اعجله ذاك عن الوتر
٥ - وخلّة زارتك مشتاقة | في ليلة القدر على قدر
٦ - فانصرف الناس بما أمّلوا | وبؤت بالآثام والوزر

- ٦٨ -

التشبيهات ٢٠٨ ، المختار من شعر بشار٢ ، ديوان المعاني ١/٣٤٩ بهجة المجالس ٢/٩١ ، محاضرات الادباء ٣/٩٦ . سريع

١ - لا اظلم الليل ولا أدّعي | أن نجوم الليل ليست تغورْ
٢ - ليلي كما شأت فان لم تجد | طال ، وان جادت فليلي قصير

— ٦٩ —

معجم الادباء ٥/٣٢٠ :

حين بنى المعتضد البحيرة ، وكان يخلو فيهامع جواريه وفيهن جارية يقال لها دريره ، قال البسامي :

مجزوء الكامل

١ — ترك النـاس بحيره ... وتخلّى في البحيره

٢ — قاعداً يضرب بالطبـ ... ل على حِر دريره

— ٧٠ —

مروج الذهب ٤/٢٦٩

وله في الوزير العباس بن الحسن ، وابن‌عمرويه الخراساني وكان امير بغداد يومئذ :

مجزوء الكامل

١ — لعن الله الذي قلـ ... لد عباس الوزاره

٢ — والذي ولى ابن عمرو ... يه بغداد الاماره

٣ — فوزير شنج الوجـ ... ـه بطين كالغراره

٤ — وقفى فيه سناما ... ن ورأس كالخياره

٥ — لم يزل يعرف بالزو ... ر قديماً والعياره

٦ — وامير اعجمي ... كحمار ابن حماره

٧ — رحل الاسلام عنا ... بتوليه الاداره

— ٧١ —

محاضرات الادباء ١/١٨٤

مجزوء الكامل

١ — كيف نرجو رحمة اللـ ... ـه ولا نخشى الحجاره ؟

٢ — والذي كنا عرفنا ... ه قديماً بالاجاره[٢٠]

٣ — حائز الامر علينا ... بتوليه الاماره

— ٧٢ —

الكنى والالقاب ١/٢٢٥

المنسرح

١ — عجبت من معجب بصورته ... وكان من قبل نطفة مذره

٢ — وفي غدٍ بعد حسن صورته ... يصير في الارض جيفة قذره

٣ — وهو على عُجْبه ونخوته ... مابين جنبيه يحمل العذره

— ٧٣ —

مروج الذهب ٤/٢٦٩ — ٣٠٠ وانظر طبقات الشعراءلابن المعتز ص ٣٨٧

قال في ابيه :

سريع

١ — خبيصة تعقد من سكّره ... وبرمة[٢١] تطبخ من قنبره

٢ ــ عند فتى اسمح من حاتم يطبخ قدرين على مجمره
٣ ــ وليس ذا في كل ايامه لكنه في الدعوة المنكره
٤ ــ في يوم لهو فظع هائل ومجمع اللذات والقرقره
٥ ــ يقول للآكل من خبزه : تعساً لهذا البطن ما اكبره

ــ ٧٤ ــ

ثمار القلوب ٣٠٣ ، لطائف المعارف ٥٣

قال في مغن يقال له لحية التيس — سريع

١ ــ اقول اذ فنى بما ساءني أقصر قليلاً لحية التيس
٢ ــ ودع قفا نبك وقوفا بها لا رحم الله امرء القيس

ــ ٧٥ ــ

شرح مقامات الحريري ١٩٨/١ — كامل

١ ــ حانت وفاتك يا ابا العباس فدع المكاس فلات حين مكاس
٢ ــ ما بال وجهك بعد كثرة نوره قد سوّدوه بحالك الأنقاس
٣ ــ اين الدنانير التي عودتها هيهات جاء الشعر بالافلاس
٤ ــ كانت بخد[٢٣] ثيابه ديباجة فاستبدلت حِلْساً من الاحلاس
٥ ــ وكذا البناء فغير مرتفع اذا كانت بليته من الاساس

ــ ٧٦ ــ

التحف والهدايا ١٢٤ — طويل

١ ــ تعرّضت مني للهجاء ولم يكن سوى الشكر والاحماد في كل مجلس
٢ ــ وما الناس الا من تكامل فيهم سماحة أخلاق وعفة أنفس
٣ ــ فشانك بالقمري ّ يأهل مثله على صوته فاطرب واياه فاحبس
٤ ــ ولكنّ من حق المجوز وبرها بعثت الى عضب اللسان باخرس

ــ ٧٧ ــ

البصائر والذخائر ١١١ — خفيف

١ ــ اطرد الهمّ بالمدامة واعلم انّ في الراح راحة للنفوس
٢ ــ ربّ همّ اشد من غصص المو ت وجدنا دواءه في الكؤوس

ــ ٧٨ ــ

ثمار القلوب ١٥ . التمثيل والمحاضرة ٢٠

ومما يستملح لابي احمد بن ابي بكر قولهلعلي بن عيسى الوزير ويروى لابن بسام ، وهو يقوله اشبه :

مجزوء الكامل

١ ــ لست روح الله عيسى انما انت ابن عيسى
٢ ــ كلّم الناس فان الله قد كلّم موسى

- ٧٩ -

زهـر الاداب ٦٧١ ، محاضـرات الادباء ٣٦٩/٤ (٢ - ٣)

وقال في العباس بن الحسـين(٢٢) لمـا وزرللمكتفي :

سريع

١ - وزارة العبـاس مـن نحسـها ... ستقلع الدولـة مـن أسّهـا

٢ - شبهته لمـا بـدا مقبـلا ... في خلـع يخجـل مـن لبسهـا

٣ - جارية رعنـاء قـد قـدّرت ... ثيـاب مولاهـا عـلى نفسهـا

- ٨٠ -

مروج الذهب ٣٠١/٤

له في العباس بن الحسن الوزير :

متقارب

١ - بنيت عـلى دجلـة مجلسـاً ... تُباهـي بـه فعـل مـن قد مضى

٢ - فلا تفرحـن فكـم مثـل ذا ... رأينـاه ماتـمّ حتـى انقضى

- ٨١ -

مخطوطة كتاب الامثال المنسوب للثعالبي : ق ٢٢٣يقال : هو اثقل من قدح اللبلاب على المريض

قال ابن بسام :

مجزوء الرمل

١ - يا بغيضـاً زاد فـي البغـض عـلى كـل بغيـض

٢ - يا شبيـه القـدح اللبـلاب فـي عـين المريـض

- ٨٢ -

التحف والهدايا ١٢٤

خفيف

١ - قـد دعتنـي الـى التنسك اقدا ... حـك بعـد المجون والافـراط

٢ - هـي مخروطـة زعمـت ولكـن ... سقطـت طاؤهـا مـن الخـراط

- ٨٣ -

مـروج الذهب ٩٩/٤ (٣) ، ثمار القلوب ١٨٨ ،مخطوطة كتاب الامثال ق ٣٣ب (٣)

قال في ابيـه

سريع

١ - دار ابـي جعفـر مفروشـة ... ماشئـت مـن بسـط واسمـاط

٢ - وبعـد مابينـك مـن خبـزه ... كبعـد بلـخ مـن سميسـاط

٣ - مطبخـة قفـر وطباخـه ... أفـرغ مـن حجّـام سابـاط

- ٨٤ -

الكنى والالقاب ٢٢٥/١ : معجم الادباء ٣٢٤/٥ ،وفيات الاعيان ٤٦/٣

كامل

١ - أقصرت عـن طلب البطالة والصّبا ... لمـا علانـي للمشـيب قنـاعُ

٢ - فدع الصبا ياقلب واسل عن الهوى ... ما فيـك بعـد مشيبـك استمتـاع

٣ ــ وأنظر الى الدنيا بعين مودّع ... فلقد دنا سفر وحان وداع

٤ ــ والحادثات موكّلات بالفتى ... والناس بعد الحادثات سماع

ــ ٨٥ ــ

محاضرات الادباء ١/٣٠٨ — مجزوء الرمل

١ ــ هو في الخير قطوف ... وهو في الشر وساعْ

ــ ٨٦ ــ

المنتخب من كنايات الادباء ١٣٦

ويقال وقع الشهر في الواوات اذا جاوز العشرين . قال علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام :

١ ــ قد قرب الله ياذا كل من شسعا
كأنني بهلال الفطر قد طلعا

٢ ــ فخذ للهوك في شوال أهبته
فان شهرك في الواوات قد وقعا

ــ ٨٧ ــ

العمدة ١/٣٣١ — بسيط

١ ــ فاشرب على الورد من وردية عتقت ... كأنها خدّ ريم ريمَ فامتنعا

ــ ٨٨ ــ

التمثيل والمحاضرة ١٠٧ — كامل

١ ــ إنّي لاهجو من يجود بفضله ... فيظنني أدع اللئيم الراضعا

ــ ٨٩ ــ

مروج الذهب ٤/٢٩٧

له في ابيه

١ ــ رأى الجوع طبّا فهو يحمي ويحتمي
فلست ترى في داره غير جائع

٢ ــ ويزعم ان الفقر في الجود والسخا
وان ليس حظّ في اكتساب الصنائع

٣ ــ لقد أمن الدنيا ولم يخش صرفها
ولم يدر انّ المرء رهن الفجائع

ــ ٩٠ ــ

معجم الادباء ٥/٣٢٢ . محاضرات الادباء ١/١٩٨ (٢ ــ ٤) .

قال في الوزير الخاقاني — وافر

١ ــ وزير مايفيق من الرقاعهْ ... يولّي ثم يعزل بعد ساعهْ

٢ ــ اذا اهل الرشا صاروا اليه فاحظى القوم اوفرهم بضاعه
٣ ــ فلا رحما تقرب منه خلقا سوى الورق الصحاح ولا شفاعه
٤ ــ فليس بمنكر والفضل منه لان الشيخ افلت من مجاعه

ــ ٩١ ــ

خاص الخاص ١٠٩ . المنتحل ١٦١

قوله في وزير خلع عليه : مجزوء الكامل

١ ــ خلعوا عليه وزيّنو ه ومرّ في عزّ ورفعه
٢ ــ فكذاك يفعل بالجما ل لنحرها في كلّ جمعه

ــ ٩٢ ــ

مروج الذهب ٣٠١/٤ . شرح مقامات الحريري١٨٥/٢

له في الوزير علي بن محمد بن الفرات طويل

١ ــ وقفت شهوراً للوزير أعدّها فلم تثنه نحوي الحقوق السوالف
٢ ــ فلا هو يرعى لي رعاية مثله ولا انا استحي الوقوف وانف

ــ ٩٣ ــ

خماسة الظرفاء ١٦٧/٢ بسيط

١ ــ قالوا خليفتنا قدمات قلت لهم في الكلب منه وفي أمثاله خلف
٢ ــ حتى اذا قام شرّ منه قلت لهم الان طاب عليه الهمّ والأسف

ــ ٩٤ ــ

خاص الخاص ٢٤ . المنتحل ١٣٨ . نهاية الارب١٠٢/٣

متقارب

١ ــ ولولا الضرورة ما جئتكم وعند الضرورة يؤتى الكنيف

ــ ٩٥ ــ

خاص الخاص ١٠٩

قوله في ابيه متقارب

١ ــ بلوت ابا جعفر مدّة فألفيت منه بخيلا سخيفاً
٢ ــ ولولا الضرورة لم اته وعند الضرورة آتي الكنيفاً

ــ ٩٦ ــ

مروج الذهب ٣٠١/٤

له في اسماعيل بن بلبل الوزير مقتضب

١ ــ لابي الصقر دولة مثله في التخلّف
٢ ــ مزبة حين اطمعت اذنيت بالتكشّف

معجم الادباء ٥/٣٢٦ ، وفوات الوفيات ٢/١٦٨ — منسرح

١ ـ كم من يدلي اليك سالفة — وانت بالحق غير معترف

٢ ـ نفسك اهديتها لاذبحها — فصنتها عن مواقع التلف

- ٩٨ -

محاضرات الادباء ٢/٤٥٥ — متقارب

١ ـ أعلّل نفسي بما لا يكون — كما يفعل المائق الاحمق

- ٩٩ -

الحماسة الشجرية ٢/٦٣٤ — بسيط

١ ـ لقد صبرت على المكروه اسمعه — من معشر فيك لولا انت مانطقوا

٢ ـ وفيك داريت قوماً لاخلاق لهم — لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

- ١٠٠ -

زهر الاداب ٦٧١ . محاضرات الادباء ٢/٤١٨ . شرح مقامات الحريري ٣/٢٢٦

قال في ابيه ، وقد ابتنى دارا — رمل

١ ـ شدت داراً خلتها مكرمة — سلّط الله عليها الغرقا

٢ ـ وأرانيك صريعا وسطها — وأرانيها صعيداً زَلَقا(٢٥)

- ١٠١ -

مروج الذهب ٤/٢٩٧ . شرح مقامات الحريري٣/٢٢٦ ، وفيات الاعيان ٣/٤٦

له في ابيه : — خفيف

١ ـ هبك عمرت عمر عشرين نسراً — اترى انني اموت وتبقى

٢ ـ فلئن عشت بعد يومك يوماً — لاشقن جيب مالك شقا

- ١٠٢ -

مروج الذهب ٤/٣٠٠ — مجزوء الكامل

١ ـ مالي رأيتك دائبا — مستسخطاً أبدا لرزقك

٢ ـ ارجع الى ماتستحق — ق فان قوتك فوق حقك

- ١٠٣ -

المنتحل ١٦٤ (١ ـ ٢) احسن ما سمعت ٧٧ — سريع

١ ـ أفٍّ من الدنيا وايامها — فانها للحزن مخلوقه

٢ ـ غمومها لا تنقضي ساعة — عن ملك فيها ولا سوقه

٣ ـ يا عجبي منها ومن شأنها — عدوة للناس معشوقه

- ١٠٤ -

حماسة الظرفاء ٢/١٣٣ خفيف

١ ــ القلايا قد جئن من منزل العمـ ـمِ قلايا قوم ذوي امساكِ

٢ ــ قلَّ اوداكها فلم استطبها والقلايا تطيب بالاوداك

- ١٠٥ -

ثمار القلوب ٢١٥ رجز

١ ــ يا ابن الدهاليز وابناء السكك[٢٦] ويا ابن عجّل لا يجي زوجي يرك

٢ ــ يا ابن الزنا وحدك لا شريك لك وابن البغايا والفراش المشترك

٣ ــ ويا ابن من لو نوّمت فوق الحسك تحت الزناة حسبته كالفنك[٢٧]

- ١٠٦ -

مروج الذهب ٤/٣٠٠

قال في جماعة من الرؤساء : بسيط

١ ــ قل للرؤوس ومن ترجى نوافلهم ومن يؤمل فيه الرفد والعملُ

٢ ــ إن تشغلوني باعمال أصيّرها شغلا والاففي أعراضكم شغل

- ١٠٧ -

المنتحل ١٥٧ منسرح

١ ــ وجه ابي عمرو اللعين به يضرب في وجه قبحه المثلُ

٢ ــ كأنه في اتساع صورته روثة فيل قد داسها جمل

- ١٠٨ -

حماسة الظرفاء ١/٩٥

له يرثي عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيرالمعتمد والمعتضد بسيط

١ ــ لاغرو ان حملت اعناقهم رجلا معروفه عند هم من قبلُ محتملُ

٢ ــ يبكيك للمجد اقلام مهنّدة والامر والنهي والديوان والعمل

- ١٠٩ -

مروج الذهب ٤/٣٠٢ طويل

١ ــ تضمن لي في حاجتي ما أحبّه فلما اقتضيت الوعد قطب واعتلى

٢ ــ وصيّر عذرا شغله واتصاله ولولا اتصال الشغل ماكان اشغلا

- ١١٠ -

تاريخ الطبري ١٠/١٤ سريع

١ ــ قد اقبل الطائي لا اقبلا قبح في الافعال ما أجهلا

٢ ــ كأنه مبن لين الفاظه صبيبة تمضغ جهد البلا

— ١١١ —

البصائر والذخائر ١٠٨ وافر

١ ــ وكان خيالها يشفي سقاما | فضنت بالخيال على الخيالِ

— ١١٢ —

محاضرات الادباء ١/١٧٥ وافر

فلا يغرركم نِعَمٌ توالت | فانّ الدهر حال بعد حالِ

— ١١٣ —

محاضرات الادباء ١/١٧٦ مجزوء الوافر

١ ــ الا يادولة السفل | اطلت المكث فانتقلي

٢ ــ ويا ريب الزمان افق | نقضت الشرط في الدول

— ١١٤ —

معجم الشعراء ٢٩٥ . ديوان المعاني ١/٣١٦(١ ، ٣ ــ ٥)

مجزوء الكامل

١ ــ واصل خليلك انّما الد | نيا مواصلة الخليلِ

٢ ــ ودع العدو فانه | سيمل من قال وقيل

٣ ــ وانعم ولا تتعجل الـ | مكروه من قبل النزول

٤ ــ بادر بما تدري فما | تدري متى وقت الرحيل

٥ ــ وارفض مقالة لائم | ان الملام من الفضول

— ١١٥ —

الوزراء ٨٦

له في ابي العباس احمد وابي الحسن علي ابني الفرات .

بسيط

١ ــ لي احمدان لدنيائي واخرتي | ولي عليان فانظر من اعدّ لي

٢ ــ من خاتم الملك اضحى وسط خنصره | ومن علا كتفيه خاتم الرسل

٣ ــ فللشفاعة حسبي احمد وعلي | وللمعيشة حسبي احمد وعلي

٤ ــ منهم باثنين ماحاولت يسهل لي | كما باثنين ان قصّرت يغفر لي

٥ ــ تشبثت راحتي منهم باربعة | في العمر واليسر والتأمل والوجل

— ١١٦ —

لطائف المعارف ٤٨ سريع

١ ــ رأيت في النوم ابي آدما | صلّى عليه الله ذو الفضلِ

٢ ــ فقال ابلغ ولدي كلهم | من كان في حَزْن وفي سهل

٣ ــ بأن حوّا امّهم طالق | إن كان تفطويه من نسلي

التحف والهدايا ١٧٥ — خفيف

١ ـ عجب الناس من جهالة اسحا ... ق وفعل اتاه غير جميل
٢ ـ حين اهدى الى الغزالة ظبياً ... ذا قوام لدْن وخدّ اسيل
٣ ـ وفم مشرق الثنايا وألحا ... ظ مراض خلال طرف كحيل
٤ ـ اتراها تعفّ عنه اذا ما ... خلُوا للعناق والتقبيل
٥ ـ وكأني بذيل بدعة قد صا ... ر طريقاً للقرطق المحلول
٦ ـ قلت لا تعجبوا فانّ له عذْ ... راً صحيح القياس غير عليل
٧ ـ بعدت دارها وقام عليه ... فاشتهى أنْ ••••••• برسول

- ١١٨ -

مروج الذهب ٢٧٦/٤ — متقارب

١ ـ عذرناك في قتلك المسلمين ... وقلنا عداوة اهل المِلَلْ
٢ ـ فهذا المناريّ ماذنبهُ ... ودينكما واحد لم يزل

- ١١٩ -

ديوان ابن المعتز : ٧٥/٣

وقال يرثي عبيد الله بن سليمان : — سريع

قد استوى الناس وزال الكمالْ ... ونادت الايام اين الرجالْ
هذا ابو القاسم في نعشه ... قوموا انظروا كيف تزول الجبال
يا ناصر الملك بآرائه ... بعدك للملك ليالٍ طوال

- ١٢٠ -

نهاية الارب ٢٥/٥

من شعره الذي غني به بين يدي المعتمد — مجتث

١ ـ حُرمت بذل نوالكْ ... واسوأتا من فعالكْ
٢ ـ لما ملكت وصالي ... آيستني من وصالك

- ١٢١ -

التحفة البهية ٣٤٩ — طويل

١ ـ حرارة قلبي والتهاب هوائيا ... وحرّ له بين الضلوع ضرامُ
٢ ـ لعمرك قد اصبحت رهنا بحالة ... جهنم برد عندها وسلام

- ١٢٢ -

شرح نهج البلاغة ١٩/٧٢ — متقارب

١ ـ بجنبك داران(٣١) مهدومتان ... ودارك ثالثة تهدمُ

٢ ـ فليت السلامة للمنصفين ... ن دامت فكيف لمن يظلم ؟

- ١٢٣ -

وفيات الاعيان ٣/٤٨ الكنى والالقاب ١/٢٢٥ — كامل

١ ـ تالله ان كانت امية قد اتت ... قتل ابن بنت نبيّها مظلوما

٢ ـ فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها ... هذا لعمرك قبرهُ مهدوما

٣ ـ أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبّعوه رميما

- ١٢٤ -

مروج الذهب ٤/٢٩٩

قال في المعتضد وقد ختن ابنه جعفرا المقتدر : — مخلع البسيط

١ ـ انصرف الناس من ختان ... يدعون من جوعهم حزاما

٢ ـ فقلت لا تعجبوا لهذا ... فهكذا تختن اليتامى

- ١٢٥ -

نشوار المحاضرة ٤/٦١ . معجم الادباء ٥/٣٢٣ — بسيط

١ ـ يازينة الدين والدنيا وما جمعا ... والامر والنهي والقرطاس والقلمِ

٢ ـ ان يُنسنيالله فيعمري فسوف ترى ... من خدمتي لك مايغني عن الخدم

٣ ـ أبا عليّ لقد طوقتني مِننا ... طوق الحمامة لا تبلى على القِدم

٤ ـ فاسلم فليس يزيل الله نعمته ... عمّن يبثّ الأيادي من ذوى النعم

- ١٢٦ -

المنتخب من كنايات الادباء ١٣٣ ، شرح نهج البلاغة ٢٠/٢٠٧

قال في اسماعيل بن بلبل — بسيط

١ ـ ياحجة الله في الارزاق والقسم ... وعبرة لاولى الالباب والهممِ

٢ ـ تراك أصبحت في نعماء سابغة ... الا وربّك غضبان على النّعم

- ١٢٧ -

شرح نهج البلاغة ١٩/٧٣

قال يهجو ابا علي ابن مقلة : — كامل

١ ـ قل لابن مقلة مهلا لا تكن عجلاً ... فانما انت في أضغاث أحلامِ

٢ ـ تبني بانقاض دور الناس مجتهداً ... داراً ستنقض ايضا بعد ايام

- ١٢٨ -

مطالع البدور : ١/١٥٣ — وافر

١ ــ الا بادر فـلا ثـان سـوى مـا — عهـدت الكأس والبـدر التمـام
٢ ــ ولا يكسـل برؤيتـه ضبابـا — يظـن بـه الحديقـة والمـدام
٣ ــ فان الروض ملتثـم الـى ان — توافيـه فينحـط اللثـام

- ١٢٩ -

الهفوات النادرة ٢٧٨ — مجتث

١ ــ يا مـن عـلا وتعظّـم — اللـه اعلـى واعظـمْ
٢ ــ يا اهـل بغـداد صومـوا — ابو العـلا(٣٣) قـد تكلّـم

- ١٣٠ -

سمط اللالي : ٦١٥ — متقارب

١ ــ ثقيـل يطالعنـا مـن أمَـم — اذا سـرّه رغـم انفي الـمْ
٢ ــ لنظرتـه وخـزة فـي الحشى — كوخـز المحاجم فـي الملتـزم

- ١٣١ -

محاضرات الادباء ٢/٦٦٦ :

قال يهجو بنات طومـار — كامل

١ ــ لبنـات طومـار علـى نظرائهـم — فضـل سيظهـر فيهـم ويبينْ
٢ ــ يستدخلـون اباهـم مـن جبنهم — فالشيخ فـي ••••••• مدفـون

- ١٣٢ -

مروج الذهب ٤/٣٠٢

قال في ابي جعفر محمد بن جعفر الفربلي : — خفيف

١ ــ لحيـة كثّـة أضرّ بهـا النتـ — ف ووجـه مشـوّه ملعـونُ
٢ ــ قلـت لمـا بـدا يجمجـم في القو — ل ويهـذي كأنـه مجنـون
٣ ــ صـدق اللـه انت مـن ذكر اللـ — ه مهـين ولا يكـاد يبـين

- ١٣٣ -

معجم الشعراء ٢٩٥ . العمدة ٢/٢٦٦ (٥) . معجم الادباء ٥/٣٢٥

قال يمدح النحو : — طويل

١ ــ رأيـت لسـان المرء وافد عقلـه — وعنوانـه ، فالنظـر بمـاذا تعنونُ
٢ ــ فلا تمـد اصـلاح اللسـان فانه — يخبّر عمـا عنـده ويبـين
٣ ــ ويعجبني زيّ الفتـى وجمالـه — فيسقط مـن عينيّ سـاعة يلحـن

٤ ــ على ان للاعراب حداً وربما سمعت من الاعراب ماليس يحسن

٥ ــ ولاخير في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن ، والقصد ازين

ــ ١٣٤ ــ

زهر الاداب ٤٣٨ ، شرح مقامات الحريري ١٥٦/٣ .معجم الادباء ٣٢٢/٥ (١)

قال في جحظة (٢٤) المغني

سريع

١ ــ يامن هجوناه فغنانا انت بيت الله أهجانا

٢ ــ سيان ان غنى لنا جحظة أومر مجنون فزنانا

ــ ١٣٥ ــ

١) معجم الادباء ٣٢٠/٥

وافر

١ ــ معاذ الله من كذب ومين لقد ابكت وفاتك كل عين

٢ ــ ولكن قد تنسينا الرزايا ويعضدنا بقاء أبي الحسين

ــ ١٣٦ ــ

معجم الادباء ٣٢٢/٥

مخلع البسيط

١ ــ ابلغ وزير[٢٥]الانام عني ونـاد ياذا المصيبتين

٢ ــ يموت حلف الندى ويبقى حلف المخازى ابو الحسين

٣ ــ فأنت من ذا عميد قلب وانت من ذا سخين عين

٤ ــ حياة هذا كموت هذا فالطم على الرأس باليدين

ــ ١٣٧ ــ

زهر الاداب ٦٧٠.

وافر

١ ــ بشاطىء نهر[٣٦]قبرك فالمصلى فما والاهما فالقريتين

٢ ــ معاهد لهونا والعيش غض وصرف الدهر مقبوض اليدين

ــ ١٣٨ ــ

محاضرات الادباء ٣٧١/٤

طويل

١ ــ أرقع كميها وأرفو ذيولها فلا رفوها يجدى ولا رقعها يغني

٢ ــ اذا قمت فيها او قعدت تنفست تنفس صب مايقر من الحزن

ــ ١٣٩ ــ

مروج الذهب ٣٠١/٤

قال في القاسم بن عبيد الله بن سليمان :

كامل

١ ــ قل للمولى دولة السلطان عند الكمال توقع النقصان

٢ ــ كم من وزير قد رأيت معظما اضحى بدار مذلة وهوان

بهجة المجالس ١/٢٤٤

قال ابن ابي حازم او ابن بسام : مخلع البسيط

١ ــ وان نبا منزل بحر ... فمن مكان الى مكان
٢ ــ لا يلبث الحر في مكان ... ينسب فيه الى هوان
٣ ــ الحرّ حرّ وان تعدّت ... عليه يوما يد الزمان
٤ ــ والنذل نذل وان تكنّى ... وصار ذا منطق وشان
٥ ــ فاسترزق الله واستعنه ... فانه خير مستعان

— ١٤١ —

بهجة المجالس ٢/٣١٣

وقال ابن بسام او غيره مخلع البسيط

١ ــ رضيت بالقوت من زماني ... وصنت عرضي عن الهوان
٢ ــ مخافة ان يقول قوم ... فضل فلان على فلان
٣ ــ من كنت عن ماله غنيا ... رأيته مثل ما يراني
٤ ــ ازوره ان اراد وصلي ... واقطع الوصل إن جفاني
٥ ــ فاستغن الله عن فلان ... وعن فلان وعن فلان

— ١٤٢ —

اعيان الشيعة ٤٢/٢٤ سريع

١ ــ إنّ عليّا لم يزل محنة ... لرابح الدين ومغبون
٢ ــ أنزله من نفسه المصطفى ... منزلة لم تك بالدون
٣ ــ صيّره هرون في قومه ... لعاجل الدنيا وللدين
٤ ــ فارجع الى الأعراف حتى ترى ... ما صنع الناس بهرون

— ١٤٣ —

وفيات الاعيان ٣/٤٧ وافر

١ ــ وكانت بالصّراة[٤٧] لنا ليال ... سرقناهنّ من ريب الزمان
٢ ــ جعلناهنّ تاريخ الليالي ... وعنوان المسرة والاماني

— ١٤٤ —

محاضرات الادباء ٢/٣٩٢ خفيف

١ ــ من هجاني من البريّة طرّاً ... وسعى في مساءتي او لحاني
٢ ــ فاللواتي عليه حرّمهن اللـ ... ـه في سورة النساء زواني

- ١٤٥ -

معجم الادباء ٥/٣١٩

في هجاء الوزير علي بن عيسى — منسرح

١ - وافى ابن عيسى وكنت أضغنه … أشدّ شيء على اهونهْ

٢ - ما قدّر الله ليس يدفعه … وما سواه فليس يسكنه

- ١٤٦ -

شرح نهج البلاغة ٧/٢٨٠

قال لبعض الرؤساء : — متقارب

١ - فأنت لعمري ابو جعفر … ولكننا نحذف الفاء منهْ

- ١٤٧ -

قطب السرور ٧١٠ - ١١ — سريع

١ - والراح لا يعجبني شربها … إلا لاعجابي بندمانها

٢ - شاني صلاح العرض منها اذا … أضحى فساد المال من شأنها

٣ - ما احسن الدنيا ولكنها … دانية في كل ولدانها

٤ - والدهر لا يبقى فلا تبق في … تمزيق دنيا عند إمكانها

٥ - شبيبة تمضي فلا تنسني … وروّني من ماء ريعانها

- ١٤٨ -

نهاية الارب ١١/٢٦٨ — بسيط

١ - اما ترى الارض قد اعطتك زهرتها … مخضرّة واكتسى بالنّور عاريها

٢ - فللسماء بكاء في جوانبها … وللربيع ابتسام في نواحيها

- ١٤٩ -

التمثيل والمحاضرة ١٠٦ . نهاية الارب ٣/٢٠٢ — خفيف

١ - ربّ يوم بكيت منه فلمّا … صرت في غيره بكيت عليهِ

- ١٥٠ -

التمثيل والمحاضرة ١٠٦ . نهاية الارب ٣/١٠٢ — وافر

١ وكم امنيّة جلبت منيّهْ … (نصف بيت)

- ١٥١ -

نشوار المحاضرة ٢/١١٧

١ - يا قومنا إنّ القيامة دانيهْ … زانٍ يُحدّ ولا تحدّ الزانيهْ

- ١٥٢ -

تكملة تاريخ الطبري ص٢٩ معجم الادباء ٥/٣٢٥ ولما ولي حامد بن العباس وزارة المقتدر ، ورتب معه علي بن عيسى يدبر الامور بين يديه ، قال ابن بسام :

مجتث

١ ــ يا ابن الفرات تعزّه ... قد صار أمرك آيه

٢ ــ لما عزلت حصلنا ... على وزير بدايه[٣٨]

- ١٥٣ -

مروج الذهب ٤/٢٩٨ ، معجم الادباء ٥/٣٢٥ (٥ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤)
معجم البلدان : زرفانية (٥)

متقارب

له في جماعة من الرؤساء :

١ ــ ايرجو الموفّق[٣٩] نصر الاله ... وامر العباد الى دانيه

٢ ــ ومن قبلها كان امر العباد ... لعمر ابيك الى زانيه

٣ ــ فأن رضيت انه ... كداليه فوقها داليه

٤ ــ وظل ابن بلبل[٤٠] يدعى الوزير ... ولم يك في الا عصر الخاليه

٥ ــ وطحان طيّ تولّى الجسور ... وسقي الفرات وزرفانيه[٤١]

٦ ــ ويحكم عبدون[٤٢] في المسلمين ... ومن مثله تؤخذ الجاليه

٧ ــ واحول بسطام[٤٣] ظل المشير ... وكان يحوك ببرزاطيه[٤٤]

٨ ــ وحامد[٤٥] ياقوم لو امره ... إليّ لالزمته الزاويه

٩ ــ نعم ولأرجعته صاغرا ... الى بيع رمان خضراويه[٤٦]

١٠ــ واسحاق[٤٧] عمران يدعى الامير ... وظلّت على عرشها خاويه

١١ــ فهذي الخلافة قد ودعت ... وظلت على عرشها خاويه

١٢ــ فخلّ الزمان لاوغاده ... إلى لعنة الله والهاويه

١٣ــ فياربّ قد ركب الارذلون ... ورجلي من رجلهم عاليه[٤٨]

١٤ــ فان كنت حاملنا مثلهم ... والا فارجل بنى الزانيه

- ١٥٤ -

حماسة الظرفاء ٢/١٦٤

سريع

١ ــ لو نزل الوحي على نفطويه ... لكان ذاك الوحيُ خزيا عليه

٢ ــ احرقه الله بنصف اسمه ... وصيّر النصف صراخاً عليه

اختلاف الروايات

— ٦ —

١ — في نهاية الارب : .... للورود الى خمرمعتقة ...

٢ — في شرح المقامات والنهاية .... يواقيت مركبة على الزبرجد في افواهها ذهب

٣ — في النهاية : ...... صب يقبل حبًا وهو يرتقب .

— ٩ —

١ — في تاريخ بغداد واللباب : بخلت عنا بادهم عجف لست تراني ...

٢ — في تاريخ بغداد واللباب : فلا تقل صنته فما ...

— ١١ —

٢ — في زهر الاداب : ... فينقصه ...

في شرح المقامات ما فيه لولا ... تنقصه....

— ١٩ —

٢ — في معجم الادباء : .... وعاش ذو الشين.....

٣ — في معجم الادباء : حياة هذا كفقد هذا ...

— ٣١ —

٢ — في خاص الخاص : ... فكنت فيها ... كقول الله ....

في المنتحل : ... وكنت فيها .... كقول الله ....

— ٣٥ —

١ — في ثمار القلوب ..... الى على الميعاد

— ٤٣ —

١ — في محاضرات الادباء : ...... اني كل ...

في محاضرات الادباء : متى سمع الناس ... وزيرين

— ٥٢ —

٢ — في الوفيات : اركب الفالج بعد الـ

ملك والعزة ....

٣ — في الوفيات : وعليه برنس للسخط ......

— ٥٥ —

١ — في شرح المقامات : ... لا ستهديك ....علمت بان ...

٢ — في شرح المقامات : فوجه به كي نشترك .... فتركبه ......

— ٦٠ —

٢ — في التمثيل والمحاضرة : ...... راينا فيهم كل السرور

وهو لا يستقيم مع صدر البيت

— ٦٤ —

٢ — في شرح المقامات : لما رآني رد برذونه ...

— ٦٨ —

١ — في بهجة المجالس : ...... ان نجوم السماء....

وهو كاسر للوزن ....

٢ — في جميع المصادر باستثناء التشبيهات : ..فان لم تزر .... وان زارت

— ٧٤ —

١ — في ثمار القلــوب : ... اذا غنّى ... وهوكاسر للوزن

وفي اللطائف : .. اذ غنى بما اجتوى

٢ — في اللطائف : ... وعرفانها ....

— ٧٩ —

٢ — في المحاضرات : كانه لما بدا مقبلا ...

— ٨٣ —

٣ — في مخطوطة الامثال : خبازه خلــو ...

— ٨٤ —

٢ — في الكنى والالقاب : .... ولو انّ ...

وفي المعجم : لوان ...

والرواية الثانية هي الصواب .

٥ — في المعجم : فالحادثات ...

— ٩٠ —

٣ — في المحاضرات : فلا رحم يقربهم اليه ...

سوى الورق الصحيح ..

٤ — في المحاضرات : وليس بمنكر هذا لديه ....

— ٩١ —

١ — في المنتحل : ... فحلّ في عز .....

٢ — في المنتحل : وكذا ك

— ٩٢ —

٢ — في شرح المقامات : فلا هو يرعاني ...

— ٩٤ —

ما اثبته رواية النهاية ، وفي كتابي الثعالبي :

ولولا الضرورة لم اته .... وعند الضرورةآتي ...

— ١٠٠ —

٢ — في المحاضرات : وارانيك فقيرا ...

— ١٠١ —

٢ — في شرح المقامات : .... بعد موتك ...

— ١٠٣ —

١ — في احسن ما سمعت : او من بالدنيـــا ..
ولا معنى له .

٢ — في المنتحل همومها ...

— ١٠٤ —

٤ — في ديوان المعاني : بادر بما تهوى ..

— ١٢٥ —

١ — في شرح النهج : .... الالباب والفهم

— ١٢٨ —

هذه المقطوعة غير مفهومة من ناحية المعنى ،وهي مضطربة عروضيا ، لان طبعة الكتاب رديئة جدا ولا توجد سواها وقد حاولت ان اصلح ماامكـــن .

١ — الاصل : الا بادر فلا تأن سوى ما ..

٢ — الاصل : فان الروض ملثم الى ان ....

— ١٣٢ —

١ — في شرح المقامات والمعجم : ..... انت وحق الله ....

— ١٥٠ —

١ — في التكملة : يا ابن الفرات تعـزى فقدصار ...
وزيادة الفاء في العجـز تطيح بالوزن
ولذلك اخذت برواية ياقـوت .

— ١٥١ —

٥ — في معجم الادباء : ودهقان طي تولـى العراق ...

٦ — في معجم الادباء : وعبدون يحكم في المسلمين..
وهذا البيت متقدم على البيت الخامس في معجم الادباء

٩ — في معجم الادباء : ونعم ولا رجعته ......رمان خسراويـه

١٣ — في معجم الادباء : ايا رب .... ورجلـي من بينهم ماشية

١٤ — في معجم الادباء : حاملها ....

الهوامش

(١) اللباب (البسامي) .

(٢) معجم البلدان : عبرتا .

(٣) البداية والنهاية ١٢٥/١١ .

(٤) معجم الشعراء : ٢٩٤ .

(٥) الفهرست : ١٦٧ .

(٦) اللباب (البسامي) .

(٧) شرح الصولي ٤٥٦/١ .

(٨) الديوان ١٩٦٢/٥ .

(٩) وفيات الاعيان ٤٨/٣ .

(١٠) معجم الادباء ٢١٨/٥ .

(١١) شرح الصولي ٤٥٥/١ .

(١٢) مروج الذهب ٢٠٢/٤ .

(١٣) ديوان ابن الرومي ١٩٦٤/٥ .

(١٤) ديوان البحتري ٢٣٧/١ .

(١٥) شعر اليزيديين : ١٨١ .

(١٦) الهفوات النادرة : ٣١٣ .

(١٧) اسم النهرين كانا ببغداد .

(١٨) ق ١٤٣ .

(١٩) في الاصل : نهر البرك .

(٢٠) في الاصل : فالمصلى .

(٢١) ق ١٣٧ .

(٢٢) ق ٩٩ .

(٢٣) ق ٦٨ .

(٢٤) معجم الشعراء : ٢٩٤ .

(٢٥) معجم الادباء ٢٢٤/٥ .

(٢٦) ق ١٧ .

(٢٧) له اخ يكنيه ابا العباس ق ٧٥ .

(٢٨) ق ٣٢ .

(٢٩) الهفوات النادرة ٣١٣ .

(٣٠) انظر : ابن الرومي للعقاد ص ١١ ، العصر العباسي الثاني ١٠-١٩١ ، شعر ابن المعتز القسم الثاني ص ٩-١٨ .

(٣١) ق ١٠٦ .

(٣٢) معجم الادباء ٣٢١/٥ .

(٣٣) الورقة ٦٣ ، ٨٢ ، وابن الجراح المؤلف هو وزير ابن المعتز وعم علي بن عيسى الوزير .

(٣٤) معجم الادباء ٣٢٦/٥ .

(٣٥) الفخري ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٣٦) معجم الادباء ٣١٨/٥ .

(٣٧) معجم الادباء ٣٢١/٥ .

(٣٨) ق ١٦ ، ٦٩ ، ١٢٤ .

(٣٩) معجم الشعراء ٢٩٤ .

(٤٠) معجم الادباء ٣٢٢/٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ .

(٤١) الفخري : ٢٥٦ .

(٤٢) ذكرت ثلاث مناطق على انها البلدان التي ولي فيها ابن بسام البريد ، انظر معجم الادباء ٣٢٢/٥ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ .

(٤٣) معجم الادباء ٣٢٦/٥ ، وانظر ٣٢٣/٥ .

(٤٤) لطائف المعارف ٥١ .

(٤٥) دعبل الخزاعي : ص ٨ من المقدمة .

(٤٦) معجم الادباء ٣٢١/٥ .

(٤٧) ق ١٦ ، ٦٩ ، ١٢٤ ، ١٣٩ .

(٤٨) دعبل الخزاعي ١٢٢ .

(٤٩) مروج الذهب ٢٩٧/٤ ، معجم الشعراء ٢٩٥ ، تاريخ بغداد ٦٣/١٢ .

(٥٠) معجم الادباء ٣٢٥/٥ ، وانظر ق ٤٣ .

(٥١) مروج الذهب ٢٠٥/٤ .

(٥٢) معجم الادباء ٣١٩/٥ .

(٥٣) الوزراء ٣٢٦ .

(٥٤) معجم الادباء ٥/٢١٩ .

(٥٥) نفســـه .

(٥٦) معجم الادباء ٥/٢١٩ .

(٥٧) معجم الشعراء ٢٩٥ .

(٥٨) انظر : ابن الرومي للعقاد ص ٦ ، شعر دعبل الخزاعي ص ١١ ، ١٢ من المقدمة .

(٥٩) ق ٥ ، ٧ .

(٦٠) العصر العباسي الثاني ٦٦ .

(٦١) ١/٦٣٦ .

(٦٢) مروج الذهب ٤/٣٠٤ ، الفخري ٢٦٥ .

(٦٣) معجم الادباء ٥/٢١٨ .

(٦٤) اسمه احمد بن جعفر ت ٢٢٤ .

(٦٥) قد تكون اسباب هذا الهجاء سياسية لان ابن المعتز عرف بمعاداة الشيعة .

(٦٦) كانت الخلافة باسم اخيه المعتمد .

(٦٧) ق ١٠٠ .

(٦٨) ق ١ ، وانظر النجوم الزاهرة ٢/١٨٩ .

(٦٩) انظر حياة ابن بسام ص ٢ .

(٧٠) الجاحظ والحاضرة العباسية ص ١٧٧ وما بعدها .

(٧١) ديوان البحتري ١/٢٣٧ تحقيق الصيرفي .

(٧٢) ق ٣٢ .

(٧٣) ق ١٠١ .

(٧٤) ق ٨٩ .

(٧٥) ق ٥٠ .

(٧٦) في هذا الشطر اقواء ، ولعله الصدر (بالرفع) .

(٧٧) الفخري ٢٥٦ .

(٧٨) نفسه ٢٥٢ .

(٧٩) شرح نهج البلاغة ١٩/٧٢ .

(٨٠) ابن الرومي حياته من شعره ص ٢٤٧ .

(٨١) انظر : حياة ابن بسام ص ٣ ، ٤ .

(٨٢) مروج الذهب ٤/٢٣٢ .

(٨٣) ق ٦٩ .

(٨٤) معجم الادباء ٥/٢٢٠ .

(٨٥) ق ١٤٥ .

(٨٦) الوزراء ٣٠٦ .

(٨٧) ق ٣١ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ١٠٠ .

(٨٨) ق ٩٠ .

(٨٩) ق ٧١ .

(٩٠) ق ٩٣ .

(٩١) ق ٣١ .

(٩٢) ق ١٠٨ .

(٩٣) الفخري ٢٥٤ .

(٩٤) ق ١١ .

(٩٥) ديوان ابن المعتز ٦٠٩ .

(٩٦) الوزراء ١٣١ ، الفخري ٧-٨ .

(٩٧) الوزراء ٣٠٦ .

(٩٨) ق ٧٨ .

(٩٩) ق ٢٢ .

الشروح والتعليقات

١ ـ كوب الدواء : لقب عرف به العباس بن الحسن وزير المكتفي وقد قتل في اول خلافة المقتدر ٢٩٦هـ .

٢ ـ حرفة الادب : الفقر .

٣ ـ هذه الابيات لا يوجد منها في طبعة زهر الاداب التي رجعت اليها سوى البيتين الاول والثاني ، اما البقية فقد ذكرها الدكتور شوقي ضيف في كتابه العصر العباسي الثاني ص ٢١٥ .

٤ ـ لعلها بالصديق .

٥ ـ اي ان يكون المرء عاملا ، ويراد به في هذه العصور اعمال الدولة ومنها تولي الولايات .

٦ ـ بالاصل الحياة ولا يستقيم بها معنى البيت .

٧ ـ يقول المؤرخون ان ابن الفرات (علي بن محمد) استعان بكتاب من ـ النصارى في وزارته للمقتدر دون ان يذكروا تاريخ ذلك ، لان ابن الفرات استوزر ثلاث مرات لمقتدر .

٨ ـ هذه الابيات تنازعها جماعة من الشعراء ، فقد نسبت لجحظة البرمكي في معجم الادباء ، وفي التمثيل والمحاضرة نسب الثالث منها للبحتري وفي المختار من شعر بشار نسبت لابن بسام . وسعد الحاجب هو سعد النوشري الحاجب ، حجب عددا من الوزراء منهم عبيد الله بن يحيى وصاعد بن مخلد واسماعيل بن بلبل . والوزير الخاقاني هو محمد ـ ابن عبيد الله بن يحيى استوزره المقتدر سنة ٢٩٩هـ . وفي ربيع الابرار قال الزمخشري ان سعدا الحاجب كان يحجب عبيد الله بن يحيى والد الوزير الخاقاني محمد ، فتامل .

٩ ـ بالاصل (لتبيره) بالراء .

١٠ـ بالاصل (صائح) ؟ وهو تحريف .

١١ـ سعد الذابح : نجم من النجوم .

١٢ـ لقب عرف به كاتب العباس بن الحسن الوزير واسمه احمد بن محمد .

١٣ـ يلاحظ ان قول الشاعر ثلاثة لا يتفق مع نص الثعالبي بان الشاعر يهجو ابني الفرات .

١٤ـ قوله وزيران يعني ما حصل سنة ٣٠٦هـ حين استوزر حامد بن العباس يساعده علي بن عيسى . وانظر ق ١٥٢ .

١٥ـ لعلها باعراض بالعين المهملة .

١٦ـ كذا في الاصل ، والمشهور ان هذا الوزير هو العباس بن الحسن وقد قتل سنة ٢٩٦ ، كما سبقت الاشارة في الشرح رقم (١) .

١٧ـ في المروج ان الشاعر هو محمد بن بسام ، وهو سهو من الناسخ .

١٨ـ لقب عرف به الاديب النديم المغني احمد بن جعفر البرمكي ت ٣٢٤ وقد ـ كتبت عنه رسالتي للماجستير من جامعة بغداد ، وقد طبعت ١٩٧٧ .

١٩ـ من الاسر التي اشتهرت بالوزارة والادب ، ومنهم رجل اشتهر بضرطته التي نظم فيها الكثير وهو وهب بن سليمان بن وهب .

٢٠ـ الشذوذ الجنسي ، وقد يكون المهجو هو اسماعيل بن بلبل وزير المعتمد .

٢١ـ اراد بها القدر الكبيرة .

٢٢ـ بخد ثيابه ديباجة : هذه الجملة في نفسي منها شيء .

٢٣ـ الصواب العباس بن الحسن ، كما اشرت قبل قليل .

٢٤ـ هذا العجز من الامثال .

٢٥ـ اي الارض المستوية الملساء .

٢٦ـ الطرق ، الشوارع .

٢٧ـ الغزو .

٢٨ـ لعل الصواب : يضرب في قبح وجهه .

٢٩ـ هو ابراهيم بن عرفة ، من علماء النحو المعروفين ، توفي ٣٢٣هـ .

٣٠ـ المخاطب هو الوزير القاسم بن عبيد الله ، ولكن يفهم من الشعر ان الوزير حديث عهد بالاسلام ، ولذلك من المرجح ان الوزير المراد هو صاعد ابن مخلد ، فهو الذي اسلم وتولى الوزارة للمعتمد .

٣١ـ الداران هما دار ابي الحسن بن الفرات ، ودار محمد بن داود بن الجراح والمخاطب هو ابن مقلة لما بنى داره بالزاهر ببغداد من الغصب وظلم الرعية . وانظر ق ١٢٧ .

٣٢ـ هو الخطاط المعروف علي بن مقلة ٣٢٦هـ .

٣٣ـ اراد العلاء ابن الوزير صاعد بن مخلد وزير المعتمد .

٣٤ـ انظر الشرح رقم ١٩ .

٣٥ـ هو عبيد الله بن سليمان بن وهب ، والشاعر يهجوه حين مات ابنه ابو محمد سنة ٢٨٤ وبقي ابنه الاخر . انظر ق ١٩ .

٣٦ـ كذا في الاصل ، وهو غير معقول ابدا ، ولعل الصواب : نهر طابق فالمعلى اي نهر معلى .

٣٧ـ نهر مشهور ببغداد ، وتدل النصوص على وجود نهرين باسم العراة .

٣٨ـ الداية : المرضعة .

٣٩ـ هو شقيق المعتمد وشريكه في الخلافة ، وقد اشتهر بقضائه على ثورة الزنج ت ٢٧٨هـ .

ا ـ المصـــــادر

١ ـ الابانة ـ العميدي ط . دار المعارف مصر ١٩٦١ .
٢ ـ احسن ما سمعت ـ الثعالبي ط . المطبعة المحمودية ـ مصـر .
٣ ـ اخبار ابي القاسم الزجاجي ـ ط . وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٠ ، تحقيق د . عبدالحسين مبارك .
٤ ـ الامثال (مخطوط) ـ منسوب للثعالبي ـ نسخة الاستاذ شاكر العاشور .
٥ ـ البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ط . بيروت .
٦ ـ البصائر والذخائر ـ ابو حيان التوحيـدي ـ مطبعـة الانشاء دمشق .
٧ ـ بهجة المجالس ـ ابن عبدالبر القرطبي ـ الدار المصرية للتاليف والترجمة ١٩٦٧ .
٨ ـ تاريخ الطبري ـ ط . دار المعارف . مصر ١٩٦٩ .
٩ ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي ـ الطبعة الاولى ١٩٣١ .
١٠ـ التحفة البهية ـ مطبعة الجوائب ـ ١٣٠٢هـ .
١١ـ تحفة الوزراء ـ المنسوب للثعالبي ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٧٧ .
١٢ـ التحف والهدايا ـ الخالديان ـ ط . دار المعارف مصر ١٩٥٦ .
١٣ـ التشبيهات ـ ابن ابي عون ـ ط . كيمبرج ١٩٥٠ .
١٤ـ تكملة تاريخ الطبري ـ الهمداني ـ ط . بيروت ١٩٥٩ .
١٥ـ التمثيل والمحاضرة ـ الثعالبي ـ ط . البابي والحلبي ١٩٦١ .
١٦ـ ثمار القلوب ـ الثعالبي ـ مطبعة الظاهر مصر ١٩٠٨ .
١٧ـ الحماسة الشجرية ـ ابن الشجري ـ منشورات وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ١٩٧٠ .
١٨ـ حماسة الظرفاء ـ العبد الكاني ـ منشورات وزارة الاعلام العراقية ـ تحقيق محمد جبار المعيبد .
١٩ـ خاص الخاص ـ الثعالبي مطبعة السعادة مصر ١٩٠٨ .
٢٠ـ ديوان ابي تمام ـ شرح الصولي ـ منشـورات وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد .
٢١ـ ديوان البحتري ـ تحقيق الصيرفي .
٢٢ـ ديوان ابن الرومي ـ تحقيق الدكتور حسين نصار .
٢٣ـ ديوان ابن المعتز ـ منشورات وزارة الثقافة والفنون ـ بغداد .
٢٤ـ ديوان المعاني ـ ابو هلال العسكري ـ نشر مكتبة القدسي .
٢٥ـ زهر الاداب وذيله ـ ط البابي الحلبي الاولى ١٩٥٣ .
٢٦ـ سمط اللالي ـ البكري ـ ط لجنة التاليف والترجمـة والنشر القاهرة ١٩٣٦ .
٢٧ـ شرح مقامات الحريري ـ الشـريشي ـ الطبعـة الاولى ١٩٥٣ ، وكذلك ط . المطبعة العربية الحديثـة ١٩٧٦ القاهرة .
٢٨ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن ابي الحديد ـ الطبعة الثانية ـ دار احياء الكتب العربية ـ مصـر ١٩٦٧ .
٢٩ـ طبقات الشعراء المحدثين ـ ابن المعتز ـ . ، دار المعارف القاهرة .
٣٠ـ العمدة ـ ابن رشيق القيرواني ـ ط . دار الجيل ـ لبنان ١٩٧٢ .
٣١ـ الفخري في الاداب السلطانية ـ ابن الطقطقى ـ ط دار صادر بيروت .
٣٢ـ فوات الوفيات ـ ابن شاكر الكتبي ـ طبعة السعادة ـ مصر ١٩٥١ .
٣٣ـ الفهرست ـ ابن النديم ـ ط . اوربا .
٣٤ـ قطب السرور ـ الرقيق النديم ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق .
٣٥ـ الكنى والالقاب ـ عباس القمي ـ المطبعـة الحيدرية ـ النجف ١٩٧٠ .
٣٦ـ اللباب ـ ابن الاثير ـ ط . القاهرة ١٩٥٧ .
٣٧ـ لطائف المعارف ـ الثعالبي ـ ط البابي الحلبي .
٣٨ـ محاضرات الادباء ـ الراغب الاصفهاني ـ ط . دار مكتبة الحياة بيروت .
٣٩ـ المختار من شعر بشار ـ الخالديان ـ ط . لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ القاهرة .
٤٠ـ مروج الذهب ـ المسعودي ـ ط . السعادة ـ مصر ١٩٥٨
٤١ـ مطالع البـدور ـ الغـزولي ـ مطبعـة ادارة الوطن ـ القاهرة .
٤٢ـ معجم الادباء ـ ياقوت الحموي ـ نشر ماركليوث .
٤٣ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ ط . دار صادر ـ بيروت .
٤٤ ـ معجم الشعراء ـ المرزباني ـ طبعة المستشرق كرنكو ـ نشر مكتبة القدسي ـ القاهرة .
٤٥ـ المنتحل ـ الثعالبي ـ المطبعة التجارية ـ الاسكندرية ١٩٠١ .
٤٦ـ المنتخب من كنايات الادباء ـ الجرجاني ـ طبعة السعادة ـ مصر ١٩٠٨ .
٤٧ـ نشوار المحاضرة ـ التنوخي ـ ط دار صادر ـ بيروت .
٤٨ـ نهاية الارب ـ النويري ـ ط . دار الكتب ـ القاهرة .
٤٩ـ الورقة ـ ابن الجراح ـ ط دار المعارف ـ القاهرة .
٥٠ـ الوزراء ـ الصابي ـ ط . البابي الحلبي ١٩٥٨
٥١ـ الوساطة ـ الجرجاني ـ مطبعة محمد علي صبيح واولاده مصر .
٥٢ـ وفيات الاعيان ـ ابن خلكان ـ طبعة السعادة ـ الاولى تحقيق محيي‌الدين عبدالحميد .
٥٣ـ الهفوات النادرة ـ غرس النعمة الصابي ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ١٩٦٧ .

ب ـ المراجـــع :

١ ـ ابن الرومي ـ حياته من شعره ـ عباس العقاد ـ الطبعة الخامسة ١٩٦٣ .
٢ ـ اعيان الشيعة ـ الامين ـ مطبعة الانصاف بيروت .
٣ ـ جحظة البرمكي ـ الدكتور مزهر السوداني ـ مطبعـة النعمان النجف ١٩٧٧ .
٤ ـ دعبل الخزاعي ـ الدكتور عبدالكريم الاشتر ـ منشورات مجمع اللغة العربية ـ دمشق .
٥ ـ شـعر اليزيديين ـ الدكتور محسن غياض ـ مطبعـة النعمان ـ النجف ١٩٧٣ .
٦ ـ العصر العباسي الثاني ـ الدكتور شوقي ضيف ـ ط . دار المعارف ـ القاهرة .

المخطوطات المغربية
مراكزها، فهارسها ولوائحها

بقلم
حسن جلاب
المركز التربوي ـ مراكش

يعكس التراث المخطوط حضارة كل امة ، ويقف شاهدا على اصالتها وماضيها . نفي المحافظة عليه حفاظ على حضارتها ، وصون لها . وفي احيائه احياء لهذه الحضارة ، ولهذا دابت كل امة على المحافظة على تراثها عموما ، وعلى مخطوطاتها خصوصا واجتهدت في نشرها واحيائها.

ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا بان المغرب يعد من اغنى البلدان العربية في مجال المخطوطات . فهذا غير مستغرب لانه جمع في ارضه بين حضارة المشرق وحضارة الاندلس .

فقد تجمعت فيه نسخ قيمة من المؤلفات الشرقية التي حرص الحجاج المغاربة على اقتنائها واستنساخها اثناء قيامهم باداء الفريضة سواء في ذلك ما وجد بارض الكنانة او بالحجاز . واستقر فيه كذلك ما نجا من الاحراق من المخطوطات الاندلسية خلال النكبات التي عرفها الفردوس المفقود .

واستطاع المغاربة الحفاظ على هذه الكنوز الثمينة : فهم قد نجوا من الاحتلال التركي الذي استولى على كثير من مخطوطات البلدان العربية ، ومنعوا الاستعمار الفرنسي من الاستحواذ على تراثهم المخطوطي :

١ ـ فقد بنى مقدمو زاوية تمكروت بالجنوب المغربي جدار قبروا فيه المخطوطات المهمة ولم يتركوا في قبة الضريح الناصري الا الكتب المتداولة.

٢ ـ وحال المغفور له الملك محمد الخامس بين المستعمرين والتوصل الى مكتبات القصور الملكية ومكتبات المساجد والزوايا حتى ان الملك الحسن الثاني قد وجد في غرف القصر الملكي بفاس صناديق عديدة من المخطوطات المخبأة منذ زمن (١) .

وقد زار الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات العربية في المغرب ، ووقف على المخطوطات المغربية بمختلف المكتبات فقال(٢) : « ما يزال المغرب رغم ما اصابه من محن(٣) غنيا بالمخطوطات العربية . وهذا الغنى لا يتجلى في الكم فقط بل في الكيف . فقد عثرت فيه على كنوز ونوادر من المخطوطات لم اشاهد مثلها في بلد اخر على كثرة تطوافي في البلدان وبحثي عن المخطوطات » .

وفي هذا المقال نعرف القارىء العربي على هذا التراث الضخم بالحديث عن المكتبات المغربية وفهارس ولوائح المخطوطات المحفوظة بها . على ان نصف له نوادر هذه المخطوطات ، ونحدثه عن عيونها في مقالات لاحقة بحول الله . وهكذا

سنتحدث عن المدن المغربية وما فيها من مكتبات عامة ونستعرض فهارسها ولوائحها . ونختتم حديثنا بعرض عن المكتبات الخاصة بالمغرب وبعض فهارسها .

مدينة الرباط

عاصمة المملكة المغربية والمدينة الجامعية الاولى . فيها اغلب الكليات والمدارس العليا . ولهذا فانها تضم قسطا وافرا من المخطوطات لا يوجد في مدينة اخرى من مدن المغرب فيهما : الخزانة العامة ، والخزانة الملكية .

اولا ـ الخزانة العامة

تاسست في عهد الحماية الفرنسية . فقد عين ظهير ١١ يوليوز ١٩١٤ العقيد هنري دوكاستري مؤرخا مستشارا للحكومة المغربية الشريفة ، وكلف بانشاء مصلحة للمستندات .

وفي سنة ١٩١٩ قدر المارشال ليوطي تاسيس خزانة عامة ، وعين دو سنيفال مديرا لها . وتمت اعمال بناء مقر الخزانة سنة ١٩٢٤ . وحدد ظهير فاتح نونبر ١٩٢٦ قانون الخزانة العامة ، وجمعت بعض الكتب المتعلقة بالمغرب . ثم اضيفت اليهما مكتبة زاوية الشيخ ماء العينين الشنقيطي بفاس ، ومكتبة الحاج المختار بن عبدالله السوسي بمكناس ، ومكتبة النادي الالماني بطنجة ، ومكتبة السلطان مولاي عبد الحفيظ بطنجة ، ومكتبة الفرنسيين كلوزيل وبرنار .

وكانت هذه المجموعات اساس الخزانة العامة للحماية الفرنسية بالمغرب سنة ١٩٢٤ .

وفي سنة ١٩٢٩ اضيفت اليها مكتبة لورنيش قنصل فرنسا بالرباط وفي سنة ١٩٣٦ اضيفت اليها مكتبة القسم الاجتماعي بسلا . وفي سنة ١٩٥٨ اضيف اليها ما اوقفه عليها السيد ابن عاشر الرباطي من مخطوطات .

وفي سنة ١٩٥٩ اضيفت اليها مكتبة الباشا الجلاوي بمراكش والشيخ عبدالحى الكتاني من فاس .

وفي سنة ١٩٦٠ اضيفت اليها مكتبة الصدر الاعظم الحاج محمد المقرى ومكتبة وزير العدل السابق الفقيه الحجوي(٤)

تضاف الى هذا المشتريات . فقد داب المسؤولون عن الخزانة العامة منذ تاسيسها على اقتناء المخطوطات المعروضة للبيع في جميع المدن المغربية .

وتحوى الخزانة العامة زهاء ٣٠ الف مخطوط(٥) مرتبة في عدة فروع يميز كل فرع حرف خاص ، وهي :

١ ـ المخطوطات القديمة الموروثة عن الحماية ـ حرف د
٢ ـ مخطوطات عبدالحى الكتاني ـ حرف ك
٣ ـ مخطوطات الجلاوى ـ حرف ج
٤ ـ مخطوطات الاوقاف ـ حرف ق
٥ ـ مخطوطات الفقيه الحجوى ـ حرف ح
٦ ـ مخطوطات محمد المقرى ـ حرف م
٧ ـ مخطوطات التوزانى ـ حرف ت
٨ ـ مخطوطات الجامع الكبير بالرباط ـ حرف خ
٩ ـ المخطوطات المصورة على الشريط ـ
١٠ـ الوثائق

وقد وضعت فهارس ونوائح لجزء كبير من هذه المخطوطات ومازال جزء اخر منها لم يفهرس بعد . واتخذ بعض المهتمين المخطوطات موضوعا لمؤلفاتهم ومقالاتهم فاستعرضوا بعضها وعرفوا به .

وهذه لائحة بهذه الفهارس والقوائم والمؤلفات :

ا ـ مكتبة الحماية الفرنسية

– Les manuscrits arabes de Rabat, Bibliothéque Generale du Protectorat français au Maroc. Paris - Leroux 1921.

من تاليف المستعرب الفرنسي ليفي بروفنصال . يقع في ٢٨٠ صفحة عدا الفهارس المكملة .

استعرض فيه المخطوطات المغربية من رقم ١ الى ٥٤٤ مرتبة بحسب العلوم . يذكر عنوان الكتاب بالعربية ويصفه باللغة الفرنسية ذاكرا اسم صاحبه الكامل وتاريخ وفاته ، وتاريخ نسخ الكتاب ومطلعه احيانا . ثم يثبت هل ذكره بروكلمان في تاريخه ام لا . ويورد رقمه في الخزانة

وطبعاته متى وجدت اما الترتيب المتبع في الفهرس فهــو :

القرآن وشروحه من الرقم ١ الى ٧

علم القراءات من الرقم ٨ الى ١٧

الحديث من ١٨ الى ٨٣

التوحيد والتصوف من ٨٤ الى ١٢٧

الفقه واصوله من ١٢٨ الى ٢٤٢

النحـو من ٢٤٣ الى ٢٧٦

الموسوعات اللغوية والمعاجم من٢٧٧ الى٢٨٨

العروض من ٢٨٩ الى ٢٩٢

البلاغـة من ٢٩٣ الى ٣١٢

الادب (الشعر والمقامات والنوادر) من ٣١٣ الى ٣٦٤ .

التاريخ (كتب التاريخ وتاريخ المغرب وكتب المناقب والتراجم) من الرقم ٣٦٥ الى٤١٤

الجغرافية والرحلات من ٤١٥ الى ٤٣٨

الحساب والتنجيم من ٤٣٩ الى ٤٥٨

الفلاحة والعلوم الطبيعية من ٤٥٩ الى ٤٦٢

الاوفاق والسـحر وتعبـير الرؤيـا من ٤٦٣ الى ٤٧٨ .

الطـب من ٤٧٩ الى ٤٨٦

الموسيقى من ٤٨٧ الى ٤٨٩

المجاميع من ٤٩٠ الى ٥٤٤

وختم مؤلفه بثلاثة فهارس كشافة الاول في مطابقة الارقام الترتيبية لارقام الكتب في الخزانة، والثاني للاعلام بالفرنسية والثالث لاسماء الكتب باللغة العربية .

٢ ــ فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح . تاليف ي س علوش وعبدالله الرجراجي في جزءين طبع الجـزء الاول بمدينة الدار البيضاء سـنة ١٩٥٤ يقـع في ٣٨٠ صفحة يبدا حيث وقف الفهرس السابق الذكر اي ٥٤٥ وينتهي في الرقم ١٧٨٠ :

المصاحف من ٥٤٥ الى ٥٦٠

القراءات والتجويد من ٥٦١ الى ٥٧٣

التفسير من ٥٧٤ الى ٧١٠

الحديث من ٧١١ الى ٨١٠

السيرة النبوية من ٨١١ الى ٩٢٨

العلوم الدينية من ٩٢٩ الى ١٠٣٤

التصوف والوعظ من ١٠٣٥ الى ١١٦٨

الاوراد والاذكار من ١١٦٩ الى ١٣٢٨

الفقه من ١٣٢٩ الى ١٦٤٠

النحـو من ١٦٤١ الى ١٧٢١

اللغة من ١٧٢٢ الى ١٧٥٣

العروض من ١٧٥٤ الى ١٤٦٧

البيان من ١٧٦٨ الى ١٧٨٠

اما الجزء الثاني من الفهرس فقد طبع بالرباط سنة ١٩٥٨ يقع في ٣٧١ صـفحة تبتدىء برقـم ١٧٨١ وتنتهي برقـم ٢٧٦٥ ، ويشـتمل علـى الموضوعات الآتية :

الآداب من ١٧٨١ الى ٢٠١٨

التاريخ من ٢٠١٩ الى ٢١٣٩

الانساب من ٢١٤٠ الى ٢١٧٥

التراجم والمناقب ٢١٧٦ الى ٢٣٣٣

الجغرافية والرحلات ٢٣٣٤ الى ٢٣٦٢

المنطـق من ٢٣٦٣ الى ٢٤٠٦

السياسة من ٢٤٠٧ الى ٢٤٢٣

العلوم الرياضية من ٢٤٢٤ الى ٢٤٤٦

العلوم الطبيعية من ٢٤٤٧ الى ٢٤٥٧

علم الفلاحة من ٢٤٥٨ الى ٢٤٦٤

الكيمياء من ٢٤٦٥ الى ٢٤٨١

الفلك والتنجيم من ٢٥٧٠ الى ٢٥٨٦

الاوفاق والجداول من ٢٥٨٧ الى ٢٦٣٩

الطـب من ٢٦٤٠ الى ٢٧٥٩

الموسيقى من ٢٧٦٠ الى ٢٧٦٥

والفهرس مذيـل بفهارس كشـافة للاعـلام والكتب باللغة العربية . وطريقة المؤلفين في وضع هذا الفهرس تشبه الطريقة المتبعة في فهرس ليفى بروفنصال السابق الذكر .

(٣)

Inventaire Sommaire des manuscrits arabes acquis par la bibliothéque générale du protectorat français au Maros 1929 - 1930 par Blachére et H.P.J. Renuad. HESPERIS 1931 Tome 12 Fascicule 1 page 108-133.

تناولا بالحديث المخطوطات التـي دخلـت الخزانة بـين ١٩٢٩ و ١٩٣٠ . واستعرضـا ٩٨

مخطوطا في علوم مختلفة . يذكران رقم المخطوط الترتيبي ثم اسم الكتاب وصاحبه بالعربية ويكرران ذلك باللغة الفرنسية مع ذكر تاريخ نسخ المخطوط وعدد اوراقه ورقمه بالخزانة العامة ، وهل ذكره بروكلمان في تاريخه او غيره من المهتمين بفهارس الكتب .

(٤) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامةللكتب والوثائق بالمغرب، في جزءين. طبع الاول بمطبعة التومى بالرباط سنة ١٩٧٣ في ٣٣٢ صفحة .

ويتضمن وصف المخطوطات التي دخلت الى الخزانة بين سنتى ١٩٥٤ ــ ١٩٥٧ . اي ١٠٥٦ مخطوطا مرتبة من حيث وقف الفهرس السابق ٢٧٦٦ الى ٣٧٢١ :

المصاحف من ٢٧٦٦ الى ٢٧٨٧

القراءات والتجويد من ٢٧٨٨ الى ٢٨٢٢

علم التفسير من ٢٨٢٣ الى ٢٨٧١

الحديث من ٢٨٧٢ الى ٢٩٤٤

السيرة النبوية من ٢٩٤٥ الى ٣٠١٣

التوحيد من ٣٠١٤ الى ٣١٢٣

المنطق من ٣١٢٤ الى ٣١٦٠

اصول الفقه من ٣١٦١ الى ٣١٨٤

فقه المذاهب والخلاف العالي من ٣١٨٥ الى ٣٤٧٣

الوعظ من ٣٤٧٤ الى ٣٥١٧

التصوف والسلوك من ٣٥١٨ الى ٣٧٢١

اما الجزء الثاني فيشتمل على وصف ٩٦٠ مخطوطا من ٣٧٢٢ الى ٤٦٨١ . لم يظهر بعد الى الوجود .

(٥) فهرس المخطوطات المصورة بالرباط بواسطة بعثة اليونسكو التي زارت المغرب سنة ١٩٦٢ وصورت ١٢٠٠ مخطوط . ١٩ منها من المكتبة العامة بالرباط، وردت اسماؤها فيلائحة المصورات التي نشرت بعد الزيارة من الرقم ١ الى ١٩ .

(٦) مخطوطات في الموسيقى الاندلسية : عبارة عن ٢٣ مخطوطا يوجد اغلبها في المكتبة العامة . مطبوع على الالة الكاتبة في خزانة ابن يوسف العمومية بمراكش ملف رقم ٩٨ .

(٧) المخطوطات التونسية بالمغرب : نماذج من الكتاب المغربي المخطوط والمطبوع . كتيب من اعداد محمد المنونى ، نشرته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بمناسبة الاسبوع الثقافيالمغربي بتونس ١٧ ــ ٢٣ يوليوز ١٩٧٦ طبع بالمحمدية في ٦٧ ص .

والمخطوطات الموجودة بالخزانة العامة تحمل ارقام : ٢-٦-٧-١٠-١١-١٢-١٣-١٦-١٩-٢٠-٢٢-٢٥-٢٦-٢٧-٣٠-٣١ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٩ - ٤٠ - ٤٢ - ٤٧ - ٤٩ - ٥١ - ٥٢ من الكتاب .

(٨) التراث العربي في المغرب ، وقضية التواصل بين المشرق والمغرب مقال لمحمود محمد الطناحى نشر في مجلة دعوة الحق المغربية عدد نونبر ١٩٧٦ ص ٩٣ ــ ١٠٥ .

تحدث فيه عن اقبال المغاربة على العلوم وتأثرهم اول الامر بالمشارقة ثم استقلالهم وظهور شخصيتهم ابتداء من ظهور القاضي عياض ونبوغهم في علمين خاصة هما القراءات والنحو . وانتقل الى الحديث عن المكتبات العربية وما صادفته من اهوال وكوارث واستثنى من ذلك المكتبات المغربية التي بقيت بعيدة عن كثير من صراعات المشرق فسلمت كتبها وذخائرها.واستعرض اهم المكتبات المغربية وما تحويه من ذخائر . اورد ٢٢ من نوادر مخطوطات الخزانة العامة .

(٩) الطب والاطباء بالمغرب لعبدالعزيز بنعبدالله . المطبعة الاقتصادية ١٣٨٠ / ١٩٦٣٠. ذكر فيه ١٠ مخطوطات طبية من نوادر مخطوطات هذه الخزانة .

(١٠) المخطوطات العربية الطبية بمكتبة الرباط ليرينو نشر بمجلة الجمعية الفرنسية لتاريخ الطب العدد ١٧ لسنة ١٩٢٣ صفحة ٢٦٩ الى ٢٧٧ .

(١١) نوادر المخطوطات في المغرب . تقرير كتبه الدكتور صلاحالدين المنجد بعد زيارته للمغرب . نشر بمجلة معهد المخطوطات العربية . المجلد ٥ ج ١ صفحات ١٦١ الى ١٩٤ استعراض فيه ٤١ من نوادر مخطوطات هذه الخزانة .

(١٢)
Les Bibliothéques au Maroc et quelques uns de leurs manuscrits les plus rares Mohamed El Fassi. HESPERIS 1961. Tome 2 Fascicule 1. pages 135 - 145.

استعرض فيه ٣٢ مخطوطا من نوادر هــذه الخزانة

ب ــ مكتبــة عبدالحى الكتانى

حولت مكتبة عبدالحى الكتانى الى الخزانــة العامة بالرباط سنة ١٩٥٩ . وهــي مــن اعظـم المكتبات المغربية الخاصة . ويحدثنا عنها الاستاذ عبدالله الجرارى عندما زارها وهي مازالت فــي ملكية صاحبها قائلا : « وانها مكتبة تدهش المثقف عموما ، والباحث خصوصا عندما يقع نظره علـى مجلداتها المقدرة بعشرة آلاف »(٦) .

وهي مع اهميتها لم يوضع لها فهرس جامع، وانما نتعرف على بعض كنوزها بواسـطة بعـض النشرات منها :

(١٣) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فــي الخزانة العامة بالرباط ، قسم ك . الجزء الاول ، مطبوع بواسطة الآلة المكررة ، نشر وزارة الدولــة المكلفة بالشؤون الثقافــية سنة ١٣٩٤/١٩٧٤ . وضعه الاستاذ محمد المنونى .

يشتمل على ٤٠٤ مخطوط . مرتبة بحسب المواد . واتبع في ترتيب كل مادة قاعدة التسلسل التاريخي للمؤلفين ، مع الحاق كل من لم يجد لهم ترجمة بآخر كل مادة .

ويذكر المؤلف اسم صاحب المخطوط وتاريخ وفاته ، ثم اسم المخطوط وتاريخ نسخه وعـدد صفحاته ومطلعه احيانــا وهــل ذكــر في كتــب الببليوغرافيا ٢ ورقمة الترتيبي في الخزانة ، اما الترتيب المتبع .

المصاحف : ٢

التفسير وملحقاته من الرقم ٣ الى ٢٢
الحديث وملحقاته من ٢ الى ٦٧
السـيرة النبوية من ٦٨ الى ٨٩
التراجم وملحقاته من ٩٠ الى ١١٩
التوحيــد من ١٢٠ الى ١٥٣
فقه المذاهب الاربعة من ١٥٤ الى ٢١٤ كل مذهب على حدة .
اصول الفقــه من ٢١٥ الى ٢٢١
الجدل والمنطق من ٢٢٢ الى ٢٢٦
الوعظ من ٢٢٧ الى ٢٣٢
التصوف والاذكار من ٢٣٣ الى ٣٠٤
النحو ، اللغة ، البيان من ٣٠٥ الى ٣٢٩
الادب من ٣٣٠ الى ٣٤٧
الرحلات من ٣٤٨ الى ٣٥٠
الطب من ٣٥١ الى ٣٥٥
الكيمياء والرياضيات من ٣٥٦ الى ٣٦٠
الهيئة والفلك من ٣٦١ الى ٣٧٤
الاوفاق والسحر من ٣٧٥ الى ٣٨٧
الموسيقى ، علوم متنوعة من ٣٨٨ الى ٤٠٤

(١٤) شذرات تاريخية من ١٩٠٠ الى ١٩٥٠ ، للاستاذ عبدالله الجرارى . طبع بالدار البيضـاء سنة ١٣٩٦ / ١٩٧٦ . استعرض فيه صاحبهنوادر المخطوطات التي وقف عليها مــع صاحب المكتبـة الكتانية عند زيارتها ، ومادار بينهما من احاديـث حول قضايا العلم والعلماء بالمغرب .

فهرس المخطوطات المصورة بالرباط بواسطة بعثة اليونسكو سنة ١٩٦٢ . وفي النشـرة ذكـر لمائة وخمس مخطوطات تم تصويرها من الخزانــة الكتانية من الرقم ٢٠ الى ١٢٥ .

(١٥) لائحة المخطوطات الكتانية بالخزانة العامة في ٤ كراسات من نشر وزارة الثقافــة ، بواسـطة الالة المكررة سنة ١٩٧٣ .

نوادر المخطوطات في المغـرب مــن اختيــار صلاح الدين المنجد مجلة معهد المخطوطات العربيـة المجلد ٥ الجزء ١ صفحة ١٦١ الى ١٩٤ ، انتقى ٢٢٦ مخطوطا من نوادر الخزانة الكتانية في مختلف العلـوم .

ج ــ مكتبــة الجــلاوى

هي مكتبة باشا مدينة مراكش علـى عهـد الحماية التهامى الجلاوى تمت مصادرتها وضمها الى الخزانة العامة سنة ١٩٥٩ . وتشتمل علـى زهاء ١٤٠٠ مخطوط ، من قوائمها :

(١٦) قائمة قديمة مخطوطة توجد بنفس الخزانة تحت رقم ١٠٦ج .

(١٧) لائحة المخطوطات الجلاوية بالخزانة العامة في كراسة . طبعت بواسطة الآلة المكـررة . نشـر وزارة الثقافة سـنة ١٩٧٣

نوادر المخطوطــات في المغـرب مــن اختيار صلاح الدين المنجد . مجلة معهد المخطوطات العربية

مجلد ٥ ، ج١ صفحة ١٦١-١٩٤ . وصف فيها ١٠٤ مخطوط من نوادر الخزانة .

د ــ مخطوطات الاوقاف

اهتمت سلطة الحماية بالمخطوطات والخزانات العلمية المغربية ، فعينت سنة ١٩١٤ الشيخ عبدالحى الكتاني مفتشا عاما لمكتبات فاس ؛ وكلفته باعداد فهرس للمخطوطات بمكتبات المدينة وطبق نفس البرنامج في مراكش ١٩١٥ .

وفي سنة ١٩١٦ ، وجهت رسائل الى نظار الاحباس طالبة منهم وضع قوائم للمخطوطات والمطبوعات التي توجد بدوائر عملهم . وتم احصاء حوالى ١٠ الاف كتاب بهذه الطريقة ، نقلت بعض نوادرها الى الخزانة العامة بالرباط(٧) .

ويبلغ عدد مخطوطات الاوقاف ١٢٠٠ مخطوط ، وردت في :

(١٨) لائحة مخطوطات الاوقاف بالخزانة العامة في كراستين . مطبوع بواسطة الآلة المكررة . نشر وزارة الثقافة سنة ١٩٧٣ .

(١٩) نوادر المخطوطات الحبسية . نشرة صادرة عن وزارة عموم الاوقاف في مارس ١٩٦٢ /شوال ١٩٨١ عن المطبعة الملكية . عدد هذه النوادر ١٣٠ منها :

المصاحف والتفسير ٢١ مخطوطا

الحديث ٢٣

السيرة ٧

الفقه وملحقاته ١٠

النحو واللغة ٢٦

الادب ١٣

التاريخ ٢١

الفلك ٢

الطب ٧

هـ ــ مكتبة الفقيه الحجوى

الفقيه الحجوى وزير عدلية سابق ، ضمت مكتبته الى الخزانة العامة بالرباط سنة ١٩٦٠ . وتشتمل على حوالي ٣٠٠ مخطوط ، وردت في :

(٢٠) لائحة المخطوطات الحجوية بالخزانة العامة في كراسة مطبوعة بواسطة الآلة المكررة ، من نشر وزارة الثقافة سنة ١٩٧٣ .

(٢١) يضاف الى هذا ما اهداه المرحوم ابن عاشر بن ابراهيم الى الخزانة العامة من مخطوطات بلغت ٤٠٠ . اغلبها في الفقه المالكى . طبعت لائحتها على الآلة الكاتبة في ١٥ صفحة ، توجد نسخة منها في مكتبة ابن يوسف العمومية ، ملف رقم ٨٢ .

ثانيا ــ المكتبة الملكية

عرف ملوك المغرب منذ اقدم العصور باهتمامهم بالعلوم ، وتشجيعهم للعلماء ، واقتنائهم لنوادر الكتب . وقد تكونت للاسرة المالكة بذلك خزانة نفيسة تضاهى الخزانات العامة .

وعندما يثار الحديث عن الخزانة الملكية نتذكر بكثير من الحسرة ضياع ٣٠٠٠ مخطوط منها في عهد زيدان بن المنصور السعدى المتوفى سنة ١٠٣٧هـ . والتي حولها القراصنة الى اسبانيا بعدما اعترضوا طريق سفينة فرنسية كلفت بنقلها الى سوس بالجنوب المغربي . ولم تفلح الوساطات على جميع المستويات في اعادتها الى المغرب .

وقد ذكرنا هذه المكتبة الخاصة ضمن المكتبات العامة لان ملك المغرب قد فتح ابوابها في وجه المثقفين والباحثين . فقد نقل الى الرباط ما وقع العثور عليه من مخطوطات في قاعة بالقصر الملكي بفاس ، وكلف رئيس الجامعة آنذاك الاستاذ محمد الفاسى بتنظيم الخزانة ووضع فهارسها . وتكلف الاستاذ محمد المنونى بوضع جذاذات الفهرس التي جاوز ما تم وضعه منها الحد الآن عشرة الاف مخطوط(٨) .

ويمكننا التعرف على ذخائر هذه المكتبة في :

(٢٢) فهرس ببعض نفائس مخطوطات الخزانة السلطانية من اعداد محمد الفاسى نشره في مجلة البحث العلمي التي تصدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي بالمغرب ، اعداد ٣ (١٠ ــ ٣٢) و ٤ ــ ٥ (صفحات ٦٧ ــ ٨٦) وعدد ٦ (صفحات ٢٤ ــ (٣٤) ٧ (٥ ــ ١١) وقد استعرض في هذه المقالات ١٥١ مخطوطا من نوادر هذه الخزانة :

الادب ٤٠ مخطوطا

الفهارس ٣

الرحلات ١٠

التاريخ ١٤

القرآن ٢

السيرة النبوية ٥
الجغرافية ٣
الانساب ٦
التراجم ٤
القراءات ٣
التجويد ٢
الطب ٢١
الفقه ٦
النحو والصرف ٦
التفسير ٤
علم الفلك ١٠
اللغة ٦
العلوم الطبيعية والموسيقى ٦

(٢٣) فهرس ببعض ذخائرها في مجلد انجز معظمه الاستاذ محمد المنوني وسيصدر قريبا عن مطبعة فضالة(٩) .

(٢٤) فهرس المؤلفات التاريخية والجغرافية بنفس الخزانة ، اعداد محمد عبدالله عنان ، وهو معد للنشر (٩) .

(٢٥) فهرس عام للخزانة الملكية انجز الجزء الاول منه الاستاذ محمد المنوني ، وهو في طريق الاعداد والنشر(٩) .

— المخطوطات التونسية بالمغرب . من نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بمناسبة الاسبوع الثقافي المغربي بتونس ١٧—٢٣ يوليوز ١٧٩٦ . طبع بالمحمدية . عرف فيه محمد المنوني بالمخطوطات التونسية بهذه الخزانة وتحمل ارقام : ٩ — ٢١ — ٢٨ — ٢٩ — ٢٨ — ٤١ —٤٣— ٤٤ — ٤٥ — ٤٨ — من المقال .

— التراث العربي في المغرب وقضية التواصل بين المشرق والمغرب لمحمود محمد الطناحي . دعوة الحق نوفمبر ١٩٧٦ من ٩٢ — ١٠٥ . استعرض فيه ٢٦ من نوادر المخطوطات العربية بهذه المكتبة .

وهذه الفهارس والنشرات لا تعطي نظرة حقيقية عما في هذه الخزانة من ذخائر ونفائس ، فقد وقف فيها الباحثون على كتب اعتبرت مدة طويلة في حكم المفقود .

ولعل المجهودات التي تبذل في اعمال الفهارس كفيلة بان تطلعنا على هذه النفائس فيما يستقبل من الزمان .

خزانة القرويين بفاس

مدينة فاس هي العاصمة العلمية للمملكة، تتوفر على عدة مكتبات ملحقة بالمساجد والزوايا . الا ان اعظم مكتباتها هي خزانة القرويين . تحدث عنها ابن القاضي (١٠٢٥ هـ) في اوائل كتابه جذوة الاقتباس فقال : (واما خزانة الكتب التي يدخل اليها من اعلى المستودع الذي بها فانه لما كان من راى ابن عنان(١٠) حب العلم وايثاره والتهمم فيه والرغبة في انتشاره ، والاعتناء باهله انتدب بان صنع هذه الخزانة واخرج لها من الكتب المحتوية على انواع من العلوم كعلوم الاديان والابدان والاذهان واللسان وغير ذلك من العلوم على اختلاف انواعها ، وعين لها قيما ليضبطها وذلك في جمادى الاولى سنة ٧٥٠ هـ) .

وقد اهتم الملوك الذين جاءوا بعده بعمارة الخزانة ، وعلى الاخص السلطان السعدي المنصور الذهبي(١١) الذي اضاف الى الخزانة المرينية جناحا . واقتفى اثره في العناية بها ملوك الدولة العلوية الشريفة حتى بلغت ما بلغته الآن من شهرة في انحاء العالم لاحتوائها على نوادر ونفائس لا توجد في غيرها(١٢) اما فهارسها وقوائمها فهي :

(٢٦) فهرس جامع لمخطوطات القرويين ، من صنع المرحوم محمد العابد الفاسي المتوفى سنة ١٩٧٥ ، يقع في ٥ مجلدات ، لايزال مخطوطا .

(٢٧) فهرس نوادر خزانة القرويين ، من انتقاء محمد العابد الفاسي نشرته مجلة معهد المخطوطات في المجلد ٥ ، الجزء ١ مايو ١٩٥٩ صفحة ٢ الى ١٦ . استعرض فيه ٨١ مخطوطا من نوادرها في التراجم والادب والفقه واللغة .

(٢٨) لائحة خزانة القرويين اعدها عالمان من فاس ، وقدمها المستعرب الفرنسي الفريد بيل فنسبت اليه باسم (برنامج يشتمل على بيان الكتب العربية الموجودة بخزانة جامع القرويين بعاصمة فاس) نشرت بالمطبعة البلدية بفاس سنة ١٩١٧ في ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط .

(٢٩) قائمة باسماء المخطوطات الموجودة في خزانة القرويين في ٤ كراسات نشرتها وزارة الثقافة بواسطة الاله المكرره سنة ١٩٧٣ تشتمل على ١٥٤٦ مخطوطا .

(٣٠) قائمة لنوادر المخطوطات العربية المعروضة في مكتبة جامعة القرويين بفاس بمناسبة مرور مائة والف سنة على تاسيس هذه الجامعة . نشر

وزارة التهذيب الوطني والشبيبة والرياضة سنة ١٩٦٠ . تشتمل على ٢٤٩ مخطوطا اغلبها من خزانة القرويين .

(٢١) معرض المخطوطات العربية بمكناس ـ محمد المنوني ـ عرض فيه ١٩ مخطوطا من نوادر هذه الخزانة . مجلة تطوان عدد ٣ـ٤ مزدوج صفحة ٩٧ ـ ١٠٨ سنة ١٩٥٩ .

ـ التراث العربي في المغرب ، وقضية انتواصل بين المشرق والمغرب لمحمود محمد الطناحي ، دعوة الحق نوفمبر ١٩٧٦ ص ٩٣ ـ ١٠٥ . ذكر فيه ٢٠ مخطوطا من نفائسها .

ـ الطب والاطباء بالمغرب ، عبدالعزيز بنعبدالله المطبعة الاقتصادية ١٩٦٠ . استعرض فيه ١٢ مخطوطا من هذه الخزانة بالاضافة الى مقالات وارجيز في الاعشاب والعقاقير منها كذلك .

(٣٤)
J. SCHACHT - Sur quelques manuscrits de la Bibliothéque de la mosquée d'Alquarawin à Fes in : Etudes d'orientalisme dedieés à la mémoire de Levi Provençal. T. 1. Paris 1962 Pages 271 - 284.

خزانة ابن يوسف بمراكش

تعتبر مدينة مراكش احدى عواصم المغرب الشهيرة . فقد ظلت طوال حكم الدولة المرابطية والدولة الموحدية ، والسعدية عاصمة للبلاد ، ومقر حكومتها ، ومحط انظار العلماء والسفراء والمثقفين . فورثت عن ذلك العديد من المخطوطات نقل بعضها الى الرباط مع مانقل من مخطوطات الاوقاف ، وبقى بعضها في خزانة ابن يوسف العمومية(١٢) .

وقد تم تاسيسها منذ العصر السعدى وعرفت تطورا هائلا منذ التاسيس . وتتميز الآن عن باقي اخواتها بالتنظيم والتبويب الحسن ، والعناية الفائقة بطلبة العلم والباحثين وتسهيل مهمتهم .

وقد وضع محافظها فهارس دقيقة للمخطوطات التي تتوفر عليها المكتبة ، وهي :

(٢٣) الفهرس المفصل لمخطوطات خزانة ابن يوسف . وضعه الاستاذ الصديق بن العربي . يقع في ٩ اجزاء مضروبة على الآلة الكاتبة سنة ١٩٦٥ . يتناول فيه اسم الكتاب ومؤلفه وتاريخ وفاته ، واجزاء الكتاب ، محبسه محل الحبس ، نوع الخط،المسطرة ، المقياس ، ورقمه في الخزانة الناسخ ، الفراغ من التاليف ومكانه ، مكان النسخ ومطلع الكتاب . وهذا ادق فهرس قرائه .

الجزء الاول : يشتمل على دراسة مفصلة للمصاحف (١ ـ ٢٥٧) وعلوم القرآن (من الرقم ٢٥٨ الى ٣٠٥) التفسير (من ٣٠٦ ـ ٣٩٤) السيرة والشمائل والامداح (٤٣٦ ـ ٦٣٦) اصول الدين (من الرقم ٦٣٧ ـ ٧٤٧) .

الجزء الثاني : الحديث (من ٣٩٥ ـ ٤٣٥)

الجزء الثالث : اصول الفقه (من الرقم ٧٤٨ ـ ٧٧٢) . الفقه (من الرقم ٧٧٣ ـ الى ١١٠٤) .

الجزء الرابع : الفقه ـ تابع ـ من الرقم ١٠١٥ الى ١٠٦٩ فقه المذاهب من ١٠٧٠ الى ١٠٨١ . التصوف ١٠٨٢ الى ١١٥١ .

الجزء الخامس : اللغة والادب والعروض والبلاغة والمنطق من الرقم ١١٥٢ ـ الى ١٣٥٢ .

الجزء السادس : التاريخ من ١٣٥٣ الى ١٤٣٥ . العلوم من ١٤٣٦ ـ الى ١٤٥٠ .

الجزء السابع : كتب مختلفة ١٤٥١ ـ الى ١٥١٨ .

الجزء الثامن : المجاميع ١٥١٩ الى ١٦٠٨ وتحدث في هذا الجزء عن مضمون كل مجموع على حدة .

الجزء التاسع : عبارة عن كشاف مساعد يشتمل على :

ـ لائحة مجردة بعناوين المخطوطات مرتبةحسب الارقام ويشتمل على ٦٦٦ رقم .

ـ معجم اسماء المؤلفين ومؤلفاتهم باعتبار الترتيب الهجائي للمؤلفين .

ـ فهرس عناوين المخطوطات مرتبة ترتيبا هجائيا ومعها ارقامها واسماء مؤلفيها .

ـ فهرس مفصل للمجاميع مرتب حسب اسماء المؤلفين .

ـ معلومات مختلفة تتضمن : اسماء الاماكن التي نسخت بها الكتب ـ الخزائن التي جلبت منها

مخطوطات ابن يوسف ــ الكتب المحبسة علـى اماكن خارج مراكش ــ اسماء المحبسين من الملوك الموحدين والمرينيين ــ اسماء المحبسين من الملوك السعديين ــ ثم العلويين ــ اسماء المحبسين من الافراد ــ اسماء المحبسات .

(٣٤) الفهرس الموجز لخزانة ابن يوسف، اعده امينها الاستاذ الصديق بن العربي ؛ مطبوع على الآلة الكاتبة سنة ١٩٧٧ مرتب على حسب ارقام المخطوطات في الخزانة وعددها ٧١٨ ويليه فهرس للمجاميع وما تحتوي عليه .

(٣٥) لائحة المخطوطات الموجودة بخزانة ابن يوسف بمراكش اعده امينها الاستاذ الصديق بن العربي من منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ــ مطبوع بواسطة الآلة المكررة سنة ١٩٧٣ ، يشتمل على ٧١٨ مخطوط :

المصاحف ١٣
الفقه ٢٣٦
اللغة ٤٦
الادب ٥٤
الحديث ٥٢
التصوف ٧٦
العقائد ٢٧
التاريخ ١٦
كتب مختلفة ٨
السيرة ١١
النحو ٧٨
المنطق ٧
الحساب والتوقيت ٩
التفسير ٤٦
القراءات ٢٦
الطب ٨
المناقب ٦

(٣٦) لائحة بنوادر المخطوطات بخزانة ابن يوسف ، من انتقاء الاستاذ الصديق بن العربي ، مطبوع بواسطة الالة الكاتبة في شتنبر ١٩٧٥ . اختار فيها ٢١٤ من المخطوطات مرتبة بحسب ارقامها في الخزانة .

(٣٧) لائحة باسماء المؤلفين وارقام مخطوطاتهم، مطبوع بواسطة الآلة الكاتبة ، ومرتب حسب الترتيب الابجدي ، استعرض فيه ٤٢٤ مؤلفا .

(٣٨)
G - DEVERDUN, Un registre d'inventaire et de Prêt de la bibliothéque de la mosquée Ali ben Youssef à Marrakech. daté de 1111 de Heg. / 1780. in HESPERIS 31 / 1944 pages 55-59

المكتبة العامة بتطوان

كانت بتطوان مخطوطات كثيرة اودت بها يد الحدثان ؛ فقد احتلت المدينة عسكريا من طرف الاسبان سنة ١٢٧٢/١٨٦٠ في الحرب التي دارت بينهم وبين المغاربة ، ففر منها اهلها ناجين بانفسهم تاركين املاكهم . فنهبت نفائس المكتبات ونقلت الى المدن الاسبانية .

ولحسن الحظ لم تتعرض مكتبة المسجد الاعظم لنهب المحتل الاسباني ، الا ان ما طرا عليها من تنقلات ، ومن اخلاف ايدي المتصرفيين كان له تاثير في فقد اكبر عدد مما كانت تحتوى عليه من الكتب الثقيمة[14] .

وهذه الذخائر محفوظة الآن في المكتبة العامة بتطوان التي اسست في العقود الاولى من القرن العشرين . وتشتمل على فرع للمخطوطات (عددها ١٧٣٥) والوثائق التاريخية نقف عليها في :

(٣٩) فهرس الكتب النادرة ، نشر بالاسبانية سنة ١٩٤٢ من العرائش .

(٤٠) قائمة المخطوطات بالمكتبة العامة بتطوان ، القسم الاول اعداد : محافظة المكتبة . نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ، طبع بواسطة الالة المكررة سنة ١٩٧٣ يشتمل على ٤٥٠ مخطوطا :

الادب من ١ الى ١١٢
الادب الشعبي ١١٣ الى ١٢٠
التاريخ من ٣٧٦ الى ٤٠٠
التراجم والمناقب من ٤٢١ الى ٤٥٠
ادعية واذكار ١٢١ الى ٣٢٧
الاوفاق والجداول ٢٣٩ الى ٣٧٥
التجويد ٤٠١ الى ٤٢٠

(٤١) من نوادر المخطوطات العربية في تطوان ؛ لعبدالله كنون ، فصل من كتاب خل وبقل ص١٢٠ الى ١٤٧ . ونشر في مجلة معهد المخطوطات العربية

العدد ٢ السنة ١ . استعرض فيه ٤٦ من هذه النوادر .

ـ الطب والاطباء بالمغرب. عبدالعزيز بنعبدالله. المطبعة الاقتصادية ١٩٦٠/١٣٨٠ . وصف فيه ٨ مخطوطات طبية من هذه المكتبة .

(٤٢) البيان العام للوثائق التاريخية الموجودة بالمكتبة العامة بتطوان نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة ، مطبوع بواسطة الآلة المكررة سنة ١٩٧٣ .

تضم مكتبة تطوان نحو عشرين الف وثيقة مابين اصل ونسخة وصورة ، مرتبة زمنيا في ١٧٠ محفظة . وهي عبارة عن ظهائر شريفة ورسائل للوزراء والعمال والقواد والسفراء الاجانب وبطائق للامناء وقوائم للمجميين ، ورسائل عائلية للطريس بداية من عهد السلطان محمد بن عبدالله حتى اوائل الحماية . وتعتبر وثائق عصر مولاي الحسن الاول ومولاي عبدالعزيز من اكثر واهم ما يوجد بالخزانة ، وموضوعاتها متنوعة :

من المحفظة ١ الى ١٢ : ظهائر السلطان الحسن الاول من المحفظة ١٣ الى ٣٥ : خاصة بظهائر مولاي عبدالعزيز وعبدالحفيظ ووزرائهما وعمالهما وقوادهما ورجال دولتهما .

من المحفظة ٣٦ الى ٦٩ : خاصة بالدبلوماسية والشؤون الخارجية .

من المحفظة ٧٠ الى ١٧٠ : رسائل ووثائق لعموم موظفي المخزن ، ووثائق عدلية ، ودفاتر خصوصية ووثائق متنوعة .

(٤٣) فهرس الوثائق التاريخية نشر منه ٣ اجزاء من القطع المتوسط الاول من اعداد احمد المكناسي ومصطفى الكوش سنة ١٩٦١ .

الثاني من اعداد احمد المكناسي ومحمد الغازي الرويفي سنة ١٩٦٥ .

الثالث من اعداد المهدي الدليرو محمدالغازي الرويفي سنة ١٩٧٠ .

(٤٤) حول بعض المخطوطات في بغداد وتطوان لهونرباخ في مجلة الشرق عدد ٨ سنة ١٩٥٥ صفحة ١٠٩ الى ١١٩ .

خزانة الجامع الكبير بمكناس

يرجع تاريخ تاسيسها الى العصر المريني وتضم زهاء ٥٠٠ مخطوط يمكن الوقوف عليها في لوائح من وضع المحافظ :

(٤٥) لائحة المخطوطات الموجودة بخزانة الجامع الكبير بمكناس نشر المديرية العامة للثقافة ؛ مطبوع بواسطة الآلة المكررة ضمن سلسلة التراث المخطوط سنة ١٩٧٢ ، من اعداد السيد اجانا ، امين الخزانة .

وتشتمل اللائحة على ٤٩٣ مخطوطا اغلبها في الحديث والفقه المالكي والسيرة النبوية ، وتكاد تنعدم فيها مؤلفات الادب واللغة .

(٤٦) معرض المخطوطات العربية بمكناس : اقيم في المعهد الموسيقي بين ١٨ـ٢٥ شعبان ١٣٧٧ موافق ١٠ـ١٦ مارس ١٩٥٨ . جمع فيه حوالي ١٠٠ مخطوط من مختلف المكتبات المغربية .

وقد عرف الاستاذ محمد المنوني بـ ٨٥ من نوادرها واستعرض باقي المخطوطات على صفحات مجلة تطوان عدد ٣ـ٥ سنة ١٩٥٨ ـ١٩٥٩ (٩٧ ـ ١٠٨) .

وقد تحدثت عن مخطوطات مكناس من الرقم ٨٠ الى ٩٤ .

خزانة الجامع الاعظم بتازة

اسست في العصر المريني كذلك ، وتضم زهاء ٧٠٠ مخطوط نجدها في :

(٤٧) لائحة المخطوطات الموجودة بخزانة المسجد الاعظم بتازة نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة .

طبع بواسطة الآلة المكررة الجزء الاول سنة ١٩٧٣ والثاني ١٩٧٤ :

المصاحف من الرقم ١ الى ٥٥
الحديث من ٨٥ الى ١٩٥
التوحيد من ٤١٥ الى ٤٤٣
التفسير ٥٦ الى ٨٤
الفقه ١٩٦ الى ٤١٤
النحو ٤٤٤ الى ٤٨٠

الجزء الثاني غير مرتب بحسب المواد ويتضمن من ٤٨١ الى ٧٠٣ ، ويشتمل على الادب، والطب ، والتوقيت واللغة والتصوف والتاريخ .

خزانة الجامع الكبير بطنجة

من الخزانات الوقفية التي اسست في العصر العلوي ، نجد حديثا عنها وعن مخطوطاتها في مقال

(٤٨)

— P. MILLARD - Bibliothèque de la grande Mosquée de Tanger. Essai de Bibliographie Marocaine in : Revue du Monde Mus ulman R.M.M. 1917 - 1918 pages 107 - 193.

خزانة المعهد الاسلامي بتارودانت

يرجع تاريخ تاسيس هذه الخزانة الوقفية الى العصر السعدي وتضم ١٨٢ مخطوطا ، وضعت لها قوائم مختصرة :

(٤٩) المخطوطات البدوية بالخزانة الرودانية . طبع على الآلة الكاتبة في ٩ صفحات ، ويضم زهاء ١٤٠ مخطوطا اغلبها في العلوم الدينية .

(٥٠) لائحة المخطوطات بخزانة المعهد الاسلامي ، تقع في كراستين من نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة بواسطة الآلة المكررة سنة ١٩٧٣ .

خزانة الزاوية الناصرية بتمكروت

ابتدا تاسيسها من ايام ابى عبدالله محمد بن ناصر (في منتصف القرن الحادي عشر الهجري) الذي بذل مجهودا كبيرا في جمع كتبها عن طريق الشراء والنسخ . وبنيت بناية الخزانة عندما آل امر الزاوية الى ابى العباس احمد بن ناصر الذي اعتنى بها عناية لامزيد عليها - اذ كان يحمل اليها من المشرق الكثير من الكتب . وبعده اضيفت اليها مكتبات بعض العلماء امثال ابي العباس احمد بن ابراهيم السباعي، وابى العباس احوزى الهشتوكي، وابن الحسن على الدمناتي .

وكان للخزانة نظام خاص للاعارة والترتيب(١٥) .

وقد عرف عن مقدمي الخزانة والزاوية حرصهم الشديد على مخطوطاتها ومحافظتهم عليها، حتى انهم بنوا حائطا اقبروها داخله حتى لا تمتد اليها يد المستعمر الفرنسي .

وفي هذا يقول الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني: وقد اخبرني وانا في طريقي الى تمكروت قاضي مراكش الاسبق ومؤرخها الشيخ عباس بن ابراهيم انه شد الرحلة الى خزانة تمكروت فاوقفوه على ما بخزانة القبة فرجع معتقدا انها كل ما تبقى من نفائسها الشهيرة .

كما اخبرنى المستعرب جورج كولان انه قضى في ضيافتهم عدةايام اشبعوه فيها مشويا وكسكسا، وتحدثوا معه في شتى المواضيع المتنوعة باستثناء كتب الخزانة ونفائسها الى ان يئس فرجع خاوى الوفاض .

وقريب من ذلك حدث لجورج دراك حسبما اشار اليه في كتابه عن الطرق والزوايا في المغرب(١٦) .

ويبلغ عدد مخطوطات الزاوية الناصرية ٤٢٠٠ مخطوط من لوائحها :

(٥١) لائحة مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت من صنع الاستاذ محمد المنوني في سفرين .طبع الاول سنة ١٩٧٢ والثاني سنة ١٩٧٦ بواسطة الآلة المكررة ، من نشر وزارة الاوقاف يذكر فيه المؤلف الرقم الترتيبي ثم رقم المخطوط في الخزانة ، وعنوانه واسم مؤلفه ، وعدد الاجزاء، وتاريخ نسخ المخطوط ، ثم الملاحظات العامة .

واللائحة غير مرتبة بحسب المواد ، وهي سيئة الصنع بصفة عامة ولعل السبب في ذلك هو ضيق الوقت فقد تم احصاء ووصف ٤٢٠٠ مخطوط في ٢٩ يوما وهو زمن غير كاف للتأكد من موضوع كل كتاب خاصة المجاميع التي تحتوى على عدة موضوعات والملاحظ ان اغلب المخطوطات في التفسير والفقه المالكي والسيرة واللغة اما الآداب والعلوم فقليلة .

واللائحة مقسمة على هذا الشكل :

ـ المخطوطات المدرجة في السجل القديم من ١ الى٣٨١٢ملحق اول لمخطوطات لم تدرج فيالسجل القديم من ٣٨١٣ الى ٤١٦٩ ملحق ثان لمخطوطات لم تدرج في سجل عثر عليها مؤخرا : من ٤١٧٠ الى ٤١٨٤ .

(٥٢) حضارة وادي درعة من خلال النصوص والآثار .محمد المنونى دعوة الحق، دجنبر ١٩٧٣ . استعرض فيهالكاتب ٧٦ مخطوطا منعيون المكتبة. (فصله في ٣٥ صفحة) .

(٥٣) حديث مع الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني عن المخطوطات المغربية بمكتبة تمكروت مجلة الاذاعة الوطنية عدد ١٣ ـ ١٩٥٩ صفحة ١٤ــ١٦ . استعرض فيه مجموعة من نوادر الخزانة .

(٥٤) لائحة المخطوطات المحفوظة في دار الكتب الناصرية ، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم ٩٧٥ ج تقع في ٧٤ صفحة من القطع الصغير .

(٥٥) لائحة المخطوطات المحفوظة في دار الكتب الناصرية مخطوطة الخزانة الملكية رقم ٥٦٥٧ تقع في ٨٢ صفحة من القطع الصغير .

ـ الطب والاطباء بالمغرب . عبدالعزيز بنعبدالله . المطبعة الاقتصادية ١٩٦٠ . استعرض فيه ٤٣ مخطوطا في الطب من مخطوطات الخزانة .

ـ خزانة الزاوية الحمزية العياشية بالرشيدية

تقع زاوية سيدى حمزة جنوب مدينة ميدلت من اقليم الرشيدية . وكانت تعرف بزاوية ابن سالم ، وبالزاوية العياشية ، وزاوية محمد بن ابى بكر مؤسسها والجد الاعلى لاغلب سكانها(١٧) .

ويرجع تاريخ تاسيس الخزانة الى ايام الشيخ محمد بن ابى بكر العياشي الذي اوقف هو واخوه عبدالجبار بن ابى بكر المتوفى سنة١٠٨٢هـ، جميع كتبهما على بنيهما الذكور . وسلك ابناؤهما بعدهما نفس المسلك ، وكان حفدة العياشيين مولعين بشراء الكتب ونسخها والاحتفاظ بها . وقد رتبوا لذلك نساخين ومسفرين ، وسهروا على ترتيب الخزانة وضبط الاعارات واسترداد الكتب واقامة اللوائح .

ويشهد محمد بن الطيب القادري في نشر المثاني الكبير ٢/٢٢٠ ، وفي نشر المثاني الصغير ١١٧/٢ . على عظمة هذه المكتبة وما حوته من نوادر المخطوطات(١٨) .

وقد قامت بعثتان من الرباط سنة ١٩٦١ و ١٩٦٢ بزيارة الخزانة ووضع فهرس منظم لها ، بلغت مخطوطاته ١٢٠٢ ، منه :

(٥٦) فهرس ببعض ذخائر الخزانة الحمزية من عمل محمد المنونى نشر في مجلة تطوان عدد ٨ ـ ١٩٦٣ صفحة ٩٧ ـ ١٧٧ . رتب الجزء المفهرس من الخزانة في خمس خزائن بالمكتبة بلغت ٨٦٤ مجلدا . الخزانة الاولى تضم ١٧٩ مجلدا ـ الخزانة الثانية تضم ٢١٥ ـ والخزانة الثالثة تضم ٧٠ ـ والخزانة الرابعة تضم ٨٣ مجلدا ـ الخزانة الخامسة تضم ٢١٧ .

ولا يزال ٣٣٧ مجلدا بدون ترقيم . ووصف مقال المنونى ١٨٨ مخطوطا من النوادر :

المصاحف والقراءات من ١ الى ١٦
التوحيد والتصوف من ٤٥ الى ٤٩
النحو والصرف من ٧٥ الى ١٠٥
التراجم والانساب من ١٢٢ الى ١٣٥
المنطق من ١٣٩ الى ١٤٣
الطب من ١٤٩ الى ١٥٦
الحديث وملحقاته من ١٧ الى ٤٤
الفقه وملحقاته من ٥٠ الى ٧٤
الادب من ١٠٦ الى ١٢١
الجغرافية والرحلات ١٣٦ الى ١٣٨
الرياضيات والفلك ١٤٤ الى ١٤٨
المجاميع من ١٥٧ الى ١٨٨

ـ قائمة مخطوطات الزاوية الحمزية المصورة بواسطة بعثة اليونسكو الى المغرب سنة ١٩٦٢ ، من الرقم ١٢٦ الى ١٣٣ من مصوراتها .

ـ المخطوطات التونسية بالمغرب لمحمد المنونى ، نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة، طبعة المحمدية ١٩٧٦ توجد منها بالمكتبة الحمزية الارقام : ١ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٨ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ٢٣ ـ ٤٦ ـ ٥٠ من المقال .

ـ ومن المخطوطات الطبية بها ١٣ ، الطب والاطباء بالمغرب لعبدالعزيز بنعبدالله . المطبعة الاقتصادية ١٩٦٠ .

(٥٧)

Un prétendu Catalogue des livres de la Bibliothéque de la grande mosquée de Fes H.P.J. Renaud. Bibliothèque Nationale de Paris no. 4725. HESPERIS 1934 T. 18 1e trimestre Fascicule 1 pages 76-99.

اثبت فيه الكاتب بالدليل ، وبالمقارنة مع فهرس خزانة القرويين ك لفريد بيل Basset وباسى A. Bel انه وقع خطا في كتابة عنوان هذا الفهرس وان المقصود هو خزانة الزاوية الحمزية . وبعد ذلك استعرض الكتب العلمية الواردة في الفهرست الذي يتضمن مختلف العلوم. وقد استعرض الكاتب ٢٧ مخطوطا من كتب التنجيم والحساب اغلبها مجاميع . و ١٥ مخطوطا في الطب . وطريقته في ذلك : يذكر اسم الكتاب ومؤلفه بالعربية والفرنسية ، ومعلومات عن الكتب، مع الاشارة الى وجوده في تاريخ بروكلمان او غيره من كتب الفهارس .

خزانة زاوية تنغملت باقليم ازيلال

يرجع تاريخ تاسيس هذه الخزانة الى العصر السعدي . ورغم قدمها فهي لا تضم الا زهاء ٨٠٠ مخطوط ، لم تفهرس بعد فهرسة علمية وانما وضعت بها لائحة :

(٥٨) لائحة المخطوطات الموجودة بزاوية تنغملت . نشر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة . طبع واسطة الالة المكررة سنة١٩٧٢وسنة١٩٧٣،

وتقع هذه اللائحة في ٤٤ صفحة من الحجم الكبير تضم ٧٩٩ مخطوطا في مختلف العلوم ، وهي غير مرتبة .

نشرات اخرى

وهناك نشرات اخرى عبارة عن قوائم للمخطوطات المغربية ، او مقالات تستعرض بعضها او تصفها ، آثرنا جمعها في الاخير لانها لا تتناول مخطوطات خزانة بعينها ، وانما المخطوطات المغربية بصفة عامة ، وهي :

(٥٩) الكتاب العربي وقيمته بالمغرب محمد ابراهيم الكتاني . البحث العلمي ٤ـ٥ سنة ١٩٦٠ صفحة ٩ الى ٥٦ ، واعاد نشره في مجلة اللسان العربي مجلد ٢ ص ١٨٤ ـ ٢٠٧ .

استعرض فيه عددا مهما من المخطوطات المغربية في مختلف العلوم .

(٦٠) اهم مصادر التاريخ والترجمة في المغرب من القرن العاشر الهجري الى النصف الاول من القرن الحالي ـ دراسة بيليوغرافية ، احمد المكناسي . طبع بتطوان سنة ١٩٦٣ .

ذكر فيه ٢٦٨ مصدرا مغربيا في التاريخ والترجمة اغلبها مخطوط .

(٦١) مؤلفات علماء غرب افريقيا في المكتبات المغربية . محمد ابراهيم الكتاني . دعوة الحق سنة ١١ عدد ١ ٨٤ ـ ٨٧ سنة ١٩٦٧ . تحدث فيه عن المؤلفات كتاب غرب افريقيا او ما كان يسمى بالسودان المغربي ، واستعرض مخطوطاتهم ومضامينها بايجاز واعاد المؤلف نشر مقالة :

— Les manuscrits de l'occident africain dans les Bibliothèques du Maroc. HESPERIS 1968 pages 57. Vol. IX fascicule 1.

(٦٢) المصادر الدفينة في تاريخ المغرب ـ محمد المنونى ـ البحث العلمي عدد ١٠ ، يناير ابريل ١٩٦٧ (نشرة منقحة) اذ نشره في نفس المجلة عدد ٨ ـ ماي غشت ١٩٦٦ .

تناول فيه الكاتب خروج المخطوط عن نطاق الموضوع المدروس الى موضوع آخر او من فرع من فروعه الى فرع آخر . وكثيرا ما تحمل هذه الاستطرادات في طياتها معلومات نادرة . ومن هنا جاءت قيمة هذه النصوص الدفينة في تاريخ المغرب .

واعطى الكاتب امثلة موسعة لهذه المصادر الدفينة ، على هذا الترتيب :

١ ـ مؤلفات صغيرة واشباهها من المخطوط ١ الى ٣٦ .

٢ ـ الرسائل من ٣٧ الى ٥١ . وهي رسائل مهمة يصعب الوصول اليها ما دامت في ثنايا كتب ليست من المظان في الغالب .

٣ ـ قطع من كتب ضائعة من ٥٢ الى ٥٨ .

٤ ـ لوائح باسماء الرجال من ٥٩ الى ٦٥ .

٥ ـ لوائح الكتب من ٦٦ الى ٨٠ .

(٦٣)

On Some manuscripts in the Librairies of Marocco - Joseph SCHACHT - HESPERIS - T Vol. 9 Fascicule 1 pages 5 - 55.

استعرض فيه جملة من اهم المخطوطات الموجودة في المغرب الفقه من ١ـالى ٥٠مخطوطا .

منوعات ٥١ الى ٥٥ . ومن مميزاته تتبعه للمخطوط في كل الخزانات الاخرى التي يوجد بها داخل المغرب وخارجه ، وتعليقه عليه تعليقا مطولا قد يستغرق الصفحتين او اكثر .

(٦٤) لائحة معرض الانتاج المغربي في العلوم الفقهية . نشر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية في كراسة مطبوعة بواسطة الآلة المكررة من ٣١ صفحة سنة ١٩٧٠ .

(٦٥) لائحة معرض الانتاج المغربي في علوم اللغة العربية من نشر نفس الوزارة ، في كراسة مطبوعة بواسطة الآلة المكررة من ٢١ صفحة سنة ١٩٧١ .

(٦٦) لائحة معرض الكتاب المالكى ، من نشر نفس الوزارة في كراسة مطبوعة بواسطة الآلة المكررة من ٣٠ صفحة سنة ١٩٧١ .

(٦٧) مصادر البحث التاريخي بالمغرب ـ محمد المنوني . البحث العلمي ٢٠ ـ ٢١ صفحة ٨٣ ـ ٩٥ ـ ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ .

المصادر التي تناولها المقال هي :

١ ـ الوثائق :

ـ مجموعات الرسائل التاريخية القديمة : مرابطية ، موحدية وسعدية ، عددها ١١ تتضمن كل واحدة عددا من الرسائل .

ـ الحوالات الوقفية : ٦٩ حوالة محفوظة في مختلف المدن .

ـ سجلات متنوعة : دواوين ودفاتر الجبايات

ـ المجموعات الحديثة : مختارات من مراسلات ووثائق شريفة يرجع تاريخها الى العصر العلوي المتأخر ، ١٦ مجموعة تتضمن مئات الوثائق الهامة.

٢ ـ الكتب : ٨ مؤلفات تتضمن فهارس الكتب المهتمة بتاريخ المغرب .

٣ ـ النقود : ٤ كتب تتناول تاريخ المغرب من خلال النقود .

٤ ـ الكتابات التاريخية : كتابان يدرسان التاريخ من خلالها .

(٦٨) الكناشات المغربية ودورها في الكشف عن الدفائن التاريخية محمد المنوني ـ المناهل ٢ ـ ١٩٧٥ صفحة ١٩٦ ـ ٢٣٢ .

بعد حديث عن تاريخ الكناشات بالمغرب، اعطى الباحث نماذج للكناشات التي تتضمن افادات دفينة ، وعددها ٧٧ كناشة مخطوطة مرتبة حسب الترتيب الزمني لوفاة اصحابها :

ـ كناشات فيها رسائل ديوانية واجازات علمية واشارات تاريخية واشعار .

ـ كناشات سياسية .

ـ كناشات محفوظة في الخزانة العامة والمكتبة الملكية او ضمن بعض المجموعات الخاصة : بذكر الكناشة وصاحبها وتاريخ وفاته ومضمونها بايجاز، وناسخها ، ورقمها .

الخزانات الخاصة

يتوفر المغرب على كثير من الخزائن العلمية الخاصة بالافراد سواء منهم الاسر العلمية او الاعيان والوجهاء . ولا تزال مدن فاس ومراكش وتطوان منذ اقدم العصور تحتفظ بعض عائلاتها العلمية بالوثائق والمخطوطات التي ورثوها عن اسلافهم . كما ان هناك عائلات اخرى ما زالت تعتني بجمع نفائس الكتب وتتغالى من اثمانها لاجل ادخارها والاحتفاظ بها .

والمغربي بطبعه ضنين بتراث اجداده، حريص عليه من الضياع والتلاشي ، وهذا لا يساعد البحث والباحثين بطبيعة الحال ، فما اكثر المصادر التي اعتبرت في اعداد المفقود فظهر ان منها النسخ المتعددة في المكتبات الخاصة .

وقد شجعت الدولة المواطنين على اخراج وثائقهم ومخطوطاتهم عندما احدثت جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق السنوية ، يقدمون وثائقهم وتضمن لهم الوزارة استردادها سليمة كما قدمت ، بعدما تشارك في المعرض الذي يقام في مختلف المدن المغربية بمناسبة عيد العرش .

وتعطى جوائز للوثائق الهامة والمخطوطات النادرة .

وقد عرفت هذه الجائزة ـ التي بلغت سنتها العاشرة نجاحا باهرا . وتمكنت مصالح التصوير في المكتبة العامة بالرباط من تصوير الوثائق المقدمة للجائزة وتبويب المصورات ليستفيد منها الباحثون .

وسنتحدث عن لوائح هذه الجوائز ثم نذكر بعض المكتبات الخاصة المشهورة في المغرب .

١ ـ لوائح جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق

(٦٩) جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق، السنة الاولى ١٩٦٩ حديث مع مدير الثقافة الاستاذ محمد بنشقرون حول اهداف الجائزة وابعادها تحت عنوان « الف مخطوطة ترى النور » عرض لنوادر هذه الجائزة ـ مجلة الاذاعة والتلفزة المغربية . مارس ابريل ١٩٦٩ .

(٧٠) لائحة الوثائق والمخطوطات المشاركة في جائزة الحسن الثاني السنة الثانية ١٩٧٠ . نشر وزارة الثقافة ، مطبوع بواسطة الآلة المكررة .

اتبعت فيه هذه اللوائح الطريقة الآتية : الرقم الترتيبي ، اسم الكتاب ـ اسم المؤلف ـ الرقم الخاص ـ اسم صاحب المخطوط وعنوانه ـ نوع المخطوط ـ ملاحظات عليه .

عدد مخطوطات هذه السنة ووثائقها : ١٧٢٠ :
تطوان من ١ الى ١١٤
فاس من ١١٨ الى ٥٩٦
الرباط من ٥٩٧ الى ١٠٢٠
مراكش من ١٠٢١ الى ١٣٣٢
الدار البيضاء من ١٣٣٣ الى ١٧٢٠

وفي كتاب (عشر سنوات من المنجزات الثقافية) نشر وزارة الثقافة بالرباط سنة ١٩٧١ . وصف لثلاثين مخطوطة من نوادر هذه الجائزة . صفحة ٢٢ وما بعدها .

(٧١) جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق السنة ١٩٧١ . كان لها صدى في الخارج اذ ان الجائزة الاولى كانت من نصيب احد المواطنين من الجمهورية الجزائرية (لم نتمكن من الاطلاع على منشور هذه السنة) .

(٧٢) لائحة الوثائق والمخطوطات المشاركة في الجائزة الرابعة لسنة ١٩٧٢ . نشر وزارة الثقافة، طبع بواسطة الآلة المكررة سنة ١٩٧٢ . عددها ٦٠٩ مخطوطة ووثيقة :

الرباط من ١ الى ٩٧ + ملحق من ٥٥٢ الى ٦٠٥ .
تارودانت من ٩٨ الى ١٦٥
وجدة من ١٦٦ الى ١٧٤
طنجة تطوان من ١٧٥ الى ٢٧٣ + ملحق من ٦٠٦ الى ٦٠٩ .
فاس من ٢٧٤ الى ٣٥٤
البيضاء من ٣٥٥ الى ٤١٨
مراكش من ٤١٩ الى ٥١٢
مكناس من ٥١٣ الى ٥٥١

(٧٣) لائحة الوثائق والمخطوطات المشاركة في الجائزة الخامسة ، لسنة ١٩٧٣ ، نشر وزارة الثقافة ، مطبوع بواسطة الآلة المكررة في نفس السنة — عدد الكتب المخطوطة : ٨٣٩ ، عدد الوثائق : ١٣٤٦ .

المدينـة	الكتب المخطوطة	الوثائق
الرباط	من ١ الى ٢٨٢	من ١ الى ٩٨٧
البيضاء	من ٢٨٣ الى ٤٤١	من ٩٨٨ الى ١٠٤١
مكناس	من ٤٤٢ الى ٤٦١	من ١٢١٤ الى ١٢٣٩
فاس	من ٤٦٢ الى ٥٩٢	من ١٠٨٨ الى ١٢١٣
مراكش	من ٥٩٣ الى ٦٦٩	من ١٢٤٠ الى ١٣٤٦
تارودانت	من ٦٧٠ الى ٧٢٥	من ١٠٤٢ الى ١٠٥٤
تطوان	من ٧٢٦ الى ٨٣٩	من ١٠٥٥ الى ١٠٨٧

(٧٤) الجائزة السادسة للمخطوطات والوثائق لسنة ١٩٧٤ . لم نتمكن من الاطلاع على منشور وزارة الثقافة لهذه السنة . وقد نشر بواسطة الآلة المكررة في نفس السنة .

(٧٥) لائحة الوثائق والمخطوطات المشاركة في الجائزة السابعة لسنة ١٩٧٥ مطبوع بواسطة الآلة المكررة . نشر وزارة الثقافة الكتب المخطوطة : ٤٤٤ — الوثائق ٨٥١ — الوثائق الخاصة بموضوع الصحراء المغربية المسترجعة(١٩) : ٧١ المجموع ١٣٦٦ .

المدينـة	الكتب المخطوطة	الوثائق
تطوان	من ١ الى ١٢٥	من ١ الى ١١٩
الرباط	من ١٢٦ الى ٣٢٠	من ٢٣٠ الى ٨٥١
فاس	من ٣٣١ الى ٢٥٨	من ١٢٠ الى ١٢٨
مراكش	من ٢٥٩ الى ٢٨٣	من ١٢٩ الى ١٦٠
البيضاء	من ٢٨٤ الى ٤٢٦	من ١٦١ الى ١٨٠
مكناس	من ٤٢٧ الى ٤٣٤	من ١٨١ الى ١٩٣
اسفى	من ٤٣٥ الى ٤٣٩	
اكدير	من ٤٤٠ الى ٤٤١	من ١٩١ الى ٢٠٤
القنيطرة	من ٤٤٢ الى ٤٤٤	من ٢١٦ الى ٢٢٩
تارودانت		من ٢٠٥ الى ٢١٥

(٧٦) معطيات جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق عبر سبع سنوات . « دعـوة الحـق » نوفمبر ١٩٧٥ ص ١١٧ الـى ١٢١ . استعرض الاستاذ محمد المنوني في هذا المقال نوادر المخطوطات والوثائق التي شاركت في هذه الجائزة عبر سبع سنوات من ١٩٦٩ الى ١٩٧٥ ، ووصف اهمهـا : من شهادات ووثائق عدلية ورسائل ديوانية وظهائر شريفة وعددها ١٧ مجموعة ، الاجازات العلميـة ، المصاحف وكتب الحديث من ١٨ الى ٣١ .

كتب الطب	من ٣٢ الى ٣٥	مدونات التراجم	من ٤٥ الى ٥٢
الفلـك	من ٣٦ الى ٣٨	من البلديات	٥٣
الموسيقى	من ٣٩ الى ٤١	الادبيات	من ٥٤ الى ٦٠
الرحلات	من ٤٢ الى ٤٤	الاوضاع النباتية	من ٦١ الى ٦٣

وانهى الكاتب موضوعه باعطاء لائحة للمؤلفات المغربية الاندلسية التي تعتبر في حكم المفقود حتى تتظافر الجهود للبحث عنها وعددها ٢٢ مؤلفاً .

(٧٧) لائحة المخطوطات والوثائق المشاركة فـي الجائزة الثامنة لسنة ١٩٧٦ ، نشر وزارة الثقافة. مطبوع بواسطة الآلة المكررة . الكتب والمخطوطات ٩٦٤ الوثائق ٥٩٣٤ المجموع ٦٨٩٨ :

المدينـة	الكتب المخطوطة	الوثائق
الرباط	من ١ الى ١١٢	من ١ الى ٥٠٨٨
فاس	من ١١٣ الى ٣١٠	من ٥٠٨٩ الى ٥٢٠٠
مراكش	من ٣١١ الى ٤٥٢	من ٥٢٠١ الى ٥٣٢٩
البيضاء	من ٤٥٣ الى ٥٨٢	من ٥٣٢٤ الى ٥٤٥٠
القصر الكبير	من ٥٨٣ الى ٦٩٣	من ٥٤٥١ الى ٥٥٣٤
تطوان	من ٦٩٤ الى ٧٦٧	من ٥٥٣٥ الى ٥٦٦٤
وجدة	من ٧٦٨ الى ٨٢٢	من ٥٧٩٢ الى ٥٨٢٦
مكناس	من ٨٢٣ الى ٨٥٠	من ٥٧٥٠ الى ٥٧٩١
القنيطرة	من ٨٥١ الى ٩٣٤	من ٥٦٦٥ الى ٥٧٤٩
اسفى	من ٩٣٥ الى ٩٥٢	من ٥٨٢٧ الى ٥٨٨١
تارودانت	من ٩٥٣ الى ٩٥٧	من ٥٨٨١ الى ٥٨٨٩
اكدير	من ٩٥٨ الى ٩٦٢	من ٥٨٩٠ الى ٥٩٢٠
طنجة	من ٩٦٣ الى ٩٦٤	من ٥٩٢١ الى ٥٩٣٤

(٧٨) لائحة المخطوطات والوثائق المشاركة في الجائزة التاسعة لسنة ١٩٧٧ . نشر وزارة الثقافة مطبوع بواسطة الآلة المكررة . عدد المخطوطات ٣٣٩ . عدد الوثائق ١٠١٧ . المجموع ١٣٥٦.

المدينة	الكتب المخطوطة	الوثائق
الرباط	من ١ الى ٥٤	من ١ الى ٦٨٠
فاس	من ٥٥ الى ٩٦	من ٦٨٧ الى ٧٠١
مراكش	من ٩٧ الى ١٢٦	من ٧٠٢ الى ٧٣٣
تطوان	من ١٢٧ الى ١٣٩	من ٧٣٤ الى ٧٥٦
القصر الكبير	من ١٤٠ الى ٢٠٢	من ٦٥٧ الى ٧٨٦
مكناس	من ٢٠٣ الى ٢٢٩	من ٧٨٧ الى ٨٠٣
اسفي	من ٢٣٠ الى ٢٤٦	
البيضاء	من ٢٤٧ الى ٣٢١	من ٨٢٧ الى ١٠١٧
طنجة	من ٣٢٢ الى ٣٣٢	
اگدير	من ٣٣٣ الى ٣٣٦	
القنيطرة	من ٣٣٧ الى ٣٣٩	من ٨٠٤ الى ٨٢٦

(٧٩) لائحة المخطوطات والوثائق المشاركة في الجائزة العاشرة لسنة ١٩٧٨ . نشر وزارة الثقافة، مطبوع بواسطة الآلة المكررة. عدد الكتب المخطوطة ٥٩٣ عدد الوثائق ١٣٩٥ المجموع ١٩٨٨ .

المدينة	الكتب المخطوطة	الوثائق
	من ١ الى ٨٧	من ١ الى ٦٠٩
الرباط	ومن ٥٧٨ الى ٥٩٢	ومن ١٣٨٢ الى ١٣٩٥
البيضاء	من ٨٨ الى ٢٠٣	من ٦١٠ الى ٨٨١
مراكش	من ٢٠٤ الى ٣٠٨	من ٨٨٢ الى ٩٤٣
فاس	من ٣٠٩ الى ٣٩١	من ٩٤٤ الى ١٠٥٦
مكناس	من ٣٩٢ الى ٤٢٩	من ١٠٥٧ الى ١١٤١
تطوان	من ٤٣٠ الى ٤٣٦	من ١١٤٢ الى ١١٦٠
القصر الكبير	من ٤٣٧ الى ٥٠٠	من ١١٦١ الى ١٢٠٣
طنجة	من ٥٠١ الى ٥٠٣	
وجدة	من ٥٠٤ الى ٥٢١	من ١٢٠٤ الى ١٢٢٤
اسفي	من ٥٢٢ الى ٥٣٥	من ١٢٢٥ الى ١٢٩٩
القنيطرة	من ٥٣٦ الى ٥٣٩	من ١٣١١ الى ١٣٨١
اگدير	من ٥٤٠ الى ٥٧٣	من ١٣٠٥ الى ١٣١٠
تارودانت	من ٥٧٤ الى ٥٧٧	من ١٣٠٠ الى ١٣٠٤

ب ـ الخزانات الخاصة

في المغرب خزانات مهمة خاصة بالافراد ،نكتفي بالاشارة الى مجموعة منها لاننا لم نتمكن من التعرف عليها وعلى نوادرها . وهذا طبيعي في بلاد يعتبر اصحابها التراث المخطوط من المحارم التي يصعب ابرازها او اطلاع الغير عليها ، الاالقليل النادر من العلماء الذين جعلوا من مكتباتهم نوادي للباحثين والمثقفين . وعدد هؤلاء لا يتعدى عدد اصابع اليد الواحدة في كل انحاء البلاد .

وقد تعرف الدكتور صلاح الدين المنجد – عن طريق السماع بدون شك – على بعضها عندما زار المغرب سنة ١٩٥٥ بصفته مديرا لمعهد المخطوطات العربية وهي :

من فاس : خزانة العربي الحريشي ، خزانة العابد الفاسي ، عبدالسلام بنسودة ، خزانة ادريس بن الماحي الادريسي ، عبدالعزيز الصقلي ، الجواد الصقلي .

من مكناس : خزانة ابن زيدان ، خزانة محمد المنوني .

من طنجة : خزانة عبدالله كنون .

من الرباط : خزانة محمد الفاسي ، خزنة سيدى المدنى .

من سلا : خزانة الفقيه التطوانى ، الباشا الصبيحى ، اسرة الناصرى .

من مراكش : خزانة الرحالى الفارقى ، خزانة الفقيه المؤرخ عباس ابن ابراهيم ، خزانة التهامى الناصرى .

من تطوان : خزانة اليزيد بن صالح[٢٠] .

وقد قامت وزارة الثقافة ببحث في هذا الموضوع حصرت فيه اهم الخزانات الخاصة بالمغرب سواء منها الخزانات التي بيعت بعد وفاة اصحابها ، او تلك التي لا تزال عند اصحابها او ورثتهم او اولادهم او حفدتهم . ونشرت نتيجة هذا البحث في كتاب (عشر سنوات من المنجزات الثقافية)[٢١] .

الخزانات التي بيعت بعد وفاة اصحابها :

١ – خزانة الشيخ احمد بن محمد النميشي المتوفى سنة ١٣٨٦ .

٢ – خزانة القاضي اسماعيل بن المامون الحسنى الادريسي المتوفى ١٣٧٩ .

٣ – خزانة الشيخ محمد بن محمد بن ابراهيم الحسنى العلمى .

٤ – خزانة العلامة محمد بن عبدالمجيد القصبي المتوفى سنة ١٣٦٤ .

٥ – خزانة الشيخ عبدالحفيظ بن الطاهر الفاسي المتوفى ١٣٨٣ .

٦ – خزانة الشيخ عبدالكريم بن العربى بنيس المتوفى سنة ١٣٥٠ .

٧ – خزانة محمد بن عبدالسلام بنانى المتوفى سنة ١٢٧٦ .

الخزانات التي لاتزال موجودة الى الان :

١ – خزانة الشيخ احمد بن المامون البلغيشي المتوفى سنة ١٣٤٨ عند ولده عبدالملك البلغيشي

٢ – خزانة الشيخ احمد بن محمد بن الخياط المتوفى سنة ١٣٤٣ عند ولده عبدالعزيز.

٣ – خزانة احمد بن محمد بن الخضر العمرانى المتوفى سنة ١٣٧٠ تركها محبسة على احفاده ، وهي الآن تحت يدهم .

٤ – خزانة الشيخ احمد بن عبدالواحد بن المواز المتوفى سنة ١٣٤١ توجد في ملك اولاد اخيه الهادى .

٥ – خزانة سيدى ادريس بن عمر الطاهرى الحسنى المتوفى سنة ١٣١٨ يشرف عليها حفيده عمر بن محمد بن ادريس ، وابن عمه عبدالواحد بن العباس بن ادريس .

٦ – خزانة العلامة محمد بن العربى العلوى المتوفى سنة ١٣٨٤ تحت يد اولاده .

٧ – خزانة البحاثة المؤرخ التقى الحسنى .

٨ – خزانة الشيخ التهامى بن المدنى كنون المتوفى سنة ١٣٣١ بفاس وهي الآن تحت حفيده عبدالله بن عبدالصمد كنون .

٩ – خزانة الشيخ جعفر بن ابراهيم بن المكى الحسنى الصقلى المتوفى سنة ١٣٦١ ، توجد عند ولده الفقيه القاضي عبدالعزيز .

١٠ – خزانة السيد محمد بن ابراهيم بن احمد بن جعفر الحسنى الكتانى جمعت الكثير من تآليف والده احمد المتوفى سنة ١٣٤٠ ، وجده جعفر المتوفى سنة ١٣٢٣ .

١١ – خزانة محمد بن محمد بن احمد بن الحاج السلمى المتوفى سنة ١٣٦٤ ؛ توجد تحت يد ولده الفقيه العدل السيد محمد .

١٢ – خزانة الامام محمد بن جعفر الحسنى الكتانى المتوفى سنة ١٣٤٥ . توجد عند بعض حفدته . بها كثير من النفائس .

١٣ – خزانة العلامة القاضي سيدى محمد بن محمد بن المامون البدراوى، وهو لا يزال معتنيا بها وبها الغريب الذي قل وجوده في كل الفنون .

١٤ – خزانة الفقيه المعتنى السيد محمد بن المجذوب الجابرى المتوفى عام ١٣٥٦ ؛ حبسها على احفاده .

١٥ ـ تاليف العلامة سيدى محمد بن محمد بن ابراهيم العلمى المتوفى سنة ١٢٧٣ ؛ توجد عند احفاده .

١٦ ـ خزانة العلامة محمد بن عبدالكبير بن الحاج السلمى المتوفى سنة ١٣٧١ . توجد عنـد اولاده ، ومنها تاليفه التي منها شرحه على مزهر السيوطى في عدة اسفار .

١٧ ـ خزانة محمد بن عبدالواحد الفاسي ، فيها نفائس ونوادر .

١٨ ـ خزانةالعلامة محمد علال بنعبدالواحد الفاسي حوت كل غريب على اختلاف الانواع والفنون سواء الخطى او ما اخذ على آلة الفوتوغراف .

١٩ ـ خزانة العلامة سيدى عبدالله بـن عبدالسلام الفهرى المتوفى سنة ١٢٨٤ : قـام بجمعها الاب ، والجد والحفيد وهي الآن تحت يد اولاد الشيخ عبدالله المذكور .

٢٠ ـ خزانة عبدالكبير بن هاشم الحسنى الكتانى المتوفى سنة ١٣٥٠ ؛ مع ما اضاف اليهـا ولده الفقيه العدل محمد المتوفى سـنة ١٣٦٢ ، توجد تحت يد احفاده .

٢١ ـ خزانة الشيخ عبدالعزيز بن محمـد الحسينى العراقي جامعة لبعـض مآثـر اسـلافه وغيرهـا .

٢٢ ـ خزانة الشيخ عبدالسلام بن عبدالله الصقلي الحسيني المتوفى سنة ١٣٣١ . حـوت كثيرا من النفائس توجد في ملـك ولـده العلامـة المحقق محمد الجواد الصقلى .

٢٣ ـ خزانة العلامة العربـي بـن احمـد الحريشى المتوفى سنة ١٣٨٦ جمعت مـن الدرر اعلاها وخصوصا خطوط العلماء ، مازالت تحت يد اولاده .

٢٤ ـ خزانة الشيخ على بن الطيب الشرقى الاندلسي المتوفى سنة ١٣٥٨ .

٢٥ ـ خزانة السيد الصـديق بـن احمـد الفاسى الفهرى وتعد من انفس الخزائن بالمغرب .

وبعد ، فهذا حديث عـن المراكـز العامـة والخاصة للمخطوطـات المغربيـة ، وعـن بعـض فهارسها وقوائمهـا والنشـرات والمقـالات التـي تتناولها بالوصف والحديث ، نامل ان يكون قـد افاد القارىء العربي المهتم بالتراث العربي الموجود في كل انحاء الوطن العربي .

وعسى ان تسمح الظـروف بالحديث عـن المخطوطات المغربية الموجودة خارج المغرب ـ ومـا اكثرها ـ حتى تكتمل الصورة ، وتعم الفائدة .

الهوامـش

(١) ومع هذا الحرص الشديد عرفت المكتبة المغربية بعض النكبات والخسائر : نكبة الخزانة الزيدانية التي حولت الى الاسكوريال ـ نكبة خزائن تطوان خلال الحرب المغربية الاسبانية (١٢٧٢ـ١٨٦٠) نكبة سكان زرهون : فقـد احرق الفرنسيون ممتلكاتهم بما في ذلك الكتب في عدوانهم عليهم سنة ١٩١١ ، يضاف الى هذا ما اشتراه بعض ملوك فرنسا وقناصلتهم من مخطوطات مغربية .

(٢) كتب تقريرا عن زيارته للمغرب في مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ٥ جزء ١ صفحات ١٦١ـ١٩٢ .

(٣) انظر الهامش رقم ١ .

(٤) Bibliotheque Générale et Archives du protectorat historique 1912 - 1930.

(٥) عشر سنوات من المنجزات الثقافية في عهد الحسن الثاني ١٩٦١ـ١٩٧١ نشر وزارة الثقافة سنة ١٩٧١ ، حسـب احصاء نفس السنة .

(٦) شذرات تاريخية ص ١٦٧ .

(٧) Les Bibliothéques Habous au Maroc. J. Luccioni 1955.

(٨) عشر سنوات من المنجزات الثقافية ، والخزانة السلطانية وبعض نفائسها ، محمد الفاسي ـ البحث العلمي اعداد : ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ .

(٩) من محاضرة جامعيـة للاسـتاذ محمد المنوني ، مطبوعة بواسطة الالة الكاتبة .

(١٠) ابو عنان المريني سابع ملوك الدولة المرينية ، حكم المغرب بين ٧٤٣ و ٧٦٠هـ . بعد والده ابي الحسن .

(١١) اعظم ملوك الدولة السعدية (٩٢٣ـ١٠٦٩هـ) وبطـل وقعة وادي المخازن الشهيرة ٩٨٦هـ وباني قصر البديـع بمراكش حكم بين ٩٨٦هـ و ١٠١٢هـ .

(١٢) انظر مقال محافظ الخزانة السابق المرحوم محمد العابد الفاسي « خـزانة القرويـين ونوادرها » مجلة معهـد المخطوطات العربية المجلد ٥ ـ الجزء ١ مايو ١٩٥٩ ص ٣ـ١٦ .

(١٣) انظر كتاب :

Les Bibliothéques Habous au Maroc.
J. Luccioni 1955.

(١٤) خل وبقل . عبدالله كنون ص ١٢٠ـ١٢٤ .

(١٥) تحدث محمد المنوني عن تاريخ الخزانة الناصرية بتمكروت في مقدمة اللائحة التي وضعها لمخطوطات هذه الخزانة من الصفحة ١ الى ٣٥ .

(١٦) حديث مع الاستاذ محمد ابراهيم الكتاني عن مخطوطات تمكروت نشر بمجلة الاذاعة الوطنية عدد ١٣ / ١٩٥٩ ص ١٤ـ١٦ .

(١٧) للتعرف على تاريخ هذه الزاوية ورجالاتها ، انظر كتاب « الزاوية الدلائية » لمحمد حجي من ص ٦٤ . المطبعـة الوطنية بالرباط ١٩٦٤ .

(١٨) مكتبة الزاوية الحمزاوية : صفحة من تاريخها . مقال محمد المنوني نشر في مجلة تطوان عدد ٨ سنة ١٩٦٢ من ٩٧ـ١٧٧ .

(١٩) لا ننسى ان هذه السنة هي سنة المسيرة الخضراء السلمية لتحرير الصحراء التي انطلقت يوم ١٦ اكتوبر ١٩٧٥ ، وانتهت بتحرير الصحراء يوم ٦ نونبر من نفس السنة .

(٢٠) انظر نوادر المخطوطات بالمغرب ، لصلاح الدين المنجد ، مجلة معهد المخطوطات المجلد ٥ الجزء ١ ص ١٦١ـ١٩٤ .

(٢١) عشر سنوات من المنجزات الثقافية في عهد الحسن الثاني، نشر وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، الرباط ١٩٧١ ، ص٢٢٥ ـ ٢٢٩ .

مقابسات في الفلسفة الصوفية

عزيز عارف
بغداد ـ المنصور ـ حي المهندسين

القسم الأول

في المقدمة القيمـة لكتاب (الطواسـين) للحلاج ، عرض لنا المستشرق الفرنسي الاستاذ لويس ماسينيون نصا من نصوص الحلاج واثبت ترجمة له بالفرنسية ، ولنا على هذا النص وعلى الترجمة ثلاث ملاحظات .

نص الحلاج(1)

« قال الحسين بن منصور لما قيل لابليس : « اسجد لادم ! » خاطب الحق : « ارفع شرف السجود عن سري الاك حتى اسجد له ؟ ان كنت امرتني فقد نهيتني » .

قال : « فاني اعذبك عذاب الابد ! » فقال: « أولست تراني في عذابك لي ؟ » قال : « بلى » . فقال : « فرؤيتك لي تحملني على رؤية العذاب ! افعل لي ماشئت » ـ فقال : « اني اجعلك رجيما» ـ قال ابليس : « اوليس لك بحامد سوى غيرك؟ افعل بي ماشئت .»

(1) كتاب الطواسين تحقيق لويس ما سينيون ، باريس ١٩١٣ واعادت طبعة بالاوفسيت مكتبة المثنى ببغداد ، ص١١ ـ ١٢ من المقدمة

الترجمة ماسينيون للنص

"Lorsqu'il fut dit à Iblis "Adore Adam!", – il adressa la parole à Dieu : "Un autre que Toi a-t-il donc osé ôter à ma conscience son honneur d'adoratrice, – pour que je puisse adorer Adam. Si tu me l'as ordonné, c'est après me l'avoir interdit! – Je vais te supplicier éternellement. – Est-ce que Tu ne me regarderas pas, – pendant que Tu me supplicieras? - Si! - Alors ton regard posé sur moi m'enlèvera au - dessus de la vision du supplice! Fais de moi selon ta volonté. – Je vais faire de toi le "Lapidé"! N'as-tu, pour Te louer, qu'un autre que Toi-même? Fais donc de moi selon ta volonté".

ملاحظاتنا

الملاحظة الاولى

الامر محمول على النهي

يلاحظ على ترجمة ماسينيون الفرنسيـة لعبارة الحلاج « ان كنت امرتني فقد نهيتني » أن

ثم حدثين ماضيين منفصلين زمانا ، متعارضين معنى ، حدثاً سابقاً بمعنى النهي ، وحدثاً لاحقاً بمعنى الامر .

وإذا امعنا النظر في عبارة الحلاج تبين لنا انها تتضمن حدثا واحدا هو الامر المحمول على النهي ، فكأن الحلاج اراد ان يقول : انك قد نهيتني بأمرك لي ، وما امرك هذا الا النهي .

والحق ان عبارة الحلاج لا تستقيم الا على هذا المعنى ، والمنطق يقتضيه . فهذه العبارة وردت على لسان ابليس تبريرا لموقفه واعتذارا عنه . وهذا التبرير انما يكون معقولا ومقبولا في حال الامر المحمول على النهي ، اما في حال الامر اللاحق بالنهي ، او النهي السابق على الامر كما ذهب اليه ماسينيون بترجمته ، فلن يكون ثم تبرير ولا اعتذار وانما هو تحد ومجابهة ، فابليس هنا لا يخضع للامر ويتذرع بانه قد اطاع النهي السابق على الامر ، وهذا التبرير منه غير معقول ولامقبول لان الذي يصدر النهي له أن يصدر الامر ، وان الذي يخضع للنهي ، عليه ان يخضع للامر .

وواضح من عبارة الحلاج على لسان ابليس ان المقصود منها انما هو التبرير والاعتذار لا التحدي ولا المجابهة ، ولايكون هذا الا في حال الامر بمعنى النهي ، لا كما ذهب اليه النص الفرنسي .

ويؤكد الحلاج هذا المعنى في (طاسين الازل والالتباس)(٢) في المحاورة التي ادارها بين موسى عليه السلام وبين ابليس ، وقد التقيا على عقبة الطور . يسأل موسى ابليس ، زاجرا :«تركت الامر ؟ » فيرد عليه : « كان ذلك ابتلاء لا امرا .».

والى هذا المعنى ذهب محيي الدين بن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) حيث يقول :

« ...فان ابليس قال للحق : امرتني بما لم ترد ان يقع مني فلو اردت مني السجود لآدم لسجدت ...»(٣) ولا يخرج عن هذا المعنى قول الحلاج :

« قال له الحق ، سبحانه : الاختيار لي لا لك قال : الاختيارات كلها واختياري لك .. »(٤)

(٢) الحلاج ـ كتاب الطواسين ـ ص٤٦ .
(٣) ابن عربي ـ الفتوحات المكية ـ الجزء الثالث ـ ص١٢٤ دار صادر ـ بيروت .
(٤) الحلاج ـ كتاب الطواسين ص٥٢ .

الملاحظة الثانية ـ « لي » و « بي »

في نص الحلاج وردت العبارتان : « افعل لي ماشئت» و « افعل بي ماشئت » وهما كما ترى مختلفتان مبنى ومعنى ، تتباينان من وجهة النظر اللغوية ، وتتباينان كذلك من وجهة التصور الصوفي .

اما ترجمة ماسينيون الفرنسية فنلاحظ عليها انها اعتبرت هاتين العبارتين تعبران عن نفس المعنى وحسبت ان اللفظين (لي) و (بي) في العبارتين متماثلان في المعنى فكانت ترجمة (لي) هي نفسها ترجمة (بي) de moi خلافا لماورد في النص الاصلي .

وجدير بالذكر ان كثيرا من افكار الصوفية تقوم على اساس التفريق بين (لي) و (بي) ، سواء ماورد منهما على لسان الحق سبحانه ام ماذكر على لسان العبد .

قال محيي الدين بن عربي :

« ... ياأخي (لي) و (بي) مقامان رفيعان و (في) أرفع منهما .»(٥)

وقال في(كتاب حلية الابدال) : الحكم نتيجة الحكمة ، والعلم نتيجة المعرفة . فمن لاحكمة له لاحكم له ، ومن لامعرفة له لاعلم له فالحاكم العالم (لله) قائم . والحكيم العارف (بالله) واقف . فالحاكمون العالمون (لاميون) والحكماء العارفون (بائيون) .»(٦) وقال ابن عربي في (رسالة لايعول عليه) :

« ...السلوك اذا كان به او فيه او منه او اليه لايعول عليه فاذا جمع الكل عول عليه .»(٧) وقال الشيخ (النفري) في كتاب المواقف :

« .. .أن لي أعزاء لايرون الا (لي) واعزاء لايرون الا (بي) ، لفرق مابينهم ابعد من البعد الى القرب »(٨) وقال : « اذا كنت لي فانت بي ، واذا كنت بي فانت لك .»(٩) .

(٥) رسائل ابن العربي ـ كتاب الكتب ـ ص٩٤ ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت .
(٦) رسائل ابن العربي ـ كتاب حلية الابدال ـ ص٢ .
(٧) المصدر السابق ـ رسالة لايعول عليه ـ ص١٢ .
(٨) النفري ـ كتاب المواقف ـ ص٥١ .
(٩) المصدر السابق . ص٤٧ .

وقال : « .. لان تكون لك احسن من ان تكون بك ، ولان تكون بك أحسن من أن تكون فيك . »(١٠) وقال النفري في كتابه (المخاطبات)

« .... ياعبد ! لايقوم لي شيء ويقوم بي كل شيء ».(١١) وقال : « ياعبد ! قل ائبتني لك كما اثبتني بك »(١٢) وقال ابو نصر السراج في كتابه (اللمع) :

« يقال : ان جميع ماادركته العلوم والحقته الفهوم ؛ ماعبر عنه وما اشير اليه ، مستنبط من حرفين من اول كتاب الله تعالى ، وهو قوله : «بسم الله والحمد لله : لان معناه بالله ولله ، والاشارة في ذلك :

ان جميع مااحاط به علوم الخلق وادركته فهومهم فليست هي قائمة بذواتها ، انما هي بالله ولله»(١٣)

الملاحظة الثالثة

(تخليني) لا (تحملني)

نلاحظ على الترجمة الفرنسية لعبارة الحلاج « فرؤيتك لي تحملني على رؤية العذاب » انها جاءت مغايرة للنص الاصلي وعلى خلاف المعنى الذي اراده الحلاج . وهذا الامر يحتاج الى شرح وتحليل .

ذهب ماسينيون بترجمته الى ان (على) في هذه العبارة تعني (فوق) فترجمها على هذا النحو: فرؤيتك لي سترفعني فوق رؤية العذاب .» . وواضح من الترجمة الفرنسية ان مفهوم العبارة: لن يمسني العذاب لانني محمول فوق العذاب جد بعيد عنه ، مادمت انت تراني . اما العبارة في نصها الاصلي فمفهومها ــ كما يبدو لنا ــ هو ان : رؤيتك لي تفردني وتفرغني وتقصرني على رؤية العذاب ، فما اسعدني به مادمت انت تراني.

ويقول الحلاج على لسان ابليس بعد هذه العبارة مباشرة : « افعل لي ماشئت » اي افعل من اجلي ماشئت من هذا العذاب فحمدا لك على عذابك الذي هو كل نعيمي ، مادمت انت تراني .

ونلاحظ ايضا على عبارة الحلاج هذه ان « تحملني على » تعني ــ تغريني بالشيء وتدفعني اليه . وكلمة « تحملني » في هذا المكان تبدو من حيث اللغة حسنة الاداء ، غير اننا لانراها كذلك من حيث التصور الصوفي ونرى ان الادق منها والاوفق للمعنى الذي اراده الحلاج ان تحل محلها كلمة « تخلني » المصحفة تلك التي اشار اليها ماسينيون في الحاشية رقم (٦) من الصفحة (١٢) من مقدمته لكتاب الطواسين ، وذلك بعد تصويبها بكلمة (تخليني) حيث بين لنا ان (تخلني) وردت مكان (تحملني) في نص مخطوطة من المخطوطات التي اعتمدها عند تحقيق هذا النص .

فقد يرد احتمال ان هذه الكلمة ربما دخل عليها التصحيف وان اصلها الصحيح هو (تخليني) لا (تخلني) فهي هنا اذن من الفعل (اخلى) وترد بمعنى : (اخليت ــ اي خلوت واخليت غيري ، يتعدى ولايتعدى واخلى فلان على اللبن وعلى اللحم: اذا اقتصر عليه .. واخلى : اذا انفرد ..)(١٤) .

وكما هو واضح فان (تحملني) تتضمن معنى الترغيب والترهيب اما (تخلني) فليس لها مثل هذا المعنى . والذي نراه ان الحلاج اراد ان يقول على لسان ابليس :

ان رؤيتك لي تفردني للعذاب وتقصرني عليه فلا راى سواه ولايراه أحد غيري ، لايحملني شيء عليه وانما انا مدفوع اليه طواعية ، اتمناه واستعذبه فهو النعيم عندي مادمت انت تراني .

وعلى هذا المعنى تدور كثير من اشارات الصوفية .

« قال ذو النون (المصري) اصدبق له صوفي كان يئن من الوجع :

ــ ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه .

اجابه الصوفي :

ــ بل ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه »(١٥) .

(١٠) المصدر السابق ــ ص٦٢ .

(١١) النفري ــ كتاب المخاطبات ــ ص٢١٦ .

(١٢) المصدر السابق ــ ص١٨٩ .

(١٣) السراج ــ اللمع ــ ص١٢٤ .

(١٤) لسان العرب ــ مادة (خلا)

(١٥) السراج ــ اللمع ــ ص٧٧

وقال الشبلي :

« احبك الخلق لنعمائك وانا احبك لبلائك »[16] .

وقال ابو الحسن الدينوري : « اهل المحبة — في لهيب شوقهم الى محبوبهم — يتنعمون في ذلك اللهيب ، احسن مما يتنعم اهل الجنة ، فيما اهلوا له من النعيم »[17] .

وقال السري : « اللهم ماعذبتني بشيء فلا تعذبني بذل الحجاب »[18] .

وقال ذو النون ، يصف حال الصوفي الصادق في حبه :

« ادنى منازل الأنس ، أن يلقى في النار فلا يغيب همه عن ماموله »[19] .

القسم الثاني

تمثل الاستاذ احمد امين في الجزء الثالث من كتابه (ظهر الاسلام)[20] وهو يتحدث عن الشيخ محيي‌الدين بن عربي الصوفي الفيلسوف ، باشارة من اشاراته الصوفية المثيرة للريبة والانكار ، ثم ذكر لنا تفسير ابن عربي نفسه لهذه الاشارة واراد أن يقنعنا كما اقتنع هو بهذا التفسير وان هذا هو (منحى الشيخ في القول) فقال :

« وكان كثير الشطح ، كثير التاويل ، وربما كانت له قصص كثيرة تبين منحاه في القول فقد قال :

يامن يراني ولا اراه   كم ذا اراه ولايراني

فاعترض عليه ، كيف لايراه الله ؟ فقال :

يامن يراني مجرما   ولا اراه آخذا
كم ذا اراه منعما   ولايراني لائذا

وله كلام كثير من هذا القبيل،ظاهرة الالحاد وباطنه الاسلام مع التاويل . » — انتهى .

والحق ان ابن عربي لم يكشف لنا بهذا التأويل عن المعنى المستور باشارته بل اسدل به سترا آخر على هذا السر المستور ، واتخذ التعمية تقية له ومراعاة منه للسر وضنا منه أن ينكشف لغير اهله ، فما معنى اشارة الشيخ اذن ؟

ان هذه الاشارة تحتمل وجوها عديدة من التفسير لاتخرج جميعا عن حدود نظريات ابن عربي الفلسفية الصوفية ولاتتجاوز دائرة مذهبه في وحدة الوجود . فمن هذه الوجوه :

١ — ماذهب اليه الدكتور ابو العلا عفيفي في تفسير قول ابن عربي :

يامن يراني ولااراه   كم ذا اراه ولايراني

بانه كان « مشيرا بذلك الى مذهبه في وحدة الوجود وانه يرى الحق متجليا في صور اعيان الممكنات ولا يراه الحق لانه هو المتجلي في صورته »[21] .

ومعنى هذا الكلام أن العالم (او اعيان الممكنات كما يعبر ابن عربي) انما هو مرآة الحق ، يتجلى الحق في اعيان الممكنات ، وهي في حال ثبوتها في العدم فتظهر للوجود صورها . وتجلي الحق دائم مستمر ، يتجدد ولا يتكرر ولايتناهى ابدا . ومن هنا تتجدد الصور وتتنوع ولاتتكرر ولاتتناهى ابدا « ولولا سريان الحق في الموجودات بالصورة ما كان للعالم وجود »[22] .

والعالم — كما يرى ابن عربي — متوهم وهو خيال كله وليس ثم وجود الا وجود الحق فيقول :

« ... فالوجود كله خيال في خيال والوجود الحق انما هو الله خاصة من حيث ذاته وعينه لا

(١٦) ابو عبدالرحمن السلمي — طبقات الصوفية — تحقيق نور الدين شريبة ص٢٤٤ .
(١٧) المصدر السابق — ص٣١٤ .
(١٨) المصدر السابق ص٥١ .
(١٩) المصدر السابق — ص٢٣ .
(٢٠) ص٧١ — دار الكتاب العربي — بيروت .

(٢١) محيي الدين بن عربي — فصوص الحكم — حققه وعلق عليه الدكتور ابو العلا عفيفي — ج١ ص١٧ — دار الكتاب العربي بيروت .
(٢٢) المصدر السابق — ج١ ص٥٥ .

من حيث اسماؤه .... وأعياننا في نفس الامر ظله لاغيره فهو هويتنا لا هويتنا »[٢٣] .

ويقول : « ... فمن حيث احدية كونه ظلا هو الحق لانه الواحد الأحد ، ومن حيث كثرة الصور هو العالم ... واذا كان الأمر كما ذكرت لك فالعالم متوهم ماله وجود حقيقي ، وهذا معنى الخيال ، اي خيل لك انه امر زائد قائم بنفسه خارج عن الحق وليس كذلك في نفس الامر »[٢٤] .

ويقول ابن عربي في الفص العاشر من كتابه (فصوص الحكم)[٢٥] :

« ... فما يحد شيء الا وهو حد الحق ، فهو الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات ، ولو لم يكن الأمر كذلك ماصح الوجود ... فهو الشاهد من الشاهد والمشهود من المشهود » .

ليس ثم اذن الا الحق سبحانه ؛ لا أحد يراه ولا أحد يرى لأنه ليس ثم أحد سواه فهو الشاهد لنفسه وهو المشهود من نفسه .

٢ — وهناك تفسير ثان — كما نرى — لاشارة ابن عربي قد يكون مقبولا ، هو انه كان يقصد باشارته هذه الى (وحدة الشهود) لا وحدة الوجود . ففي حال الفناء الصوفي وهو حال الجمع فليس ثم الا الحق تعالى فهو المشاهد المشهود . اما في حال الصحو وهو حال الفرق فلا يظهر للصوفي الا الخلق فلايرى الا نفسه .

٣ — والتفسير الراجح عندي ان ابن عربي كان يقصد باشارته هذه الى المقابلة بين (اراه ويراني) وبين (لا اراه ولا يراني) هو هنا يقابل بين وجهين من (الوجود) : وجه يَرى ويُرى) ووجه (يُرى ولا يَرى) . هو اذن يشير بقوله هذا الى نظرية من أهم نظرياته واكثرها تعقيدا وابعدها عمقا واوسعها شمولا والتي اخضع لها مذهبه في وحدة الوجود وفسره بها ، تلك هي نظرية النسب والاضافات .

فالحق سبحانه وتعالى ، مجردا عن النسب والاضافات هو (الذات) او (الوجود المطلق) او (الاحدية) او (الواجب الوجود بذاته لذاته) . ومادام الحق مجردا عن النسب والاضافات فليس ثم نسبة او تعلق بينه وبين الخلق ، ومن هنا (لا اراه ولايراني) .

اما الحق سبحانه وتعالى بوصفه نسبة الى الخلق فانه يقبل الاتصاف بأن يكون شاهدا ومشهودا وبما لايتناهى من الصفات ، وليس الحق ههنا الا اسما من الاسماء الالهية ومن هنا (اراه ويراني) .

يقول ابن عربي في (كتاب المسائل)[٢٦] :

(... ليس بأيدينا على الحقيقة من الحق تعالى الا اسماؤه ولا تعقل منه غيرها ، وبهذه النسبة نسميه معروفا ومعلوما ونسمي انفسنا علماء وعارفين ، ولهذا لا يقع التسبيح والتقديس الا على الاسم فقال تعالى : « سبح اسم ربك الأعلى » و « تبارك اسم ربك ») .

ويؤكد ابن عربي هذه الفكرة في الفص الاول من كتابه (فصوص الحكم) قائلا :

« ... فما وصفناه بوصف الا كنا نحن ذلك الوصف الا الوجوب الخاص الذاتي ، فلما علمناه بنا ومنا نسبنا اليه كل مانسبناه الينا ، وبذلك وردت الاخبارات الالهية على السنة التراجم الينا ، فوصف نفسه لنابنا ، فاذا شهدناه شهدنا نفوسنا ، واذا شهدنا شهد نفسه ... »[٢٧] .

والى هذا المعنى يذهب ابن عربي في (رسالة لا يعول عليه) حيث يقول : « المعرفة بالله معراة من الاسماء الالهية لا يعول عليها فانها ليست بمعرفة . »[٢٨] .

ويقول في مكان آخر من هذه الرسالة :
« كل مايخرجك عن حكم الاسماء الالهية لا تعول عليه . »[٢٩] .

اما الحق سبحانه وتعالى وجودا مطلقا فليس بينه وبين الخلق اية مناسبة ومحال أن يوجد وجه جامع بينهما ، فقد احتجب عن العقول والأبصار « فالعلم به محال ، ولايصح أن يعلم منه ، لأنه لايتبعض ، فلم يبق الا العلم بما يكون منه ، وما يكون منه هو أنت ، فانت المعلوم . »[٣٠] .

---

(٢٣) فصوص الحكم — الفص التاسع — ج١ ص١٠٤ .

(٢٤) فصوص الحكم — ص١٠٢ .

(٢٥) ج١ ص١١١ .

(٢٦) رسائل ابن العربي — كتاب المسائل — ص٢٦ .

(٢٧) فصوص الحكم — ص٥٣ .

(٢٨) رسائل ابن العربي — رسالة لايعول عليه . ص٣ .

(٢٩) المصدر السابق — ص١٤ .

(٣٠) ابن عربي — الفتوحات المكية — السفر الاول تحقيق د . عثمان يحيى — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ١٩٧٢ — ص٢١١ .

وهو سبحانه « لاتعقل ماهيته ولا تجوز عليه الماهية ، كما لا تجوز عليه الكيفية ولا تعلم له صفة نفسية من باب الاثبات ... وغاية المعرفة به الحاصلة بايدينا اليوم من صفات السلب مثل : ليس كمثله شيء ، وسبحان ربك رب العزه عما يصفون ... »(٣١) .

ويقول ابن عربي :

« الذات الالهية منزهة عن ان يكون لها بعالم الكون والخلق والامر مناسبة او تعلق بنوع من الانواع لان الحقيقة تابى ذلك .. »(٣٢) .

غير انه يحتاط في قوله هذا ويتحفظ فيقول لنا :

« ... ان التنزيه عند اهل الحقائق في الجناب الالهي عين التحديد والتقييد »(٣٣) .

وهو يحتاط ويتحفظ كذلك حين يطلق على (الذات) عبارة (الوجود المطلق) فيقول :

« ... ومن تميز عن المحدود فهو محدود بكونه ليس عين هذا المحدود ، فالاطلاق عن التقيد تقييد والمطلق مقيد بالاطلاق لمن فهم .. »(٣٤) .

واذا كان التنزيه عند ابن عربي هو عين التحديد ، واذا كان المطلق عنده مقيدا بالاطلاق ، فكيف اذن يتيسر لنا ان نفهم مدلول الوجود المنزه المطلق ؟

يرى ابن عربي أن « العلم بالسلب هو العلم بالله سبحانه . »(٣٥) والعلم بالسلب انما هو (العلم بعدم العلم) فيقول في كتابه (الفتوحات المكية) :

« ... فلم نصل الى المعرفة به سبحانه ، الا بالعجز عن معرفته ... وهذا هو العلم بعدم العلم ... »(٣٦) .

(٣١) ابن عربي ـ (كتاب انشاء الدوائر) ـ ص٢٠ .

(٣٢) المصدر السابق ص٢٢ .

(٣٣) ابن عربي ـ فصوص الحكم ـ الفص الثالث ـ ص٦٨ .

(٣٤) ابن عربي ـ فصوص الحكم ـ الفص العاشر ـ ص١١١

(٣٥) ابن عربي ـ الفتوحات المكية ـ السفر الثاني تحقيق د . عثمان يحيى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٢ ـ ص٩٥ .

(٣٦) المصدر السابق ـ ص٩٢ .

ويتمسك ابن عربي كما يتمسك الصوفية جميعا بقول ينسب الى ابي بكر الصديق (رض) وهو :

« العجز عن درك الادراك ادراك . »

ليس هناك اذن في اشارة ابن عربي اي تناقض بين (اراه) و (لااراه) ، وليس ثم تناقض كذلك بين (يراني) و (لايراني) ، ذلك ان (الرؤية) هنا انما هي تعلق او نسبة او اشتراك بين الوجود والخلق ، وهما مرتبطان ارتباطا اضافيا فلا بد للرائي من مرئي ، ولابد للمرئي من راء ، والوجود هنا كما يرى ابن عربي هو الاسم الالهي وليس هو الوجود المطلق .

اما (اللارؤية) فهي هنا نفي اية نسبة او تعلق او اشتراك بين الوجود والخلق ، والوجود ههنا وجود مطلق لا يقيده الاطلاق .

وعلى هذا المعنى تدور كثير من اشارات الصوفية ، فمنهم من قال : « من رآه لم يرشيئا » . ومنهم من قال :

(لا تثبت الرؤية الا بنفيها فمن لم يره فقد رآه) .

ومنهم من قال : (لايرى الا في شيء) . ومنهم من قال :

(اغلقت عيني ثم فتحتها فما رايت الا الله) . ومنهم من قال :

(منذ رايته لم ارغيره) . ومنهم من قال :

(لايراه الا من عرفه على ماعرفه)(٣٧) .

وقال ابو طالب المكي : « لايرى من ليس كمثله شيء الا من ليس كمثله شيء »(٣٨) .

ويقول الشيخ النفري وهو استاذ ابن عربي الروحي في كتابه (المواقف) في احدى اشاراته التي صورها خياله ان الحق سبحانه قد خاطب بها العبد :

« ... فما تعلم مني وما تعلم بي وما تعلم لي وما تعلم من كل شيء فانفه بالجهل ... احتجب عن العلم بالجهل والا لم ترني . »(٣٩) .

(٣٧) رسائل ابن العربي ـ كتاب الاعلام ـ ص٢ .

(٣٨) رسائل ابن العربي ـ كتاب التراجم ـ ص٥١ .

(٣٩) النفري ـ كتاب المواقف ـ ص١٠٦ .

كتاب الأشباه والنظائر المنسوب الى الثعالبي

الدكتور

حاتم صالح الضامن

كلية الآداب – جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

من الكتب التي صدرت أخيراً في بيروت كتاب (الأشباه والنظائر) تاليف الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ ، وتحقيق محمد المصري .

ولم يكن بين يدي الاستاذ محمد المصري ، وهو يحقق الكتاب ، إلا اصل واحد من مخطوطات مكتبة ولي الدين باستانبول ، وهو أصل يرقى تاريخ نسخه الى القرن الثاني عشر الهجري ؛ وعليه ختم مؤرخ في سنة ١١٧٥هـ .

وكنت قد صوّرت هذه المخطوطة قبل سنين وثبت عندي بما لا يقبل الشك انها لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، وهي اختصار لكتابه الكبير الموسوم ب (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر)(*) .

وفي عام ١٩٧٩ صدر كتاب لابن الجوزي عنوانه (منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر)(**) .

وعند مقابلة هذا المنتخب بكتاب (الأشباه والنظائر) ثبت انهما كتاب واحد وصحّ ما ذهبنا اليه وهو انه لابن الجوزي وليس للثعالبي .

ويظهر انّ الاستاذ محمد المصري طبع الكتاب وهو واثق بما جاء في صفحة العنوان ومقدمة الكتاب المقحمة عليه من نسبته الى الثعالبي ، فقد جاء في مقدمته للكتاب تحت عنوان (من مؤلف كتاب الأشباه والنظائر ؟) :

جاء في مستهل مخطوطة هذا الكتاب مايلي : (قال وحيد دهره وفريد عصره راس النبلاء ، وتاج الفضلاء الثعالبي ؛ قدّس سره ، وعلىّ ذكره ...) .

لم يذكر اذن اسم مصنفه ولا كنيته ولا اي امر آخر نهتدي به الى معرفة اي ثعالبي هو ، والثعالبة كثر .

(*) طبع هذا الكتاب مرتين : الاولى في حيدر اباد – الهند سنة ١٩٧٤ ، والثانية في بيروت سنة ١٩٨٤ بتحقيق محمد عبدالكريم .

(**) حققه محمد السيد الصفطاوي ود . فؤاد عبدالمنعم احمد ، وطبع في الاسكندرية طبعة رديئة تزخر بالاخطاء.

وعلى هذا سنحاول البحث عن هذا الثعالبي ونتلقف إشارات وملاحظات قد ترشدنا إليه، ولعلنا نفلح في ذلك .

إنّ في الكتاب ما يرشدنا الى انّ مؤلفه من رجال القرن الرابع الهجري ، إذ جاء فيه : (سمعت القطّان يقول : سمعت ثعلباً ...) . والمعروف انّ ثعلباً احمد بن يحيى توفي سنة ٢٩١هـ . فليس بين هذا الثعالبي وثعلب إلاّ راوٍ واحد فقط .

وعرفنا من قراءة الكتاب انّ له شيخاً اسمه (علي بن عبيد الله) . ولعلنا لا نجانب الصواب إنْ زعمنا أن علي بن عبيد الله هذا هو من رجال القرن الرابع الهجري ، وإذا رجعنا الى معجم الأدباء لياقوت الحموي وجدناه يذكر اثنين من العلماء بهذا الاسم : احدهما يعرف بالدقاق وبالدقيقي ، توفي سنة ٤١٥هـ ، وهو نحوي عروضي اخذ عن ابي علي الفارسي والسيرافي والرمّاني ، وتخرج به خلق كثير . والثاني يعرف بالسمسمي ، توفي سنة ٤١٥هـ ايضاً . وهو ايضاً عالم جيد المعرفة بعلم العربية ، صحيح الخط غاية في اتقان الضبط ، قرا على ابي علي الفارسي وابي سعيد السيرافي ، ثقة . ولعلهما اسمان لعالم واحد .

نضيف الى ذلك اموراً أخرى تثبت أنّ مصنفه من علماء القرن الرابع الهجري ، منها :

١ ـ اسلوب المصنف وطريقته .

٢ ـ اعتماده شواهد الشعر الذي يحتج به قدامى المصنفين كشعر ذي الرمة وجرير ورؤبة وغيرهم .

٣ ـ موضوع الكتاب .

٤ ـ اعتماده اقوال وآراء اعلم علماء اللغة في القرنين الثالث والرابع الهجريين ... وليس فيه نقول او آراء لعلماء متاخرين البتة .

وعلى هذا سننفض الطرف من اي ثعالبي عاش قبل القرن الرابع الهجري وبعد منتصف القرن الخامس الهجري ، لنجد ثلاثة ثعالبة عاشوا في القرن الرابع الهجري ومطلع الخامس هم :

١ ـ احمد بن محمد ، المتوفى سنة ٤٢٧هـ ، ويقال له : الثعالبي ايضا ، وهو مفسر ، مقرىء ، واعظ ، اديب ، وهو صاحب كتاب (عرائس المجالس) في قصص الأنبياء .

٢ ـ الحسين بن محمد الذي كان حياً قبل سنة ٤٢١هـ ، وهو مؤرخ ، من آثاره : الغرر في سير الملوك واخبارهم .

٣ ـ عبدالملك بن محمد ، ابو منصور ، المتوفى سنة ٤٢٩هـ ، وهو العلم الفذّ ، صاحب المؤلفات الجمة ، من اشهرها : يتيمة الدهر، فقه اللغة ....

امّا الاول فيغلب عليه التفسير والقراءة والوعظ ، وقليل التصانيف .

وامّا الثاني فمؤرخ ، وليس له إلاّ كتاب واحد في التاريخ .

وامّا ثالثهم فهو احد علماء عصره الافذاذ ..

فلعلنا لا نعدو الصواب إن قرّرنا انّ ابا منصور عبدالملك بن محمد هو مصنّف هذا الكتاب الذي بين ايدينا ، وروحه تشيع بين سطوره ، ونفسه يعبق خلل عباراته .

وإن لم يذكر من ترجموا لابي منصور هذا الكتاب بين مصنفاته فلا ضير ، ولطالما حدث مثل هذا ، فضلا عن انّهم لم يذكروا هذا الكتاب البتة. فلم ينسب لأحد غيره .

يضاف الى كل ما تقدّم انّ في الكتاب عبارات وشواهد اوردها في كتابه الشهير (فقه اللغة) .

وقد نقبت في كثير من كتب ابي منصور فلم اعثر له على ذكر . انتهى كلام المحقّق .

اقول : ولنا على هذه المقدمة ملاحظات نجملها في النقاط الآتية :

اولا ـ جانب المحقق الصواب حينما ذهب الى انّ مؤلف الكتاب من رجال القرن الرابع الهجري معتمداً على ما جاء في الكتاب : (القطّان يقول : سمعت ثعلباً ...) متوهماً انّ الذي سمع القطان هو الثعالبي .

والقطّان هو ابو الحسن علي بن ابراهيم المتوفى سنة ٣٤٥هـ وهو شيخ ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ . (معجم الأدباء ٢١٨/١٢ ، طبقات المفسرين ٣٨٢/١) .

ولو رجعنا الى النص في الصفحة السادسة والاربعين بعد المئتين (المحصنات) لرأينا انّ الذي سمع القطان هو احمد بن فارس فغيه : قال ابن فارس : وذكر ناسٌ انه سُمي حصاناً لانّه ضَنَّ (كذا) بمائه فلم ينزُ (كذا) إلاّ علـى كريمـة ، ثـم كثر ذلك حتى سـموا كلّ ذكر من الخيـل حصاناً . ويقال : امرأة حَصان بيّنة الحصانة . والحَصِين (كذا) وفرس حصان : بيّن التحصين (كذا) . وسمعتُ القطّان يقول : سـمعت ثعلباً يقـول : كل امـرأة عفيفـة فهـي مُحْصَنَـة ومُحْصِنَـة ، وكلّ امـرأة متزوجـةً فهـي مُحْصَنَة لا غير .

فالكلام متصل ، ودليل آخر يدحض زعم المحقق هو انّ هـذا النص جاء برُمّتِه في كتاب ابن فارس الموسوم بـ (مجمل اللغة) في الصفحة السابعة والثلاثين بعد المئتين ، قال : (ذكر ناس انّه سُمي حِصان لانّه ضَنّ بمائه فلم يَنْزُ إلاّ على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سمّوا كلّ ذكر من الخيل حِصاناً . ويقال : امرأة حَصان بيّنـة الحَصانـة والحُصْنِ . وفـرس حصان بيّـن التحصُن ... وسمعتُ القطّانَ يقول : سمعت ثعلباً يقول : كلّ امـرأة عفيفة فهي مُحْصَنَـة ومُحْصِنة ، وكلّ امرأة متزوجة فهي مُحْصَنَة لا غير) .

ثانياً ـ ذهب المحقـق إلى انّ للمؤلف شـيخاً اسمه (علي بن عبيد الله) وانّه من رجال القرن الرابع الهجري وربما كان هـذا الشيخ الدقاق أو الدقيقي المتوفى سنة ٤١٥هـ او انّه السمسمي المتوفى سنة ٤١٥هـ ايضاً ثم قال : ولعلهما اسمان لعالم واحد .

واقول : هنا ايضاً جانب المحقـق الصواب ، فعلي بن عبيد الله هـذا هـو شيخ ابن الجوزي ويسمى ابن الزاغوني ، وهو من أهل بغداد ، فقيه ، من أعيان الحنابلة ، توفي سنة ٥٢٧هـ (المنتظم ٣٢/١٠ ، المشيخة ٨٧ ، اللباب ٥٣/٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة ٢١٦/١) .

وقد جاء اسمه مرتين في الكتاب : الاولى في الصفحة المتممة للمئتين عند شرح (الظلمات) قال شيخنا علي بن عبيد الله : الاصل في الظلمات اسـوداد الليل ، فإنّه إذا عدمت الانوار اسـود الافق بتكانيف (كذا) الهواء الزائد (كذا) .

وجـاء هـذا القول في كتابي ابن الجـوزي المنشـورين ، وهما : نزهـة الاعـين النواظـر في الصفحة الثالثة والعشرين بعد الاربعمائة ومنتخب قرة العيون النواظر في الصفحة الحادية والسبعين بعد المئة .

قال ابن الجـوزي في الكتاب الاول في باب الظلمات :

(الظلمات جمع ظلمة . قال شيخنا علي بن عبيد الله : والاصل في الظلمة اسوداد الليل ، فإنّه إذا عدم نور النهار وغيره من الأنوار اسودّ الأفق بتكاثف الهواء الراكد) .

وقال في الكتاب الثاني ، وهو المنتخب ، في باب الظلمات :

(قال شيخنا علي بن عبيد الله : الأصل في الظلمة اسـوداد الليل ، فإنّه إذا عدمت الأنوار اسودّ الأفق بتكاثف الهواء الراكد) .

امّا المرة الثانية فقد جاء في الصفحة الثامنة والخمسين بعد المئتين عند شرح (النور) :

(قال شـيخنا علـي بن عبيد الله : النور : الضياء المشمشع (كذا) الذي تنفذه انوار الأبصار فتصل به الى نظر المبصرات) .

وجـاء هـذا القول في كتابي ابن الجـوزي المنشورين ايضاً . قال ابن الجوزي في الصفحـة التاسعة والتسعين بعد الخمسمئة في باب النور من كتاب نزهة الأعين النواظر :

(قال شيخنا علـي بن عبيد الله : النور هو الضياء المتشعشع الذي تنفذه انوار الابصار فتصل به الى نظر المبصرات) .

وقال في الصفحة التاسعة والعشرين بعـد المئتين في باب النور من كتاب منتخب قرة العيون النواظر :

(قال شيخنا علـي بن عبيد الله : النـور الضياء المتشعشع الذي تنفذه انوار الأبصار فتصل به الى نظر المبصرات) .

ولابد ان نشـير هنا الى انّ ابن الجـوزي اعتمد كثيراً على شيخه علي بن عبيد الله في كتابه نزهة الأعـين النواظر لانّه الّف كتاباً في الوجوه والنظائر . قال ابن الجوزي في مقدمة هذا الكتاب: (وممن الّف كتب الوجوه والنظائر الكلبي ومقاتل ابن سـليمان وابو الفضـل العباس بن الفضـل

الأنصاري . وروى مطروح بن محمد بن شاكر عن عبدالله بن هارون الحجازي عن ابيه كتاباً في الوجوه والنظائر ، وابو بكر بن محمد بن الحسن النقاش، وابو عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني ، وابو علي البناء من اصحابنا ، وشيخنا ابو الحسن علي بن عبيد الله بن الزاغوني . ولا اعلم احداً جمع الوجوه والنظائر سوى هؤلاء) .

ثالثاً ـ اضاف المحقق الى ما سبق اموراً اخرى زعم انّها تثبت انّ مصنفه من علماء القرن الرابع الهجري وهي : اسلوب المصنف وطريقته ، وموضوع الكتاب ، واعتماده شواهد الشعر الذي يحتج به قدامى المصنفين كشعر ذي الرمة وجرير ورؤبة وغيرهم ، واعتماده اقوال وآراء اعلم علماء اللغة في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وليس فيه نقول او آراء لعلماء متاخرين البتة .

واقول : ليس في اسلوب الكتاب ما يثبت انّ مصنفه من علماء القرن الرابع ، ومنهج الكتاب ومادته بعيدة عما هو مألوف من نشاط الثعالبي في ميدان التاليف . وفي الكتاب آراء واقوال لعلماء متأخرين جعلهم المؤلف من القرنين الثالث والرابع، من هؤلاء :

(١) علي بن عبيد الله بن الزاغوني المتوفى سنة ٥٢٧هـ كما سلف .

(٢) القاضي ابو يعلى : ترجم له المؤلف في الصفحة السابعة والخمسين بعد المئة بقوله :

(هو احمد بن علي بن المثنى التميمي ؛ حافظ ، من علماء الحديث ، ثقة ، مشهور ، عمّر طويلا ، توفي بالموصل سنة ٣٠٧هـ . وله من المصنفات : المعجم في الحديث ، مسندان : صغير وكبير) .

والصواب : انّ القاضي ابا يعلى هو محمد ابن الحسين بن خلف بن الفرّاء ، شيخ الحنابلة ، ولاّه القائم بأمر الله قضاء دار الخلافة والحريم وحران وحلوان ، توفي سنة ٤٥٨هـ . (تاريخ بغداد ٢٥٦/٢ ، طبقات الحنابلة ١٩٣/٢ ، الوافي بالوفيات ٧/٣ ...) .

وفات المحقق ايضاً انّ الذي ترجم له ليس قاضياً .

(٣) ابو زكريا : وهم المؤلف فظنّه ابا زكريا الفرّاء يحيى بن زياد المتوفى سنة ٢٠٧هـ . قال في ترجمته في الصفحتين الخامسة والسادسة بعد المئتين : (الفرّاء : مرت ترجمته ص ٥٣) .

والصواب : ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢هـ . نقل عنه ابن الجوزي كثيراً في كتابه : نزهة الاعين النواظر ، وذكره باسمه الكامل اول مرة في الصفحة الثانية بعد المئة ، قال في باب (إلى) : (قال ابو زكريا يحيى بن علي التبريزي : وهي للغاية في المكان وغير ذلك ، تقول : سرتُ من البصرة الى الكوفة ، وانتظرته الى آخر النهار ، فكأنّها مقابلة لـ (من) ومراسلة لها ، لأنّ تلك للابتداء و (إلى) للانتهاء. وإذا قلت : سرتُ من البصرة إلى الكوفة ، فجائز ان تكون قد دخلتها ، وان تكون قد وصلت إليها ولم تدخلها . فمما جاء في التنزيل ، وقد دخل الحدّ في المحدود قوله تعالى : « وايديكم الى المرافق » ، فالمرافق داخلة في الغسل الواجب . ومما جاء ولم يدخل الحدّ في المحدود قوله : « ثمّ اتموا الصيام الى الليل » ، فالليل غير داخل في وجوب الصوم) .

وجاء في الاشباه والنظائر ، في الصفحة الثانية والخمسين في باب (إلى) : (هي حرف موضوع لانتهاء الغاية . تقول : سرت من البصرة إلى الكوفة ، وانتظرته الى آخر النهار ، فكأنّه مقابل لـ (مِن) ومزامل (كذا) لها لأنّ (مِن) للابتداء و (إلى) للانتهاء . وإذا قلتَ : سرت من البصرة الى الكوفة فجائز انْ تكون قد دخلتها ؛ وانْ تكون قد وصلت اليها ولم تدخلها . فمن دخول الحد في المحدود قوله تعالى : « فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق » ، ومما لم يدخل قوله تعالى : « ثم اتموا الصيام الى الليل » .

واكتفى ابن الجوزي بكنية التبريزي وهي (ابو زكريا) في المواضع الاخرى من كتابه نزهة الأعين النواظر في الصفحات ١٠٨ ، ١٢٣ ، ٢٠٨ ، ٣٠١ ، ٤٧٥ ، ٥١١ ، ٥٦٥ .

رابعاً ـ زعم المحقق انّ في الكتاب عبارات وشواهد اوردها الثعالبي في كتابه : (فقه اللغة) . ينظر : باب الواو من الأشباه والنظائر .

الأشباه والنظائر

في الألفاظ القرآنية التي ترادف مبانيها وتنوعت معانيها

تأليف

عبد الملك بن محمد الثعالبي

المتوفى ٤٢٩ هـ

تحقيق

محمد المصري

عالم الكتب
بيروت

مكتبة المتنبي
القاهرة

منتخب
قرة عيون النواظر في الوجوه والنظائر
في القرآن الكريم

للإمام ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

تحقيق ودراسة

محمد السيد الصفطاوي
من علماء الأزهر
عميد المعهد الديني بالكويت

الدكتور
فؤاد عبد المنعم أحمد
خبير بحوث إسلامية

١٩٧٩

الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزي وشركاه

واقول : إنّ ما جاء في باب الواو في الصفحة الخامسة والستين بعد المئتين من كتاب الاشباه والنظائر هو كلام احمد بن فارس الذي اورده في الصفحة الخامسة والخمسين بعد المئة من كتابه الموسوم بـ (الصاحبي) . وقد نقل الثعالبي قول ابن فارس في كتابه : (فقه اللغة وسر العربية) ايضاً ، وهذا ديدنه في كتابه (فقه اللغة) فقد اعترف بانّه نقول عن العلماء السابقين .

الاشباه والنظائر ومنتخب قرّة العيون النواظر كتاب واحد .

سلف القول انّ كتاب (الاشباه والنظائر) الذي تنسب غلطاً الى الثعالبي هو كتاب (منتخب قرة العيون النواظر) لابن الجوزي ، ودليلنا على ذلك :

اولا ـ إنّ عدد الألفاظ المذكورة في كلّ كتاب واحدٌ وهو ثلاث وخمسون ومئة لفظة ، وقد جاء ترتيبها متشابهاً ، ففي باب الألف : الاتباع ، اخلد ، الاستطاعة ، الاستغفار ، الاسف ، اصبح ، الاصر ، اولى .... الخ في كلا الكتابين .

ثانياً ـ قسمت الأبواب في كلا الكتابين على تسعة وعشرين باباً هي :

(١) باب الالف : وفيه ست وثلاثون كلمة .
(٢) باب الباء : وفيه عشر كلمات .
(٣) باب التاء : وفيه كلمتان فقط .
(٤) باب الثاء : وفيه كلمتان فقط .
(٥) باب الجيم : وفيه كلمتان فقط .
(٦) باب الحاء : وفيه عشر كلمات .
(٧) باب الخاء : وفيه اربع كلمات .
(٨) باب الدال : وفيه كلمتان فقط .
(٩) باب الذال : وفيه كلمتان فقط .
(١٠) باب الراء : وفيه احدى عشرة كلمة .
(١١) باب الزاي : وفيه كلمتان فقط .
(١٢) باب السين : وفيه تسع كلمات .
(١٣) باب الشين : وفيه اربع كلمات .
(١٤) باب الصاد : وفيه اربع كلمات .
(١٥) باب الضاد : وفيه كلمتان فقط .
(١٦) باب الطاء : وفيه كلمتان فقط .
(١٧) باب الظاء : وفيه ثلاث كلمات .
(١٨) باب العين : وفيه خمس كلمات .
(١٩) باب الغين : وفيه كلمة واحدة فقط .
(٢٠) باب الفاء : وفيه ست كلمات .
(٢١) باب القاف : وفيه اربع كلمات .
(٢٢) باب الكاف : وفيه ثلاث كلمات .
(٢٣) باب اللام : وفيه ثلاث كلمات .
(٢٤) باب الميم : وفيه ثماني كلمات .
(٢٥) باب النون : وفيه خمس كلمات .
(٢٦) باب الواو : وفيه ست كلمات .
(٢٧) باب الهاء : وفيه كلمتان فقط .
(٢٨) باب اللام‌الف : وفيه كلمة واحدة فقط .
(٢٩) باب الياء : وفيه كلمتان فقط .

ولابد من الاشارة الى انّ الكلمات التي بلغت ثلاثاً وخمسين ومئة هي هي في الكتابين .

ثالثاً ـ العبارات واحدة في الكتابين ، والخلاف قليل يعود الى تصرف ناسخ الأشباه والنظائر ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر هذه الأمثلة :

(١) جاء في الصفحة الرابعة والستين من (الأشباه والنظائر) في شرح كلمة (الانزال) : الانزال : حطّ الشيء من العلو . والنازلة : الشديدة تنزل بالقوم .

والنّزال في الحرب : ان يتنازل الفريقان . ومكان نزيل : اي ينزل فيه كثيراً . وتقول : وجدت القوم على نزلاتهم ، اي منازلهم .

والنّزْل : ما يهيّأ للنزيل . والنزيل : الضيف ، وانشدوا فيه :

نزيلُ القوم افضلهم حقوقاً
وحقُّ الله في حقّ النزيلِ

ونزلَ الرجلُ : إذا حجَّ . وانشدوا :

انازلة أسماءُ أم غير نازله
ابيني لنا يا أسمَ ما انتِ فاعِله

وهو في القرآن على اربعة معان :

الاول : نفس الانزال . ومنه قوله تعالى في آية : « وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا » . وفي (القدر) : « إنّا انزلناه في ليلة القدر » .

الثاني : الخلق . ومنه في (يونس) : « قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالاً وحراما » . ومثله : « وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج » . وفي (الحديد) : « وانزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ » .

الثالث : القول . ومنه في (الانعام) : « ومَنْ قالَ سأنزلُ مثل ما انزل الله » .

الرابع : البَسْطُ . ومنه قوله تعالى : « ولكن يُنَزّل بقدرٍ ما يشاءُ » . والله اعلم .

وجاء في الصفحة الخمسين من (منتخب قرة العيون النواظر) في شرح كلمة (الانزال) أيضاً :

الانزال : حطّ الشيء من العلو . والنازلة : الشديدة تنزل بالناس والنزال في الحرب : ان يتنازل الفريقان . ومكان نزيل : يُنزل فيه كثيراً .

وتقول : وجدت القوم على نزلاتهم : اي منازلهم . والنُزُلُ : ما يهيّأ للنزيل . والنزيل : الضيف . وانشدوا :

نزيل القوم اعظمهم حقوقاً
وحقُّ الله في حقّ النزيل

نزل الرجل : إذا حجّ ، وانشدوا :

انازلة اسماء ام غير نازله
ابيني لنا يا اسم ما انت فاعِله

والانزال في القرآن على اربعة اوجه :

احدها : نفس الانزال ، ومنه في عسق : « وهو الذي ينزلُ الغيثَ » . ومثله : « إنّا انزلناه في ليلة القدر » .

والثاني : الخلق ، ومنه في يونس : « ارايتم ما انزل الله لكم من رزق » . وفي الزمر : « وانزل لكم من الانعام ثمانية أزواج » . ومثله : « وانزلنا الحديد » .

والثالث : القول ، ومنه في الانعام : « سأنزل مثل ما انزل الله » .

والرابع : البسط ، ومنه في عسق : « ولكنْ ينَزّلُ بقَدَرٍ ما يشاءُ » .

(٢) جاء في الصفحة التاسعة والثلاثين بعد المئتين من (الاشباه والنظائر) في شرح كلمة (اللسان) :

هو في القرآن على ثلاثة وجوه :

الأول : العضو المعروف . ومنه قوله تعالى : « يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم » ، « لا تُحَرّك به لسانك » ، « ولساناً وشفتين » .

الثاني : اللغة . ومنه قوله تعالى في (ابراهيم) : « إلاّ بلسان قومه » . « لسان الذين يلحدون إليه اعجمي وهذا لسانٌ عربيٌّ مُبين » .

الثالث : الثناء الحسن . ومنه في (الشعراء) : « واجعلْ لي لسانَ صِدقٍ في الآخرين » .

وجاء في الصفحة التاسعة بعد المئتين من (منتخب قرّة العيون النواظر) في شرح كلمة (اللسان) ايضاً :

وهو في القرآن على ثلاثة اوجه :

احدها : العضو المعروف ، ومنه في الفتح : « يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم » ، وفي القيامة : « لا تحرّكْ به لسانَكَ » ، وفي البلد : « ولساناً وشفتين » .

والثاني : اللغة ، ومنه في ابراهيم : « إلاّ بلسان قومه » ، وفي النحل : « لسان الذي يلحدون إليه اعجمي وهذا لسانٌ عربيٌّ مُبين » .

والثالث : الثناء الحسن ، ومنه : « واجعلْ لي لسان صدقٍ في الآخرين » .

(٣) جاء في الصفحة الخامسة والسبعين بعد المئتين من (الاشباه والنظائر) في شرح كلمة (الياس) :

اليأس : هو القطع على أنّ المطلوب لا يتحصل .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : على أصله . ومنه قوله تعالى : « ولا تيأسوا من روح الله » .

الثاني : العِلْم . ومنه قوله تعالى : « أفلمْ ييأسِ الذين آمنوا » .

وجاء في الصفحة السادسة والاربعين بعد المئتين من كتاب (منتخب قرّة العيون النواظر) عند شرح كلمة (الياس) ايضاً : الياس : القطع على انّ المطلوب لا يتحصل .

وهو في القرآن على وجهين :

احدهما : على اصله ، ومنه : « ولا تياسوا من روح الله » .

والثاني : العلم ، ومنه : « افلم ييأس الذين آمنوا » .

ولابد ان نشير الى انّ هذه الاقوال التي سلف ذكرها موجودة برمتها في كتاب ابن الجوزي الكبير الموسوم بـ (نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) .

ويجب ان نذكر هنا انّ النسخة المخطوطة لمنتخب قرّة العيون النواظر يرجع تاريخ نسخها الى سنة ٦١٦هـ اي بعد وفاة مؤلفها ابن الجوزي بتسعة عشر عاماً ، وهي صريحة النسبة الى ابن الجوزي ، جاء في مقدمتها : (قال الشيخ الامام العالم العلامة الزاهد علم الحفاظ جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي ، رضي الله عنه ...) ثم بيّن ابن الجوزي سبب اختصار كتابه الكبير فقال : (احببت ان اختصر منه كتاباً ينقص عن حجمه وخليط بمحاسن علمه ، لانّ تقليل اللفظ محبوب للحفظة ، وقد اعرض هذا الانتخاب عن بعض تلك الوجوه والنظائر ...) .

ملاحظات عامة على التحقيق

اولا — لابد لكلّ باحث يروم تحقيق كتاب ما انْ يطلع على كلّ ما نشر في موضوع كتابه المحقق ، وقد نشرت عدة كتب في الوجوه والأشباه والنظائر في القرآن الكريم لم يقف الاستاذ المحقق على اي منها واكتفى بتعداد قسم منها في مقدمة الكتاب ، وبهذا جانب المحقق الصواب في كثير مما جاء في الكتاب بله النسبة الخاطئة الى الثعالبي ، ومن الكتب المطبوعة في هذا الباب :

١ — الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : تنسب غلطاً الى مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠هـ ، وسنفرد له بحثاً خاصاً .

٢ — التصاريف (تفسير القرآن مما اشتبهت اسماؤه وتصرفت معانيه) : ليحيى بن سلام المتوفى سنة ٢٠٠هـ .

٣ — تحصيل نظائر القرآن : للحكيم الترمذي المتوفى سنة ٣٢٠هـ .

٤ — اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : نشره بتصرف الاستاذ عبدالعزيز سيد الأهل ونسبه غلطاً الى الحسين بن محمد الدامغاني . وهو على الصواب لأبي عبدالله محمد بن علي بن محمد الدامغاني المتوفى سنة ٤٨٧هـ ، وسنفرد له بحثاً خاصاً .

٥ — نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ .

٦ — منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : لابن الجوزي ، وهو مختصر للكتاب السابق كما سلف .

٧ — كشف السرائر في معنى الوجوه والاشباه والنظائر : لابن العماد المصري المتوفى سنة ٨٨٧هـ .

هذه هي الكتب المطبوعة بالعربية فيما يخص القرآن الكريم ، ولو كان المحقق قد وقف عليها لعدل عن نشر الكتاب ولعلم انه لابن الجوزي وليس للثعالبي .

ثانياً — التحقيق على نسخة واحدة يتطلب جهداً كبيراً في مراجعة ما جاء من نصوص واقوال لعلماء لهم كتب مطبوعة لتوثيق هذه الاقوال ، ولكنّ المحقق الفاضل لم يكلف نفسه عناء ذلك فأخلّ بشرط مهم من شروط التحقيق العلمي ، وفيما يأتي ثبت بهذه الاقوال :

اقوال العلماء التي اغفل تخريجها

(١) ص ٤٠ : قول ابن فارس : هو في كتابه : مجمل اللغة ٢٩٩ .

(٢) ص ٤٤ : قول ابن فارس : في كتابيه : مجمل اللغة ٩٨ ومقاييس اللغة ١/١١٠ .

(٣) ص ٥٧ : قول ابن فارس : في كتابه : مجمل اللغة ٨٩ .

(٤) ص ٨٣ : قول ابن قتيبة : في كتابه : تفسير غريب القرآن ٢١ .

(٥) ص ٨٣ : قول ابن عباس : في تفسير غريب القرآن ٢٢ والزاهر ١/٤٨٨ .

(٦) ص ٨٩ : قول ابن قتيبة : في كتابه : تأويل مشكل القرآن ٤٦٩ .

(٧) ص ١١١ : قول ابن فارس : في كتابه : مجمل اللغة ٢٠٥ .

(٨) ص ١٢٢ : قول ابن قتيبة : في كتابه : تفسير غريب القرآن ٣٢ .

(٩) ص ١٢٢ : قول ابن فارس : في كتابه : مجمل اللغة ٢٤٦ .

(١٠) ص ١٣٨ : قول ابن قتيبة : في كتابه : تأويل مشكل القرآن ٤٥٣ .

(١١) ص ١٤٣ : قول الفراء : في كتابه : معاني القرآن ١٢٢/٢ .

(١٢) ص ١٤٣ : قول ابن قتيبة : في كتابه : تفسير غريب القرآن ٥٤ .

(١٣) ص ١٥٧ : قول ابن قتيبة : في كتابه : تأويل مشكل القرآن ٤٨٥ .

(١٤) ص ١٦١ : قول ابن فارس : في كتابيه : مجمل اللغة ٤٢٤ ومقاييس اللغة ٢٩٨/٢ .

(١٥) ص ١٧٩ : قول ابن فارس : في كتابيه : مجمل اللغة ٥١٤ ومقاييس اللغة ٢٢١/٣ .

(١٦) ص ١٨٤ : قول ابن الانباري : في كتابه : الزاهر ٢١٢/٢ .

(١٧) ص ١٩٢ : قول ابن السكيت : في كتابه : اصلاح المنطق ٢٦٨ .

(١٨) ص ١٩٤ : قولا الحسن والضحاك : في زاد المسير ١٥٨/٩ .

(١٩) ص ١٩٤ : قول ابن عباس : في زاد المسير ١٥٨/٩ .

(٢٠) ص ١٩٥ : قول سعيد بن المسيب : في زاد المسير ١٥٩/٩ . والقول لسعيد بن جبير في تفسير القرطبي ٩٧/٢٠ .

(٢١) ص ١٩٥ : قول ابن السائب : في زاد المسير ١٥٩/٩ وتفسير القرطبي ٩٧/٢٠ .

(٢٢) ص ١٩٥ : قول الفراء : في كتابه : معاني القرآن ٢٧٤/٣ .

(٢٣) ص ١٩٥ : قولا عبدالعزيز بن يحيى ومحمد ابن علي الترمذي : في زاد المسير ١٥٩/٩ .

(٢٤) ص ١٩٥ : قول ثعلب : في زاد المسير ١٥٨/٩ .

(٢٥) ص ١٩٦ : قول ابن قتيبة : في كتابه : تفسير غريب القرآن ١٢٩ .

(٢٦) ص ١٩٦ : قول الزجاج : في كتابه : معاني القرآن واعرابه ٢٣٦/١ .

(٢٧) ص ٢٢٩ : قول الزجاج : في كتابه : معاني القرآن واعرابه ٢٥٢/٢ .

(٢٨) ص ٢٣٢ : قول الاخفش : في ايضاح الوقف والابتداء ٤٢٢/١ .

(٢٩) ص ٢٣٢ : قول ابن قتيبة : في كتابه : تأويل مشكل القرآن ٥٥٨ .

(٣٠) ص ٢٣٢ : قول السجستاني : في ايضاح الوقف والابتداء ٤٢٢/١ .

(٣١) ص ٢٣٤ : حكاية ابن الانباري عن ثعلب : في كتابه : ايضاح الوقف والابتداء ٤٢٥/١ .

(٣٢) ص ٢٤٥ : قول ابن قتيبة : في كتابه : تأويل مشكل القرآن ٤٩٦ .

(٣٣) ص ٢٤٦ : قول ابن فارس : في كتابه : مجمل اللغة ٢٣٧ .

(٣٤) ص ٢٦٥ : قول ابن فارس : في كتابه : الصاحبي ١٥٥ .

(٣٥) ص ٢٦٦ : قول ابن قتيبة : في كتابه : تأويل مشكل القرآن ٤٨٩ .

ثالثاً ـ خرّج قسماً من الاحاديث الشريفة من معجمات اللغة ، والتحقيق العلمي السليم يقضي بالرجوع الى كتب الحديث وهي كثيرة والحمد لله .

رابعاً ـ ثمة اخطاء كثيرة في ضبط النص وقراءة المخطوطة ، وقد سلف ذكر قسم منها ؛ وسأكتفي بذكر مثال واحد هنا إذ ليس غرض بحثنا هذا هو تبيان هذه الأخطاء وانما هو لتصحيح نسبة الكتاب وما يتعلق بذلك .

جاء في الصفحة الثالثة والتسعين من كتاب الاشباه والنظائر :

(قال كعب :

وقد عاد ماء الأرض ملحاً فزادني
الى مرضي ان ابحر المشرب العذب

والباحر : الأحمق . والبحرة : البلد) .

فترجم المحقق لكعب بن زهير باربعة اسطر في الحاشية الاولى ؛ ثم قال في الحاشية الثانية : البيت في اللسان (بحر) منسوب الى نصيب . وروايته فيه :

وقد عاد ماء الارض بحراً فزادني
الى مرضي ان أبحَرَ المشربُ العذبُ

وفيه ايضاً : قال ابن برّيّ : هذا القول قول الامويّ لانه كان يجعل البحر من الماء الملح فقط .

ولم اعثر على البيت في ديوان كعب المطبوع . ولعل قول ابن بَرّيّ يرجح نسبته الى نصيب . وهو في شعر نصيب المطبوع بيت مفرد ص ٦٦ . ثم ترجم لنصيب بسطرين .

واقول : اسم الشاعر في المخطوطة : (نصيب) ، فقرأها المحقق كعب . وفي المخطوطة : والبحرة : البلدة ، فقرأها المحقق : البلد . ولو رجع الى كتابي ابن الجوزي : نزهة الاعين ومنتخب قرة العيون لوجدهما كما ذكرنا .

والبيت والشرح في مجمل اللغة لابن فارس ١١٧/١ والتنبيه والايضاح عما وقع في الصحاح ٨٢/٢ وفيهما قول الاموي .

والامويّ هذا هو عبدالله بن سعيد بن ابان الاموي ، كان عالماً باللغة ، اخذ عن فصحاء الاعراب ، واخذ عنه العلماء واكثروا في كتبهم . فلا معنى اذن لقول المحقق : ولعل قول ابن بري يرجح نسبته الى نصيب !!! فقد وهم انّ الاموي هو نصيب فتأمّل !!!

ومثل هذه الاوهام كثير في هذا الكتاب .

خامساً ـ اغفل المحقق ذكر المعلومات التامة عن المصادر والمراجع فاكتفى في فهرس المصادر والمراجع بذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه ، فقد جاءت الكتب الآتية على الوجه الآتي :

ـــ اساس البلاغة للزمخشري .
ـــ البرهان في علوم القرآن للزركشي .
ـــ تفسير ابن كثير .
ـــ ديوان القطامي .
ـــ رياض الصالحين .
ـــ سنن الدارمي .
ـــ القاموس المحيط للفيروزآبادي .
ـــ لسان العرب لابن منظور .

ومن اللافت للنظر انّ قسماً من هذه الكتب طبع اكثر من مرة . يضاف الى ذلك انه اعتمد على طبعات غير محققة لكتب اعيد تحقيقها ، منها على سبيل المثال :

ـــ الاصابة لابن حجر العسقلاني .
ـــ الاقتضاب لابن السيد .
ـــ امالي الزجاجي .
ـــ بغية الوعاة للسيوطي .
ـــ ديوان ذي الرمة .
ـــ طبقات فحول الشعراء .
ـــ وفيات الاعيان .

وبعد فاكتفي بهذا القدر اليسير من الملاحظات ولا ادعي انني وفّيت الكتاب حقه من التتبع : فالكتاب ما زال بحاجة الى مقابلة كلّ ما جاء فيه بكتابي ابن الجوزي ، وكل ما قمت به هو تصحيح نسبته . والكتاب جدير بالاهتمام في سبيل تقويم نصه واستكمال تحقيقه ، وقد بذل المحقق الفاضل جهداً كبيراً فاق الجهد الذي بذله محققا منتخب قرة العيون النواظر ، فارجو ان يعود الاخ المحقق الى الكتاب فيعارض نصوصه معارضة تامة بكتابي ابن الجوزي ويصحح نسبته ويسقط اسم الثعالبي وترجمته من مقدمة الكتاب في طبعة لاحقة إن شاء الله تعالى .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

مصادر البحث

— اصلاح المنطق : ابن السكيت ، يعقوب بن اسحاق ، ت ٢٤٤هـ ، تح أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .

— ايضاح الوقف والابتداء : ابن الانباري ، أبو بكر محمد بن القاسم ، ت ٣٢٨هـ ، تح محيي الدين عبدالرحمن رمضان ، دمشق ١٩٧١ .

— تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، ت ٤٦٣هـ ، مط السعادة بمصر ١٩٣١ .

— تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم ، ت ٢٧٦هـ ، تح السيد احمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ١٩٧٣ .

— تفسير غريب القرآن : ابن قتيبة ، تح السيد احمد صقر ، البابي الحلبي بمصر ١٩٥٨ .

— تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) : القرطبي ، محمد بن احمد ، ت ٦٧١هـ ، القاهرة ١٩٦٧ .

— التنبيه والايضاح عما وقع في الصحاح : ابن بري ، ابو محمد عبدالله ، ت ٥٨٢هـ ، ج ١ تح مصطفى حجازي ، ج ٢ تح عبدالعليم الطحاوي ، القاهرة ١٩٨٠ — ٨١ .

— الذيل على طبقات الحنابلة : ابن رجب الحنبلي ، عبدالرحمن بن احمد ، ت ٧٩٥ هـ ، مط انصار السنة المحمدية بمصر ١٣٧٢ .

— زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي ، عبدالرحمن ابن علي ، ت ٥٩٧هـ ، نشر المكتب الاسلامي بدمشق ١٩٦٥ .

— الزاهر في معاني كلمات الناس : ابن الانباري ، تح د . حاتم صالح الضامن ، بيروت ١٩٧٩ .

— الصاحبي : ابن فارس ، أحمد ، ت ٣٩٥هـ ، تح السيد احمد صقر ، البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧٧.

— طبقات الحنابلة : القاضي محمد بن ابي يعلى ، ت ٥٢٦هـ ، القاهرة ١٩٥٢ .

— فقه اللغة : الثعالبي ، عبدالملك بن محمد ، ت ٤٢٩هـ ، تح السقا والابياري وشلبي ، البابي الحلبي بمصر ١٩٧٢ .

— اللباب في تهذيب الانساب : ابن الاثير ، عز الدين ، ت ٦٣٠هـ ، مصر ١٣٥٦هـ .

— مجمل اللغة : ابن فارس ، تح زهير عبدالمحسن سلطان ، بيروت ١٩٨٤ .

— المشيخة : ابن الجوزي ، تح محمد محفوظ ، تونس ١٩٧٧ .

— معاني القرآن : الفراء ، يحيى بن زياد ، ت ٢٠٧هـ ، ج١ تح نجاتي والنجار ، ج٢ تح النجار ، ج٣ تح شلبي ، القاهرة ١٩٥٥ — ٧٢ .

— معاني القرآن واعرابه : الزجاج ، ابو اسحاق ابراهيم ابن السري ، ت ٣١١ هـ ، تح د . عبدالجليل عبده شلبي ، القاهرة ١٩٧٤ .

— معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، ت ٦٢٦هـ ، مط دار المأمون بمصر ١٩٣٦ .

— مقاييس اللغة : ابن فارس ، تح عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٣٦٦هـ .

— منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : ابن الجوزي ، تح محمد السيد الصفطاوي و د . فؤاد عبدالمنعم احمد ، منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧٩ .

— المنتظم : ابن الجوزي ، حيدر آباد ١٢٥٧هـ .

— نزهة الاعين النواظر في علم الوجوه والنظائر : ابن الجوزي ، تح محمد عبدالكريم ، بيروت ١٩٨٤ .

— الوافي بالوفيات : الصفدي ، خليل بن ايبك ، ت ٧٦٤ هـ ، منشورات المعهد الالماني للابحاث الشرقية في بيروت ١٩٣١ ....

كتاب ليس في كلام العرب

لابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ

عرض ونقد

محمود جاسم الدرويش

كلية الاداب ـ جامعة بغداد
الدراسات العليا

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف هو الحسين بن أحمد بن خَالَوَيْهِ ، الهمداني الاصل ، البغدادي المنشأ ، الحلبي المسكن والخاتمة ، المعروف بـ (ابن خالويـه) اللغوي النحوي ، وكنيته ابو عبدالله .

وكانَ ابنُ خَالَوَيْهِ أحد أفرادِ عصرهِ في كلِّ قسم من أقسام الأدبِ ، وكانت اليه الرحلة من الآفاقِ ، واختص بسيفِ الدولة الحمداني وأولاده ، وهم يكرمونه ويقتبسون منهُ . ولهُ مع أبي الطَّيب المتنبي مناظرات ، ومنافسة شـديدة مع ابي علي النحوي .

وقد ترجمت له ترجمة وافية عند تحقيقي كتابه :(شرح مقصورة ابن دريد) ضمن رسالة الماجستير ، فأغنى عن اعادتها هنا .

وتناولت في تلك الترجمة التعريف الوافـي بآثارهِ : المخطوطـة ، والمطبوعـة ، والمفقودة . لذا سأقتصر الحديث على كتابهِ : (ليسَ في كلامِ العَرَبِ) الذي سأناقش نشراتهِ التي لا تمثـل الا قـدراً ضئيلاً من أصل الكتاب ، لأنَّ كتاب (ليسَ) يقع في ثلاثة مجلدات ضخمـة كما قال السيوطي المتوفي سـنة (٩١١ هـ) .

طبعات الكتاب

١ ــ نشر كتاب « لَيْسَ » لابن خالويه من قبل أربع مرات :

الاولى بعناية (ديرنبورج) Dernbourg عام ١٨٩٢ في مجلة Hebraica (الجزء العاشر ص٨٨ ــ ١٠٥) عن مخطوطة المتحف البريطاني ٧٥١٦ وعنوانها : (كتاب لَيْسَ في كلام العَرَبِ وما يجري مجراه) ، وفي آخرها :(وَقَعَ الفراغ منه يوم الجمعة حادي عشر شهر شوال سنة أربع وسبع مائة في دمشق الشام في مدرسة النورية ، كتبه مأمون بن محمد العجمي الاسطهباني) • ومنها مصورة بمعهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم (٢٢١ لغة) •

٢ ــ نشره بعد ذلك أحمد بن الامين الشنقيطي في عام ١٣٢٧ هـ بالقاهرة ، ولم يذكر المخطوطة التي رجع اليها في نشرته غير أنّ نصّ هذه النشرة وحجمها لا يختلف الا في النادر عن نشرة (ديرنبورج) السابقة •

٣ ــ ونشر في كتاب (الطرف البهية) عام ١٣٣٠هـ بالقاهرة •

٤ ــ ونشره أحمد عبدالغفور عطّار بالقاهرة عام ١٩٥٧ م ، وأعادَ طبعه ثانية في عام ١٩٧٩ م • وكلّ هذه النشرات لا تمثل الا قدراً ضئيلاً من اصل الكتاب[1] •

٥ ــ ونشره أيضاً د•محمّد أبو الفتوح شريف ١٩٧٥م عن مخطوطة دار الكتب المصرية المحفوظة تحت رقم (٤٨٢١) • وقد ذكر المحقق أنّ هذه النسخة منسوخة عن تلك التي حقق عنها الشنقيطي ؛ لأنّ تاريخ نسخها عام ١٣٣٩ هـ ، وهذا التأريخ لاحق لتأريخ طبع نسخة الشنقيطي • وعن نسخة المتحف البريطاني المحفوظة تحت رقم (٧٥١٦ / ٢ ــ Add) •

الملاحظات حول طبعات الكتاب :

سأتناول نسخة أحمد عبدالغفور عطّار بطبعتيها : الاولى عام ١٩٥٧ ، والثانية عام ١٩٧٩ ، ونسخة د • محمد أبو الفتوح شريف ، لأنّها آخر الطبعات •

النسخة التي نشرها احمد عبد الغفور عطار :

١ ــ الطبعة الاولى تقع في (٢١٢) صفحة ، بكل صفحة (٢٣) سطراً •

والطبعة الثانية في (٥٩٩) صفحة •

٢ ــ جاءت شروح وتعليقات للمحقق على أغلب صفحات الكتاب • وقد استدرك على ابن خالويه كثيراً •

---

(١) لحن العامة والتطور اللغوي ١٨٤ ، ١٨٥ •

٣ — قدّم لكلا النسختين مقدمة رسم فيها منهجه في التحقيق .

٤ — لم يرقم الابواب في الطبعة الاولى ، وقد رقّمها في الطبعة الثانية ، حتى بلغت (١٨٨) باباً .

٥ — اقتصرت النسخة على القسم الأول من كتاب « ليس » .

٦ — ألحق المحقق الطبعة الاولى بفهرس للابواب ، وألحق الطبعة الثانية بالفهارس الفنية .

٧ — اعتمد في تحقيقه على اربع نسخ : النسخة المطبوعة ، ونسخة مكتبة محمد سرور الصبّان ، ونسخة المتحف البريطاني ، ونسخة كتبها الشيخ العلامة الشريف أحمد بن حسن ستّي .

٨ — الطبعة الثانية في صفحاتها كثير من الفراغ ، حيث أدى الى زيادة حجمها الذي قارب من ستمائة صفحة .

النسخة التي نشرها د. محمد ابو الفتوح شريف :

١ — جاءت النسخة في ٢٣٩ صفحة ، بكل صفحة (٢١) سطرا ، وبعضها (٢٢) سطرا .

٢ — في اغلب صفحات الكتاب هوامش وحواش .

٣ — وضع المحقق مقدمة رسم فيها منهجه في التحقيق ، ولكنها مبتسرة .

٤ — صنع المحقق الفهارس الفنية .

٥ — جاءت النسخة بـ (٢٢٢) باباً ، وقد رقمها حسب ترتيبه .

٦ — النسخة للجزء الاول فقط من اصل كتاب « ليس » .

٧ — وضع المحقق بحور الشواهد الشعرية التي وردت في النص .

٨ — لم يضبط المحقق الكلمات بالشكل الا نادراً جداً .

٩ — وضع عناوين للابواب الاولى من الكتاب .

١٠ — اختلف ترتيبه للابواب عن النسخ الاخرى .

١١ — أتى المحقق بزيادة عن كتب نقلت من كتاب « ليس » ، ووضع هذه النقولات في متن الكتاب . نورد مثلاً على ذلك :

جاء في ص ١٠٧ :

قال المزهر فيه : « وذكر ابن خالويه عندوزن (فِعْلِل) أنّ الأخفش قال في هِبْلع وهِجْرع وزنهما (هِفْعِل) ، والهاء زائدة لأنّه من البلع والجرع » .

أقول : فهل يحق لاخينا المحقق د . محمد ابو الفتوح شريف أن يدخل هذه الزيادات في أصل متن الكتاب المخطوط ؟

ان هذه النقولات التي اوردها السيوطي في كتابه « المزهر» لم تكن في أصل كتاب « ليس » ـ الجزء الاول ـ الذي قام المحقق بنشره ، قد تكون هذه النقولات من الاجزاء الاخرى من كتاب « ليس » الذي يقع في ثلاثة مجلدات ضخمة كما قال السيوطي .

وأقول : ان هذه الزيادات التي وضعها المحقق في المتن ـ وهي غريبة عن الاصل المخطوط ـ لا يصح أن تكون في المتن ، قد يجوز أن يضعها في الهامش ، ولكن أيضاً لا يصح أن ينسبها الى الجزء الاول من هذا الكتاب .

ان هذا العمل لم يكن في شيء من العلمية .

١٢ـ قال في مقدمته : انه اعتمد على مخطوطتين، ومنها مخطوطة نسخة المتحف البريطاني . وقد حصلت على هذه النسخة التي صورها لي مشكوراً استاذي الجليل الدكتور حاتم صالح الضامن عند سفره الى لندن صيف عام ١٩٨٢ م .

وقد وجدت أن المحقق لم يعتمد عليها في الترتيب ، فترتيبها هو الترتيب الذي اعتمد عليه المحققان : الشنقيطي ، وأحمد عبدالغفور عطار .

★ ★ ★

سأتناول طبعة أحمد عبدالغفور عطار بالتفصيل ، لانها أكثر طبعات الكتاب تداولاً في المكتبات ، وان هذه الطبعة هي آخر الطبعات، حيث كانت الطبعة الثانية عام ١٩٧٩ م .

قال السيد أحمد عبد الغفور عطار في مقدمته : انه اعتمد في تحقيقه على أربع نسخ ، وكان من ضمنها (نسخة المتحف البريطاني) .

وبعد قراءتي للنسخة المطبوعة والنسخة المصورة وجدت خلافاً كبيراً بينهما ، ولم يشر المحقق الى ذلك ، فهناك كلمات قد اختلف ترتيبها ، وعبارات سقطت . وقد تصرف المحقق في النص ولم يشر اليه .

وسأبين فيما يأتي الفروق بين النسختين :(المطبوعة ، ونسخة المتحف البريطاني) ، ليقف القاريء عليها ، ويتبين الفرق بينهما :

١ ـ سقطت عناوين الابواب التي جاءت في المخطوط ، من الباب (١) الى الباب (٤٦) ، وسأذكر مثلين على ذلك :

باب ما جاء فَعَلَ يَفْعَلُ فِعْلاً[٢] .

باب : ما جاء من الأسماء على أفْعُلٍ[٣] .

---

(٢) المطبوع ٢١ ، المخطوط ق ١ ب .

(٣) المطبوع ٩٨ ، المخطوط ق ٧ أ .

٢ ـ جعل المحقق الباب رقم (١٠٧) باباً مستقلاً، وهو تكملة للباب رقم (١٠٦)[٤] . وجعل الباب رقم (١٢٨) ايضاً باباً مستقلاً ، وهو تكملة للباب رقم (١٢٧)[٥] .

٣ ـ هناك كلمات أُبْدِلَت بكلمات مغايرة لها:

المطبوع			المخطوط		
ص	س	الكلمات	ص	س	الكلمات
١٠٢	٨	واعف	ق ٨ ب	٢٢	وتجاوز .
١٤١	١	او تابعته يقال لهما	ق ١٢ أ	١	فيقال
٢٢٨	٢	مثل	ق ٢١ أ	٢	نحو .
٢٣٦	٧	يأكلنا	ق ٢١ ب	١٥	يلبسنا .
٢٧٣	٢	ولم يعدلوا	ق ٢٤ ب	الاخير	ما وازنوا .
٢٩٧	١١	وقفت	ق ٢٧ أ	١٢	نزلت .
٣٦٣	٦	في	ق ٣٥ أ	٥	جمع .
٣٦٤	٨	اريه	ق ٣٥ أ	١١	أراعي .
٣٦٤	٨	أين	ق ٣٥ أ	١١	إنني .
٣٦٦	١٠	إذا	ق ٣٥ ب	٢	هذا .
٣٧٥	٣	الطفيل الغنوي	ق ٣٦ ب	٣	الطرماح .

٤ ـ سقطت كلمات كثيرة من المطبوع ، وهي واضحة وموجودة في المخطوط . (وقد حصرتها بين قوسين) :

المطبوع		المخطوط		
ص	س	ص	س	الكلمات الساقطة
٣٥	٢	ق ٢ أ	١٧	للمرّة (الواحدة) .
٤١	١٠	ق ٢ ب	٢٠	فاعرف ذلك (إنْ شاء الله) .
٥٠	٥	ق ٣ ب	١	رابعاً (رباعياً) .
٦٣	٢	ق ٤ ب	١٢	إلا (كائنٌ) .
٦٣	٣	ق ٤ ب	١٣ ، ١٤	صيرورة (وسارَ وسيرورة) .
٧٣	٣	ق ٦ أ	٣	لَبْبْتَ (لَبْبْتَ) .

(٤) المطبوع ٢١٨ ، المخطوط ق ١٩ أ .

(٥) المطبوع ٢٥٦ ، المخطوط ق ٢٢ أ .

المطبوع		المخطوط		
ص	س	ص	س	الكلمات الساقطة
٧٧	٧	ق ٦ أ	٢٢	والثوى (والثوى والهوى) .
٧٩	٣	ق ٦ ب	٥	اللبن (وَرِغاوة ورَغاوة ورَغايـة) .
٨٥	٨	ق ٧ أ	٩	ويجل (فأمّا احتملت الكسر فيها لتنقلب الواو ياءً وإمّا) .
١٢٨	٣	ق ١١ أ	٢ ، ٣	جَدِع" (أي : قد أُسِيءَ غذاؤُهُ ، وأَنشَدَ : وذات هِدْمٍ عارٍ نواشرُها تصمتُ بالماءِ تولبا جَدِعُ يقالُ : غلامٌ جَدِعٌ") .
١٣٠	٥	ق ١١ أ	١١	طوال (فاذا زاد طوله قلتُ : طُوال) .
١٦٧	٣	ق ١٤ ب	٧	جبل (ورَجُـل") .
١٧٣	١	ق ١٥ ب	٥	زمزم (وماء) .
١٧٩	٣	ق ١٦ أ	٧	أصفر (وصُفْر) .
١٨٣	٥	ق ١٦ ب	٤	أَقِتَةٍ (وهذا حرف" غريب") .
١٨٦	٣	ق ١٦ ب	١٦	واحد (وهو) .
١٨٧	٥	ق ١٦ ب	٢١	النار (قال) .
٢٠٠	٢	ق ١٨ أ	٩	وكذلك (حالت فهمي) .
٢٠٣	٩	ق ١٨ ب	٤	أي (قد) .
٢٠٤	٢	ق ١٨ ب	٧	جوانبه (فوصلوا اليه) .
٢٠٨	١٠	ق ١٩ أ	٣	فقال (لهُ) .
٢١٠	٩	ق ١٩ أ	١٤	وأَتأفتهُ و (يقال) .
٢١٢	٥	ق ١٩ أ	٢٣	امسلم (انّي) .
٢١٦	٢	ق ١٩ ب	١٩	منه (حرف آخر ثمّ جمعوا بين العوض والمعوّض) .
٢٣٠	٤	ق ٢١ أ	١٣	واحدينا (فجمع) .

المطبوع		المخطوط		
ص	س	ص	س	الكلمات الساقطة
٢٥٠	٤	ق ٢٢ ب	١٦	ذُرَّوح (وهو سمٌّ وفيه لغاتٌ)
٢٥٦	٣	ق ٢٣ أ	١٦	واحد (وهو) .
٢٥٩	الأخير	ق ٢٣ ب	٩	وقرأ بعض القرّاء « ولا تقربا هذِهِ الشيرة » .
٢٦٣	٣	ق ٢٤ أ	٢	ماء (إمدّان) .
٢٨١	٢	ق ٢٥ ب	١١	العرب (على) .
٢٨٨	٢	ق ٢٦ أ	١٣	طائرٌ (والتَّزرّقُ أيضاً : بياض في ناصية الفرسِ ، والخُرّقُ : طائرٌ) .
٢٩٧	٤	ق ٢٧ أ	٧	بالأمس (كذا) .
٢٩٨	٢	ق ٢٧ أ	١٦	تفعل (كذا) .
٣٠٢	٥	ق ٢٧ ب	١٢	القصر (دواء وأدواء) .
٣٠٤	٦	ق ٢٧ ب	الأخير	سرأت (اتّما) .
٣٠٥	٢	ق ٢٨ أ	٢	وأبقَتْ (كثر ولدها) .
٣٢٣	٣	ق ٢٩ ب	١٤	من (قد) .
٣٢٥	٢	ق ٢٩ ب	٢٠	ليس في (جميع) .
٣٢٥	٦	ق ٢٩ ب	٢٣	طُوىً (وَطِوىً) .
٣٢٦	١	ق ٣٠ أ	٢	وطوىً (إذهب) .
٣٣٣	٤	ق ٣١ أ	٧	فرّعه (وهو ينقسم) .
٣٣٣	٨	ق ٣١ أ	١٠	والجَرّ (نحو) .
٣٣٥	٧	ق ٣١ ب	٢	تشبه (نون) .
٣٣٦	٧	ق ٣١ ب	٧	خطأ (قولهم) .
٣٤٢	١٢	ق ٣٢ ب	١٠	الحرّ (فقد) .
٣٤٦	٤	ق ٣٣ أ	٨	أوْباً (وأَوْباً) .
٣٤٧	٥	ق ٣٣	١٤	إلا (في أحرف فانّهم فتحوا الوَلوع وعلى وجهه القَبول والوَقود والوَضوء فانَّ هذِهِ إلا).

المطبوع ص	س	المخطوط ص	س	الكلمات الساقطة
٣٤٨	٥	ق ٣٣ أ	٢٢	القيس (تقول) .
٣٥٣	٣	ق ٣٣ ب	١٢	إلا (على) .
٣٥٣	٧	ق ٣٣ ب	١٥	ابن (استغفار) .
٣٦٢	٤	ق ٣٤ أ	الاخير	وذكورة (وسيور وسيورة) .
٣٧٤	١١	ق ٣٦ أ	الاخير	تَدْرأ (فانّه يُقال : إنّ فلاناً لذو تَدْرأ على قومه) .
٣٧٥	٤	ق ٣٦ ب	٣	قال : (الطرّماح) .
٣٨٠	٢	ق ٣٧ أ	٦	فَيْعَال (فِعَال) .
٣٨٠	٦	ق ٣٧ أ	٩	وعطاش (وينشَدُ) .

٥ ــ وقع كثير من التصحيف والتحريف في المطبوع :

المطبوع ص	س	الكلمات	المخطوط ص	س	الكلمات
٣٠	٤	وأصله	ق ١ ب	١٦	والاصل
٣٠	٥	وأصله	ق ١ ب	١٧	والاصل
٣٠	٩	همزتها	ق ١ ب	٢٠	الهمزة
٣٧	٢	بَبّاباً	ق ٢ ب	٥	بَبّاناً
٤١	٧	وأصله	ق ٢ ب	١٨	والاصل
٤٦	٩	عليه	ق ٣ أ	٧	له
٤٦	١٠	يلقاه	ق ٣ أ	٨	يلقه
٤٨	٢	يقول	ق ٣ أ	١٦	يُقَالُ
٤٩	٢	ثلاثة	ق ٣ أ	٢٠	ثلاث
٥٧	٧	عن	ق ٤ أ	٨	من
٦١	١	وقد قيل : مرمرّ مرمريراً	ق ٤ ب	٤	مَرّ مَرْمَريراً
٦٥	٥	وما	ق ٥ أ	٦	ما

المطبوع			المخطوط		
ص	س	الكلمات	ص	س	الكلمات
٦٦	٧	لمّا	ق ٥ أ	١٢	لما
٦٧	٤	سيناء	ق٥ أ	١٥	سينين
٦٨	٢	حرماء	ق ٥ أ	١٧	صرماء
٧١	٢	كاهله	ق ٥ ب	١١	الكاهله
٧١	٥	عليه الصّلاة والسّلام	ق ٥ ب	١٤	صلّى الله عليه وسلّم
٧١	٩	وبأطرقا	ق ٥ ب	١٧	وبأَطرقاء
٧٦	٢	تبكيه	ق ٦ أ	١٢	يبكيه
٧٧	٥	يوجد	ق ٦ أ	٢٠	تجد
٨١	٥	تعالى	ق ٦ ب	١٤	عزّ وجل
٩١	٥	الجمل	ق ٧ ب	١٠	الحمل
٩٩	٤	من	ق ٨ ب	٣	ما
٩٩	٩	أهلها	ق ٨ ب	٦	أهله
١٠٥	١	التاء	ق ٩ أ	١٢	الفاء
١٠٦	٥	وَسَرِيَ وَسَرَا وَسَرُوَ	ق ٩ أ	١٥	وَسَرُوَ وَسَرِيَ وَسَرِيا
١٠٨	٤	فقالوا	ق ٩ ب	١	قالوا
١٠٩	٤	ومواقي	ق ٩ ب	٤	ومواقِيء
١١١	١٠	العبيرا	ق ٩ ب	١٢	العنبرا
١١٢	٤	أهريجها	ق ٩ ب	١٦	أهريجه
١١٢	٤	وأصل ذلك	ق ٩ ب	١٧	والاصل في ذلك
١١٨	٤	تعالى	ق ١٠ أ	١٣	عزّ وجلّ
١٣٠	٣ ، ٤	كبير وكبار وكبّار	ق ١١ أ	٩	كثيرٌ وَكُثَّارٌ وَكُثَارٌ
١٣٧	٤	كالجولان	ق ١١ ب	٦	الجولان
١٣٩	٦	للأعرابيّ	ق ١١ ب	١٢	الأَعرابيّ
١٤٠	١٣	وسجلاط	ق ١١ ب	٢٢	والسّجلاط
١٤١	١	والشّاعر	ق ١٢ أ	١	فأمّا الشّاعر
١٤٣	١	قال	ق ١٢ أ	٦	وقال
١٤٥	١	يُجْمَلُ الاسمانِ	ق ١٢ أ	٩	تَجْعَلُ الاسمينِ

المطبوع			المخطوط		
ص	س	الكلمات	ص	س	الكلمات
١٤٧	الاخير	حفظ	ق ١٢ أ	١٩	حفظوا
١٥٠	٣	فالمين واحد	ق ١٢ ب	١٢	ذكر الواحد
١٥٠	٣	وهو	ق ١٢ ب	١٢	وهـذا
١٥٤	٣	عشرة	ق ١٣ أ	٨	شجرة
١٥٤	٥	ساكن	ق ١٣ أ	٩	ســاكناً
١٥٥	٢	من تانٍ	ق ١٣ أ	١٢	هنتانٍ
١٦٠	٧	فحيد	ق ١٣ ب	١٥	فحـرف
١٦٢	٤	هذه	ق ١٤ أ	٤	هؤلاء
١٦٤	٤	لينقلب	ق ١٤ أ	١٦	لتنقلب
١٦٨	١	للنّبيّ	ق ١٤ ب	١٢	في النّبيّ
١٦٩	٥	وتنذر به	ق ١٤ ب	٢٠	وكنتم
١٧٢	١١	يجعله	ق ١٥ ب	٣	تجعله
١٧٨	٣	خوّارة	ق ١٦ أ	٤	خوّار
١٨٤	٨	وأقاويم	ق ١٦ ب	٩	وآقايم
١٩١	٢	الا تدخل	ق ١٧ أ	١٥	تدخل إلاّ
١٩١	٨	ومن ذلك	ق ١٧ أ	١٩	ومنه
١٩٩	٤	السّيادة	ق ١٨ أ	٧	السّادة
٢٠٠	٤	آمّا	ق ١٨ أ	١٠	فأمّا
٢٠١	٨	بين	ق ١٨ أ	١٦	كن
٢٠٢	١	ينصرف	ق ١٨ أ	١٧	يتصرّفُ
٢٠٧	٨	دويبة	ق ١٨ ب	٢٠	دابّة
٢٠٨	٥	الله تعالى	ق ١٨ ب	الاخير	عزَّ وَجَلَّ
٢١٠	٩	اتئق	ق ١٩ أ	١٣	اتعب
٢١٥	٧	فَتْجَه	ق ١٩ ب	١٧	فتح آوءله
٢٢٦	٦	واحسبهم	ق ٢٠ ب	١٦	واحسبه
٢٢٧	٧	تراض	ق ٢٠ ب	٢١	تروض
٢٢٨	٨	زاوجوا	ق ٢١ أ	٥	آزوجوا
٢٣٢	٦	لهمّا	ق ٢١ أ	٢٠	إليها

المطبوع			المخطوط		
ص	س	الكلمات	ص	س	الكلمات
٢٣٤	٢	أحرفا	ق٢١ ب	٣	حرف
٢٣٧	١	لمثلكم	ق ٢١ ب	١٦	كمثلكم
٢٣٨	١	وقال	ق ٢١ ب	٢١	ويقول
٢٤٠	١	لحبليه	ق ٢٢ أ	٧	لحبليها
٢٤٠	٨	تأوله	ق ٢٢ أ	١١	تأول
٢٤٥	٣	القزّ	ق ٢٢ ب	١	القتّ
٢٥٤	٣	للأمة	ق ٢٣ أ	١١	الأمة
٢٥٧	٤	قرأها	ق ٢٣ أ	٢٠	قرأ
٢٥٩	١	ينقلب	ق ٢٣ ب	٧	تنقلب
٢٦٦	٦	المذريان	ق ٢٤ أ	١٩	مذريان
٢٧٠	٨	لهـا	ق ٢٤ ب	١٦	عليها
٢٧٢	٣	وخصمان	ق٢٤ ب	٢٠	وخضّران
٢٧٣	٢	سمويلا	ق ٢٤ ب	٢٣	سمويل
٢٧٥	٤	وتقول	ق ٢٥ أ	٨	ويقول
٢٧٧	٤	ومرمرَ مَرْمريراً	ق ٢٥ أ	١٦	ومَرَّ مَرْمريراً
٢٧٧	٩	فنطليس	ق ٢٥ أ	١٩	فيجلس
٢٩١	٧	أبو عمرو	ق ٢٦ ب	٧	أبو عمر
٢٩٣	٦	والسيطلة	ق ٢٦ ب	١٢	والسيطل
٢٩٤	٣	الصيدلاني	ق ٢٦ ب	١٦	الصيدناني
٢٩٤	٤	الصيداني	ق ٢٦ ب	١٧	الصيدناني
٢٩٤	٥	الصيدلاني	ق ٢٦ ب	١٧	الصيناني
٢٩٥	١	القدامية	ق ٢٦ ب	٢٠	القدمية
٢٩٧	٧	أضفت	ق ٢٧ أ	٨	أضفنا
٢٩٧	٧	أدخلته	ق ٢٧ أ	٩	دخلته
٢٩٩	٣	الأمس	ق ٢٧ أ	٢٠	أمس
٢٩٩	٥	باث	ق ٢٧ أ	٢٢	ماث
٣٠٣	٣	أصله	ق ٢٧ ب	١٧	الأصل
٣٠٦	٥	وعَبْد	ق ٢٨ أ	١١	وعبيد

المطبوع			المخطوط		
ص	س	الكلمات	ص	س	الكلمات
٣١٨	٩	وإنّما	ق ٢٩ أ	١٥	إنّما
٣١٨	١٠	وإنّما	ق ٢٩ أ	١٦	إنّما
٣٢٠	١	هما	ق ٢٩ أ	٢١	وهما
٣٢٢	٩	تقول	ق ٢٩ ب	١٢	يقول
٣٢٢	٩	باع	ق ٢٩ ب	١٣	وباعَ
٣٢٧	٣	ضربني	ق ٣٠ أ	١١	ضاربني
٣٣١	١١	ونوق	ق ٣٠ ب	٢٠	نوق
٣٣١	١١	ينقلب	ق ٣٠ ب	٢١	تنقلب
٣٣٢	٣	ويكون	ق ٣٠ ب	الأخير	وتكون
٣٣٥	٦	أعرف	ق ٣١ ب	١	تعرف
٣٣٩	١٤	قال	ق ٣٢ أ	٨	وقال
٣٤٠	٣	التي	ق ٣٢ أ	١٠	الذي
٣٤٠	٨	أنفيه	ق ٣٢ أ	١٢	أنفه
٣٤٠	٩	تقول	ق ٣٢ أ	١٣	يقول
٣٤١	٥	برجلين	ق ٣٢ أ	١٩	بالرجلين
٣٤١	١٢	أخراهنّ	ق ٣٢ ب	١	من احداهنّ
٣٤٣	٢	وقد	ق ٣٢ ب	١٢	قد
٣٤٥	٩	قال	ق ٣٣ أ	٤	وقال
٣٤٦	٥	حابة	ق ٣٣ أ	٨	حِبَاية
٣٤٧	١	قال	ق ٣٣ أ	١٢	وقال
٣٥٤	٥	خَفَتَتْ	ق ٣٣ ب	٢١	ضَنَنَتْ
٣٥٤	١١	فيقلب	ق ٣٤ أ	٢	فقلب
٣٦٠	٨	واحلولاك	ق ٣٤ أ	١٥	واستحلاك
٣٦١	الأخير	يقال	ق ٣٤ أ	٢٠	قيل
٣٦٤	٦	كلوء	ق ٣٥ أ	١٠	كلاء
٣٦٦	٥	وآرجتها	ق ٣٥ أ	٢١	وأرجت الدّابّة
٣٧١	٤	والجمع	ق ٣٥ ب	٢٢	والجميع
٣٧٥	٢	يَقَنْشَعَال	ق ٣٦ ب	٢	تَقَيَّشْعَل

المطبوع			المخطوط		
ص	س	الكلمات	ص	س	الكلمات
٣٧٥	٣	يَفَنْعَل	ق ٣٦ ب	٣	تَفَنْعَل
٣٧٥	٦	الفنيق	ق ٣٦ ب	٤	الفسيل
٣٧٦	٢	مُعْيم	ق ٣٦ ب	٨	مُقَيَّم
٣٨١	١	تَفْعَل	ق ٣٧ أ	١٢	يَفْعَل

٦ ــ سقط باب كامل من المطبوع بعد الباب رقم(١٧٣) ، وهو :

باب :

لَيْسَ في كلام العرب (فَعِيْل) جُمِعَ على(أَفاعِل) ، إلا سعيد وأساعِد ، فأمّا على (أَفْعَال) فَقَد جاءَ : شَرِيْف وأشْراف ، وَشَهِيْد وأشْهَاد ، وَنَصِيْر وأنْصَار ، وَهُوَ قِلَيل"[٦] .

٧ ــ اختلف ترتيب الأبيات الآتية عن المخطوط :

١ ــ أَشاقَتْكَ أَظْعَانٌ بِجَفْنِ يَبَنْبَمِ ... نَعَمْ بُكَرَاً مِثْل الفَنِيقِ المكَمَّمِ
٢ ــ أَلَمْ تَرَ ما أَبْصَرْتَ أَمْ كُنْتَ سَاهِياً ... فَتَشْجى بِشَجْوِ المُسْتَهَامِ المُتَيَّمِ
٣ ــ فَقَالَ : ألا لالَمْ تَرَ العَيْنُ شَبْحَةً ... وَمَا شِمْتُ إلا لمحَ خُلَّبِ مُعْيمِ
٤ ــ غَدَوْا فَتَأَمَّلْتُ الحُدُوجَ فَشَاقَني ... وَقَدْ رَفَعُوا في السَّيْرِ إبْرَاقَ مِعْصمِ
٥ ــ فَقُلْتُ لِحَرَّاض وَقَد كِدْتُ أَزْدَهِي ... مِنَ الشَّوْقِ في إثْرِ الخَلِيطِ المُتَيَمِ[٧]

أَمّا ترتيبها في المخطوط فقد جاءَ على النّحو الآتي :[٨]

١ ، ٤ ، ٥ ، ٢ ، ٣

٨ ــ هناك تقديم وتأخير في عدد من الكلمات ،ووضع كلمة مكان أخرى :

---

(٦) ق ٣٤ ب .

(٧) المطبوع ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(٨) ق ٣٦ ب .

المطبوع			المخطوط		
ص	س	الكلمات	ص	س	الكلمات
٣٢	٦	مضاربة وضرابا	ق ٢ أ	٧	ضراباً ومضاربة
٩٣	٦	مِنْتِنٍ ومَنْخِرٍ	ق ٧ب	١٨	مَنْخِرٍ ومِنْتِنٍ
٢٤٨	٣ ، ٤ : ٥	والحكم والحكمة ، والبُغْض والبغضة ، والعذر والعذرةُ ، والقُلّ والقِلّة ، والنُّعمُ والنِّعمةُ ، والنُّحلُ والنِّحلةُ ، والخُبرُ والخبرة ، والعزّ والعِزّة .	ق ١٢ أ	الأخير	والقُلّ والقِلّةُ ، والعذر والعذرة ، والنُّعم والنِّعمة ، والنُّحل والنِّحلةُ ، والخُبرُ والخِبرةُ ، والحُكمُ والحِكمةُ ، والبُغضُ والبِغضةُ .
١٦٠	٢	وَقِنيانٌ وَقِنوانٌ	ق١٣ ب	١٣	وَقِنْوانٌ وَقِنْيانٌ
١٧١	٨	وَعَثَلِطٌ وَعُجَلِطٌ	ق١٥ أ	١٤	وَعُجَلِطٌ وَعَثَلِطٌ
٢٥١	الأخير	وَسَمُّورٌ وَشَبُّوطٌ	ق٢٣ أ	١	وشبّوطٌ وَسَمُّورٌ
٢٩٧	١٤	الألف واللام	ق ٢٧ أ	١٣، ١٤	اللام والألف
٣٣٥	٨	صنو وقنو	ق ٣١ ب	٣	قنو وصنو
٣٣٥	٨	قنوان وصنوان	ق ٣١ ب	٣	صنوان وقنوان
٣٣٥	٩	التثنية والجمع	ق ٣١ ب	٣	الجمع والتثنية

٩ ـ هناك زيادات في المطبوع عن المخطوط ، ولم يشر المحقّق الى هذهِ الزيادات ، ولم يذكر النسخة التي وجد فيها هذهِ الزيادات :

ص	س	الكلمات
٢٩	٥	هو
٣٧	١	رضي الله عنه
٤١	٢	واحد
٤٤	١ ، ٢	ليس في كلام العرب : فَعِلَ يَفْعِلُ ، بِكَسْرِ العين في الماضي والمستقبل من الصحيح إلاّ ثلاثة أحرف .

ص	س	الكلمات
٥١	٤ ، ٥	صَمْغٌ حلوٌ ، والصعاريرُ : الصَّمغُ ورُبَّما كانت .
٥٧	٨	الزّائـدة .
٦٠	٧	حَتّى إذا ما آض ذا أعراف .
٩١	٢	ليس في كلام العرب .
١٠٩	١ ، ٢	بغير همز ، وموق ، ومؤق ، ومؤقيءٌ ، ومُوقي .
١١١	٥ ، ٦	وقَدْ خابَ مَنْ .
١١٩	١	الله .
١٤٥	٢	اسـمـا
١٩١	٥	عفا الله عنه
١٦٣	٢	على
١٨٩	١	عمرو بن كلثوم
٢٠١	٢	في كلام العرب
٢٠٩	٣	قال كثير : أَتِيٌّ ومَفْعُومٌ حثيثٌ كأنَّهُ غُروبُ السّواني أترعَتْها النّواضحُ
٢١٢	٥	خَيْرٍ
٢١٢	٨	حسـناً
٢١٦	٣	أو غيره
٢٢٠	٣	ورسـوله
٢٢٨	٨	مصدر
٢٣٥	٧	واحد العجاجيل
٢٣٨	١	قـوم
٢٤٢	٣	فاذكروا الله عند
٢٤٥	٢	اسـم
٢٤٩	٢	أي

ص	س	الكلمات
٢٥١	١١	وَسَفُّود" وسحور"
٢٥٤	٢	إلاّ
٢٥٨	٩	أَقمَرُ نَهّاتٌ يُنَزِّي وَفرتَجْ
٢٦٤	٣	الجعـدي
٢٦٧	٨	روائف ، بالرّاء
٢٦٨	٧	الله
٣٠٠	١	والخازبـاز
٣٠٠	٧	كقوله تعالى
٣١٨	٣ ،٤	وقد يجيء مَفعول" بمعنى فاعل ، قالَ الله تعالى : « حجاباً مستوراً » ، أي : ساتراً .
٣١٨	٩	هـو
٣٣١	١٠	ناقة عائط
٣٣٣	٨	هذان ، رأيت
٣٣٤	٩ ، ١٠	على حال واحدة
٣٣٦	٣	قتلا الملوك وفككا الاغلال
٣٣٧	٧	الله ، عليه السلام
٣٤٢	٦	عليه السلام
٣٤٧	٢	رضي الله عنه
٣٥٣	٤	فَتِحَتْ
٣٦١	١	السّويق (الثانية) .
٣٦٦	٧	فعـل
٣٧٢	٦	أي : ضيقاً
٣٧٤	٥	ثابت
٣٧٨	٣	الطفيـل
٣٧٩	٣	شَبَّهَهَا لسرعتها بذلك الطائر
٣٧٩	٥ ، ٦	وأيانق وأينقاً ونياقاتٍ وأنواقاً وأوْنقاً

١٠ ـ الباب رقم (٦٧) في المطبوع لم يرد في نسخة المتحف البريطاني ، ولم يشر المحقق الى ذلك .

١١ـ هناك زيادة من الناسخ ذكرت في نسخة المتحف البريطاني ، لم يذكرها المحقق ، ولم يشر اليها ، والزيادة تأتي بعد الباب رقم (٢٣) وهي :

(قال الأخفش : نبايت من البيتونة ، ونقايل من القيلولة ، وهذه ألفاظ معدودة أسماء للمصادر ولا تقاس ، ولكننا نؤدي ما سمعنا منها ، يقال : باتَ بيتوتةً ، وقالَ قيلولةً ، وكانَ كينونةً وصارَ صيرورةً ، وغابَتِ الشَّمْسُ غيبوبةً ، وحادَ حيدودةً .

فهذا زيادة على ما ذكره صاحب الكتاب رحمه الله ، لأنّهُ قالَ :

ليسَ في كلامِ العربِ على (فَيْعُولَة) إلا كانَ كينونةً ، وبقيّةُ البابِ وفيما ذكره الاخفش رحمه الله زيادة ثلاثِ كلماتٍ : البيتوتة والقيلولة والغيبوبة).

١٢ـ جَعَلَ المحققُ كلَّ كلمةٍ جاءَتْ بعد (إلاّ) منصوبة ، وهي في المخطوط مرفوعة ، ولم يشر إلى ذلك ، أذكر أدناه قسماً منها :

المطبوع			المخطوط		
ص	س	الكلمات	ص	س	الكلمات
٣٩	٣	إلا حرفاً واحداً	ق ٢ ب	٨	إلا حرفٌ واحدٌ
٤٦	٣	إلا اسماً واحداً	ق ٣ أ	٣	إلا اسمٌ واحدٌ
٥٧	٣	إلا حرفاً واحداً	ق ٤ أ	٤	إلا حرفٌ واحدٌ
٥٨	٣	إلا مصدراً واحداً	ق ٤ أ	١١	إلا مصدرٌ واحدٌ
٦٥	٢	إلا حرفاً واحداً	ق ٥ أ	٣	إلا حرفٌ واحدٌ
٧٥	٢	إلا حرفين	ق ٦ أ	٨	إلا حرفان
١٨٣	٣	إلا حرفاً واحداً	ق ١٦ ب	٢	إلا حرفٌ واحدٌ
٣٢١	٢	إلا حرفاً واحداً	ق ٢٩ أ	الأخير	إلا حرفٌ واحدٌ

★ ★ ★

ذكرت هذه الخلافات ليتبين للقارىء مدى التباين بين النسخة المطبوعة المحققة ، والنسخة التي اعتمد عليها المحقق ـ وهي نسخة المتحف البريطاني ـ وإن المحقق لم يشر الى هذه الخلافات ، وهي مهمة جداً في التحقيق ، حيث أن التحقيق العلمي يقضي بذكرها .

وسيبقى الفضل كل الفضل للمحقق الاستاذ أحمد عبدالغفور عطار في نشر هذا الكتاب القيم من تراث أمتنا العربية ، وفقه الله وسدد خطاه، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، وفقنا الله جميعاً لخدمة أمتنا العربية وتراثها المجيد ، والله من وراء القصد .

★ ★ ★

المستدرك على صناع الدواوين

صنعة

هلال ناجي

الاعظمية ص . ب ٤٠٦٨

المستدرك على شعر الثعالبي

في العدد الاول من المجلد السادس من مجلة المورد الغراء ، نشر الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو « شعر الثعالبي » وكان في نشرته تلك موفقا ورائدا ، كان موفقا اذ جمع ٢١٢ مقطوعة او قصيدة للثعالبي من شتيت المظان مخطوطة ومطبوعة ، باذلا جهدا خارقا في اثبات الفروق وخدمة النصوص . وكان رائدا اذ لم يسبقه في عمله هذا سابق من معاصرينا بعد ضياع ديوان الثعالبي ، وهو ابن بجدتها اذ له رسالة جامعية عن الثعالبي فضلا عن نشره بعض آثاره .

ولقد كان الحلو على ما عهدنا تواضعا ورفعة خلق اذ قال في مقدمة عمله : « ولست ادعي الاستقصاء في عملي هذا ، فمما لاشك فيه ان هناك مصادر ذهب بها الزمن ، اغلب الظن انها كانت تتيح لنا قدرا اكبر من شعر ابي منصور ، وخاصة تلك المجلدة التي وقعت لابي الحسن الباخرزي ومما لاشك فيه ايضا ان هناك مصادر غفلت عنها ، او لم تتح لي فرصة الاطلاع عليها ، وفي نقدات اساتذتي وزملائي الباحثين ما يرشدني الى سد هذه الثغرة واصلاح هذه الثلمة » .

ثم انبرى احد الاساتذة المختصين بدراسة الثعالبي وآثاره وهو الدكتور محمود الجادر الى التعليق على نشرة الحلو ، واضاف الى ما جمعه الدكتور الحلو ١٢ مقطوعة نشرها في العدد الثالث من المجلد الثامن من المورد – ١٩٧٩ ص ٤٣٤ – ٤٤٣ .

وبمرور الاعوام وخلال غوصي عبر مئات المخطوطات ظفرت باشعار للثعالبي لم يقف عليها الدكتوران الحلو والجادر . ورايت خدمة للثعالبي نشرها في المورد الغراء التي احتجنت الاصل والتعقيب ، لتكون ذيلا للديوان وتتمة وتكملة ، والله الموفق للسداد . وهذا نص المستدرك :

(١)

قال :

طلع الربيعُ بطلعة السراءِ مُتبلّجاً عن نعمةٍ بيضاءِ

فابرز الى صحراء غزنة كي ترى ... من حسنها الغبراء كالخضراء
واشرب على الحمراء والصفراء من ... صهباء تنفي غمة السوداء

التخريج : مخطوطة التوفيق للتلفيق ـ رقم ٨٢٢٨برلين الورقة ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢)

وقلت لصديق لي :

لما ترحل عني ... شماتة الاصدقاء
شيعته ببكائي ... وحرقتي ودعائي

التخريج : مخطوطة زاد سفر الملوك ـ رقم ٥٠٦٧ جستربتي . الورقة ٣٢ .

(٣)

وللثعالبي رحمه الله :

أكرم بكرم إذا اسلفت مغرسه ال ... ماء القراح قضاك الراح في العنب
وظل يثمر في ظل العريش لنا ... أم السرور وظرف اللهو واللعب

التخريج : مخطوطة روح الروح ١١٥ .

(٤)

وقال :

انشط فديتك سيدي لهريسة ... شبهتها فاسمع لتشبيه عجب
كخيوط قز في لآلىء بضة ... فركت ، وأجري فوقها ماء الذهب
والدار صيني المشتهى [من] فوقها ... مع فلفل يقضي بها بعض الأرب
ككتابة من زعفران نقطت ... بالمسك يقرؤها الفتى عند النصب
وترى المدي المروزي يمر في ... صفحاتها حقا ، وقد يمضي سغب
كعصارة المسك الذكي تحلبت ... فوق البسيطة من لجين منتخب

التخريج : مخطوطة احاسن المحاسن ـ باريس رقم ٢٣٠٦ الورقة ٨٠ ـ ٨١

(٥)

وقال في غلام حسن القد والخط واللفظ :

يا حاكي الغصن الرشيـ ... ـق بقده أنى خطرتا
ومساقط الدر النظيم ... إذا نطقت وإن كتبتا
نفسي فداؤك إن خطوت ... وإن خططت وإن نطقتا

التخريج : مخطوطة احاسن المحاسن الورقة ٩٩

(٦)

وقلت :

يا غائبا عن سواد عيني ... حللت من مهجتي السوادا
ماغبت عن ناظري ولكن ... غيبت عن ناظري الرقادا

التخريج : مخطوطة زاد سفر الملوك الورقة ٣٤

(٧)

وقلت من قصيدة :

ولمّا وقفنا بين زفرة واجدٍ ... وحنّة مشتاقٍ وأنّة فاقدِ
حلَلْتُ عقودَ الدمعِ مشْتروحاً به ... فما فاضَ ، لكن غاضَ فعلَ مُعاندِ
وحاولتُ بسطَ الباعِ منّي مودّعاً ... فما ساعدتني عند ذلك ساعدي

التخريج : مخطوطة زاد سفر الملوك الورقة ٣٢

(٨)

وقال :

هذا يومُ أحْمَدِ ... بين روضٍ منجّدِ
وخليج مُزَرّدِ ... ونبيذٍ مُوَرّدِ
وحمامٍ مُغَرّدِ ... قُضْبُها من زبرجَدِ
كلّنا باسط اليد ... نحو نيلوفرٍ نَدِ

التخريج : مخطوطة التوفيق للتلفيق الورقة ٦٠

(٩)

وقال في التلفيق بين خصائص الديوك :

طربتُ الى وردِ الشرابِ المورّدِ ... على وجه موموق الشمائلِ أغْيَدِ
ونبهني صوتُ الديوك بِسُحْرةٍ ... وعندي - أدام اللهُ فضلك سيدي -
كباب" كأعراف الديوك وقهوة" ... كأحداقها صفر" ، فَساعِدْ واسْعِدِ

التخريج : مخطوطة التوفيق للتلفيق الورقة ١٠

(١٠)

وقال :

برقُ مُدامٍ في عارض النَدِّ ... ورعدُ قَصْفٍ ورَشٌ ما وَرْدِ
والشمسُ مَعْ كلٍّ هذه طلعت ... من جنب ساقٍ مُعَشّق القَدِّ
لو تمّ أُنسي بالقرب منك لما ... حصلت إلاّ في جنّةِ الخُلْدِ

التخريج : مخطوطة التوفيق للتلفيق الورقة ٢٠

(١١)

وقـال في صـباه :

لنا بركـةٌ من يطلع فـوق مائهـا ... يُصَلّي على خير الانام محمّدِ
كنحتِ زجاجٍ أزرقٍ قد مَشَتْ به ... سلاسلُ من فيروزجٍ وزبرجدِ

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ٧٣

(١٢)

وقـال في صـباه :

قبّلْتُ منه فماً مجاجته ... تجمع معنى المدام والشهدِ
كأنّ مجرى سواكه بَرَدٌ ... وريقه ذوب ذلك البَرَدِ

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ٩٤

(١٣)

وقـال :

بأبي طرّةٌ إذا طيّرتها الريحُ ... (م) فالمسك عندها جدُّ كاسِدْ
تحتها غرّةٌ إذا ما رأتها الشمسُ ... (م) أضحتْ تلوح في ثوب حاسدْ

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ١٠٨

(١٤)

ولابي منصـور الثعالبـي :

كيسي فديتُكَ صِفْرُ ... ما فيه بيضٌ وصُفْرُ
كأنّ قلب زماني ... صخرٌ عليَّ وصفرُ

التخريج : مخطوطة روح الروح « مصورة في خزانتي »

(١٥)

وقـال :

وفصل فيه للارض اختيالٌ ... لانّ جميع ما لبستْ حريرُ
وللاغصان من طَرَبٍ تَثَنٍّ ... إذا جعلتْ تغنّيها الطيورُ

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ٢٨

(١٦)

وكتب الى ابي النصر العتبي يحاجيه بالتلفيق بين تشبيهات شجر الغبيرا :

إنّي أحاجي منك فرداً في الحجا ... تزهى به الدنيا ونيسابورُ
فأقول : ما شجرٌ بديعٌ وصفُهُ ... لكنّه ببلاده مشهورُ

أوراقُـه ورقٌ وعـودٌ عـوده والنَّوْرُ تبرٌ قد علاه النورُ
وثمارُهُ الياقوت فيه الجزع مكنونٌ (م) وبينهما يثرى الكافور ؟؟

التخريج : مخطوطة التوفيق للتلفيق الورقة ١٦

(١٧)

ولابي منصور الثعالبي يرثي ابا المظفر صاحب الجيش وشقيق السلطان ، ويعزي السلطان :

صنو أعلى الملوك وَرَبَّتُهُ عمراً (م)طويلاً، أَحْبِبْ بذلك عمرا
كان ظَفْراً له فقد صار أَجْرا كان فخراً له فقد عاد ذُخْرا

التخريج : روح الروح الورقة ٥٨ .

(١٨)

وقال الثعالبي في تشبيه الشمس بطيالسة اليهود، وتشبيه الجو بطيالسة النصارى :

كأنَّ القطرَ طول الليلِ درٌّ من الكافور ينتشر انتشارا
كأنَّ الشمس غبَّ الدجن لمّا بَدَتْ في الجوّ تنتشر انتشارا
طيالسة اليهود منشّرات تضاف الى طيالسة النَّصارى

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ٤٩

(١٩)

وقال :

أرى الروضَ للانسان قرة ناظرٍ وللشاعر الوصّاف قوة خاطرِ
ولمّا أتيناهُ كوَشْي مُنَمْنَمٍ تلوح عليه مونقات الجواهرِ
سَعَتْ نحونا أيدي الصَّبا بمجامرٍ ومدَّ علينا الغيمُ دُكْنَ الستائرِ
تلاقى به دمعُ الغمام وادمع الـ مدام ودمع الصبِّ بين المحاجرِ
فيالك من روضٍ كأنَّ نسيمه نسيم حبيب في دجى الليل زائرِ
وما شغفي بالروض إلاّ لأنه يناسمني ريح الشباب المسافرِ
وأخبار مأمون بن مأمون الذي يصون غصون المُلْكِ عن كلِّ كاسرِ

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ٢٦ ـ ٢٧

(٢٠)

وقال في التلفيق بين اوصاف الشمس وخصائصها وردها الى اوصاف الممدوح

ألا من مُبلغٍ المَلِك الاجلَّ التمام (م) السيّد القرم الخطيرِ
شركتَ الشمسَ في حُسْنٍ ونورٍ وإربـاءٍ على القمر المنيرِ
ومـا قَصَّرْتَ عنها في عُلُوٍّ وفي نفع الانام وفي المسيرِ

فَــدُمْ بدوامهـــا واسْـعَـدْ بمُلْكٍ   كبيرٍ واستلم صـــدرَ الـســريرِ

التخريــج : مخطوطة التوفيق للتلفيق الورقة ١٠

(٢١)

وقــال لابي نصر ســـــهل بن المرزبان :

١ ـ ألستَ تــرى يا غرة الدهــر والعصــرِ   محاســنَ هــذا اليوم في الغيم والدهرِ
٢ ـ ســماء كصــدر البــاز والارض تحتــه   كأجنحــة الطاووس فاشرب أبـا نصـر
٣ ـ عقاراً كعين الــديك تحلــو بِمُسْمِعٍ   يــؤدي غنـــاءَ العنــدليب على قــدْرِ
٤ ـ فــلازلتَ بين البيض والصفـر ناعمـاً   يروقك غضّ العيش في الورق الخضرِ

التخريج : التوفيق للتلفيق الورقة ٣٤ .
الثاني والثالث لوحدهما في مجموع شعره نقلا عــن ثمار القلوب ص ٤٨٩ وقد نســـبا فيـــه لبعض العصريـــــين .

(٢٢)

واقترح بعض الامراء على الثعالبي ان يقول في فتى من ابناء حاشيته كان يستحسن صورتـــه وشمائله ، فقال فيه ابياتا منهــا :

اذا مــــا لاح للعـــــين   ابــو الفتــح بــن منصــورِ
فَقَتْــلٌ في قـــدٍّ ســكرانٍ   وقتـــلٌ في عـــين مخمــورِ
وقتـــلٌ في جيــد يعفــورٍ   وقتـــلٌ في خصــر زنبـــورِ

التخريــج : التوفيق للتلفيق الورقة ٦٤ .

(٢٣)

وقـــال في غـــلام رستاقي :

يـا فتنــة العشــاق حتــى متى   تطلـــع بالرستاق يـــا بــدري
وليس ذاك الوجــه في حسنه   من بابــة الرستاق لو تدري !

التخريــــج : احاسن المحاســن الورقة ١٠٣ .

(٢٤)

وقـــال :

أقـــول ولــم أملك عنان مـــدامعي   وقــد لـجّ بي شوقٌ الى قمـر القَصْرِ
لئن صـاد قلبي أوحــد العصر إنني   لمقتصـرٌ منـــه على الزجـر والقصـرِ

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ١٠٨

(٢٥)

وقـــال :

بعثـتُ الى سـيّدي سُـكّراً يُحـاكي حـلاوته في الصـدورِ
وشمعاً يمـزّقُ ثـوبَ الـدجى ويلبس جـيرانهُ ثـوبَ نـورِ

التخريـج : احاسن المحاسـن الورقة ١٦٧

(٢٦)

وقـــال :

طالعتنـا طـلائع القـرّ يـرمينـا (م) عـدوٌ باسـهم اقشـعرارِ
وجفـاء الريـاح يفعل بالاشـجار (م) فعـلَ الزمـانِ بالاحـرارِ
وبَنات الريـاض يذبلـن للبـرد (م) ذبـولَ الكـرام للاعسـار
قـد تبدلـنَ من شبابٍ وحُسْنٍ واهتـزازٍ ونضـرةٍ واخضـرارِ
بقميصٍ مـن المشـيب قشـيبٍ ورداءٍ مـن الـردى مسـتعارِ
وكـذاك الزمـانُ بين مصيفٍ حـرّه يضـرب الجلـودَ بنـارِ
وخـريفٍ إذا تلطّـف للـزرع أحـلَّ الازهـار دار بـوارِ
وشتاءٍ مثـل المشـيب المعنّي وربيـع مثل الشـباب المعـارِ
وكـذاك الاحـوال بين ارتفـاعٍ وانخفـاضٍ وعسـرة ويسـارِ
كـلّ شـيءٍ الى تـنـاهٍ سـوى اللـه العـزيز المهيمـنِ الجبّـارِ

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ٣٧

(٢٧)

وقـال في المـدح من قصـيدة :

وخلـق هـو البـدر لا شـكّ فيـه زَيّنَـهُ اللـهُ ربّ البَشَـرْ
بعـود السّماح ومسـك العُلى وعنبـر سـؤدده المشـتهرْ

التخريـج : التوفيق للتلفيق الورقة ٦٧

(٢٨)

وقـــال :

ومـن المـروءة للفتـى مـا عـاش دارٌ فاخـرَهْ
فـاقنـع من الدنيـا بهـا واعمـل لـدار الآخـره

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ١٣١

(٢٩)

وقـال :

بنفسي زائرٌ بعد ازورارهْ مُفَتَّح ما حواهُ من ثمارهْ
وكيف تقرّ عيني في هواه وعين الدهر تطرف بالمكارهْ

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ١٠٨

(٣٠)

وقـال :

أيا واحد السادات لا زلتَ شارباً بكأس نعيمٍ من فنون الأذى خَلَصْ
أنا بجناح الشوق نحوك طائرٌ ولكن خوفَ «القَفْص» أدخلني القَفَص

التخريج : التوفيق للتلفيق الورقة ٣١ .

(٣١)

قال ابو منصور الثعالبي :

سوأةٌ سوأةٌ لوجه طبيبٍ ساءَنا منظراً وساءَ صنيعا
إنْ رآهُ الصحيح صار مريضاً أو رآهُ المريضُ مات سريعاً

التخريج : روح الروح الورقة ٤٥ ـ ٤٦ .

(٣٢)

وقال في معاني لوزية :

مُلَوَّزُ العين لوزيٌّ العذار سعى بالكأس نحوي ، ونَوْرُ اللوزِ ماطلعا
فشاقني اللوزُ حتى منه نُقلي والـ حلواء لوزينجٌ بالطيب قد ترعا

التخريج : التوفيق للتلفيق الورقة ١٠

(٣٣)

وقـال :

اسقني بالصغير فالرشفُ أنفعْ واجتناب الكبير للشمل أجْمَعْ
وكذاك الصغير من زمرة الاحباب أجدى على المحبّ وأمْتَعْ

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ٩٩

(٣٤)

ولـه ايضـا :

يا حُسْنَ يقظان الشمائل ناعس الالحاظ يحكيه الغزالُ الأهيفُ
ويروقني ذقنٌ له مستودع جُبّاً ، ومن ذا الجُبِّ يطلعُ يوسفُ

التخريج : روح الروح الورقة ٦٨ . وهماله في مخطوطة احاسن المحاسن الورقة ٦ . رواية الاول : من كف يقظان .

(٣٥)

وقـــال :

إن كـــان والٍ يحيـــفُ ... أو نـــابَ خَطْـــبٌ مخيـــفُ
فـــانّ ربّـــي لطيـــفُ ... وصنعـــه بـــي لطيـــفُ

التخريج مخطوطة احاسن المحاسن الورقة ٤ .

(٣٦)

وقـــال :

يـا مُذْهِبـاً قلبَ الحسـود بفضلـه ... ومـداويـاً أمـراض حـال العـافي
أحمـدت عاقبـة الـدواء الشـافي ... وسلمت مـن ريـب الزمـان النـافي
وأخـذتَ أوفى الحظ يـا مَنْ مجدُهُ ... وافٍ ، وليس محكـه بـالخـافي
من مشـربٍ صافٍ ، وثوب سـلامةٍ ... ضـافٍ ، وجيش للسـعود موافـي

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ١٦٠

(٣٧)

وقـــال :

أَحْبَبْتُ مـن أوصافـهُ مشتقّة ... مـن مـدح مولانا الأمير ووصفِـه
فالقَدُّ منه كرمحه ، والطَرْفُ منـه ... كسـيفه ، والعَرْفُ منـه كعَرْفـه

التخريج : التوفيق للتلفيق الورقة ٦١ .

(٣٨)

وقـــال :

يـا حُسْنَ خـطٍ مسـكـه عبـقُ ... نفضـت عليـه سـوادَها الحَـدَقُ
لمّـا أتـى وجهـاً شـغفت بـه ... لـم يَعْلُ رونقَ حُسْنِهِ رَنَـقُ

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ١١٠

(٣٩)

وقـــل :

إذا مـا نَقَـلَ الدهقـانُ ... غـلاّت الرسـاتيقِ
فكـم مـن نعمـة بيضـاء ... (م) فـي سـود الجواليـق
وكـم مـن سـمنة صـفراء ... (م) فـي حمـر البسـاتيق
وكـم مـن قهـوة حمـراء ... (م) فـي بيـض الدواريـق

التخريـج : التوفيق للتلفيق الورقة ٣٧ .
الاول والثاني فقط في مجموع شعره المقطعة ١٣٩ .

(٤٠)

واقترح مامون بن مامون خوارزم شاه علـى الثعالبي تهنئة بنبات اسنان ابنه فقـال :

ليهنِـك يـا شمسَ الزمـان وبَـدْرَهُ   طلوعُ النجـومِ الزُّهْرِ فِيَّ هلالكا

التخريـج : التوفيق للتلفيق و ١٨ .

(٤١)

وقـال :

رقَّ ثـوبُ الزمـان منـذ ليـالِ   فَهْـوَ يحـكي وجهي وشـعري وحالي

وبـدتْ رايـةُ الخـريف فقـد شُـدَّتْ رحـال المصيف للارتحـالِ

والبسـاتين قـد تزيـت مـن الـ   ـملحـم قمصـا طويلـة الأذيـالِ

فاجلهـا باللبـاس واشـرب مـن الـراح ودافـع بالبُرْدِ بَرْدَ الليـالي

التخريـج : احاسـن المحاسـن الورقة ٢٧

(٤٢)

وقـال :

يا مَـنْ أطـالَ عنـانَ غَيْبَتـه   وكـأنَّ بـاب قفولِـه مُقفَلْ

جَرَّعْتَني مـن كـأس بُعـدك مـا   يحلـو لديـه الصـابُ والحنظَلْ

وتركتنـي وهـواك يرصـدني   ليصيب يومـاً منّـي المقتَـل

التخريـج : احاسـن المحاسـن الورقة ١٠٨ ــ ١٠٩

(٤٣)

وقـال :

مـا أنْسَ لا أنـس بـدر تـمٍّ   قبَّلْـتُ مـن ثغـره نجـوما

فلـم يدعنـي الرقيـبُ حتـى   صـار نسيمُ الهـوى سـموما

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ١٠٨

(٤٤)

وقـال في خـوارزم :

اسـلك طـريقَ العـزم والحـزمِ   واتـرك بـلادَ الـظلم والغَشْمِ

مـا العيش إلاَّ أن يكـون لمـن   أمِـنَ [المظـالم] وافـر القسـم

كحمـام مكنّـة أو رعيـة مـأ   مـون بـن مأمـون خـوارزمِ

التخريـج : احاسـن المحاسـن الورقة ٦٥

(٤٥)

وقال في غلام حيّا بالبنفسج وعليه قباء بنفسجي :

وبنفسجيّ اللون لو ملّكته ... ما كنتُ غيرَ جليسه ونديمه

أهدى اليّ بنفسجاً فكأنّه ... من صدغه وقبائه ونسيمه

التخريج : التوفيق للتلفيق الورقة ١١ .

(٤٦)

وقال :

أما ترى الشمس حلّت الميزانا ... في زمانٍ قد عدّل الميزانا

بين بردٍ عديله الحرّ قد زار ... نهاراً كمثل ليل وزانا

ومن العدل شربك الراح في فصل ... (م) اعتدالٍ ونفيك الاحزانا

ان هذا الخريف وهو ربيع ... الناس يدعو الارطال والكيزانا

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ٣٧

(٤٧)

وقال :

للسيّد الملك الهمام المرتجى ... محمودٍ المتطول الميمونِ

رأي الرشيد وهيبة المنصور في ... حُسْن الأمين وحشمة المأمونِ

التخريج : التوفيق للتلفيق الورقة ٢٤

(٤٨)

قال يصف آثار الربيع :

باح الصباح بأسرار البساتينِ ... وأحيَتْ النفسَ أنفاسُ الرياحينِ

فهاتها كشعاع الشمس صافيةً ... بكراً ربيبة أبيات الدهاقين

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ٥٣

والاول مع آخر في تتمة اليتيمة ٢ / ٦٢ منسوبان لبعض اهل العصر ، والاول في مجموع شعره المقطعة (٢٠٠) .

(٤٩)

وقال في صباه :

أهلاً بطيب نسيمٍ قد وجدتُ له ... برداً على كبدي الحرّى تجشمني

فقلتُ من أين هذا الروح يا عجبي ... قد كاد ينشرني من ميتة الحزنِ

فقال : اني رسول للربيع أتى ... وخير شارف (كذا) بنيسابور قربني

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ٢٨

(٥٠)

وقـــال :

صديق" لنـــا مُـذْ كساهُ الزمانُ (م) ثــوبَ الغنــى رافعــا شانَهُ
تـــراهُ غليــظَ مـــزاج الكـــلام إذا كسَّـــر التِيـــهُ أجفانَـــهُ
يخـــاطبُ بالكـــاف إخــوانَـــه ويشـــتمُ بالـــراءِ غلمـــانَهُ

التخريج : التوفيق للتلفيق الورقة ٧٠ ـ ٧١

(٥١)

وقـــال في غـــلامٍ ذميّ :

وجهـــنميٌّ الـــدين لكـــنْ وجهُـــهُ في الحســـنِ جنَّـــه

التخريج : التوفيق للتلفيق الورقة ٧٣

(٥٢)

وقـــال :

الارضُ تشـــرقُ والامطـــارُ تسقيها والطير بالسحر من شعري تغنّيهـــا
وللغصـــون تثنٍّ كلّمـــا طَرِبَتْ على الســماع زهتـه مـن أعاليهـــا
فاشرب على دولـــة السلطان صافيـــةً كأنّهـــا هـي تمثيـــلاً وتشـــبيها
حسنـاً وطيبـــاً صفـــاءً لـذّةً أرجاً وأيّ وجـــهِ ســرورٍ لا يُــرى فيهـا

التخريج : التوفيق للتلفيق الورقة ٦ ـ ٧

(٥٣)

وقـــال :

يـــا مـــانعي رَوْحَ الوصـــال ومانحـــي كــــرب الجفـــــا
شـــارفت فـــي طـــرق الـــردى وطـــويتني طـــيَّ الـــركـــا
وتركـــــتني ومـــــدامعي يحـــدرن أذيـــال الـــدمـــا
وهـــواك أمســك عـــن محيطـــي طيـــب أنفـــاس الهـــوا

التخريج : احاسن المحاسن الورقة ١٠٩

* * *

المستدرك على شعر أبي علـي البصير

في العدد المزدوج (الثالث والرابع) من المجلدالاول من مجلة المورد الغراء ، نشر صديقنا الدكتور يونس أحمد السامرائي ما استطاع جمعه من اشعارابي علـي البصير : فكانت حصيلة ذلك ٢٤٠ بيتـا مما صحت نسبته للبصير و ٣٧ بيتا مـن الشـعرالمدافع بين البصير وغيره .

ولما اتصف به شعر هذا الشاعر من جـودةواحسان وبلاغة ، فقد عنيت بجمع هذا المستدرك علـى ديوانه المنشور في المورد . وفضلت نشـره في المجلة التي نشرت الاصل ليكون ذيلا له وتتمة . ومن الله التوفيق ، ولصديقنا اوفى التقدير لجهده الرائد الكبير .

نص المســتدرك

(١)

سـما بالأمـير الفتـح بيتٌ مُشَيَّدٌ ... لـه فـوقَ أفـلاكِ النجـوم مراتبُ

التخريج : المنصف ص ٤٠٠

(٢)

يُحدِّثُ عنـه كلٌّ بـادٍ وحـاضرٌ ... أحاديـث كالاحـلام فيهـا عجائـبُ

أحاديث لـولا نور حقٍّ لَبِيْننَهُ ... يظـنُّ أنـاس انهـنَّ كـواذبُ

التخريـج : المنصف ٤٣٥ .

(٣)

وكيف يجـوز انَّ عـلى أديـبٍ ... لطيـف الحسِّ يطلـعُ الغيوبـا

التخريج : المنصف ص ١٢٨ .

(٤)

قـال البصـير :

١ ـ في كـلِّ يـومٍ لـي ببابـكَ وَقْفَةٌ ... أطـوي اليهـا سـائرَ الأبـوابِ

٢ ـ فاذا لقيتُكَ رُحْتُ قد رَوَّحْتُ عن ... قلبي الهمـوم ، وأُبْتُ غـير مـآبِ

٣ ـ وإذا حَضَـرْتُ وغبتُ عنـك فاتـهُ ... ذنـبٌ عُقوبتُـهُ عـلى البـوابِ

٤ ـ أعليَّ انـك قـد شَغَلْتَ بنعمـةٍ ... قَدَّمْتَهـا شـكري وحُسْنَ ثـوابي

٥ ـ لكـن رأيتُكَ قـد خصصتَ عصـابةً ... وَعَمَّمْتَنـي ، ليسـت لهـم أسـبابي

٦ ـ فاذا انفردتُ رأيتُ شكركَ واجبـاً ... وإذا اجتمعنـا كنـتُ كالمرتـابِ

التخريج : القطعة في مخطوطة كتاب الانـس والعرس للابي الورقة ٩٨ .

والبيتان الاول والثالـث لوحدهمـا في نشـرةالسامرائي ص ١٥٤ .

(٥)

قال البصير :

رأيتُك يا ابنَ أبي كاملٍ كثيرَ الروايةِ جمَّ الكُتُبْ
عليماً بأخبار هذا الزمان وأحوال عُجْمِهم والعَرَبْ
تُمَيِّزُ مختلفات الخِلال ماعِيبَ منها وما لم يُعَبْ
فتأتي الذي أنت أولى به وتجتنبُ الخُلُقَ المُجْتَنَبْ
فهل جازَ عندكَ أوهل يجوزُ أن يَرْجِعَ الحُرُّ فيما وَهَبْ ؟!
ولا سيّما في الذي يبتديه قبلَ السُّؤالِ وقبلَ الطَّلَبْ
وَهَبْتَ لنا خِطَّةً من يكُنْ بها نازلاً فهو كالمغتربْ
بناحيةٍ بعدتْ أن تُزار إلاّ بحملِ الأذى والتَعَبْ
وإلاّ على رِقْبَةٍ في المسير وخوفٍ على النفس دون السَّلَبْ
تنال بها الزادَ - إنْ نِلْتَهُ - بعيدَ المدى عَسِرَ المجتلبْ
وتستعذبُ الماء عن ليلتين اذا ما السَّحاب بها لم يَصُبْ
فَقُمْنا بشكرك في العالمين وسارَ القريضُ به والخُطَبْ
وشُبْنا لنبلغَ جُهْدَ الثناء صِدْقَ الحديثِ ببعض الكَذِبْ
كأنك بَوَّأتَنا منزلاً عتيداً به لامرىءٍ ما أحَبْ
مُحيطاً بما تشتهيه النفوس يرى رغبةً دُونَه مَنْ رَغِبْ
فَبَيْنا نقدِّر فيه البناء ونسأل كيف يُباع الخَشَبْ
لنشرعَ في الأمر ماراعنا سوى بدوةٍ لك لم تُحتَسَبْ
أفي الدين عندك هذا الفعال أم في المروّة أم في الأدبْ ؟ !
وماذا نقول لاخواننا إذا قال قائلهم : ما السبب ؟
فانكَ تَعْلَمُ ما في الجواب ولا يقنعونَ إذا لم تجِبْ

التخريج : مخطوطة الانس والعرس للآبي الورقة ٩٠ - ٩١

(٦)

وقال ابو علي البصير :

دولةٌ تُرغِمُ الحسود وإن كا ن نُهوضي فيها بِجَدٍّ عثورِ
فلعمري لئن خَصَصْتَ بمعروفِكَ دوني من ليس لي بنظيرِ
وتجاوزتَ مَوْضِعَ الرأى في تقديمه وفي تأخيري

إنَّ وُدّي لِلـــوُدِّ لا تقـــدح الأيـامُ فيـــه والـدهـرُ ذو تغـيير
رُبَّ عـذْرٍ بسـطتَهُ لـك فيمـا لستَ فيـه لـديَّ بالمعذور
وخبيرٍ بالحـال عنـدك لبّسْـتُ عليـه فعـادَ غـير خبـير
أتقـاضـاك بالمـراقبـة العُقبـى وأرجـو بالصبر عُقبى الصَّبُور
ليـتَ شـعري أبالحقيقـة علّقْتُ حبـال الرجـاء أم بالغـرور

التخريـج : المصدر السابق الورقة ٨٣ ـ ٨٤

(٧)

وقــال :

قـلْ ليحيى في غير عتْبٍ عليـه ضِقْتَ عن حاجتي وماضاقَ عذري
حَسْبُ من فاتني لديـه الـذي أمّلْتُ ، أنْ فاتَهُ ثنائي وشكري

التخريج : المصدر السابق الورقة ٨٤

(٨)

وقـال البصـير :

واغنـم الشكرانـه كنزكَ البـاقي على الدهـر والكنـوزُ عـواري
وأرى الشـكرَ لا يسافرُ إلاّ بدليـلٍ هـادٍ من الأشـعار
وكـذاك القِـداحُ لا تـدركُ الاوتـارَ إنْ لـم تَطِـر عن الاوتارِ
والجَنـاحُ العاري من الرِّيش كلٌّ فـاذا ارتاش طـارَ كـلَّ مطـارِ

التخريج : المصدر السابق الورقة ١٣٩

(٩)

وقال البصير :

حُجِبْتُ بِبـابِ أبـي صـالح وأدْخَـل بَـوّابُهُ من حَضَرْ
فـان لا يكـنْ ذاك عـن أمـرهِ فقـد كـان في الحقّ أنْ يَعْتَـذِرْ
وأن يَعْـذل العَبْـد عـذلاً يكـون لـه بعدهـا مُزْدَجَرْ
فإنـي ألـينُ لمـن رامنـي بلـينٍ واحلـو وطـوراً أمـرّ
وانّـي اذا مـا أبـى صـاحبي عليّ والبسُ جلـد النَّمِـرْ
وأجـزي القـروضَ بأمثالهـا فخيراً بخيْـر وشـراً بِشَـرْ
على أنّ مـن شـيمتي أنْ أُقيـلَ حُـراً كريمـاً إذا مـا عَثَـرْ
وان لا أُجشّـمَهُ خُطّـةً مـن الأمـر ذاتِ مـرامٍ عَسِـرْ
فابلـغ خليلـي أبـا صـالحٍ بـانّ عتابي لـه قـد كَثُـرْ

وأن قد تأيّيْتُه واتنظرتُ حولاً فما بعده أنتظرْ
عليه السلام وداع المقيم في بيته لا وداع السَّفَرْ
سيعلم إنْ كنتُ عن أمره حُجبتُ، أيَنبتُ لي أم يفر

التخريج : المصدر السابق ١٠٨-١٠٩

(١٠)

تندى أنامله إذا يبس الثرى ويشحّ وابله وان لم تمره

التخريج : المنصف ص ٢٩٦

(١١)

وقال في ابن سعدان :

يا ابن سعدانَ أجلح الرزق في أم رِكَ واستحسن القبيح بمَرّه
نلتَ ما لم تكن تمنّى إذا ما أسرفتَ غاية الأمانيّ عَشْرَه
ليس فيما أظنّ إلا لكيلا ينكر المنكرون للّه قدره

التخريج : شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٢٠٨

(١٢)

وقال البصير :

١ ـ هل القول إن أطنبتُ في القول نافعٌ لديكَ، وهل لي من ضميركَ شافعُ ؟
٢ ـ وهل أنتَ راعٍ للّذي كان بيْننا وجازيه الاحسانَ أم هو ضائعُ ؟
٣ ـ وهل أنا إن عفّرْتُ خدّي بعبرةٍ مُقالٌ ؟ وهل عَهْدُ الرضى منك راجعُ ؟
٤ ـ حلَفْتُ يميناً برّةً وشفَعْتُها فهل أنت منّي باليمينين قانعُ ؟
٥ ـ لقد قرعَ الواشي بأهونِ سعْيه صفاةً قديماً أخطأتها القوارعُ
٦ ـ فأقلقني في ضعفه وهو خافضٌ وشرّدَ عن عيني الكرى وهو هاجعُ
٧ ـ فان كان لي عُذْرٌ يَصحّ قبلتَه وأن ضاق عنّي العُذرُ فالعفوُ واسعُ
٨ ـ سألبَسُ ثوْبَيْ ذِلّةٍ واستكانةٍ ويأتيك منّي كاسفُ البالِ ضارعُ

التخريج : الانس والعرس للآبي الورقة ١٢٧
والبيتان الخامس والسادس في نشرة السامرائي ص ١٦٣ . رواية صدر السادس : وهو ساكن .

(١٣)

وقال البصير :

تعلّمْ إن شرّ المال مالٌ تُدافعُ عنه بالعِلَلِ الحقوقا
فلا تُسلم صديقكَ عند أمرٍ دعاكَ له، يُكابدُ منه ضيقا
فإنّك واجدٌ أبداً عدُوّاً ولستَ بواجدٍ أبداً صديقا

التخريج : المصدر السابق الورقة ١٠

(١٤)

وقال أبو علي البصير :

مـا بـالُ قلبكَ لا يقـرُّ خفوقـا ... وأراكَ تـرعى النجمـةَ العَيُّوقـا

وجفون عينك قـد نثـرنَ من البكـا ... فـوق المـدامـع لؤلؤاً وعقيقـا

لـو لـم يكن إنسـانُ عينكَ سابحاً ... في بحـر مُقْلتِـه لمـاتَ غريقـا

التخريج : مخطوطة المحب والمحبوب للسري الرفاء رقم ٥٥٩ لايدن الورقة ٦٤

(١٥)

وقال البصير :

جئتُه زائراً فانزلني الخـانَ ... أقاسي الاذى وبُغْضَ الرفيـقِ

شـربي الآجِنُ الكـريهُ وأكلي ... من طعـامٍ يُعَـدُّ لي في السـوق

ومبيتٌ مـاذا بـه يـا أبـا ... يعقـوب مـن وَحْشَـةٍ ونتنٍ وضيقِ

فتَغَبَّرْنـا بـذاك عشرين يومـاً ... في صَبُوح من الاذى وغبـوقُ

ثـم اعْطـى عطيّـةً تُشْبِهُ الحرمـان لـم يُعْطها بِوَجْـه طليقِ

فتحَسَّبْتُ الـذى أصبتُ فكـان الشَّطر ممـا أنفقْتُـه في طريقي !!

التخريج : الانس والعرس للآبي الورقة ٨٤

(١٦)

وقال :

١ - أبـا جعفـرٍ إنّ الولايـة إن تكـن ... مُنَبِّلَةً قومـاً فأنتَ لهـا نبْلُ

٢ - فـلا ترتفـع عنّـا لشـيء وليتَـه ... كما لم يُصَغِّر عندنا شأنَكَ العَزْلُ

٣ - أتحجبُني وقـد أذِنْتَ بحضـرتى ... لقومٍ ولي فيمـا أتيتُ لَهُ الفَضْلُ ؟!

٤ - سـآتيك غِبّـاً إن أتيتك بعدهـا ... وإلاّ فهجرٌ جَـرَّهُ بيننـا الوَصْـلُ

التخريج : المصدر السابق الورقة ٩٧ .

والبيت الثاني ضمن مقطعة من خمسة ابيات في نشرة السامرائي ص ١٦٥ .

(١٧)

وقال في فلاة :

معتسفٌ فيهـا الدليـلُ انّـهُ ... قـد ضلَّ عن قصدِ السبيل وأضَلّ

فالقـوم مـن مُحْتَسِبٍ لنفسـه ... يلاحـظ المـوتَ ، وداعٍ مُبْتَهِلْ

التخريج : المنصف في نقد الشعر ص ٢٩٧ .

(١٨)

مَلِكٌ لم تطلع الشمسُ على مثله أوسع سَيْباً وأعَم

التخريج : المنصف ص ١٧٧

(١٩)

وتمتعتُ شبابي كلّه وغذائي بالهوى قبل الحُلُمْ

التخريج : المنصف ١٩٨

المستدرك على ديوان القاضي التنوخي الكبير

في العدد الاول من المجلد الثالث عشر من المورد الغراء نشرت ديوان القاضي التنوخي الكبير . واعتمدت في نشرتي جمع النصوص من شتى المظان مخطوطة ومطبوعة . واعمال الجمع هذه يظل باب الاستدراك عليها مفتوحا .

وقد وقفت على ابيات فاتتني ، فرايت جمعها في هذا المستدرك لتكون ذيلا للديوان وصلة ؛ جنوحا بالعمل نحو الكمال .

(١)

قال التنوخي :

والجوّ مشتملٌ من فوق سندسه بأرجوان على الآفاقِ مَنْشورِ

كأنّه روضةٌ خضراءُ لابسةٌ من الشقيق قميصاً غير مزرورِ

التخريج : مخطوطة المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ـ لايدن رقم ٥٥٩ الورقة ٩٧ .

(٢)

وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالحسامِ عَلاهُ علقٌ فوقَ شفرتيه متاعُ

التخريج : ديوان المعاني ١ / ٣٥٨

(٣)

وللقاضي ابي القاسم علي بن محمد بن ابي الفهم التنوخي من قصيدة :

صبراً فسوف تحقق الآمالُ وتحول عمّا ساءنا الأحوالُ

إن كان قد ظفر الصدود بوصلنا فلسوف يظفر بالصدود وصال

فالدهر لا يبقى على حدثانه ولكلّ شيءٍ نقلةٌ وزوالُ

التخريج : الفرج بعد الشدة ٥ / ٨٠ بتحقيق عبود الشالجي .

(٤)

وللتنوخي من قصيدة قالها في الحداثة :

إن ساء يومٌ من الأيامِ سَرَّ غَدٌ … أوْ سُدَّ بابُ سبيلٍ فُتِّحتْ سُبُلُ
وهكــذا الدهــرُ ألوانـاً تصرّفـهُ … بالشرِّ والخير يجري حين ينتقلُ

التخريــج : الفرج بعد الشدة ٥ / ٨٠

(٥)

وقـــال :

والليـلُ في ثـوبٍ كـأنّ أديمَــهُ … نَفَضَتْ عليه سوادهنّ جفـونُ
مُسْوَدّةٌ أَقْطـارُهُ فكـأنّهُ … مَطْـلٌ تـلاهُ نائـلٌ ممنـونُ
والأرضُ شـوهاء العـراص كأنّهـا … صَـدٌّ الى يـوم النـوى مقـرونُ
والليـلُ مكبـوبٌ عليهـا مُطْـرِقٌ … مـايستفيقُ كـأنّـه محـزونُ

التخريج : الحماسة الشجرية ص ٧٢٤ ؛ وتذنسبت الابيات فيها الى علي بن محمد الفهمي ؛ والصواب : علي بن محمد بن أبي الفهم .

(٦)

يضاف البيت التالي الى المقطعة رقـم ٤٦وموضعه بعد الثالث :

رياضكـمُ خُضْـرٌ يـرفُّ نباتهـا … ونوءكـم رَطْبُ السـحاب مطـيرُ

التخريج : يتيمة الـدهـر ٢ / ٣٤٤ . وفي اليتيمةالتتمة الابيات ١ ، ٢ ، ٣ ، البيت المستدرك ، ٧

(٧)

المقطعة ٦٠ ليست للقاضي التنوخي الكبير وانما هي لابنه المحسن بن علي التنوخي ، صاحب نشوار المحاضرة والفرج بعـد الشـدة .

انظرها في المصادر التاليــة : خاص الخاص١٢٩ ومعجم الادباء ١٧ / ٩٤ ووفيات الاعيـــان ٤ / ١٦٠ .

(٨)

ومما يستدرك على مقصورة القاضي التنوخي قولـه :

وأنفسٍ مسكنها مـا بيننـا … وهَمُّهـا بين السِّماك والسُّهى

التخريج : المنصف في نقد الشعر للحســن بن علي بن وكيع التنيسي تحقيق الدكتور محمــد رضوان الدايــة ـ دار قتيبة ـ دمشق ١٩٨٢م ـ صحيفة ١٨٤ .

(٩)

ومما يستدرك على مقصورته ايضا ، قوله :

وفَطِـنٍ يـرى بعين الـرأي مـا … لم تَرَهُ ، كما ترى ما قد يُرى

التخريــج : المنصف ص ٥٤٧

المستدرك على شعر أبي هفان

كنت قد نشرت « الصبابة من شعر ابي هفان » في العدد الاول من المجلد التاسع من المورد الغراء . وفيما يلي نبذة مما وقفت عليه من شعره بعد نشر البحث المذكور .

(١)

قال ابو هفان :

قالوا : يعاد ، فقلت ذا ... ك الى سلامته يعاد
إنْ تُسْرِثْ رجلكَ يا علي ... فربّما رَهِصَ الجوادْ

وهما تتمة للبيتين الواردين في المقطعة (١٣)

التخريج : الابيات الاربعة في مخطوطة الانس والعرس للآبي الورقة ١٩٢

(٢)

وقال :

لا تعجبوا أن تروني بين أظهركم ... أمشي ، ويركبُ قومٌ ما هُمُ أحدا
لئن علا السادةَ الاحرارَ سِفْلَتُها ... إنّ الغُثاءَ ليَعْلو الماءَ والزَّبَدا

التخريج : فضائل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب لابن المرزبان ، بتحقيق لويس شيخو . مجلة المشرق ٥١٩/١٢ ،سنة ١٩٠٩ م .

(٣)

قال ابو هفان :

أحْبَبْتُ إعلامكم انّي بأمركم ... وأمر غيركم من أهلكم خَبِرُ
تفكّهون بأعراض الكرام وما ... أنتم وذكر كرام الناس يا عُذُرُ

التخريج : مخطوطة «المنتخل» لابي الفضل عبيدالله بن احمد الميكالي رقم ٥١ قق كمبردج - الورقة ٨٧

(٤)

ومن التحريض الجيد قول ابي هفان يعرّض بابن ابي الشوارب وكان امويا :

يا بني هاشمٍ ويا خيرة اللـ ... (م) من الخَلْقِ في الدهور المواضي
جعلَ اللهُ فيكم الدين والدنيا فَصِينا صيانةَ الأعراض
غير أني أرى الخلافةَ أضحت ... تشتكي باطناً من الأمراض
انّها لن تفيق ممّا عراها ... ولكم من بني امية قاضٍ
اترعوا منهمُ حياضَ المنايا ... ثم روّوهمُ بتلك الحياضِ
وتقاضوهمُ بطائلة اللـهِ (م) ... فأنتم ولاة ذاك التقاضي

التخريج : مخطوطة كتاب الانس والعرس الورقة ١٧٦ .

(٥)

ولـــه في المعنـــى المتقدم :

خلفت هاشماً أمية في الحكم (م) وهذا فضيحة الاسلام

معشر بزت الخلافة منهم فأعيدوا فيها الى الأحكام

لست والله آمناً أن يحنثوا ويحنثوا قلوب أهل الشام

فاحسموا عاجلاً أمية عن ذاك ، وما حسمها بغير الحسام

التخريج : مخطوطة كتاب الانس والعرس الورقة ١٧٦ – ١٧٧

(٦)

ولقيه اسماعيل بن بلبل يوما وهو راجل فقال لـه : مالي اراك راجلا ؟

فقال ابو هفان :

أرجلني قلة الكرام وكثرة المال في اللئام

وليس هذا علي وحدي هذا شقاء على الأنام

التخريج : فضائل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب مجلة المشرق ١٢ / ٥١٩ .

(٧)

وقال :

ليست النعمة عن مثلك عند الله نعمه

سخط الله عليها فابتلاها بك نقمه

التخريج : مخطوطة «المنتخل» للميكالي الورقة ٧٩

(٨)

ولابي هفان :

أتيت أخاً لي في حاجة وكنت عليه خفيف المؤن

فانكر معرفة لم تزل وأبدى مناكرة لم تكن

وقال – وجاحد في وده – : أبو من ؟ وممن ؟ ومن ؟ وابن من ؟؟!

التخريج : مخطوطة روح الروح – الورقة ١٨٤

(٩)

مالي أراك بخيلاً أما تجود بشيء ؟

أما مررت بسلح لكلب حاتم طي ؟

التخريج : بخلاء البغدادي ص ١٠٢

المستدرك على شعر الأقرع بن معاذ القشيري

تحت عنوان « الاقرع بن معاذ القشيري : حياته وما تبقى من شعره » نشرت بحثا في المورد الغراء في عددها الثالث من المجلد السابع ، ضم مااستطعت جمعه من شعر الاقرع . واضيف اليه هنا ما وقفت عليه حديثا من شعره :

(١)

قال الاقرع بن معاذ :

بكتْ أمّ بكرٍ أن تشتّتَ شَمْلُها ... وأن اصبحوا! منهم شعوب وهالكُ
فقالت : كذاكَ الناسُ ماضٍ ولابثٌ ... وبالشرِ قليلاً شَجْوَهُ ثمّ ضاحكُ
فإمّا تَرَيْني اليوم حيّاً فانني ... على قَتَبٍ من غاربِ الموتِ واركُ

التخريج : التذكرة الحمدونية لابن حمدون ـ تحقيق احسان عباس ١ / ١٥٤

(٢)

وقال :

وقد هوّنَ الدنيا عليَّ وأهلها ... منازلُ قد بادتْ وبادت قرونُها
وأنّي أراني للمنايا رهينةً ... وأنّ المنايا لا يُفكّ رهينُها

التخريج : المصدر السابق ١ / ١٥٤ .

* * *

شعر المريمي

المريمي هو القاسم بن يحيى بن معاوية المريمي(١) . شاعر مصري من العصر الطولوني . ونسبته لابي مريم السّلمي صاحب النبي عليه السلام(٢) .

وقد كان من شعراء مصر المشهورين في زمنه الذين دونت اشعارهم ، واختص بخدمة ابي الجيش خمارويه بن احمد بن طولون ، وكان خمارويه قد احسن اليه كثيرا(٣) ، حتى سماه بعض معاصرينا « شاعر خمارويه »(٤) لاختصاصه به ولسنا نعرف تاريخ مولده ولامكانها ، كما لانعرف شيئا عن نشأته ، فقد ضنّت المصادر باخباره كما ضنت بأشعاره حتى وفقنا الى الظفر بباقة من

(١) المغرب في حلى المغرب ـ القسم الخاص بمصر ٢٧١/١
(٢) بهجة المجالس ٧٥٤/١ .
(٣) المغرب ـ القسم الخاص بمصر ص٢٧١ و١٣٦ .
(٤) شاعر خمارويه : مقالة للدكتور حسين نصار في مجلة « المجلة » المصرية العدد ١٤٢ ـ اكتوبر ١٩٦٨ ـ ص ٢٢-٢٧

اشعاره المنتقاة في مخطوط لم يكن قد نشر آنذاك ، فنشرناها في مقال عنوانه « المريمي شـاعر مصري مجهـول »(٥) ، عقب عليه الاستاذ محمد جبـار المعيبد بمقال قيـم(٦) .

ولقد شحّ ما وصلنا من النصوص الشعريـة المصرية في عصر الولاة (٢٥٤ ــ ٣٥٧هـ) شحاً دفع الباحثين الاقليميين الى الشك في وجود شعر مصري عربي امداً طويلا بعد الفتح الاسلامي . ومأتى هـذا الشك غموض الفترة ، ونـدرة المصادر ، وتبعثر النصوص .

ومن النصوص التي جمعناهـا ، والاخبـار القليلة التي تسقطناها عرفنـا ان المريمي قـد لازم خمارويه في معاركه بالشـام وتغنى بانتصاراتـه وفتوحه ، ثم توثقت بينهما الصلة فبلغت مبلـغ الصداقـة .

وتكشف الصبابة التي جمعناها من شعره عن شاعر وصّاف ، شاعت في شعره الوان من الصنعة الشعرية التي عرف بها شعراء عصره ، وهـي صنعة بديعية كلف بها شعراء القرنين الثالث والرابع .

قتل خمارويه سنة ٢٨٢ هـ ، وعاش المريمي بعده زمنـا طويـلا ، وقيل نقلا عن المسـبحي ــ ــ المؤرخ المصري ــ انه توفي سـنة ٣١٦هـ(٧) . وخدمة لأدب مصر العربية في عصر الولاة قمنا بجمع ما تناثـر من شعر هذا الشاعر الوصاف لتكون في متناول الدارسين والباحثين ، ولتشيف جديـدا الـى الادب المصري في فترة شديـدة الغموض ، متناثـرة النصوص ، نادرة المصادر .

لقد نسب الثعالبي في كتاب « المنتحل »(٨) البيتين التاليين للمريمـي :

نكـرر طـوراً مـن قراءة فصـله
فأن نحـن اتممـنا قراءته عدنا

اذا مـا نشـرناه فكالمسك نشـره
ونطويـه لا طي السآمة بل ضنـا

ونسب البيت التالي لابن مندويه :

يطوى وليس بمطـوي محاسـنه
فالحسن ينشـره والكف تطويـه

وقد وجدنا الثعالبي في كتابه « من غاب عنه المطرب » ينسب البيت الاخير للمريمي . وينسـب البيتين النونيين لابن مندويه الاصفهاني .

فحصل لنا الشك فيما ورد في « المنتحل » . والمنتحل هذا كتاب مصحف الاسـم ، وصواب الاسـم « المنتخل » وهو من تصنيف ابـي الفضل الميكالي كما تؤكد ذلك مخطوطة بودليان .

وكان الثعالبي قد اختار بعض ما فيـه بكتاب سماه « المنتخب من المنتخل » وهو الذي نشره احمد ابـو علي منسوبا للثعالبي وبعنوان مصحف .

وقد رجعنا الى الاصول المخطوطة لمنتخل ولمنتخب المنتحل ، فتحقق لدينـا أن البيتـين النونيين هما لابن مندويـه .

وان البيت المفـرد هـو للمريمـي .

وبعد فاني اهدي هذا المجموع الى عالم مصري جليل أثرى المكتبة العربية باكثر من مائتـي كتاب ، وأرخ للحركة الادبية في مصر في موسـوعته المعنونة « قصة الادب في مصر »(١٠) وهو الدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي ، تحية اخـوة ربطت بيتنا منذ ربـع قـرن وزيـادة ، وباقة محبة .

---

(٥) مجلة الكتاب ــ العدد ٨ السنة ٨ آب ١٩٧٤ ص٣ــ٧

(٦) حول «المريمي شاعر مصري مجهول» مجلة الكتاب العدد ١١ السنة ٨ تشرين ثاني ١٩٧٤ ص١٢٦ــ١٢٩ .

(٧) مقالة حسين نصار ص٢٧ .

(٨) المنتحل ص١٠

(٩) من غاب عنه المطرب ص ٢٣٤ ــ ضمن التحفة البهية ــ طبعة الاستانة .

(١٠) طبع هذا الكتاب بمصر في خمسة اجزاء .

(١)

قــال المريمـــي :

بحــرُهُ يغمــر القريــبَ ، وإن كا ... نَ بعيـــداً روى ثــراهُ السـحابُ

التخريـج : المنصف في نقدالشـعر ص ٤٣٨ بتحقيق د. محمد رضوان الداية .

(٢)

قال القاسم بن يحيى المريمي من قصيدة اولها :

إنْ كانَ رأيُكَ في أُمـورِكَ ثاقبـا ... فاصْـبرْ ولاتكُ للقضاءِ مُغالبـا

قـال فيهـا :

نفسـي فِـداؤكَ ضائراً أو نـافعـا ... أو زاهـداً فـي عَبْدِه أو راغبـا

لأصَبْتُ ما كَبتَ العـدو ، وكان لـي ... فرحـاً ، وكان على العـدوُ مصائبا

التخريج : الرسالة الموضحة للحاتمي بتحقيق د. محمد يوسف نجم ـ بيروت ١٩٦٥ ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٣)

كـم من عـدوٍّ كـان قبلك ضيغمـا ... حتـى اذا مـا جئـت عـاود ثعلبـا

التخريج : المنصف ص٤٣٧

(٤)

ثلاثــةُ أشـيا في حــدادٍ فكيف لا ... أروم الغنى بالعَضْبِ والعضبِ والعَضْبِ

فمِقْوَلـي المـاضي ، وثانيـه منصلـي ... وثالثُ صدقٍ من وفـاءٍ ومـن لُبٍّ

التخريـج : المنصف ص ١٨٧

(٥)

وقعة ثنية العقاب سنة ٢٧٤ هـ

وبلغ خمارويه مسير محمد بن ديوداد المعروف بابن ابي الساج ، فخرج اليه خمارويه من مصر في ذي القعدة سنة اربع وسبعين ، فلقيه بثنية العقاب من ارض دمشق . فانهزم اصحاب خمارويه ، وثبت خمارويه فحاربهم فكشفهم وانهزموا عنه اقبح هزيمة . فقال القاسم بن يحيى المريمي :

١ ـ فتـوحُ الأمـير نجـومٌ تلـوحُ ... فليســت تقـاسُ اليهـا الفتـوح

٢ ـ تسـير لهـا فـي جميع البـلاد ... ركائـبُ تغـدو بهـا وتـروحُ

٣ ـ إذا حـاد عن أمـره حـائـدٌ ... أتـاح لـه الحتفَ منـه متيحُ

٤ ـ نصحنـا لشـرِّ بنـي ديـوداد ... بتحـذيره ، لـو أُطيـع النصيح

٥ ـ ولـم يكـن الغـدر مسـتقبحاً ... وفي الغـدر شينٌ وعـارٌ قبيحُ

٦ ـ تعـاطى نطـاحَ كبـاش الحـروب ... فغـودر وهـو صريـعٌ نطيـح

٧ ـ لئـن كان ولّـى سليماً صحيحـا ... فمـا القلب منـه سليمٌ صحيحُ

٨ ـ أباح حماهُ فتىً لم يَزَلْ ... يحوط حمى ، وحمىً يستبيحُ
٩ ـ إذا هو لم يسترح من عدوٍّ ... فليس الى لذّةٍ يستريحُ
١٠ـ وإن هَمَّ بالسير لم يثنه ... سنيحٌ يعنُّ له أو بريحُ

التخريج : « كتاب الولاة وكتاب القضاة » لابي عمر محمد بن يوسف الكندي . تحقيق رفن كست ـ مطبعة الاباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩٠٨ . ص٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(٦)

وقال المريمي في السفن والمراكب :

١ ـ لم نَزَلْ مشفقين مُذْ قيلَ سارَتْ ... بك دُهْمٌ قليلةُ الأوضاحِ
٢ ـ كلُّ مَبْطوحةٍ خَلَتْ من شَوىً عَبْـ ... ـلٍ ، ومن حافرٍ أَقَبَّ وقاحِ
٣ ـ أَصْلُها البَرُّ وهي ساكنةٌ في الـ ... ـبحر ، سُكْنى إقامةٍ لابَراحِ
٤ ـ هيَ في الماءِ وهي صِفْرٌ من الما ... ءِ سوى نَضْحٍ مَوْجها النَضّاحِ
٥ ـ وإذا أُوقِرتْ فذاتُ وقارٍ ... وإذا أُخْلِيَتْ فذاتُ مراحِ
٦ ـ وإذا ما انثنتْ ولم يسمح الهـا ... دي ثَناهُ الحادي إلى الإِجماحِ
٧ ـ وتراها في اللُّجِّ ذات جَناحَيْـ ... ـنِ ، وإنْ لم تكنْ بذات جَناحِ
٨ ـ من مَطايا لا يغتدين ولا يَسْـ ... ـأَمْنَ كَدَّ البكورِ بَعْدَ الرَّواحِ
٩ ـ مُنْشَآتٍ من الجواري اللواتي ... لَسْنَ في صنعةِ الجواري الملاحِ
١٠ـ تالِداتٍ مُوَلَّداتٍ بلا حـ ... ـلِّ نِكاحٍ ، ولا حَرامِ سِفاحِ
١١ـ لا من البيض بل من السُّودِ أَلْوا ... نا ذواتِ الألواحِ لا الأرْواحِ
١٢ـ جارياتٍ مع الرِّياح وطَوْراً ... كاسِراتٍ بالجري حَدَّ الرياحِ
١٣ـ ساريات لا يشتكين سُرى الليـ ... ـل ، ولا يرتَقِبْنَ ضوءَ الصباحِ
١٤ـ ساكنات بلا خضوعٍ سُكونٍ ... جامحاتٍ بلا اعترام جماحِ
١٥ـ سابحاتٍ في كلِ طامٍ عميقٍ ... يَتَّقيه مُقْتَحِموا السُبّاحِ
١٦ ـ لا يَخُضْنَ الغِمارَ يَقْذِفْنَ فيها ... ويخفنَ المرورَ بالضَحْضاحِ
١٧ـ إنْ صَدَمْنَ الحصى عَطِبْنَ ولايَعْـ ... ـطَبْنَ إمّا صَدَمْنَ حَدَّ الرِّماحِ
١٨ـ ما رأى الناس من قصورٍ على الما ... ءِ سواها تَمُرُّ مَرَّ القِداحِ
١٩ـ يَتَسَبْسَبْنَ كالأساودِ في الخـ ... ـفَّةِ لا في مقادرِ الأشباحِ
٢٠ـ وإذا ما تقابَلَتْ قُلتَ سُودٌ ... من كباشٍ تقابلَتْ للنِّطاحِ
٢١ـ شُرْعُها البيضُ كالغمامات في الصَّيْـ ... ـف ، ضحاحاً منها وغير ضحاحِ

٣٢ـ كم مدِلٍ بالمال والنفسِ حيْر — انَّ فقيرٍ فيها الى الملاّحِ
٣٣ـ هو فَشْلٌ ورُبَّما كافحَ الفَشْـ — ـلَ وجوه الردى أشدَّ كفاحِ
٤٢ـ قائدٌ جُنْدُهُ لَهُمْ أدَواتٌ — نَفْعُها ثمَّ فوق نفْع السِّلاحِ
٢٥ـ فاذا البحرُ صالَ صالوا عليه — بمواضٍ تمْضي بغير جِراحِ
٢٦ـ يَكْثُرون الصِّياحَ حتى كأنَّ السـ — ـفْنَ تجري من خوف ذاك الصِّياحِ

التخريج : الانوار ومحاسن الاشعار للشمشاطي ص ٢٤ ـ ٢٨ ج ٢ بتحقيق الدكتور السيد محمد يوسف . الكويت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٨م

(٧)

اهدى بعض بني طولون الى المريمي في يوم عيد هدية فيها دنانير جدد من ضرب السنة ، فكتب اليه المريمي شعراً طويلا ، يقول فيه :

١ ـ لم تَرْضَ نَيْلاً جاء يسبق مَوْعداً — حتى وَصَلْتَ النَّيْلَ منك بموعد
٢ ـ ورأيتَ في بِرِّ اللسان وإن حلا — مَذْقاً إذا لم تَبْلُهُ بِرُّ اليدِ
٣ ـ فَحَبَوْتني بعيون وَشْي مُونَقٍ — معه حِباءٌ من عيون العَسْجَدِ
٤ ـ من كلِّ ذي وَجْهَيْنِ لم يَقْنَعْ له — في الحُسْنِ صانِعُهُ بوجه مُفْرَدِ
٥ ـ واشتقَّ من لونين مشرق لونِه — من أصفرٍ في أحمرٍ مُتَوَقِّدِ
٦ ـ لا روحَ فيه وما لذي رَوحٍ غنىً — عنهُ ، ولا صَبْرٌ إذا لم يوجد
٧ ـ مَوْلىً لمكرمةٍ وعَبْدُ مَهِيبةٍ — وترى له الاحرار مثل الأعْبُدِ

التخريج : التحف والهدايا لابي بكر محمد وابي عثمان سعيد ابني هاشم الخالديين ص ٦٤ ـ ٦٥ بتحقيق د. سامي الدهان ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٥٦ .

(٨)

وللمريمي في الطرد :

١ ـ قد باكرَ الصَّيْدَ في صيدٍ تَخَيَّرهُمْ — كالبدر حَفَّتْهُ منهم أنْجم زُهُرُ
٢ ـ فغادَرَ الوحشَ من صرعى بأسهُمِهِ — كأنها يَومَ فَتْحِ الرقة الجُزُرُ
٣ ـ ومن طَوالعَ جَرْحَى من جَوارحِه — ذا يَسْتَقِلُّ وذا بالتُرْبِ مُنْعَفِرُ
٤ ـ هاتيك يقضي عليها السهمُ والوَتَرُ — وتلك يحكُمُ فيها الناب والظُفُرُ
٥ ـ شُهْبُ السماءِ وشُهْبُ الارض تلحقها — عُلْواً وسُفْلاً فما تُبْقي ولا تَذَرُ
٦ ـ في إثْرِ مُنْحرفٍ منهنَّ مُنْعَطِفٍ — وفوق مُنْحَدِرٍ منهنَّ مُنْكَدِرُ
٧ ـ تُطْوى إذا انتشرتْ قَسْراً وأين بها — عن حَتْفِها وهي تُطوى حين تَنْتَشِرُ

التخريج : الانوار ومحاسن الاشعار ٢/٢٤٦ .

(٩)

في عام ٢٧٣ للهجرة مضى خمارويه بن احمد من دمشق فلقي اسحاق بن كنداج بموضع يقال له باجروان، فكانت على خمارويه واصحابه ، فانهزم أصحابه وثبت هو في طائفة من حماته، فهزموا اسحاق بن كنداج ، واتبعه خمارويه حتى بلغ أوائل أصحابه الى سُر من راى ، فقال القاسم بن يحيي المريمي :

١ ـ أتانا أبو الجيش الأمير بيمنه فَشُرِّدَ الجور وافتقر العسرُ

٢ ـ فإنْ تكُ أرضُ الرقتين به اكتست ضياءً وإشراقاً ، لقد اظلمتْ مِصْرُ

٣ ـ فسائل به اسحاق إذ سار نحوه بجيشٍ كعرض النيل يقدمه النصرُ

٤ ـ تباعدت الاقطار منه كثافة ففي مشرقٍ قطر وفي مغربٍ قطرُ

٥ ـ فأَبْلَسَ إذ قيل الأمير ببالسٍ وأضحى ضعيف العقد إذ عقد الجسر

٦ ـ ولمّا رأى الجيشَ ابنُ كنداج مقبلاً أَرَتْهُ المنايا الحمر أعلامُهُ الحمرُ

٧ ـ فولّى شديداً ذا ارتياعٍ كأنّه بكلّ بلادٍ طائرٌ مالَهُ وكْرُ

٨ ـ لئن سَرَّ اسحاق النجاةُ بنفسه لقد ساءه في جمعه القتلُ والأَسْرُ

٩ ـ فلا يغبطن بالعيش من بعد هذه فقد كسرته كسرةٌ ما لها جَبْرُ

التخريج : الولاة والقضاة ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧

(١٠)

وقال :

سهادٌ حين يسرى الطيفُ يسري ودمعٌ حين يجري الذكرُ يجري

التخريج : شرح المختار من شعر بشار ص ٢٧٠ .

(١١)

أهدى المريمي الى ابي الجيش خمارويه بن احمد بن طولون في يوم عيد مرآة وكتب معها :

١ ـ ولمّا أتى عيدٌ عليكَ مُبارَكٌ تُقابل فيه طالعَ السَّعْدِ لا النَّحْسِ

٢ ـ ولم أرض مدحي وحده لك تحفة وإن كان وَشْياً لا يُدَنّس باللبس

٣ ـ بَعَثْتُ بأُخْتِ البدر والشمس والتي رأيتُ لها فضلاً على البدر والشمس

٤ ـ بأَحْسَنَ مرآةٍ لأحسن طلعةٍ غدَتْ طينةً للمجد في صورة الإِنْسِ

٥ ـ مُكَشِّفَة سترَ العمى عن ذوي العمى ومُنْطِقة في وصفها أَلْسُنَ الخُرْسِ

٦ ـ بُحيرة نورٍ مَوْجُها مُتَدافِع وليس لها غير التألق من حسٍّ

٧ ـ لها نُور إفرندٍ ورَوْنَقُ جوهرٍ يُكَدِّرُهُ أدْنى التنفس واللَّمْسِ

٨ ـ صَفَتْ واستوَتْ بالماءِ والنار واكتسَتْ من اللين ثوباً وهي كامنة اليبس

٩ ـ أتتكَ مُحلاةً تُزفُّ كأنَّها عَروسٌ تَوافي بَعْلَها ليلةَ العُرْسِ
١٠ـ ولم أُهدِها إلاّ ونفسي تُحبُّها ولكنَّ نفسي آثرتك على نفسي

التخريج : التحف والهدايا ص ٢١ ـ ٢٢ .

(١٢)

وقال : وكان خمارويه محسنا للاجنادوالشعراء وسائر من يرد عليه ، وكان قد اختص به الشاعر المريمي المصري ، وكان خمارويه قد اكثر الاحسان له ، و. فيه يقول :

يقولون لي : ما بال رحلك دائماً بمصرٍ ، واني لست عن غيْرها أرضى ؟
وكيف رحيلي عن بلادٍ غدا بها أبو الجيش والنيل الذي ملأ الأرضا

التخريج : كتاب « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد الاندلسي ـ القسم الخاص بمصر ج١ ص١٣٦ ـ حققه : د . زكي محمد حسن و د .شوقي ضيف و د. سيدة كاشف القاهرة ١٩٥٣ .

(١٣)

وقال المريمي يخاطب ابا يعقوب اسحاق بن نصر الكاتب العبادي عند اسلام الوليد ابن اخيه ، وكان اسحاق هذا كاتب أبي الجيش بن طولون صاحب مصر :

١ ـ تَعَزَّ فإنَّ الحرَّ لابُدَّ يَخْلُقُ وكلُّ امرىءٍ للخير والشرِّ يَخْلُقُ
٢ ـ وما فَرَجُ الأيام إلاَّ مواهبٌ فمن بين محرومٍ وآخرَ يرزقُ
٣ ـ وما الحزمُ إلاّ أن يُنزِّهَ نفسَهُ فتىً كاد في بحرٍ من الهمِّ يغرق
٤ ـ إذا لم يكن في ردِّ ما فات حيلةٌ فان الفتى بالصبر أحرى وأخلقُ
٥ ـ أتاني غمٌّ من سرور سمعتُهُ فلا أنا مأسورٌ ولا أنا مطلقُ
٦ ـ سررتُ بإسلام الوليد ديانةً وأقلقني علمي بأنك مُقْلَقُ
٧ ـ فقلبي به شطران : جذلانُ واحدٌ وآخرُ محزونٌ من اجلكَ محرَقُ
٨ ـ أنارَ لكم فينا وأشرقَ كوكبٌ لنا مثله فيكم ينير ويشرق
٩ ـ فكم راعنا من مسلمٍ متنصّرٍ فهذا بهذا والسعيدُ الموفّقُ

التخريج : بهجة المجالس وانس المجالس ليوسف بن عبدالله النمري القرطبي ١ / ٧٥٤ . تحقيق د. محمد مرسي الخولي .

(١٤)

وللمريمي في وصف جواد :

١ ـ طِرْفٌ كطرْفِ العينِ بَلْ هي دونَهُ جَمٌّ الجِراءِ إذا جرى غَيْداقُهُ
٢ ـ للظَّبْي منه أيطلاهُ كما حكى رأس القريض وللنعامة ساقُهُ
٣ ـ وله من السَّبْعِ اتساعُ إهابهِ ومع اتساعِ إهابِهِ أشداقُهُ
٤ ـ بذَّ الجيادَ فما تعاطى ركضَهُ إذْ كان يُعْيي ركْضَها إعناقُهُ
٥ ـ لولا تماسُكُ مَسْكِهِ في شدِّهِ لا نقدَّ عنه لبانُهُ وصِفاقُهُ

التخريج : الانوار ومحاسن الاشعار ١ / ٣٢٩ـ ٣٣٠

(١٥)

وللمريمـــــي:

١ - إنّي سأنعتُ منزلاً لمهذّبٍ ... لا نعتَ إلاّ دونَه إغراقُهُ

٢ - يسمو بباب للمكارم فتحُه ... وعلى الصيانة والتقى إغلاقُه

٣ - لو كان مرتفعاً على قدْر العلا ... ما كان إلاّ في المجرّة طاقُه

٤ - معمورةٌ عرَصاتُه ، ورحابُه ... بالجود قائمةٌ بها أسواقُه

٥ - دُخّالُه رجلان مطبقٌ طرْفُه ... أو شاخصٌ قد عزّه إطباقُه

٦ - هذا يُحيّر عقلَه خيرُه ... ويروقُ ذا حيتانُه ورواقُه

٧ - أيّ الصفاتِ يزينه لمشاهدٍ ... إنْ غابَ عنه فقلبُه يشتاقُه

٨ - أحلاوةُ التقدير أم إحكامُه ... أم روعةُ البنيانِ أم إشاقُه

٩ - أم صحْنُه وسماؤه ، أم سُفْلُه ... وتقاؤه ، أم عُلْوُه وطباقُه

١٠- تحكي زخارفُه زخارفَ ماحوى ... فكأنّما أقسامُه أعلاقُه

١١- وكأنّما نُشِرَتْ عليه تُخُوتُه ... فعلَتْه ، أو نُثِرَتْ عليه حقاقُه

١٢- حسَنٌ أجادَ بناءَه بنّاؤه ... لا غَرْوَ حسَّنَ خلْقَه خلاّقُه

١٣- باليُمْنِ يسكُنُه ، ويرْغَمُ شانئٌ ... ومكاشرٌ بودادِه مذّاقُه

التخريج : الانوار ومحاسن الاشعار ٢/٨٣-٨٥

(١٦)

استهدى المريمي من ابي الجيش خمارويه بن احمد بن طولون خيمة بقصيدة طويلة يقول فيها :

١ - وقد عرَضْتُ اليكَ خُوَيجةٌ لي ... مصغّرةٌ وموقعُها جليلُ

٢ - مُقدّرةٌ من الخيَمِ اللواتي ... بها لطفٌ وليس بها خمولُ

٣ - حواليْها السيولُ ولا عليها ... إذا أفضَتْ الى الخيَمِ السيولُ

٤ - ثناءٌ يستهلّ القطْرُ فيه ... ولا يَعْفو كما تعفو الطلولُ

٥ - إذا حلّتْ من الاطناب خرّتْ ... كما خرّ النزيفُ أو القتيلُ

التخريج : التحف والهدايا ص ٩٤

(١٧)

استهدي المريمي: تِكّةً من ابن « عبدكان »كاتب احمد بن طولون بقوله :

يا سيّدي ومؤمّلي ... إنْ خِفْتُ منْ عَنَتِ الليالي

أشكو اليك مصيبتي ... في تِكّةٍ كانت جمالي

لعبَ البلى بجديدها ... فكأنّها دِمَنٌ بوالي

ولدَيْكَ منها عُدّةٌ ... نُخَبٌ من التكك الغوالي

فابعثْ بأحداهنّ لي ... حمراءَ مثل دم الغزالِ

أو جُدْ بها صفراء مِثْـ ... ـل الشمس في وقت الزوال

أو لا ، فبيضاءَ القمـ سيص كأنّها رَقـراق آلِ
ومتـى بعثتَ بهـا مورةً دةً لعبـدك لا يُبـالي
والخضـر لـونٌ أشتهيـ ـهِ وأرتضيهِ بكلِّ حالِ
ولئِـنْ أتـتْ خمريّـةً فقد اعتقدتْ بها وصالي
أو فلتكـنْ زرقـاءَ تشـ ـبهُ زُرْقةَ المـاءِ الزلالِ
وتجنّبِ السـوداءَ فهْـ ـي تُعَدُّ في السَّقَطِ الرُّذالِ
والعيشُ فـي مَنْقوشـةٍ كالكفِّ رَبّاتِ الحِجـالِ
هَبْهـا وخُـذْ حَظّي بهـا ألاَّ تَحُـلَّ على حَـلالِ

قال : فاهدى اليه من كل لون ذكره عشر تكك.

التخريـج : التحف والهدايا ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(١٨)

وللمريمـي :

لله قصـرٌ بَناهُ ابنُ العلاءِ لقدْ زِيدَتْ به الغُوطةُ الحسناءُ تحسينا
مُذَكِّرٌ جنّةَ اللهِ التي ذُكِرَتْ في وَحْيِـهِ وأُعِدَّتْ للمُطيعينـا
لـه محاسِنُ أعلاهـا كأسْفلهـا نقشاً وفَرْشاً وتزويقـا وتزيينا
إذا تأمّلَ شيئـاً من بدائعهـا طَرْفٌ تأمَّلَ دُرّاً منـه مكنونـا
قَصْرٌ غـدا الحسنُ مقصوراً عليه به لمّا غـدا مسكناً للجـود مسكونا

التخريج : الانوار ومحاسن الاشعار ٢/٧٢ ـ ٧٣

(١٩)

وكتب المريمي الى بعض اخوانه وقد تـرك النبيـذ :

إنْ كنْتَ تبْتَ عنِ الصهباءِ تَشْرَبُها تُسْكاً ، فما تُبْتَ عن بِرٍّ وإحسانِ
تُبْ راشداً ، واسقنا منها ـ وإنْ عذلوا فيمـا فعلت ـ فقـل : مـا تاب إخوانـي

التخريـج : زهر الاداب ١ / ٤٥٤ لابـي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري وتحقيق علـي محمـد البجاوي ـ القاهـرة ١٩٥٣ .

(٢٠)

وقـال :

إذا غمـزا قنـاةَ البغي قـامتْ بـأدنى الغمز أو طـارت شـظايـا

التخريج : الاشباه والنظائر للخالديين بتحقيق السيد محمد يوسف ١ / ١٥

(٢١)

وقال في وصف الكتاب البليغ :

يُطوى وليس بمطويٍّ محاسنُه فالحسنُ ينشره والكـفُّ تطويـه

التخريج : ص ٢٣٤ ـ « من غاب عنه المطرب » للثعالبي ـ ضمن كتاب التحفة البهية ـ الاستانة وفي الاصل : والكبر يطويه تحريف فصوبناه .

ردٌّ على نقد احمد خان

بقلم الدكتور

سامي مكي العاني

كلية الاداب ـ الجامعة المستنصرية

نشر د . احمد خان في المجلد الرابع عشر . العدد الاول من مجلة (المورد) نقداً على تحقيقي والاستاذ هلال ناجي لكتاب (مختصر شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية) للصاغاني ، الذي نشرناه في بغداد سنة ١٩٧٧ .

وقبل ان ابدا بمناقشة ما جاء في هذا النقد اود ان اشير الى بعض الامور التي قد تضع مقالة الناقد في حجمها الحقيقي ، وتبين سوء نيته في نقده .

١ ـ لقد اغفل الناقد نسخة مصوبة بخط اليد من كتابنا ، ارسلها إليه من بغداد الاستاذ هلال ناجي استجابة لطلبه ، وتلبية لرجاء الاستاذ قاسم الخطاط المستشار في جامعة الدول العربية في تونس ، مع إشعار الناقد احمد خان الموجه للاستاذ هلال بتسلم تلك النسخة . في حينه وفيهما اعتراف خطي لا مجال لنكرانه ، ومع ذلك حاول الكاتب نقدنا من خلال النسخة التي ارسلتها إليه من الكويت بناء على طلبه ايضاً ـ على عجل ، وهي نسخة غير مصوبة ، علماً ان تاريخ وصول نسخة بغداد المصوبة سابق تاريخ نسخة الكويت بأمد طويل .

كما انه اهمل تصويب الخلل المطبعي في سرد بعض مؤلفات الصغاني الذي صوب في مقدمة (تعزيز بيتي الحريري) التي كتبها احد المحققين وهو الاستاذ هلال . قبل نقد الكاتب بخمس سنوات ، حيث صدر الكتاب في مجلة المجمع العلمي العراقي عدد تموز سنة ١٩٨٠ .

٢ ـ حاول الكاتب نقدنا بالحاح من خلال الفروق الواضحة بين النسخة غير المختصرة التي يمتلك صورتها ، وصورة النسخة المختصرة التي اعتمدناها في التحقيق ، متجاهلا الفرق الكبير بين النسختين ، والذي هو ليس من مسؤوليتنا ، فكان نقده لا قيمة له علمياً .

٣ ـ إن كاتب هذا النقد يجهل اللغة العربية ، لغة وإملاء ونحواً ، وقد اعترف في رسالته المرسلة إلي بذلك الجهل ، ومع ذلك يصر على تعالمه ، ويدعي الوصاية على تحقيق تراث العالم اللغوي الكبير الصاغاني . ويجد القارىء إنموذجات من اغلاطه اللغوية والنحوية والاملائية والتعبيرية ، ذيلنا بها ردنا .

٤ ـ يزعم الناقد في هامش ص ٩٧ من مقالته انه لا يحب إخراج كتاب من نسخته الوحيدة ؛

ولكنه في كل اعماله التي حققها ، وهي ثلاث رسائل للصاغاني فقط « الانفعال ، وتعزيز بيتي الحريري ، والفادة في أسماء العادة » نشرها من نسخة مخطوطة واحدة . خلافا لقواعد التحقيق العلمي ، حيث تتوفر منها نسخ مخطوطة اخرى في المكتبات .

٥ ـ إن الجدولين اللذين ذيل بهما الناقد مقالته عما يقصر او يمد في مخطوطة الصاغاني لا قيمة لهما علمياً ، لاننا لم نكتب صورة الالف على وفق هوانا وعلمنا ـ كما يدعي ـ بل حافظنا في كتابتها على الصورة التي كتب بها الناسخ . وهي موافقة لما في المعاجم اللغوية ، وما أورده هو قد كتبه الدمياطي، على حسب ادعائه ، فالإملاء ليس للصاغاني لكي نفضله على إملاء ابن جماعة .

٦ ـ إن المخطوطة التي حققناها، مخطوطة لغوية، وقد احتاجت منا إلى ضبط معظم حروف كلماتها ، ويقدر القارىء المشقة التي يعانيها محقق مثل هذا النوع من النصوص ، وما يمكن ان يقع فيهـا من الأخطاء المطبعيـة . ولكن الناقد لم يقدر هذا الامر ، فاستغل بعض الأخطاء الطفيفة ، وحاول النيل من قيمة عملنا من خلال تلك الأخطاء المطبعية ؛ علما اننا استدركناها بجدول الاغـلاط المطبعيـة المصوبة وارفقناه بنسخ الكتاب فيما بعد .

وفيما يلي مناقشة لنقده نقطة نقطة :

١ ـ اخطأ الناقد في النقطة الاولى من نقده إذ ادعى اننا ضبطنا (السـمطيـة) في عنوان الكتاب بفتح السـين ، وهو وهم لأننا لم نضبط كلمة (السمطية) بالفتح ولا بالكسر، فتوهم الناقد التزويق في الخط فوق حرف السين فتحة ، وهو تزويق يعـرفه من له ادنى معرفة بالخط العربي .

٢ ـ اما عن المقدمة التي تحدثنا فيها عن مؤلف النص الصاغاني ومختص النص ابن جماعة، وناسخ النص الدمياطي . فلا نرى منهجاً اصوب من ذلك ، وقد انكر علينا الناقـد ذلـك وطالبنـا بالحـديث عن الصاغانـي « كصاحب الشـرح وابن جماعة كصاحب انتخابه » هكذا يقول .

ومن تامل مقدمتنا وصحيفة العنوان يجد أننا قد اثبتنا ان المصنف هو الصاغاني، أي صاحب التخميس والشـرح ، وليـس الشرح فقط كما زعم الناقد . كما اوضحنا في المقدمة ان المختصـر الذي بين أيدينا هو من صنع ابن جماعة (صاحب الاختصار) فاين هو وجه الخطأ في هـذا الكلام ؟ كما ادعى ان كلمة (مختصر) الواردة في العنوان لا تنطبق ، بل لا تنسجم مع المطبوع .

وهذا كله خطأ ، فكلمة (مختصـر) ليست من عندنا ، فقد أثبتها ابن جماعة في المخطوطة إذ قال في آخـر النص : « كمل بحمد الله تعالى ومن خط الحافظ شـرف الدين الدمياطي ـ رحمـه الله ـ تعالى . نقلته . مختصراً شرح الأبيات » .

ومعلوم لدى من له ادنى إلمام بصنعة التحقيق انه لا يسوغ للمحقق تغيير العنوان.

فحين يقـول صاحب المختصـر انه مختصر ، يجب علـى المحقق إثبات هـذه العبارة في العنوان . وهو ما فعلناه .

٣ ـ قال الناقد : إن نسبة الصاغاني تحتاج الى تحـرير وإيضاح ، لان العلماء ـ وليسـوا بكثير ـ من عصر مجد الدين الفيروزآبادي ، حتى يومنا هـذا قد مالوا إلى كتابة هـذه النسبة (صاغاني) . ثم بـين انه وجد في مؤلفات الصاغاني انه يحذف الألف .

نقـول له : اننـا عنـدما نسـبناه (الصاغاني) تابعنا العلماء ، ولم نطلع على ما كتبه الصاغاني في بعض مخطوطاته إضافة الى تصريح الصاغاني في نونيتـه المشهورة بان نسبته (صاغاني) حيث قال :

فقلت يا دهر سـالني مسـالة

فإننـي عمـري ثـم صاغانـي

فهل نكذب الصاغاني ونصدق احمد خان ؟!

٤ ـ قلنا : ولد الصاغاني بمدينة لاهور الهندية . ويقول الناقد « ان الأمر ليس كذلك ، إذ هي الآن في باكستان لو قال المحققان : ولد بمدينـة لاهور التي كانـت وقت ولادته في الهند » .

ومعروف ان حديثنا ليس عن موقعها اليوم ، وإنما هو عن موقعها في وقت ولادته.

فلا حاجة لغير ما ذكرناه ، لانه من تحصيل الحاصل .

٥ ـ وقلنا : نشأ بولاية غزنة ، وهي الحد بين خراسان والهند . وقال الناقد : « لا يجوز لنا أن نقول انها ولاية ، وفضلا عن ذلك ليست هي حد بين خراسان والهند » وجوابنا على ما قال إيراد ما قاله ياقوت وتابعه البغدادي في مراصد الاطلاع (مادة غزنة) قالا : وهي مدينة عظيمة وولاية في طرف خراسان ، وهي الحد بين خراسان والهند .

إن اعتراض الناقد يدل على جهل باسلوب الترجمة للقدماء ، وجهل بقواعد التحقيق . فمن المعروف ان المحقق حين يواجه باسم علم من البلدان القديمة يراجع بشأنها معاجم البلدان ، وفي طليعتها معجم ياقوت ومراصد الاطلاع للبغدادي وغيرهما. ومن خلال مايرد في هذه المراجع يعرف بالبلدان ، وهو الاسلوب الذي اتبعناه ويتبعه كل عارف بقواعد التحقيق العلمي ؛ اما الرجوع الى كتب الجغرافية الحديثة للتعرف على المدن القديمة فهو امر مرفوض علمياً ، لان البلدان تتغير ، والمواضع قد تندثر وتزول ، والحدود تتحول ، والدول تنشأ وتزول .

٦ ـ ورد بيت الصاغاني عندنا :

تسربلت سربال القناعة والرضا
صبياً وكان في الكهولة ديدني

يقول الناقد « والصواب : صبيا كانا في الكهول ديدني » إن الخطأ المطبعي عندنا واضح . وقد ورد البيت صحيحاً في مقدمة در السحابة للصاغاني الذي نشرته سنة ١٩٦٩ ومقدمة الدر الملتقط للصاغاني الذي نشرته سنة ١٩٧٢ ومقدمة (تعزيز بيتي الحريري) للصاغاني الذي نشره الاستاذ هلال سنة ١٩٨٠ . وكل هذه المطبوعات لدى الناقد . ولكنه وهو يتصيد هذا الخطأ المطبعي اخطأ في موضعين في شطر واحد فقط . فكتب (كانا) وصوابها (وكانا) وكتب (الكهول) وصوابها (الكهولة) .

٧ ـ قلنا : جاور مدة من الزمن . وقال الناقد : « من حسن العبارة القول وجاوره مدة من الزمن » .

وارى أن ذلك ليس من حسن العبارة، وانما هو من ضعف فهم العربية ؛ فالعبارة جاور مدة من الزمن ، صحيحة فصيحة عربية اصيلة تعني انه جاور بيت الله في مكة . الذي ورد ذكره قبل هذه العبارة .

٨ ـ قال الناقد معلقاً على صدر بيت الصاغاني :

« فاقطع علائق ما ترجوه من نشب الصواب : من سبب »

ونقول : هذا وهم فالصواب ما اثبتناه ، وهو ما ورد في ترجمة الصاغاني عند ياقوت والوافي وتاج التراجم .

٩ ـ ذكرنا ان الصاغاني دخل بغداد سنة (٥٩٥هـ) استناداً الى اقوال مترجميه ياقوت ٢١٧/٣ واللكنوي في نزهة الخواطر ١٣٧/١ ومباركبوري في رجال السند والهند ص ١٠١ .

ثم كشف الاخ هلال ناجي في مقدمته لرسالة الصاغاني (تعزيز بيتي الحريري) المنشورة في مجلة المجمع العلمي العراقي ج٢ م ٣١ سنة ١٩٨٠ انه لم يدخل العراق قبل سنة ٦١٥هـ وقد توهم الناقد انه سبق الاستاذ هلال الى هذا الراي . فنشرته لهذه الرسالة بعد التاريخ المذكور وهي نشرة سقيمة لاعتمادها مخطوطة واحدة فضلا عما اكتنفها من اخطاء شنيعة في التقديم والتحقيق . بينما نشرة الاستاذ هلال اعتمدت مخطوطتين للكتاب في برلين وباريس

١٠ ـ قال الناقد : « جزم المحققان بالراي ان الصغاني ورد الى عدن سنة ٦١٠هـ . ولكن الامر ليس كذلك ... الخ » اما قولنا فكان كالاتي وكان وروده الى عدن سنة ٦١٠هـ معتمدين في ذلك على قول معاصره ياقوت : فوصل عدن سنة ٦١٠هـ . فهل لدى الناقد مرجع او مصدر يثبت انه ورد عدن قبل هذا التاريخ ؟ .

١١ ـ قلنا : لم يحضر مجلس قاض ولا شهد . وقال الناقد : « بالعكس انه حضر مجلس قاض ... وزكاه العدلان » اننا اعتمدنا في نصنا قول « الحوادث الجامعة » المنسوب لمعاصره ابن الفوطي ص ٢٦٣ حيث قال ما نصه : الحقه القاضي محمود بن احمد الزنجاني بالمعدلين ، ولكنه لم يحضر مجلس قاض ، ولم يشهد في قضية .

١٢ـ قال الناقد : « إن الصغاني دخل بغداد سنة ٦١٥ باول مرة ولا ثانية كما قلت آنفا » هذا نص كلام الناقد ، وهو كلام ركيك يجافي أساليب العربية . وكان اعتمادنا في دخوله بغداد قبل سنة ٦١٥ قول ياقوت واللكنوي ومباركبوري حيث قالوا : انه مر ببغداد في طريقه الى الحج سنة ٥٩٥ ثم عاد إليها سنة ٦١٥ .

١٣ـ يقول الناقد : « إن الصغاني لم يزل شيخا برباط المرزبانية حتى سنة ٦٤٣هـ » وينفي ما قلناه : .. حتى سنة ٦٤٠هـ .
إننا حددنا هذا التاريخ استناداً على ما جاء في الحوادث الجامعة ص ٢٦٣ : رتب شيخاً برباط المرزبانية ، فلم يزل الى آخر أيام المستنصر بالله سنة ٦٤٠هـ .

١٤ـ قلنا : اما مصنفاته .. تبحث في علوم مختلفة .. والفقه .

وقال الناقد « ولكننا لم نر اي تأليف له في الفقه ولا رسالة بحث فيها اي مسألة من مسائل فقهية » والعجيب ان الناقد نفسه ذكر في مقدمة كتاب الانفعال ص ث للصاغاني (كتاب الفرائض) و (كتاب مناسك الحج) ولا ندري بماذا يبحث هذان الكتابان إن لم يبحثا في الفقه .

وقد سبق الناقد في ذكر هذين الكتابين كل من مؤلف معجم الادباء والجواهر المضية ومفتاح السعادة وكشف الظنون وغيرهم .

فهل يجرؤ الناقد على تكذيب كل هؤلاء وتكذيب نفسه ؟ .

١٥ـ قلنا : ومن مؤلفاته (در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة) وقال الناقد : الصواب انه (در السحابة في وفيات الصحابة)

واقول له : ان هذا العنوان كتب على غلاف مخطوطات الكتاب التي اعتمدتها في تحقيقي للكتاب .

وان هذا الاسم ورد في مقدمته أيضاً حيث قال : هذا الكتاب جمعت فيه بين المختصر الذي الفته في بيان مواضع وفيات الصحابة وبين ذيله الذي ذيلته عليه لتتم الفائدة . وذكره بهذا الاسم كل من ترجم له من الاقدمين . ومما يؤكد صحته ان في مؤلفات الصاغاني الاخرى كتاب باسم (شرح در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة)

والغريب أن الناقد ذكره بهذا العنوان الذي ينكره علينا في كتاب الانفعال ص ث تحت رقم ٣ . فاحمد خان يناقض نفسه ويناقض العلماء الاثبات والمصنفين القدامى .

١٦ـ ينفي الناقد ان يكون للصاغاني كتاب بعنوان (افعل فعلان) .

وقد نقل هذه الملاحظة مما صححناه بالقلم في النسخة التي أرسلت اليه ثم صوبناه في جدول الخطأ والصواب ، ومن مقدمة الاستاذ هلال في كتاب (تعزيز بيتي الحريري) .

١٧ـ قلنا : ومن مؤلفاته خلق الانسان في اللغة . وينفي الناقد أن يكون للصاغاني كتاب بهذا العنوان .

ونقول له : إننا اعتمدنا ما ذكره بروكلمان في مؤلفات الصاغاني .

وقد ذكر الناقد نفسه هذا الكتاب ضمن مؤلفات الصاغاني في مقدمة الانفعال ص ش رقم ١٦ . ولم ينفه .

١٨ـ قلنا : ومن مؤلفاته (نقعة الصديان فيما جاء على وزن فعلان) .

وينفي الناقد ان يكون للصاغاني كتاب بهذا العنوان .

وقد ذكرنا هذا الكتاب اعتماداً على ما ذكره مترجموه جميعاً . وما ذكره بروكلمان عن مخطوطتيه في تركيا . علماً ان الناقد نفسه ذكره بهذا الاسم في مقدمة الانفعال ص ق رقم ٧ .

ونحن لم ندع الوقوف على مخطوطة الكتاب ، وإنما ذكرناه اعتماداً على المصادر التي ذكرته .

١٩ـ ذكرنا كتابين للصاغاني هما (الشوارد في اللغة) و (ما تفرد به بعض ائمة اللغة) .

وهكذا وردا في المصادر التي ترجمت للصاغاني ، ولكننا التزاماً بالامانة العلمية ذكرنا رأي الدكتور حسين نصار الذي يرجح فيه ان يكونا واحداً . وهو يعيب علينا ان

نذكرهما بهذه الطريقة العلمية ويطلب إلينا انتحال رأي الدكتور نصار . علماً اننا لم ندع الوقوف عليهما لكي نتبنى ترجيح الدكتور نصار .

وأخيراً طبع الكتاب في بغداد سنة ٩٨٣ اي قبل نشر نقده بسنتين وتبين انهما كتاب واحد فعلا حققه السيد عدنان الدوري . ولا يعلم الناقد عنه شيئاً وهو المختص بالصاغاني كما يقول .

٢٠ـ اما ما ذكرنا عن طبع (مجمع البحرين) فقد ذكر ذلك متجاهلا التصحيح الذي ارسل إليه ، ومتجاهلا ما ذكر في مقدمة التعزيز المنشور سنة ١٩٨٠ .

٢١ـ يعيب علينا الناقد اننا ترجمنا للصاغاني مؤلف النص ، ولابن جماعة مختصر النص ؛ وللدمياطي ناسخ النص ، إن هؤلاء جميعاً من العلماء المعروفين ، وإن عملنا في الترجمة لهم يعد من ابسط اصول التحقيق . اما ان يكون الصغاني بريئاً مما اخرجناه . كما يقول الناقد ؛ فلا ندري ما سبب هذه الثورة ، هل لأن الناقد لم يخرجه هو بنفسه .

ولا جدال في ان الصاغاني هو مخمس القصيدة وموشحها ؛ اي شارح نصها ؛ فهو المؤلف ، ولا جدال ايضا في ان ابن جماعة هو الذي قام باختصار النص الذي وقع بين ايدينا ونشرناه تحت عنوان (المختصر) ، ولا جدال كذلك في أن الدمياطي هو الذي نسخ الأصل الذي وقف عليه فيما بعد ابن جماعة ثم اختصره .

وعبارة ابن جماعة التي وردت في آخر النص الذي نشرناه ونصها « كمل بحمد الله تعالى ومن خط الحافظ شرف الدين الدمياطي ـ رحمه الله ـ نقلته ، مختصراً شرح الأبيات » تقطع كل جدل في ان ناسخ الأصل هو الدمياطي ، والاصل ليس المختصر الذي وصل الينا ؛ ولم يميز الناقد بين هذا كله ، فخلط كلامه خلطا عجيبا .

٢٢ـ قلنا : فيما نعلم لم يصل إلينا (شرح القلادة) كاملا . فقال : لا يسوغ للمحقق ان يقول قولا باتا كهذا . فلا ندري ما الذي لا يسوغ هذا القول . وهل قولنا (فيما نعلم) قول بات كما يدعي ؟

فإن فهم منه ذلك فالعيب فيمن لا يفهم العربية ، وذلك اننا حصرنا الأمر في حدود علمنا ، والعلم موقوف بزمان ، فما كنا لا نعرفه سنة ١٩٧٧ عرفناه سنة ١٩٧٩ إذ وقفنا على الشرح الكامل وحققناه ، وهو قيد الطبع .

٢٣ـ ثم عاد الناقد الى الدمياطي فقال : إن ترجمة الدمياطي الذي (كذا) اورده (كذا) المحققان تحت ناسخ النص فلا حاجة إليها على ما قدمناه آنفا .

لقد بينا ان ابن جماعة استهل الكتاب بقوله : أنبانا الحافظ الدمياطي ، قال : قرات على الشيخ العلامة الصاغاني جميع القلادة السمطية في توشيح الدريدية بشرحها من تاليفه . وانهى النص بقوله : كمل بحمد الله تعالى ومن خط الحافظ الدمياطي نقلته ، وشاهدت بخطه بأوله ما مثله : قرات جميع هذا الكتاب على مؤلفه ومحرره ومهذبه ومحبره ... الخ .

ورأينا من واجب المحقق أن يترجم للدمياطي الذي نسخ الأصل ، وكان له فضل وصول الكتاب إلينا .

٢٤ـ قال الناقد : هذا من العجيب ان منتخب النص أورد ما كتبه الدمياطي في آخر الشرح من سماعه لهذه النسخة ، ولم يورد ما كتبه الصغاني بيده من الاجازة عليها ، ولو كتبها لكان أفضل ، وازداد في قيمة النص (كذا) .

ونقول : ما ذنبنا في كل ذلك ؟ وهل كانت اجازة الصاغاني مثبتة على النسخة المخطوطة التي اعتمدناها ثم حذفناها لتسوغ محاسبتنا ؟ وهل لنا علم بالغيب ؟

٢٥ـ قال الناقد : اورد المحققان اسم الميكالي الممدوح في مقصورة ابن دريد تارة ، واخرى ابن ميكال . ولا بأس به انهما كرراه (كذا) والصواب انه ابن ميكال .

ونقول : هذا وهم ؛ فالصورتان قد وردتا في المصادر القديمة كاليتيمة ٢٥٤/٤ وفوات الوفيات ٥٢/٢ وطبقات الشافعية ١٣٨/٣ ومعجم ياقوت ٣٤٤/٢ بل ان اهم

التراجم وهي الواردة في يتيمة الدهر ذكرته باسم الميكالي . وليس باسم ابن ميكال . وليس ثمة من يدعي انه اعلم من الثعالبي بالميكالي . والميكالي هو ولي نعمة الثعالبي وصاحبه وقد صنف باسمه عدداً من مؤلفاته

٢٦ــ قال الناقد : احصى المحققان شروح القصيدة ، ولا ارى حاجة الى هذه الشروح لان الكتاب لا يمت لها بصلة ، فانه تخميس. ويكفينا ما اورداها (كذا) من التخميسات على ص ١٤ .

ونقول : إن الكتاب ليس تخميساً فقط ، بل هو شرح وتخميس للمقصورة الدريدية ، فكان من اللازم أن نذكر التخميسات الأخرى لهذه المقصورة ، كما كان علينا ان نذكر شروحها ايضاً . وهو ما فعلناه فالناقد واهم فيما ذهب اليه .

٢٧ــ قلنا : التجليف والتجريد واحد . وقال « صواب القراءة : التجليف والتجريف واحد . لاحاجة الى دليل ، لان قول الليث الذي يتبع هذا التركيب دال على الصحة ، وهو الجلف أجفى من الجرف » .

قلنا : لما كان الناقد لا يفهم العربية على وجهها الصحيح ، فلم يعرف معنى قول الليث الذي فرق بين الجلف والجرف . حيث لم يساو بينهما . بينما يتساوى معنى جلف وجرد . جاء في اللسان (جرد) جرد الشيء : قشره . وفي مادة (جلف) جلف الشيء قشره .

ولذلك كان ما اوردناه صحيحاً .

٢٨ــ قال الناقد : جاء في المطبوع (وحادياً إلى السرى لرنما ، والصواب (حادياه للسرى ترنما) وقلنا : الحقيقة لا توجد الهاء بعد (وحاديا) ولذلك قرانا الكلمة (وحادياً) وصوبنا كلمة (للسرى) محافظة على وزن البيت . وهو اجتهاد أعطى للبيت معنى ؛ وقد أفاد الناقد من هامشنا رقم (٢) حيث قلنا : في الأصل للسرى ، فراح يلقي علينا درساً في التعدية باللام او إلى فقال : إن الصلة التي تستعمل لترنم هي ل وليست إلى كما هو معروف ثم قال : والعجب من القراءة الجديدة ان الفعل (ترنما) (تثنية) لم يستطع ان يدل المحققين الى حادياه . وهكذا اخطأ حين ظن الف (ترنما) للتثنية:

والصواب انها الف الاطلاق على حسب قراءتنا .

٢٩ــ قال الناقد : « لم يقل ابو عبيد : الجزوة مثل الجزمة ، بل قول ابي عبيدة كما ورد في تهذيب اللغة ١٦٧/١١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي عند تفسيره : او جزوة من النار .

واما ماجاء في اللسان فهو تصحيف من عند ابن منظور ، او هو عبث النساخ »

ونقول : اخطأ الناقد في هذه الملاحظة ثلاث مرات : الأولى : جاء في نصنا (الجذوة مثل الجذمة) فحرف عبارتنا وقال : الجزوة مثل الجزمة .

الثانية : انه لم يعرف الفرق بين التصحيف والتحريف . فالتصحيف هو الخطأ في النقاط ، والتحريف هو الخطأ في الحروف . وتغيير أبي عبيدة الى ابي عبيد تحريف لا تصحيف . واجدر بمن يتصدى لنقد تحقيق النصوص ان يعرف مدلول مصطلحات هذا الفن .

الثالثة : إن النص الذي في مخطوطتنا ورد القول فيه منسوباً الى أبي عبيد ، وليس الى ابي عبيدة . والنص كما هو معروف من تاليف الصاغاني ، وهو شيخ علماء اللغة في عصره . ومما يعزز صحته ما ورد في اللسان (جذا) ونصه (ابو عبيد في قوله عز وجل « او جذوة من النار » الجذوة مثل الجذمة) .

فما دام النص ورد منسوباً الى ابي عبيد العالم اللغوي المعروف ؛ في مصدرين اساسيين ؛ فلا معنى للبحث من جديد عمن ينسب إليه هذا القول في مصادر اخرى ، والناقد واهم في هذه المسالة .

٣٠ــ قال الناقد : « ان فعل أسيل اصح من اسل . وهكذا وردت في النص الذي أمامنا وبها تستقيم (كذا) المعنى » .

ونقول : قراءتنا لكلمة (أسل) صحيحة وهي مطابقة لمخطوطتنا . ومعنى (أسل) : أسرق خفية . والمعنى المراد هنا مجازي . اي انه كان يخفي دموعه في قوله :

* * *

(فكم اسل من جفوني عندما) ولم يميز الناقد بين المؤنث والمذكر فقال : وبها تستقيم المعنى . اي يستقيم المعنى .

٣١ـ قال الناقد : « ليست كلمة ايضاً الثانية من الاصل ، بل مقامه (كذا) حينئذ وبها تستقيم العبارة . » نقول : هكذا وردت العبارة في مخطوطتنا . وهي مستقيمة المعنى ، اما ما ورد في مخطوطة الناقد كما يدعي فلا يعتد به اذ لا يغير المعنى ، وليس في نصنا خطأ .

٣٢ـ قال الناقد : « جاء في المطبوع واورد في السير ارواداً ومروادا . والصواب مروداً بدون الالف لانها مصدر من ارواد . »

ونقول : خطأ الناقد الكلمة التي اوردناها في ارود في السير ارواداً ومروادا . وقال : الصواب مرودا . بدون الالف . وهي كلمة من خطأ الطبع الواضح . إلا ان الناقد وقع في خطأ فاحش . حيث قال (مصدر من ارواد) والصحيح (مصدر من ارود) وهو مذكور في شرح الصاغاني ، وفي العبارة التي وجه إليها نقده .

٣٣ـ قال الناقد : « إن المطبوع يجري هكذا : ولم يجيء من الجمع على فعال إلا احرف منها : تؤام توام . بتكرار كلمة توام . لانهتدي الى اي سبب جاءت الكلمة ثانيا . فانها في الحقيقة وفي النص ايضا تؤام جمع توءم . » ونقول : لقد ذكرنا كلمتين هما تؤام وتوام . فلم يحس الناقد فرقا بين الكلمتين لجهله بقواعد الاملاء ؛ فزعم اننا كررنا كلمة توام بلا سبب . ثم توهم ان كلمة توام تكتب بالهمزة المنفردة فكشف عن جهله بقواعد الاملاء ثانية .

٣٤ـ قال الناقد : ضبطت كلمة رجل بسكون الوسط والصواب بتحريكها .

ونقول : لاتوجد في كتابنا كلمة (رجل) بل هي (رخل) وقد ضبطها صاحب اللسان بسكون الوسط ؛ فما هو وجه الخطأ لدينا في هذا ؟

٣٥ـ قال الناقد : « الشجاع صفة وتحتاج الى الموصوف في هذا المكان الذي كان الرجل في الاصل » .

ونقول :

النص عندنا هو : رجل مجرب : صاحب حروب ، ويقال للشجاع انه لمردي حروب . فهل يحتاج القارىء الى كلمة الرجل قبل الشجاع ليفهمها والكلمة غير موجودة في المخطوط ، فكيف يسوغ لنا ان نحور النص .

٣٦ـ قال الناقد : « في الأصل توجد كلمة (اسى) بعد (حتام) بدلا من (انكى) التي جاء بها المحققان » ونقول : جاء في نصنا :

حتام انكى والغروب تهمع

والكلمة انكى هي المثبتة في المخطوطة التي حققناها وهي صحيحة لانها تؤدي المعنى المطلوب وهو (اغم) انظر اللسان (نكى) .

٣٧ـ قال الناقد : « سقط اسم والد عبدالرحمن بن الأشعث وهو محمد » .

ونقول : لم يسقط اسم (محمد) والد عبدالرحمن ، لان عبدالرحمن معروف في اغلب المصادر بـ (عبدالرحمن بن الأشعث) ونحن ذكرناه في الهامش كذلك . ومن يعرف المصادر لا تفوته مثل هذه الامور انظر مثلا الحيوان ١/٣٣٩ والاعلام ٣/٣٢٣ .

٣٨ـ قال الناقد : « في المطبوع والوضاح هو جذيمة الأبرش قيل كان بعد عيسى صلوات الله عليه بثلاثين سنة ، وملك شاطىء الفرات الى الأنبار وما وراء ذلك ستين سنة اقول : وقد سقطت كلمتان (الى السواد) من بين (ذلك) و (الستين) انتهى » .

ونقول : لم يسقط شيء من النص المثبت لدينا وهو يؤدي المعنى المطلوب ، ولكن يظهر ان الناقد رجع الى هامشنا رقم (٢) وقارن بين نص هامشنا ونص المخطوط فتوهم هذا السقط ، ثم انتحله لنفسه .

٣٩ـ قال الناقد : « إن كلمة تفري في شطر البيت (وساورتني نوب تفري الكلى) تكون من أفرى تفري (بالضمة) لان النوب لا تجيء الا للإفساد والفري للاصلاح كما جاء في شرح التخميس . »

ونقول : جاء في لسان العرب (فرى) قال ابن الاعرابي : افرى اوداجه بالسيف : شقها . وكل ما شقه فقد افراه وفراه .

فالفتح إذن ليس خطأ بل هو وجه قال به العلماء .

٤٠ـ قال الناقد : « وقد وردت : المضاربة بالسيف . ثم يسأل : هل تكون المضاربة بسيف او اكثر . »

ونجيبه : ما ورد في النص هو : المجالدة والمبالطة : المضاربة بالسيف . فاثبتناه كما هو .

فهل يريد الناقد أن نحور النص من عندنا ليفهم ؟

٤١ـ قال الناقد : « سقطت كلمة الى بين لولا واخاف » .

ونقول : عبارتنا هي : لولا اخاف أن تلدي . عبارة صحيحة ومفهومة بذكر (اني) أو بدونها ، فذلك من الايجاز البليغ ، ومن العجب أن الناقد صحح العبارة كالآتي (لولا الى اخاف) ولا معنى لها في لغة العرب

٤٢ـ قال الناقد : « فاذا اتنى فهو جمل (بالجيم) وليست الحمل (بالحاء) » .

ونقول : سقطت النقطة من خطأ المطبعة ، ولكن الناقد لم يعرف قراءة اتنى (بالتاء) فقراها اتنى (بالتاء) .

٤٣ـ قال الناقد : « اوال بفتح الهمزة لابضمها » واخذ علينا اننا اثبتناها بضم اولها .

وقد وهم في هذا ، فالضم هو رواية مخطوطتنا ، وقد نبهنا في هامش الصفحة ٤٣ الى ان اوال ترد بالضم وبالفتح ، واحلنا على معجم البلدان ٣٩٥/١ فهل بعد هذا من مزيد ؟

٤٤ـ قال الناقد : « كان من الضروري أن يشدد حرف الميم في (يوْم) . »

ونقول : لا حاجة لتشديد الميم في كلمة (يوْم) ، فهي مما يدركه كل قارىء يعرف العربية .

٤٥ـ قال الناقد : « جاء مؤلف التخميس كلمة (رملا) بالميم بدلا من (رفلا) بالفاء . وكلنا عارف بأن السعي بين الصفا والمروة ، وهناك تكون الرمل لا الرفل الذي يعمل حوله كعبة الله » .

نقول : ان سكون الميم اصبح في الطبع نقطة وهو واضح من اخطاء الطبع ، ولكن الناقد تخبط في عبارته وصيرها قضية اوقعته في اخطاء شنيعة .

١ ـ قال : جاء مؤلف التخميس كلمة رملا .

والصواب : جاء مؤلف التخميس بكلمة (رملا) .

٢ ـ قال : وكلنا عارف بأن السعي بين الصفا والمروة وهناك تكون الرمل لا الرفل .

والصواب : وكلنا عارف بأن السعي بين الصفا والمروة هو الرمل لا الرفل .

٣ ـ قال : الذي يعمل حوله كعبة الله .

والصواب : الذي يعمل حول كعبة الله .

وبذلك فضح نفسه في اللغة . وليفضح الله جهله بامور الدين أيضاً اضاف العبارة الأخيرة وهي (الذي يعمل حوله كعبة الله) ليفسر معنى السعي خطأ . فالذي يعمل حول كعبة الله هو الطواف وليس السعي ، وشتان ما بين السعي والطواف .

٤٦ـ قال الناقد : « إن الصغاني حافظ على رسم القرآن فقال (ولا تقولا) وبدلها المحققان الى (ولا تقولن) هل ترك المحققان لنا مجالا أن نضيف فيه شيئاً ؟ »

ونقول : لا علاقة لرسم القرآن في كتابة الشعر إن لم يكن اقتباساً . والشعر هنا ليس فيه أي اقتباس فقد كتب الشطر في مخطوطتنا :

(ولا تقولن في الا لا يا شططا)

والمخاطب فيه واحد . فكيف كتب الصاغاني كما يدعي (فلا تقولا) وصيغة تقولا للمثنى والمخاطب في البيت مفرد . ؟

٤٧ـ قال الناقد : « أمر فرط : مجاوز فيه الحد ، كما في الأصل ، وليس بما يتجاوز فيه الحد . »

ونقول : جاء في كتابنا : امر فرط : يتجاوز فيه الحد . فأضاف الناقد من عنده (ما) محرفا كلامنا ثم انتقد ما حرفه .

٤٨ـ قال الناقد : « كان الجدير بالمحققين ان يحيلا القارىء الى مواطن من التهذيب للجوهري وديوان الأدب للفارابي لكي يعرف صحة الكلام . »

ونقول : إن هــذا الكلام مــردود علمياً لان الكتاب الذي نشرناه كتاب في اللغــة ، فلو قمنا بتخــريج كل لفظــة او عبارة فيــه لاقتضى ذلك منا إصدار موسوعة في عدة مجلدات ، ولم نسمع قبــلا ان محققا من المحققين نشر كتابا في اللغة وخرج كل لفظة فيه لكي يعرف صحة الكلام .

٤٩ـ قال الناقد : « الشمري معناها المتشمر في الامور وليست بالمشمر . »

ونقول : اخطأ الناقد في هذا ، فقد ورد في اللسان (شــمر) ما نصه : [الشــمري : المشمر] .

٥٠ـ قال الناقد : « إن معنى كلمة المخش صحيح ولكن هذه الصفة لا تأتي بدون موصوفها ، لهذا عندي هي : رجل مخش . »

ونقول : في نصنا : مخش : جريء على الليل والناقد يريد منا ان نضيف كلمة (رجل) من عندنا ، وهي غير موجودة في النص : علماً ان النص بدونها صحيح وواضح ، إلا لمن لا يفهم العربية . فمن اساليب العربيــة ان تقوم الصفة مقام الموصوف .

٥١ـ قال الناقد : « لا نعرف كيف تسربت كلمــة (ان ســرك) في الحــديث إذ هي ليست في الاصل ، وفي النهاية غــريب الحــديث الا اردت . »

ونقول : نصنا هو « وفي الاحاديــث : ان سرك العز فجخجخ في جشم » .

وهــي رواية مخطوطتنا وصحيحــة ايضاً ، وقابلناها بما في كتب الحــديث الشريف ، واثبتنا الاختلاف بين الروايتين في الهامش . فما وجه الاعتراض على هذا ؟

إن الناقد حين اراد الاعتراض دون وجــه حق ، وقع في غلطتين .

الاولى : قوله (النهاية غــريب الحــديث) وصوابه (النهاية في غريب الحديث) .

والثانية : قوله : ان نص الحديث في النهاية (إلا اذا اردت) ولا وجود لكلمة الا في هذا الحديث الشريف .

وما جاء به الناقد هو تزوير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب . والحــديث يقول : [من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار] .

٥٢ـ اراد الناقد ان يصوب نصنا [وخسا او زكا مثال سعى ورمى بالتنوين] .

فقال : « الصواب خسا او زكا مثال سعى ورحى بل تنوين » وكلمــة بالتنوين خطــأ مطبعي واضح صوابه بلا تنوين ، ونبهنا عليه في جدول تصويب الاغلاط .

لكن الناقد وهو يحاول تصويب هذا الخطأ المطبعي وقع في خطأين .

قال : رحى وصوابها رمى .

وقال : بل تنوين وصوابها بلا تنوين .

٥٣ـ قال الناقد : « كان من الضروري للمحققين ان يعربا كلمتا (كــذا) يخسى ويزكى ، بكسرة الــين والكاف ، لان النص من اللغة وإهمال هذا النوع يحــدث اساءة الظن به وإساءة التفســير ايضا . »

ونقول من الصعب على المطابع ضبط كل حرف من حروف الكلمات ، وقد ضبطنا الحرفين الاول والثاني من الكلمتين . وتركنا ضبط الباقي اذ لا وجه للاشتباه في قراءة الكلمتين بعد الذي ضبطناه .

فاراد الناقد ان ينبه الى وجوب ضبط ما لا حاجة الى ضبطه ، ولكنه وقع في ثلاثة اخطاء

فقال : يعربا وصوابها يضبطا

وقال : كلمتا وصوابها كلمتي

وقال : بكسرة وصوابها بكسر

٥٤ـ قال الناقد : « الا يحتاج فعل اكتنف تثنية بعد كلمة القذالان (المثنى) »

ونقول : ان سؤاله هذا مغلوط ، ولا يسأله إلا من يجهل العربية ؛ لأن النص (القذالان ما اكتنف فأس القفا) وفي لسان العــرب (قذل) : القذالان ما اكتنف فأس القفا عن يمين وشمال .

٥٥ـ قال الناقــد : « انتبــه المحققان إلى خبر الصغاني لزهدم : فرس لعنترة ، فاوردا ما في اللــان من قول ابن بري اي هو لسحيم بن وثيل وفيــه قول ابنه جابــر ، ولكــن الحقيقة ليست كذلك » . ثم اتى بعد ذلك بكلام ركيك طويل .

ونقول : الكلام الطويل والركيك لا مبرر له . لاننا اثبتنا نص الصاغاني عن زهدم كما جاء في المخطوطة وذكرنا رأياً آخر في الهامش ، ولم نخطىء الصاغاني كما يدعي الناقد

٥٦ــ جاء في نصنا (كهنته الشدادئد اي جينته عن الاقدام) والخطأ المطبعي واضح في هذه العبارة لان الكلمة الاولى كتبناها في ابيات التخميس صحيحة في الصفحة نفسها . اما الشدادئد فزيادة الدال واضحة . ولكن الناقد جعل من هذا الخطأ قضية وتحدث عنها في عشرة اسطر ركيكة لا معنى لها .

٥٧ــ قلنا في النص : « عبقر موضع يزعم العرب » ويطالبنا الناقد بأن نقول : « تزعم العرب لان العرب تعني طائفة ، فهي مؤنث » .

وقد اخطأ الناقد في هذا . جاء في لسان العرب (عرب) العرب جيل من الناس معروف . فهو اذن مذكر .

وقال الازهري : رجل عربي اذا كان نسبه في العرب ثابتاً ، وان لم يكن فصيحا وجمعه العرب . فالعرب مذكر ايضاً . وما ورد عندنا صحيح .

٥٨ــ قال الناقد : « بيرحى اسم ارض كانت الى ابي طلحة الانصاري ان العبارة مختلفة ما معنى كانت الى ابي طلحة . ان كلمة (الى) هي (لابي) وبها تستقيم العبارة . »

ونقول : وهم الناقد في ملحوظته إذ حصل سقط في مخطوطتنا وهو كلمة (ابي) فاستكملناه من المصادر التاريخية ، وحصرناه بين قوسين ، ونبهنا على ذلك في الهامش . ففي الاصل كانت (إلى طلحة) والصواب (كانت الى ابي طلحة) .

٥٩ــ قال الناقد : « ضبطت الكلمة الاعليطة : بفتح الاول مرة وبالكسرة اخرى ، ولا نعرف سببها ، واما الصواب بالكسرة . »

ونقول : ضبطنا كلمة (الاعليط) بالكسرة لا كما ادعى بالفتحة مرة وبالكسرة اخرى . ففي الأولى لم نحرك الهمزة ؛ وفي الثانية حركناها بالكسر .

٦٠ــ ضبطنا (زيم) بالتنوين ، وحقها بضمة واحدة لانها ممنوعة من التنوين ، وهو خطأ مطبعي وكل ما عدا ذلك من تعليق لا قيمة له لاننا نحقق نصاً ، ولسنا شارحين له كما يريد الناقد .

٦١ــ قال الناقد : « هذا من أمر مؤسف ان المحققين لم يعتنيا بالنص على الأقل لاخراجه حق الاعتناء ، ودليل ذلك ان التخميس على هذه الصفحة اقتحمه شيء من شرحه ، ولم يقوماه ، فنشر على صورة ما يكره القراءة بل يسخط على المخرجين »

ونقول : بهذه العبارات الركيكة صب الناقد غضبه علينا لانه لم يعرف قراءة النص .

والقاعدة العلمية توجب نشر النص كما كتبه مؤلفه فاذا كان المؤلف قد اورد شرحاً لبعض الالفاظ بعد البيت الأول من التخميس تم اكمل رواية التخميس ، فلا يصح لناشره ان ينقل هذا الشرح الى موضع آخر بحجة ان ينشر البيت المخمس متصلا ببعضه ، وانما يجب علمياً ابقاء الاصل كما كان .

٦٢ــ قال الناقد : « الوهن والموهن : نصف الليل . والصواب الوهن والموهن : نحو من نصف الليل . (انظر القاموس) »

ونقول : أن ما اثبتناه هو ما في المخطوطة ؛ وليس من شرحنا لكي نضيف ما في القاموس، وكل إضافة هنا تعد تلاعباً وتزويراً .

٦٣ــ قال الناقد : « مشربة صوابها بالتاء المربوطة وضبطها المحققان بالهاء » .

ونقول : في هذه الملاحظة اكثر من خطأ ، فالكلمة هي (مشربة) وليست (مثربة) . وبدل ان يقول كتبها المحققان قال : ضبطها المحققان اما اهمال نقطتي التاء المربوطة فهو واضح بسبب الطبع . ولاندري لماذا لم ينبه الناقد الى سقوط النقطتين من (البهرمة) في السطر نفسه ؟

٦٤ــ قال الناقد : « لابد لي ان اشير في هذا الموضع الى شيء غريب لعل ابن جماعة وقع في هذه الاغلوطة . جاء في النص : السواع بالكسر ما أسمعت به غصتك . ويقال بالضم وبالفتح حيث انه مختل . واعراب السواع

بالضم وبالفتح وبالكسر . فانها في بيت اورده الصغاني وافادنا ان ابن ابي انس قراه بكسر الأول وابن حبيب بضمه وغيرهما بالفتح . ليست مسئلة الاعراب هذه الا في هذا البيت للكميت

وكانت سواغا ان جئزت بغصة
يضيق بها ذرعا سواهم طبيبها

واما ما ورد في التخميس فهو بالكسر لا غير »
ونقول : حاول الناقد ان يناقش راي ابن جماعة (صاحب المختصر الذي نشرناه) وليس ذلك من شاننا ، ولكنه وقع في جملة اغلاط في هذه الفقرة الواحدة ندرجها، وهي:

١ – السواع خطا صوابه السواغ بالغين .
٢ – ما اسعت خطا صوابه ما أسفت .
٣ – (اعراب السواع) خطا صوابه (ضبط السواغ)
٤ – مسئلة خطا صوابها مسالة .
٥ – (وكانت سواغا) خطا صوابها (وكان سواغاً)
٦ – (سواهم طبيبها) خطا صوابه (سواها طبيبها) .

انظر شعر الكميت ١/١١٥

٦٥– قال الناقد : « جاء الصغاني في معنى الدحل: هوة تكون في الأرض ، حيث ان المطبوع يحتوي على : نفق يكون في الارض . »

ونقول : ونحن اثبتنا ما في مخطوطتنا والمعنى واحد . ومما يؤكد صحة اللفظة التي ابتناها ما جاء في لسان العرب (دحل) قال : الدحل نقب ضيق فمه ثم يتسع اسفله حتى يمشى فيه ، وربما انبت السدر . وهذا يؤكد ان النقب في الارض والنفق والهوة شيء واحد. وليس من حقنا تغيير النص وإبدال الالفاظ.

٦٦– قال الناقد : « جاء الشطر الثاني من التخميس :

او دلني نظف على الهوى او حاشني
كذا جاء الشطر وهو مختل الوزن . لعل الصواب باخراج كلمة (نظف) من الشطر »
ونقول : صحيح ان كلمة (نظف) زائدة لانها من خطا الطبع حيث ادخلها الطباع من الهامش اثناء التصحيح حيث كتبنا له (نظف) اي الحبر الزائد الاسود . فاقحمها في النص . وقد نبهنا على ذلك في جدول الخطا والصواب .

٦٧– قال الناقد : « سقطت نقطة الزاي من الناسخ لكلمة (راغ) » .

ونقول : لقد اثبتنا نحن رواية مخطوطتنا (راغ) وذكرنا في الهامش ان اللفظة في المقصورة (زاغ) علما ان زاغ وراغ بمعنى واحد .

فانتحل الناقد هامشنا وتمالم في ذكر هذه الملاحظة التي لا وجه لها .

٦٨– قال الناقد : « جاء في المطبوع الآلاء : النعم واحدتها آلى . والى مثال رحى ومعا . لعل المثال الثاني لا ينسجم وهو معى . مقصور »
نقول : هكذا كتبت في مخطوطتنا ، وهي صحيحة ولكن الناقد لم يفهمها فحرف ما كتبناه ، اذ كتبنا (الىً وإلىً) فاثبت هو آلى وإلى . وهذا خطا محض .

٦٩– قال الناقد : « لاشك فيه ان كلمة (الو) مثال (قفو) صحيح ، ولكن الأصل يحتوي على (قنو) وليس علينا إلا ان نأتي بالأصل »
ونقول : اننا اتينا بالأصل ، وهو ما كتب في مخطوطتنا وما دام صحيحاً ، فهل يسوغ لنا تغيير النص ؟

٧٠– قال الناقد : « ضبطت الكلمة (بنفيه) بالهاء حيث انها بالتاء المربوطة . »

ونقول : اراد الناقد مؤاخذتنا على هفوة مطبعية واضحة ولكنه اخطا في عبارته ، فبدل ان يقول كتبت بالهاء . قال : ضبطت بالهاء .

٧١– قال الناقد : « إن في الشطر الأول من التخميس كلمتان او و أبق ، ولكن المحققين جمعاهما وجعلاهما في كلمة واحدة . »

ونقول : صحيح ان الكلمتين قد تقاربتا بسبب الطبع ؛ ومع ذلك فاي قارىء بسيط يعرف قراءة او ابق ، ولا يمكن ان يجعلهما كلمة واحدة . علماً ان كلمة ابسق مشروحة بعد أسطر قليلة تحت التخميس .

فهل العيب فينا ام في القارىء الذي يخطىء الصواب ويحمل المحقق اوزار ذلك .

وقد وقع الناقد في خطا نحوي شنيع ؛ فرفع ما حقه النصب فقال :

ان في الشطر الأول من التخميس كلمتان .
والصواب كلمتين .

٧٢ـ قال الناقد : « ورد فعل (تخر) في المطبوع على التانيث ، انها على التذكير ؛ ليست بسقيمة . وان تضاف كلمتان وتجري العبارة واللاحب : فاعل بمعنى مفعول يعني ملحوب، ستكون العبارة احسن واجمل من الأولى . »
ونقول : لقد اثبتنا ما في الاصل ، وفي التحقيق لا مجال للاحسن والأجمل مقابل الأصل الذي قال عنه : ليست بسقيمة . اي الرواية التي اثبتناها .

إن مطالبته ايانا باضافة كلمتين ليستا في المخطوط يعني مخالفة قواعد التحقيق العلمي .

٧٣ـ قال الناقد : « وفي المطبوع : اقول والدمع مسهلا . حيث ان كلمة مسبلا تفي بما سبق من العبارة . واضف عليه أن المسهل لا تستعمل للدمع مطلقا . »

ونقول : لقد اخطأ الناقد في ذلك ، إذ ليس من حقنا تغيير ما في النص . والكلمة صحيحة . قال ابن سيده : السهل كل شيء الى اللين وقلة الخشونة . اللسان (سهل) وفي نصنا :

اقول والدمع يسح مسهلا

يبدو معنى مسهل واضحا ، إذ المراد الدمع يجري بسهولة وليونة .

٧٤ـ قال الناقد : « جاء اسم الموضع (النحيت) في التخميس ولكن المحققين ضبطاها النحيات في شرحه . ولم يشيرا الى هذا التصحيف من الناسخ . »

ونقول : ليس في النص اي تصحيف بل هو خطأ مطبعي وقع في هذا الموضع . والدليل ان الكلمة نفسها كتبناها في موضعين من الصفحة نفسها برسم (النحيت) .

٧٥ـ قال الناقد : « يدوسها بقرقر على التذكر (كذا) حيث انها على التانيث كما في الشطر الاول من البيت . »

ونقول : الصحيح ما ذكرناه بالتذكير لان الفعل يعود على كلمة (الجون) اي الحصان الأسود . وهو مذكر . فيجب تذكير الفعل .

٧٦ـ قال الناقد : « جاء المحققان في معنى القرير: بالقناع الأملس حيث ان القرقر هو القاع من قوع وليس من قنع » .

ونقول : صوب الناقد كلمة (القناع) الى (القاع) وهو خطأ مطبعي واضح ولكنه وقع في الخطأ إذ قال : القرير : القناع الأملس . والصواب القرقر .

٧٧ـ قال الناقد : « جاء في المطبوع . فنقول مطرها بنوء كذا . والصواب مطرنا بنوء كذا»
ونقول : اخطأ الناقد وقراءتنا (مطرها بنوء كذا) هي الصحيحة، لان الحديث عن الأرض.

٧٨ـ قال الناقد : « والاري كالراح لمن ودي ابتغى) ولكن في النص الذي خطه الدمياطي: (والأري بالراح لمن ودي ابتغى) »

ونقول : إن ما اثبتناه وهو :

(والأري كالراح لمن ودي ابتغى) هو المعنى الصحيح . ويعني : ان العسل كالخمر لمن ابتغى مودتي. اما النص الذي يقترحه الناقد فهو معنى ركيك . علما انا قد اشرنا في الهامش الى رواية المقصورة ؛ وهي (والراح كالآرى) وهي رواية مشابهة في معناها لروايتنا .

وهو يوجه هذا النقد صحف مرتين إذ قال : ودي ابتعى (بالعين المهملة) ثم كررها ثانية في النص ذاته . وصوابها ابتغى (بالغين المعجمة) في الموضعين .

٧٩ـ قال الناقد : « ضبطت كلمة الحبى بالكسر لدى الصغاني . »

ونقول : ونحن ضبطناها بالضم . وفي شرح الصغاني : حبى مكسور الأول عن يعقوب . والضم هو القياس . ولا ندري ما وجه اعتراضه إن كان شرح الصاغاني يعزز ضطبنا ؟

٨٠ـ قال الناقد : « لا الحاجة الى الحاشية التي جاء بها المحققان ، وذلك بعد قراءة شرح التخميس في الاصل . وفيه صرح الصغاني عن كلمة زيفانة . »

ونقول :

اما الحاشية التي اثبتناها وهي (في المقصورة زيفانه) . فضرورية علميا لانها تسجل الاختلاف بين رواية البيت في المخطوطة وروايته في المقصورة . ولكن الناقد ، وهو يسجل رايه المغلوط ، وقع في جملة اخطاء :

١ ـ لا الحاجة صوابها لا حاجة

٢ ــ صرح الصغاني عن كلمة زيغانة ــ صوابهــا كما ورد في الشرح .

٣ ــ زيغانة صوابها زيغانه (بالهاء) .

٨١ــ قال الناقد : « جاء في الشطر الثاني :

(بامرة وإن يلنوا لا يلن)

وحيث صوابها : بأمر وإن يلينوا لا تلن »

ونقول : كتبنا الكلمة (يلينوا) (يلنوا) وهو خطأ مطبعي فبدل نقطتي الياء وضع الطباع كسرة . وقد نبهنا على هذا الخطأ الواضح . ولكن الناقــد سقط في وهم إذ حــذف التاء المدورة من (بأمرة) ولم يتنبه ، وهو الجاهل بالعروض الى ان الصيغة التي اثبتها مختلة الوزن عروضياً .

٨٢ــ قال الناقــد : « الضغــرة الرمل المنعقــد . والصواب الرمل المتعقد من باب التفعل » . ونقول : لقد توهم الناقد ان المنعقد يختلف معناها عن المتعقد . وهــذا خطأ فاحش ، فقد ورد في اللسان (عقد) « وقد انعقــد وتعقد » اي انهما بمعنى واحد .

٨٣ــ قال الناقــد : « والصيف يتلو حــره برد الشتاء . ولكــن الصواب : والصيف يتلو حره برد الشتاء » ونقول : لم تختلف عبارته عن العبارة التي انتقدها ، بل بنصها لفظاً وروحاً . ولكنه وقع في خطأ وهو ينقل النص فأورد كلمة (الشتاء) بالهمزة في موضعين ، وهي محذوفة الهمزة في النص (الشتا) ولم يتنبه كعادته في جهل العروض الى ان الشطر سيختل وزنه اذا ما اضيفت هذه الهمزة .

٨٤ــ قال الناقد : « كفاة : اي نتاجها وبرها . والصواب اي نتاجها ولبنها ووبرها » .

ونقول : في مخطوطتنا لا توجد لفظة (لبنها) فلا يجوز ان نضيفها من عندنا .

وفي مطبوعتنا لم ترد عبارة (اي نتاجهــا وبرها) وانما وردت على وجه صحيح وهو (اي نتاجها ووبرها) .

٨٥ــ قال الناقد :

« امهيت الحديدة إذا حددتها . صوابها : امهيت الحديدة إذا احددتها » .

ونقول : لقــد اخطأ الناقد في ذلك . جاء في اللسان (حدد) ما نصــه « احدها احداداً وحــددها : شحــذها ومسحها بحجــر او مبرد » .

فالفعل (حدد) و (احد) بمعنى واحد .

٨٦ــ قال الناقد : « صوى هذين العودين لا يضر بهما لانهما ينتجان ناراً لا ولداً » والصواب « ضوى العودين لا يضــرهما لانهما ينتجان ناراً ولا ولداً » .

ونقول :

هذا نص ما أورده الناقد ، وهو تحريف ، ففي مطبوعتنا (ضوى) وليس (صوى) ولفظة (هذين) موجودة في المخطوطة فلا يســوغ حذفها علمياً . وعبارة (لا يضر بهما) وردت بهذه الصيغــة ايضاً . ومعناها صحيــح ، فكيف يسوغ لنا إبدالها ؟

٨٧ــ قال : جــاء الشــطر الثاني للتخميــس في المطبوع : « ما انصفت ام الصبيين التي » والصواب « أم الصبيــين بضم الصاد لانها اسم الداهية »

نقول :

وهم الناقد في هذا وهماً عجيباً ، فتفسيره لام الصبيين في هــذا الشطر مخالف لمعنى البيت . إذ الواضح ان الشاعر يقصد المراة التي لها صبيان . وحيث جــاء في الشــطر الثاني : اصبت اخا الحلم ولمــا يصطبى فلا يسوغ للداهية ان تصبي اخا الحلم . وإنما تصبيه المراة . وفي كتاب المرصع لابن الاثير ٢٢١ : ام الصبيين هي هامة الراس . ولم يقل الداهية .

ومصدر وهم الناقد ان الصاغاني قال في اثناء شــرحه : للتيا والتي اســمان من اســماء الداهية . فالحق الناقد بهما (ام الصبيين). وندون ادناه صوراً لنقــد الكاتب بســبب الاختلافات الواردة بــين صورة مخطوطتــه الكاملة ، وصورة مخطوطتنا المختصــرة من قبل ابن جماعة .

٨٨ــ قال الناقد : « ص ٢٠ في المطبوع : وعمى ، بالقصر : كل امر لا تدركه عقول بني آدم ولا يبلغ كنهه الوصف ، اقول : ان كلمة عمى لا تحــدد الى الوصــف الذي جاء بها المحققان او من قام بانتخاب النص فانه لدى الصغاني هكذا : سال ابو رزين ... الخ »

ونقول : ان النسخة التي حققناها ونشرناها هي المختصر لا الأصل ، فليس هــذا الفرق

من شأن المحقق لانه لا يمتلك نسخة الاصل بل المختصر فقط .

ولذلك اثبتنا ما اختار صاحب المختصر وليس فيه اي شائبة .

٨٩ـ قال الناقد : ص ٢١ « كان على المحققين بل هي من واجبهما ، وهما يحققان كتاب الصغاني ، ان يشيرا الى ميزته الخاصة اي اتيان الكلمات باعرابها الثلاث (كذا) او باعرابين ... الخ »

ونقول : حقاً إننا لم نشر الى ميزة الصاغاني في إيراد وجوه الاعراب الثلاثة للكلمة الواحدة ، إذ لم يكن في مخطوطتنا من هذه الوجوه شيء . إلا وجه واحد . فأثبتناه .

٩٠ـ قال الناقد : ص ٢١ « اسوة ، بالفتح وبالكسرة وايضا قدوة ، وقدوة كما كتبه الصغاني وجزوة . بالثلاث . هذه خاصة للصغاني ، اي ياتي الكلمات بجميع اعرابها ، وهي جديرة بالذكر » (كذا)

ونقول : ردنا على ذلك هو ردنا على الفقرة السابقة نفسه .

٩١ـ قال الناقد ص ٢٥ .

« يبدو من جملة (هكذا قال بعض الناس) ان الصغاني الذي شرح هذه القصيدة نفسه وقف حيراناً امام قول الناس على ما يظهر ، ولم يقل أو أدلى رأيه فيه . إذ الامر بالعكس لانه قال بعده : وانا من عهدتها فالج بن خلاة ، وبريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب . وبهذه الكلمات لم يرك الصغاني مجالا للشك » (كذا) .

ونقول : ان العبارة التي وردت في مخطوطتنا (هكذا قال بعض الناس) واثبتناها كما وردت . اما الزيادة التي ذكرها الناقد فليس لها وجود عندنا ، وما اثبتناه لا يقلل من مكانة الصاغاني ليدافع عنه الناقد فسمى فالج بن خلاوة . فالج بن خلاة . واخطأ في رسم كلمة (يترك) .

٩٢ـ قال الناقد : ص ٢٥ .

« هذا من خصائص الصغاني بانه ياتي بجميع الاعراب والصور للكلمة ، وبهذه المثابة اورد كلمة (المنشا) بالسين والشين » .

ونقول :

اثبتنا رواية مخطوطتنا (المنتسا) بالسين فقط . ولسنا مطالبين بذكر الوجه الثاني في اللفظ وهو (المنتشا) لعدم وجوده في مخطوطتنا ، وهي مختصر ابن جماعة .

٩٣ـ قال الناقد : ص ٣١ .

والكلمة (نقد) التي اضافها المحققان لاستقامة وزن البيت موجودة في الأصل . ونقول : نسي الناقد ان مخطوطتنا هي المختصر ، وليست الاصل الذي لديه .

٩٤ـ قال الناقد : ص ٥٥ .

« لاشك فيه ان ابن جماعة الذي انتخب النص حافظ على روح الشرح ولاكنه (كذا) خبط عشواء (كذا) في عدة الأمكنة (كذا) لدى الانتخاب . وهذه منها ، فانه قال : وقال الجمحي : الفرض عود ... الخ » . ونقول : ينتقد الناقد ابن جماعة منتخب النص لانه لم يحافظ على روح الشرح ، ويطالبنا ان نشير الى ما في المختصر من نقص ، وهو يعرف عدم وجود النص الكامل بين ايدينا فنحن ننشر المختصر الذي ظفرنا به مخطوطا آنذاك .

٩٥ـ قال الناقد : ص ٦٤ .

« اشارة المحققان في الحاشية بحوالة المقصورة بان الكلمة (زاخما) التي وردت في التخميس هي زاخرا . هكذا كان في النص الذي انتخب منه ابن جماعة لكنه لم يصب عند نقلها منه » .

ونقول : لامعنى لعبارة (بحوالة المقصورة) فهي عبارة مغلوطة وغير مفهومة ، ومع ذلك فهمنا من فقرته أن كلمة (زاخما) صوابها (زاخرا) .

وقد وجه نقده في هذا التحريف الى ابن جماعة صاحب المختصر ، والحقيقة ان الناقد لم يفطن الى هذا التحريف ولكنه نقل ملحوظتنا المدونة في الهامش رقم (١) من ص ٦٤ وانتحلها لنفسه بادعاء العلم ، ولم يعترف بالفرق مابين الاصل والمختصر .

٩٦ـ قال الناقد : ص ٦٤ .

« جاء معنى الضحضاح الماء القريب ، ولكن الدلالة مبتورة وهو الماء القريب القعر ، لعل كلمة القعر سقطت من الناسخ . »

ونقول : هكذا وردت العبارة في المختصر ، واي قارىء يفهم العربية يدرك الدلالة التي يشير اليها الناقد ، ولذلك لم نعلق على ما سماه سقطاً .

٩٧ـ قال الناقد : ص ٧٢ .

« جاء في المطبوع امتاح فلانا ، اذا أتاه فطلب فضله فهو ممتاح . ان العبارة المشار اليها لاشك انه لا يوجد فيها اي خلل ، ولكن النص الذي امامنا يفيدنا بكلمة يطلب مقام مطلب (كذا) ويخيل إلي ان الكلمة في نصنا اجمل من المطبوع . »

ونقول : لا مجال للجمال ، وليس لدينا غير نسخة المختصر فاثبتنا ما فيها وهي رواية ليس فيها اي خلل كما قال الناقد .

٩٨ـ قال الناقد : ص ٧٣ .

« وقد سقطت كلمة القراح بعد كلمة روضت . »

ونقول : العبارة في مخطوطتنا (روضت : جعلته روضة) وهو شرح صحيح ولا يتنبه الى اي سقط فيه عندما اختاره ابن جماعة في المختصر .

٩٩ـ قال الناقد : ص ٧٥ .

« سقطت كلمة الرخوة بعد البيضاء . »

ونقول : العبارة في مخطوطتنا . (والفقع ضرب من الكمأة قال ابو عبيد : هي البيضاء) وفي هذا الشرح تمام المعنى . ولا وجود لكلمة الرخوة في نسخة المختصر لكي نثبتها .

١٠٠ـ قال الناقد : ص ٧٧ .

« سقطت (عليه) بعد (الث) .

ونقول : العبارة في مخطوطتنا (الث : الح عليه) والمعنى واضح ، ولا مجال لاضافة مالا يوجد في المخطوط المختصر . »

١٠١ـ قال الناقد : ص ٨١ .

« هنا سقطت العبارة : نحو سطرين من المطبوع . »

ونقول :

لم يسقط سطران لان نصنا (مختصر شرح القلادة) ولذلك اختصر ابن جماعة هذين السطرين ، والمعنى في النص مستقيم .

١٠٢ـ قال الناقد : ص ٨٥

« جاء في المطبوع : ويروى بكسر اللام . ها هنا سقطت عدة اسطر من الناسخ »

ونقول : يظهر ان الناقد لا يريد ان يفهم بأن النص الذي حققناه مختصر ، ولا يجوز له أن يقابل بين المختصر والنص الكامل ليثبت الفروق ، وإلا لاصبح لدينا كتاب جديد آخر .

١٠٣ـ قال الناقد : ص ٨٨ .

اثبت المحققان جمع الكثير لو طب ، او طاب ولا شك فيه انه صحيح ، ولكن مؤلف النص اورد وطاب . وجاء لها شاهداً ببيت امرىء القيس ... »

ونقول : ان الجمع الوحيد في مخطوطتنا هو (اوطاب) وليس للشاهد الشعري وجود . وما دامت كلمة الجمع لدينا صحيحة ، فما هو وجه الاعتراض لدى الناقد . وهو يعرف فرق ما بين المختصر والاصل ؟

هذه هي اللاحظات التي نرى انها تستحق المناقشة والرد عليها ، وكل ما عداها ، وهو قليل جداً . اغلاط مطبعية طفيفة ما كانت تستحق المناقشة ، لانها لا تعدو سقوط نقطة او تغيير موضعها مثل (نسع صوابها تسع)و (الحزم صوابها الخرم) او حركة مثل (الجرز بتسكين الراء وصوابها الجرز بفتح الراء) او حرف مثل (البهزر صوابها البهزرة) او (ارفد صوابها ارفه) وهكذا .

انموذجات من اغلاط الناقد ، الاسلوبيةواللغوية والنحوية والاملائيـة ، عدا ما أثبتناه في اثناء مناقشة مواضع نقده ، فاننا لم نكرره فيهذا الجدول .

الخطـأ	الصواب
ص ١٩٧	
١ ـ اتحفني كتابا لطيفا .	اتحفنى بكتاب لطيف .
٢ ـ مشاركاً بالسيد هلال .	مشاركاً السيد هلال .
٣ ـ الاخراج من جامعة .	واخرجته جامعة .
٤ ـ النظرة العابرة على الكتاب .	النظرة العابرة في او (الى) الكتاب .
٥ ـ وساسترشد .	استرشد .
٦ ـ بل مطالعة مركزة .	بل اطالعه مطالعة مركزة .
٧ ـ او انتخب الذي اخرجه المحققان .	او المنتخب الذي اخرجه المحققان .
٨ ـ ومات المؤلف بعده بيومين من هذه القراءة .	ومات المؤلف بعد يومين من هذه القراءة .
٩ ـ واما النص هو اختصار .	واما النص فهو اختصار .
١٠ـ وعندما رايت انتخابه مبتوراً وإخراجه سقيماً حملتني بل فرضت علي تحقيق هذا الكتاب .	وعندما رايت انتخابه مبتوراً وإخراجه سقيماً ، حملني ذلك بل فرض علي تحقيق هذا الكتاب .
ص ١٩٨	
١١ـ وهي تصلح بكل الصلاحية .	وهي تصلح كل الصلاحية .
١٢ـ اضافني شوقاً إلى مطالعة .	زادني شوقاً إلى مطالعة .
١٣ـ سرد فيه .	سرد فيها (اي الترجمة) .
١٤ـ كان عليها أن يضبط الكلمات .	كان عليهما أن يضبطا الكلمات .
١٥ـ اورد مؤلفه فيه الانمال والأسماء بعلمه الغزير مقصوراً او ممدوداً .	اورد مؤلفه فيه الافعال والأسماء بعلمه الغزير مقصورة او ممدودة .
١٦ـ جاءت من قبل ابن جماعة .	جاءت من ابن جماعة .
١٧ـ حرصاً على احتفاظ تراث الصغاني .	حرصاً على حفظ تراث الصغاني .
١٨ـ عنوان .	العنوان .
١٩ـ مقدمة .	المقدمة .

٢٠- ان كلمة النص عندما ترد في مقدمة اي كتاب محقق يعني **به** النص .	إن كلمة النص عندما ترد في مقدمة اي كتاب محقق يعني بها النص .
٢١- وان ابن جماعة **الذي انتخبه فانه صاحب** انتخاب شرح القلادة .	وان ابن جماعة هو صاحب انتخاب شرح القلادة .
ص ١٩٩	
٢٢- وهذا امر **متفق** ولا جدال فيه .	وهذا أمر متفق عليه ولا جدال فيه .
٢٣- ومن يدعي **على** عكسه **يعتبر ممن يمس به ديانة العلم** .	ومن يدعي عكسه يعد بعيداً عن العلم .
٢٤- بعد قراءة هذه الافادة **خيلني** ان المحققين لم يجهدا .	بعد قراءة هذه الافادة خيل الي ان المحققين لم يجهدا .
٢٥- ليست هي **حد** بين خراسان والهند .	ليست هي حداً بين خراسان والهند .
٢٦- وكان من حسن العبارة ان **يرجع ضمير** بيت الله .	وكان من حسن العبارة ان يرجع الضمير على بيت الله .
٢٧- انه ورد **بجزيرة** فرسان .	انه ورد جزيرة فرسان .
٢٨- لم يحضر مجلس **قاضي** .	لم يحضر مجلس قاض .
٢٩- وانه حضر مجلس **قاضي** .	وانه حضر مجلس قاض .
٣٠- بحيث اني **اجزمت** بالراي .	بحيث اني جزمت بالراي .
٣١- اورد المحققان في ضمن تاليفات الصفاني تاليفاً وسماه .	اورد المحققان في ضمن تاليفات الصفاني تاليفاً وسمياه .
ص ٢٠٠	
٣٢- إن العاني **واحد** المحققين .	إن العاني احد المحققين .
٣٣- سنة ثماني **عشر** .	سنة ثماني عشرة .
٣٤- اخذت فيلم النسخة الموجودة منه **مكتبة** داماد زادة .	اخذت فيلم النسخة الموجودة منه في مكتبة داماد زادة .
٣٥- إن هناك **تاليف** للصفاني .	إن هناك تاليفاً للصفاني .
٣٦- وظنوهما كتاباً واحداً في علم اللغة **وادرجوها** خطأ .	وظنوهما كتاباً واحداً في علم اللغة وادرجوهما خطأ .
٣٧- اورد المحققان كتابين للصفاني **وهو** .	أورد المحققان كتابين للصفاني وهما .
٣٨- فانه **رجع الى** انهما كتاب واحد .	فانه رجح انهما كتاب واحد .
٣٩- لم **يتسخ** هذا النص ولا الفه ولا **انتخب** .	لم ينسخ هذا النص ولا الفه ولا انتخبه .
٤٠- لم يصل إلينا شرح القلادة الذي الفه الصفاني **كامل** .	لم يصل إلينا شرح القلادة الذي الفه الصفاني كاملا .
٤١- إن ترجمة الدمياطي **الذي اورده** المحققان تحت ناسخ النص **فلا** حاجة إليها .	إن ترجمة الدمياطي التي اوردها المحققان تحت ناسخ النص لا حاجة إليها .

ص ٢٠١	
٤٢ـ ولو كتبها لكان افضل **وازداد في** قيمة النص	ولو كتبها لكان أفضل وزاد في قيمة النص . او وازدادت قيمة النص .
٤٣ـ ويكفينا ما **اوردها** من التخميسات .	ويكفينا ما اورداه من التخميسات .
٤٤ـ إن كلمة عمى لا تحدد **الى** الوصف .	إن كلمة عمى لا تحدد الوصف .
٤٥ـ الذي جاء **بها** المحققان .	الذي جاء به المحققان .
٤٦ـ **فطنا هذا** النقص .	فطنا إلى هذا النقص .
٤٧ـ جاءت الأبيات من هذا التخميس **لسكون** الآخر .	جاءت الأبيات من هذا التخميس بسكون الآخر .
٤٨ـ ليست كلمة ايضاً الثانية من الأصل بل **مقامه** حينئذ .	ليست كلمة ايضا الثانية من الاصل بل مقامها حينئذ .
ص ٢٠٢	
٤٩ـ إن المحققين قرءا كلمة ... **زاعما** بانهما يحافظان .	إن المحققين قرءا كلمة ... زاعمين بانهما يحافظان .
٥٠ـ تكون تفري **بالضمة** في البيت لا بالفتح .	تكون تفري بالضم في البيت لا بالفتح .
٥١ـ **وقراءها** المحققان .	وقراها المحققان .
ص ٢٠٣	
٥٢ـ كان من حسن عمله **يحافظ** على رسم القرآن	كان من حسن عمله انه يحافظ على رسم القرآن .
٥٣ـ ولا تقولا كما هي **القرآن** .	ولا تقولا كما هي في القرآن .
٥٤ـ فانها بدلا **منها** اوردا الكتب .	فانهما بدلا من ذلك أوردا الكتب .
٥٥ـ **ولاكنه** .	ولكنه .
٥٦ـ **خبط** عشواء .	خبط خبط عشواء .
٥٧ـ في عدة **الامكنة** .	في عدة امكنة .
٥٨ـ لا **تعبرها** .	لا يعبر عنها .
٥٩ـ ويوفي حقها ما **اوردها** ابن جماعة .	ويوفي حقها ما اورده إبن جماعة .
٦٠ـ في **راي** وراي كل من يحافظ على امانة البحث **يرى** أن كان ...	في رايي وراي كل من يحافظ على امانة البحث ان كان ...
٦١ـ من واجب ابن جماعة ان يستبقي **نصا** كاملا	من واجب ابن جماعة ان يستبقي النص كاملا
٦٢ـ ومن الخطر **لدى** الاعتراض عليه .	ومن الخطر الاعتراض عليه .

ص ٢٠٤	
٦٣ـ فرسان كل واحد منها زهدم .	فرسان كل واحد منهما زهدم .
٦٤ـ رسالة افراد كلمات في القرآن والمنجد وغيره ذلك .	رسالة افراد كلمات في القرآن والمنجد وغير ذلك .
٦٥ـ ولو رجع المحققان الى الصحاح او اللسان لوجدا فيها العبارة .	ولو رجع المحققان الى الصحاح او اللسان لوجدا فيهما العبارة .
٦٦ـ ولو فكر المحققان قليلا الى كلمة (الى) التي هي محرفة ليعلما انها لأبي .	ولو فكر المحققان قليلا في كلمة (الى) التي هي محرفة لعلما انها لأبي .
٦٧ـ ضبطت الكلمة (الاعليط) بفتح الاول مرة وبالكسرة اخرى ، ولا نعرف سببها . واما الصواب بالكسرة .	ضبطت الكلمة (الاعليط) بفتح الاول مرة وبكسره اخرى ، ولا نعرف سببه ، واما الصواب فبكسره .
٦٨ـ ضبطت كلمة (زيم) بالتنوين ولكن الصواب بالضم مبنيا .	ضبطت كلمة (زيم) بالتنوين ولكن الصواب بالضم ، لانها ممنوعة من التنوين .
٦٩ـ كما جاء التكملة للصغاني .	كما جاء في التكملة للصغاني .
ص ٢٠٥ .	
٧٠ـ السطر الثاني عن الآخر .	السطر الثاني من الآخر .
٧١ـ ان كلمة الو مثال ففو صحيح .	ان كلمة الو مثال ففو صحيحة .
٧٢ـ ليس علينا إلا أن تاتي بالاصل .	ليس علينا إلا ان نأتي بالأصل .
ص ٢٠٦ .	
٧٣ـ العبارة السالفة تدل إليها .	العبارة السالفة تدل عليها .
٧٤ـ يدوسها بقرقر على التذكر .	يدوسها بقرقر على التذكير .
٧٥ـ جاء المحققان كلمة (سرطان) .	جاء المحققان بكلمة (سرطان) .
٧٦ـ اثل بالثاء الثلاث .	اثل بالثاء المثلثة .
٧٧ـ لو رجع المحققان الى التخميس لينتبها يقينا	لو رجع المحققان الى التخميس لانتبها يقينا .
٧٨ـ هذه الهنئة .	هذه الهنة .
٧٩ـ المعي من الإبل .	المعيي من الإبل .
٨٠ـ إن المحققان لم ينتبها .	إن المحققين لم ينتبها .
٨١ـ ياتيان الجمع للكلمة .	ياتيان بالجمع للكلمة .
ص ٢٠٧ .	
٨٢ـ في جميع المواضيع .	في جميع المواضع .
٨٣ـ من حيث ان صوابها .	حيث ان صوابها .
٨٤ـ لان الرد ايلبس ولا الردى .	لان الردا يلبس لا الردى .

ص ٢٠٨ .

٨٥ ـ شطر آخر من تحت .	شطر أخير من تحت .
٨٦ـ هناك شطر ثاني .	هناك شطر ثان .
٨٧ـ ولا نهتد الى عبارة .	ولا نهتدي الى عبارة .
٨٨ـ الكلمات التي كتبها الصفاني مقصورا او ممدوداً .	الكلمات التي كتبها الصفاني مقصورة او ممدودة .
٨٩ـ واوردها المحققان خلافها .	واوردها المحققان خلاف ذلك .
٩٠ـ من الألف الى ظاء .	من الألف الى الظاء .

● عن دار الشؤون الثقافية العامة تصدر المجلات التالية:

● الاقلام : وتعنى بالادب الحديث

● التراث الشعبي:وتعنى بالتراث والمأثورات الشعبية

● آفاق عربية : مجلة فكرية عامة

● الطليعة الادبية : وتعنى بادب الشباب

● الثقافة الاجنبية : وتعنى بالادب الاجنبي